



جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

شعر الطبيعة في العصر المملوكي الثاني من

"784هـ-923هـ"

إعداد الطالب:

حسين يعقوب حسين خليل

إشـراف:

أ. د. حسن عبد الهادي السراحنة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

حزيران/ 2008م

جمادى الآخر/ 1429هـ



جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

شعر الطبيعة في العصر المملوكي الثاني من

"784هـ-923هـ"

إعداد الطالب:

حسين يعقوب حسين خليل

إشـراف:

أ. د. حسن عبد الهادي السراحنة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

حزيران/ 2008م

جمادى الآخر/ 1429هـ

نوقـشت هـذه الرسـالة يـوم __________ بتـاريخ __/__/2008م

الموافق _______________هـ وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. حسن عبد الهادي	_______________
2. د. علي عمرو	_______________
3. د. إبراهيم الخواجا	_______________

الإهداء

- إلى من أفنيا عمريهما في سبيل تربيتي عطاءً وتضحيةً وحُبّاً ووفاءً... أمي وأبي...
- إلى زوجتي الغالية التي لم تبخل عَليَّ بجهدها ووقتها صبراً وإعانةً...
- إلى إخوتي وأخواتي ...

إليكم جميعاً أهدي عملي هذا

الشـــــكر

أتقـدم بـوافر شـكري وعظـيم امتنـاني وكـل احترامـي إلـى أسـتاذي

الدكتور الفاضل

الأستاذ الدكتور: حسن عبد الهادي

الذي لم يدخر جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي وتوفير المصادر والمراجع التي أغنت البحث فجزاه الله خير الجزاء...

وأتقدم أيضاً بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة الخليل لجهودهم الطيبة في إبقاء هذه الجامعة شعلةً للعلم...

كما أتقدم بالشكر أيضاً لكل من ساعدني في إتمام عملي هذا...

فهرس المحتويات

الفصل الثاني: الطبيعة المتحركة .... (118 -169)

الحمير والثيـــران

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وبعد:

فقد أحببت الطبيعة منذ الصغر، لما لها من أثرٍ ساحرٍ على النفوس والعقول، ولا عجب في ذلك، فهي منحة الخالق عز وجل التي أعطاها للبشر في أجمل حلةٍ وأروع مشهدٍ، لذلك ارتأيت أن أكتب في وصف الطبيعة في العصر المملوكي الثاني، لإيماني بأصالة أدب هذا العصر على الرغم من الحملات التي تعرض لها ووصف فيها بعصر التخلف والانحطاط، فقد ترك هذا العصر بصماتٍ واضحةً على الأدب العربي، تمثلت في كثرة المجاميع والدواوين الأدبية والشعرية التي صنفت، والتي لا يزال الكثير منها بحاجةٍ إلى نفض الغبار عنها وتحقيقها ودراستها وإتحاف المكتبة العربية بها.

ووصف الطبيعة غرض قديم مهم من أغراض الشعر العربي في كل عصر وفي كل إقليم، والشعراء يتغنون دائماً بما تقع عليه أبصارهم من مشاهد الطبيعة كالرياض والأزهار والصحراء والزروع.

وهناك عدة أسبابٍ دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، أولها رغبتي في حصر ما تميز به شعراء العصر المملوكي من أوصافٍ لمظاهر طبيعتهم الغناء في بلاد الشام ومصر، ولا سيما مناظر الطبيعة الخلابة: السماء وما فيها، والأرض وما عليها، وثانيها لأتعرف على كيفية تناول الشعراء لهذه الظاهرة في أشعارهم ومدى استفادتهم ممن سبقهم وما أضافوه من جديد، ولأتذوق ما فيه من جوانب جماليةٍ "موضوعياً وفنياً"، وكي أستكمل الحلقة التي قام بها زميلي الباحث موسى علي النجادي، والتي درس فيها موضوع شعر الطبيعة في العصر المملوكي الأول، فعزمت على دراسة شعر وصف الطبيعة في العصر المملوكي الثاني في الفترة الواقعة من (784- 923) هـ، وأتقدم بهذا البحث لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

وحتى نحكم على أي عصرٍ من العصور من ناحيةٍ أدبيةٍ لا بد من دراسته من جميع جوانبه المختلفة، وبما أن الوصف جانب مهم لا يمكن إغفاله في أي عصر، فهو يدخل في معظم موضوعات الشعر، فقد أحببت أن أسهم ولو بالقليل للكشف عن حقيقة ذلك العصر وما أحاط به من لغطٍ واتهاماتٍ وتجريح.

وعلى الرغم من تراجع الحياة في هذا العصر إلا أن الأدب ما زال محافظاً على أصالته ومكانته، والمطالع لأدب الشعراء ومؤلفاتهم فيه يدرك ذلك، ويلحظ أنهم طالعوا التراث الأدبي للسابقين واستفادوا منه، وأضافوا إلى أدبهم الشيء الكثير، فجاء صورةً حيةً تعبر عن واقعهم،

كما نقل لنا كثيراً من مشاهد حياتهم، فجاء غنياً بالصور الفنية الجميلة التي تلامس شغاف القلوب والعقول.

وعند الحديث عن أدب هذا العصر يجدر الإشارة إلى أنـه عـصر الأدبـاء والعلمـاء والمفكرين الذين فرغوا أنفسهم لخدمة العلم وتصنيف الكتب القيمة التي لا تزال مستخدمة حتـى أيامنا الحالية، والتي لا تخلو منها أي مكتبةٍ علميةٍ حديثةٍ في أحيائنا ومدننا وقرانا والشواهد على ذلك كثيرة.

وتلقي هذه الدراسة الضوء على الأدباء وأدبهم ونوعية شعرهم وجودته أو عدمـه فـي العصر المملوكي الثاني، كما يمكن أخذ تصورٍ عام عن طبيعة العصر والحياة التي كان يعيشها الناس آنذاك، وتوضح العلاقة بين الشعراء وطبيعتهم وكيف نظروا إليها وتعاملوا معها، وحتـى يتسنى لي ذلك قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: يتحدث عن الطبيعة الساكنة التي تتضمن موضوعي الطبيعة السماوية والأرضية، حيث اشتملت الطبيعة السماوية على موضوعات الليل والنهار والنجوم والقمر والغـيم والمطـر والبرق والرعد والرياح والنسيم، أما الطبيعة الأرضية فتحدثت فيها عن فصول السنة بما تحويه من الربيع والشتاء والصيف والخريف، كما تناولت فيها موضوعات وصف الرياض والأشـجار المثمرة وغير المثمرة والنباتات الموسمية والأزهار والأنهار والبحار.

الفصل الثاني: جعلته للحديث عن الطبيعة المتحركة وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن الحيوان الأليف مثل الإبل والأرانب والحمير والثيران والخرفان والغزلان والفيلة والقطط والكلاب.

أما **المبحث الثاني:** فقد جعلته للحديث عن الحيوان غير الأليف كالليث والضبع.

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن الحشرات والزواحف.

المبحث الرابع: تحدثت فيه عن الطير الأليف كالإوز والبلابل والحمـام والديكـة والـشحارير والطواويس والعنادل والغربان، كما تناولت بعض أنواع الطيور غير الأليفة كالصقور والغربان والنسور.

المبحث الخامس: تناولت فيه بعض المخلوقات البحرية كالأسماك والتمساح.

والفصل الثالث: تناول موضوعات اللغة الشعرية والأسلوب ومنها المحسنات البديعية وشكل القصيدة والصورة الشعرية ثم الموسيقا.

وأنهيت البحث بخاتمةٍ تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي، تلاها مجموعةٌ من الفهارس ثم ثبتٌ المصادر والمراجع، وملخص باللغة الإنجليزية.

ورأيت أن أعتمد المنهج التكاملي في الدراسة حتى تخرج بإذن ا على الصورة المطلوبة، فكنت أجمع الأشعار من دواوين الشعراء ومن مصادر الأدب المختلفة وأصنفها حسب الموضوع وأدرسها وأحللها، كما اعتمدت على المنهج النفسي في تحليل الأشعار التي كانت تأتي في كثيرٍ من الأحيان صورةً عن نفسية الشاعر ونظرته إلى الموصوف.

وكان بطبيعة الحال للمصادر الأدبية والدواوين حضور في الدراسة، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها والتي نقلت شعراً لا بأس فيه في وصف الطبيعة : كتاب كوكب الروضة للسيوطي، وعنوان الزمان للبقاعي، والمواكب الإسلامية لابن طولون الصالحي، ونزهة الأنام للبدري، وحلبة الكميت وتأهيل الغريب للنواجي.

واعتمدت عدداً من الدواوين الشعرية كان أهمها ديوان ابن زقاعة بالإضافة إلى دواوين النواجي والدماميني وأبي الفضل ابن أبي الوفاء وابن خطيب داريا وفخر الدين ابن مكانس.

ومن الكتب الحديثة التي رفدت البحث كتاب وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي لنوري القيسي ،ووصف الطبيعة في الشعر الأموي لإسماعيل العالم، وشعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني لرشدي حسن ،والطبيعة في شعر مصر والشام من القرن الخامس إلى نهاية الدولة الأيوبية لأحمد عطية أبو صعيليك ، وآفاق الشعر العربي في العصر المملوكي لياسين الأيوبي وغيرها من الكتب الأخرى.

أما الصعوبات والمشاكل التي واجهتني فتتمثل في قلة المصادر والمراجع في المكتبات المحلية في فلسطين، الأمر الذي اضطرني إلى السفر للأردن مرتين ومرة ثالثة لمصر لأحصل على ديواني ابن حجة الحموي وفخر الدين ابن مكانس، ولم أتمكن من الحصول على ديواني الشهاب الحجازي والشهاب المنصوري، إلى جانب ذلك قلة الأشعار التي وجدتها في وصف الحيوان عند شعراء ذلك العصر، فعلى الرغم من تنوع بيئتي مصر والشام بالحيوانات المختلفة، وعلى الرغم أيضاً من أن شعراء العصر المملوكي الأول قد أكثروا من وصف الحيوان في عصرهم، إلا أن شعراء هذا العصر قد قصروا كثيراً في وصف الحيوان عمن سبقهم، وأشعارهم التي قالوها في وصف الحيوان إجمالاً جاءت سطحيةً وغير متعمقة، وغابت الكثير

من الجزئيات التي كنا نجدها عند الشعراء السابقين كوصف أرجل الكلب وذنبه ورأسه، أو وصفه وهو يطارد الفريسة وغيرها من الموضوعات، كما أن الشعراء في كثيرٍ من الأحيان لم يصفوا الحيوان لذاته وإنما جاءت أوصافهم مختلطةً بالموضوعات الأخرى، كتشبيه المرأة بالغزال والشجاع بالليث والمهجو بالكلب، الأمر الذي جعل الفصل الثاني(الطبيعة المتحركة) أقل حجماً من الفصلين الآخرين نظراً لقلة الأوصاف التي وجدتها ، وآخر الصعوبات حصولي على مجموعة من الدواوين المخطوطة والتي امتازت برداءةٍ كبيرةٍ في خطها مثل ديوان فخر الدين ابن مكانس وديوان ابنه مجد الدين وديوان ابن خطيب داريا.

وقبل أن أنهي أتقدم إلى أساتذتي الفضلاء في قسم اللغة العربية بالشكر الجزيل على الجهود الكبيرة التي يبذلونها في سبيل إبقاء نور العلم ساطعاً وهاجاً، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور حسن عبد الهادي الذي لم يبخل علي بجهوده وعلمه ووقته.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا ولا أزعم الكمال في عملي، فالتقصير ملازم للإنسان في سعيه دائما، فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

الطبيعـــة الـــساكنة:

- الطبيعة السماوية
- الطبيعة الأرضية

الطبيعة الساكنة:

- الطبيعة السماوية

تناول الشعراء مظاهر الطبيعة المتنوعة وسجلوها في أشعارهم على النحو التالي:

أولاً: الليل والنهار

يتعاقب الليل والنهار في نظامٍ بديعٍ، فيملآن الآفاق نورا وظلمةً، فالليل ينشر ثوبه الموشى بالهدوء والسكون، ثم يتبعه النهار مرسلاً ضياءه و معلناً ميلاد يومٍ جديدٍ بلونٍ جديد، في تناسقٍ وتعاقبٍ جميل، فكل منهما مكملٌ للآخر، وكأنهما أخوان يتقلبان فيقدمان الأيام والشهور والسنين، يقول الشهاب المنْصوري فيهما:

[الكامل]

أخَوانِ بَيْنَهُما أشَدُّ تَقلُّبٍ	وَعَلَى التَّقلُّبِ لَيْسَ يَجْتَمِعانِ
إن طالَ هذا كانَ هذا قاصراً	فعَلى إخائِهِما هُما ضِدَّانِ
مُتَحَرِّكٌ هَذا وَهَذا سَاكِنٌ	والفَرْقُ بَيْنَهُما وَعَيْشِكَ دانِ[1]

فهما لا يجتمعان وإنما يلي الواحد منهما الآخر، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[2]، والليل يطول في فصل الشتاء ويقصر في فصل الصيف ويتساوى مع النهار في فصلي الربيع والخريف، ويختص النهار بالنشاط والحركة على عكس الليل الذي تخلد فيه الحياة إلى النوم والراحة، وسأبين حديث الشعراء في العصر المملوكي عن الليل والنهار في الصفحات التالية:

أ- **الليل:**

وصف شعراء الأدب العربي الليل قديماً منذ العصر الجاهلي، وسار على هذا النهج بقية الشعراء في العصور الأدبية المختلفة ،ومن بينهم شعراء هذا العصر الذين عاشوا الليل بحلوه ومره، وطوله وقصره، وظلمته ووحشته أو أنسه وسعادته، فكانت لهم حكاياتٌ معه، وعلاقاتٌ تختلف من شاعرٍ لآخر، فتحدثوا عن تأثرهم به وتأثيره فيهم، ونظموا لوحات فنيةً جميلةً كانت مادتها الكلمات والمعاني والصور الممزوجة بعواطفهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ومواقفهم من الليل، وجاء حديثهم عنه من خلال الحديث عن العلاقة بالمحبوب أو الممدوح، أو الرحلة، أو من خلال ما طرأ على حياتهم من أمورٍ مختلفةٍ كالمرض والخوف والقلق، وهم على أي حالٍ قد استفادوا من معاني سابقيهم كثيرا، فالشعراء قبلهم لم يتركوا أياً من مظاهر الطبيعة السماوية إلا

---

(1) دندراوي، عباس قرشي، **شعر الشهاب المنصوري**، 143. والسيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، 87.

(2) سورة **يس**، آية 40.

وتطرقوا لها ووصفوها، وهذا لا يعني أنهم لم يبتكروا جديداً، بل يجد المطالع لأشعارهم صوراً ومعاني طريفةً كانت من نسج أخيلتهم أو من خلال استحضار معاني السابقين وإلباسـها ثوبـاً جديداً، يقول الشاعر إبراهيم ابن زقاعة واصفاً سواد الليل بسواد الزنجي الأسود وقد تجرد مـن ثيابه:

[الكامل]

فالليـلُ كـالزّنجيِّ عُريانـاً أتَـى   والصبحُ يشبهُ راهباً في بيْعةِ[1]

و هذا المعنى موجود عند الشعراء قبله، يقول الشاعر ابن الظهير الإربلي وهـو مـن شعراء العصر المملوكي الأول:

[الكامل]

جُبْتُهـا وَالظَّـلامُ رَاهِـبُ لَيْـلٍ   جَاعِـلٌ كُـلَّ كَوْكَـبٍ قِنْـدِيلا

أوْ عَظِـيمٌ للـزِّنج يَقْـدمُ جَيْـشاً   قـدْ أعَـدُّوا أسِـنَّةً وَنُـصُولا[2]

ونوع الشعراء صورهم في وصف الليل، فالشهاب المنْصوري يشبهه بالـشعر الفـاحم الأسود، وهذه الصورة أيضاً ألح عليها الشعراء قبله كثيراً في شعرهم، يقول:

[البسيط]

كَأنّمـاَ اللَّيْـلُ شَـعْرٌ طـالَ فاحِمُـهُ   تَبَلَّجَتْ عنْ دُجاهُ جَبْهَـةُ السَّحَرِ[3]

واستعار بدر الدين ابن الصاحِب، صورة الخيول الدهم لبيان صورة الليل ولونه، فليلـه يحاكي لونها، وسرعة انقضائه تشبه سرعتها، فصورته تزخر بالحركة واللون والتشبيه، ويزيـد الصورة جمالاً إخباره لليل بأنه قد دخل تحت ذيله، كنايةً عن قرب انتهائه، وهو يطالبه بالتطاول والبقاء وتغطية الصبح حتى يبقى في أنسه مع محبوبته، يقول:

[مخلع البسيط]

يـا ليـلُ إنَّ الحَبِيـبَ وَافَـى   وَخِفْـتُ إسْـراعَ دُهْـمِ خَيْلِـكْ

فَطُـلْ وغَـشِّ الـصَّباحَ إنِّـي   دَخَلْـتُ يـا لَيْـلُ تَحْـتَ ذَيْلِـكْ[4]

وشبه شَمس الدين القَادِري سواد الليل بثياب النساء الساترة التي اختلطت بلمعان النجوم والكواكب، يقول:

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(2) الإربلي، ابن الظهير، **ديوانه**، 65.

(3) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**، 2/ 229.

(4) النواجي، شمس الدين، **مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان**، 90.

[البسيط]

تــاهَ الأنــامُ بِجُـنْحِ اللَّيْـلِ فاتَّخـذُوا   لَهُمْ دَلِيلاً لَذا الظَّلماءِ مِنْ اللَّهَبِ

حتَّـى كـأنَّ جَلابِيبَ الـدُّجَى رَغِبَتْ   عَـنْ لَوْنِهــا وَكــأنَّ الــشَّمْسَ لَــمْ [1]

"وربط الشعراء الليل بآلام نفوسهم، وما تحويه من أحزانٍ ومتاعب، حتى غدا الليل هماً يرزح تحت وطأته الشاعر، فأخذ يصرخ في جوف الليل لعل الصباح يسمع شكواه فينبلج عـن نوره المبين، ولكن هيأت لهم نفوسهم التعبة، أن ليلهم سرمد لاينقضي،"[2] فالنواجي يكابـد هـذا الليل الثقيل بالهموم والأحزان ويحترق بناره ولهيبه، وكلما انقضى بعضه عاد من أوله وكأنه بلا فجرٍ ولاسحر، وهذا انعكاس وتفسير لنفس الشاعر البائسة المرهقة، فالشاعر يعـاني فـي هـذا الظلام الموحش، والهموم ثقيلةٌ على النفس، فهو ينتظر النهار بفارغ الصبر لأنه يعتقـد أن فيـه راحته من آلامه، ولكن بما أن الليل ما زال قائماً فإن الهموم تلازمه، وهذا الشعور طبيعي مـن الشاعر، فالمكروب والمحزون يحس الوقت يمر بطيئاً عليه:

[البسيط]

أُكَابِـدُ اللَّيْـلَ فِـي هَـمٍّ وَفِـي حَـزَنٍ   وَفِـي لَهِيـبٍ وَفِـي نـارٍ وَفِـي فِكَـرِ

لا يَنْقَـضِي الـبَعْضُ إلاَّ عـادَ أوَّلُـهُ   كَأَنَّمــا هُـوَ مَخْلُـوقٌ بِـلا سَـحَرِ[3]

وذكر الشعراء النجوم في شكواهم من الليل، فهي ثابتةٌ لا تتحرك، وكنوا بذلك عن طول الليل، ويمكن القول إن وصف الليل من أكثر موضوعات وصف الطبيعة التي عبر فيها الشعراء عن همومهم ومعاناتهم، فالنواجي يرى النجوم مساميراً سمرت في سقف الليل، الذي غدا ثابتـاً لثباتها، يقول:

[الكامل]

وَتطــاوَلَ اللَّيْــلُ البَهِــيمُ فَخِلْتُــهُ   لِـسَوادِ حَظِّـي بِـالنُّجومِ مُـسَمَّراً[4]

ورأى الشعراء منذ القدم أن طول الليل سببه جمود النجوم لعدم قدرتها على السير فـي ظلامه، يقول صدر الدين الآدمي:

[الطويل]

---

(1) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ق2، 187/3, والبيت الثاني مضمن من قصيدة لأبي تمام، ينظر ديوانه، 99/1.

(2) أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في مصروالشام من القرن الخامس إلى نهاية الدولة الأيوبية**، رسالة ماجستير، 60.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي مع تحقيق ديوانه**، رسالة دكتوراة، 248.

(4) **نفسه** 219، وقد استفاد الشاعرمن معنى امرئ القيس : فيا لك من ليلٍ كأن نجومه بأمراس كتانٍ إلى صم جندل، ينظر ديوانه49.

فيا لَيْلُ كَمْ هَذّا التَّطاوُلُ فِي المَدَى　　　أما يَنْقضِي عَنْ جَفْنِيَ المُتَقاصِرِ

ويا نجمُ ما هذاْ السُّرَى أنتَ راقِدٌ　　　تُـرَى أمْ علَـى سَيرِ الـدُّجَى غيـرُ [1]

ويجعل فخر الدين سليمان بن غازي صاحب حصن كيفا النجوم شـاهدةً علـى سـهره ومعاناته لبعده عن محبوبته، يقول:

[الطويل]

سَلُوا عَنْ سُهادِي أنْجُمَ اللَّيْلِ إنَّهـا　　　سَتُخْبِرُكُمْ عَمَّـا لقِيْتُ مِنَ البُعْدِ[2]

ويشكو شهاب الدين الحجازي ليلةً أصيب فيها بدملٍ، فغاب صبره وطالت معاناته، فأخذ يراقب النجوم علها تغيب وكأنه خبير بها وبعلمها، وما كان ذلك منه إلا على أمل زوالها وانبلاج الفجر حاملاً معه الراحة والطمأنينة لنفسه، يقول:

[الطويل]

لقـدْ طـالَ ليـلٌ سـاءَنِي فيـهِ دُمَّـلٌ　　　فأسْهَرَ أجْفانِي ولمْ أسْتَطِعْ صَبْرَا

كـأنِّي بعلـمِ الوقتِ مغرًى فها أنـا　　　أُراعِــي نُجــومَ اللَّيــلِ أرْتقِــبُ [3]

وتطرق الشعراء إلى ذكر الليل في الحديث عن الممدوح والرحلة، فقد كان في نفوسـهم توقٌ إلى تجاوزه للخلاص إلى الممدوح سريعاً، فالشاعر مجد الدين ابن مكانِس يذكر ليلةً مظلمةً موحشةً قطعها للوصول إلى القاضي ابن حِجة الحموي ومدحه، وقد بدت نجومها جامدةً وكأنهـا قد شدت بالحبال، يقول:

[البسيط]

وليلـةٍ مـنْ لَيـالِي الهَجْرِ مُظْلِمَـةٍ　　　"كَأنَّ أنْجُمَهـا شُدَّتْ بِأمْراسِـي"[4]

قطَعتُها بمَديحِي فِي الرَّئِيسِ شِهـا　　　بِ الـــدِّينِ رَبِّ النَّـــدى والعِلـــمِ [5]

أما ابن زقاعة فقد أخذ صورته في وصف الليل من الثياب، فجعله لباساً ورداء، واتخذ من النجم دليلاً وهادياً ومرشداً في رحلته إلى ممدوحه محمد – صلى ا عليه وسلم-، يقول الشاعر:

[مخلع البسيط]

---

(1) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 45.

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 50/6.

(3) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 366.

(4) الأمراس: الحبال، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "مرس"، 216/6. والشطر الثاني مضمن من قول امرئ القيس، وقد أشير إليه في الصفحة السابقة.

(5) ابن مكانس، مجد الدين، **ديوانه**، 9.

وسِـــرْتُ والـــنَّجمُ لِـــي دليـــلٌ ومِـــنْ سَـــوادِ الـــدُّجَى رِدَائِـــي
أركـــضُ بالرَّجْـــلِ فـــي طريـــقٍ بغيـــــرِ زادٍ بغيـــــرِ مـــــاءِ[1]

وإذا كان الشعراء قد أطالوا الحديث عن الليل وطوله وما يعانونه من آلام البعد والهجر والحرمان، فقد انبرى بعض من ينتقدون حديثهم هذا، لأن من يسهر الليل يفكر في المحبوبة، فلن يلقي بالاً للوقت، لأن هناك ما يشغله، يقول محمد بن علي بن منصور الحصكفي:

[البسيط]

يـا مُـدَّعِي رُتْبـةَ العُشَّاق مُخْتلِفـاً ومُـشْتكِي طُـولَ ليـلِ الهجْـرِ مِـنْ
مِـنْ يـسْهرُ اللَّيـلَ فِـي المَحْبـوبِ مِنْ أينَ يُفرِّقُ بينَ الطُّولِ والقِصَرِ[2]

وراقب الشعراء الفجر عله ينبثق من وسط الدياجي حاملاً معه النـور وجالبـاً الأمـن والأمان لنفوسهم والراحة لأجسامهم، يقول ابن سودون:

[الطويل]

جَفا الجَفْنَ طُولُ اللَّيلِ طِيبَ مَنامِهِ يُراقِـبُ نَجْـمَ الفَجْـرِ عَـلَّ يَبِـينُ[3]

وإن كان ليل الهموم طويلاً كما يصوره الشعراء، فإن ليل السعادة يختلف عن ذلك، فهو ليلٌ قصير، لا يلبث أن ينبلج صبحه، لأن الوقت لا حساب له في مقياس السعادة، فمـا أن يبـدأ حتى يؤذن بالانتهاء بسرعةٍ، ودون أن يشعر المرء بذلك، فالسعادة تمر بسرعة كأنهـا دقـائق، على العكس من دقائق الهموم التي تمر ثقيلةً كأنها الساعات الطوال، يقول إبـراهيم بـن عمـر البقاعي في ليالي الأنس القصار:

[الكامل]

مرَّتْ ليـالِي الوَصْلِ وَهْـيَ قَصِيَرةٌ مــاذا عَليْهــا لَــوْ تَكُــونُ تَطُــولُ[4]

ويشكو النواجي من الليل الذي يطول بغياب الأحبة ويمر سريعاً بحضورهم، يقول:

[الوافر]

فيـــا لَيْــلَ الأحِبَّـــةِ عِــمْ صَــباحاً إلــــى كَــــمْ تِــــستَطِيلُ بهَجْــــرِهِنَّ

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم: **ديوانه**، 50.

(2) البدري، أبو البقاء، **الدر المصون المسمى بسحر العيون**، 47/2.

(3) البغبشاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 73.

(4) البقاعي، برهان الدين ، **عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران**، 76/2.

وَكَــم قَـصَّرْتَ إذْ بِتْنــا بِجَمْــعٍ   فَـشَتَّتَ بَـيْنُ صُـبْحِكَ شَـمْلَهُنَّ [1]

ويدعو ابن خطيب داريا لليالي الوصال بالرعاية، فقد ذاق فيها الهناء والصفاء، وغاب فيها الرقيب فمرت مراً سريعاً، وبات وأصحابه يخطفون السعادة فيها خطفاً قبل انقضائها، يقول:

[الطويل]

رعَـى اللّـهُ أيَّامـاً قطعْنـا بِوَصْلِنا   فَمـا كَـانَ أهنـى مِـنْ زمـانٍ وَمـا
وَحَيَّـا لَيـالٍ غـابَ عَنَّـا رَقِيبُهـا   فَكُنَّا مِنَ الأعْمارِ نَخْطِفُها خَطْفا[2]

وتشتاق نفسه إلى تلك الليالي التي قضاها مع أحبابه، ينعم بينهم بالسعادة والهناء والسرور، فيتساءل متمنياً عودتها ورجوعها، يقول:

[الطويل]

تُـرى هَـلْ لأيـامِ الوِصَـالِ رُجُـوعُ   وَهَـلْ لِشُموسٍ قَـدْ غـرَبْنَ طُلُـوعُ
وَهـلْ لِلَيـالٍ قَـدْ تَقَـضَّتْ بِوَصْلِنا   إيـابٌ وهـلْ لِلمُـستَهامِ هُجُـوعُ[3]

ويشبه إبراهيم بن عمر البِقاعِي مرور ليالي السعادة بالبرق، فهي تنقضي بسرعةٍ دون أن يرتوي منها، ويتمنى عودتها قبل أن يموت ويدفن في قبره، يقول:

[الخفيف]

يـا رَعَـى اللّـهُ هاتِيـكَ اللّيـالِي   مِثْلُ برقٍ سَرَى وَمـا نِلْتُ قَصْدِي
يـا تُـرَى هـلْ أفـوزُ مِنْهـا بعَـوْدٍ   قبلَ ألقى مِثْلَ الرِّكـازِ[4] بِلَحْدِي[5]

وعلى عكس الذين كانوا يعانون آلام الليل ويفرحون بطلوع النهار، كان بعض الشعراء يتمنون أن تطول ليالي الأنس ولا تنتهي، حتى يطول الهناء، فابن خطيب داريا يعبر عن بغضه لطلوع النهار الذي يروع قلوب المتآنسين ويكدر جمعهم، يقول:

[البسيط]

مَـنْ كـانَ بِالـصُّبْحِ مَـسْروراً   فَلَـنْ أُسَـرَّ بِـصُبْحٍ كُلَّمـا طَلَعـا

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 129.

(2) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 48.

(3) **نفسه**، 159.

(4) الركاز: قصد الشاعر بها الميت المدفون في الأرض، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "ركز"، 356/5.

(5) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 81/2.

كمْ روَّعَ الصُّبحُ قلْباً كَانَ مُنْشرِحاً   لَـيْلاً وَكـدَّرَ شَـمْلاً كـانَ مُجتمِعـاً[1]

وجاء حديثهم عن الليل أحياناً لتنبيه الغافلين، فالليالي تمر بحوادثها، ومرورهـا يعنـي نقصان العمر واقتراب الأجل، يقول علي بن محمد الحصكفي:

[الطويل]

تَمُـرُّ اللَّيـالِي وَالحَـوادِثُ تنْقـضِي   كأضــغاثِ أحْــلامٍ ونحــنُ رُقــودُ

وأعجَـبُ مِـنْ ذا أنَّهـا كُـلّ سـاعَةٍ   تُجِـدُّ بنــا سـيْراً ونَحــنُ قُعـودُ[2]

وهكذا عبر الشعراء عن موقفهم من الليل بحسب استقرار نفوسهم أو عدمه، ففي حـال معاناتهم كرهوا الليل وتمنوا زواله، وفي حال سرورهم تمنوا بقـاءه وطولـه وعـدم انتهائـه، فنظرتهم إليه كانت تتلون بحسب نفسيتهم وتأثيره عليهم.

ب – النهار:

وصف الشعراء النهار وسطوع صباحه بعد عتمة الليل، وجـاءت صـورهم متنوعـة، عبروا من خلالها عن حبهم للنور، فابن حجر العسقَلانِي يرسم لوحـةً فنيـةً ملؤهـا الروعـة والطرافة، يبرز فيها الصراع بين الليل والصباح، وينتصر فيها للصباح مستعيراً له صورةً مـن الصور الحربية، فبدا فارساً يقاتل في عساكره الليل الذي يندحر مهزومـاً، ويزيـد التـشخيص والحركة وتوليد المعاني الصورة جمالاً عندما يجعل للصبا يداً تفك أزرار عتمـة الليـل الـذي استعار له صورة الرداء الأسود، يقول:

[مجزوء الكامل]

والــصُّبحُ أقبَــلَ فِــي عَــسَا   كِــرِهِ فــوَلَّى اللَّيــلُ هَزْمَــا

ويَــدُ الــصَّبا مُــدَّتْ لِحُلْــ   ـــةِ ليْلَتِــي الــسَّوداءِ لَمَّــا

فكَّــتْ عُــرَى الظَّلمــاءِ   مِــنْ أزْرارِهــا نَجْمــاً فَنَجْمــا[3]

وكانت صور المعارك حاضرةً في أوصافهم، استعاروا أدواتها لرسم صورهم، فالشهاب المنْصوري يجعل أنوار الصباح وإطلالته رايةً بيضاء يرفعها تعبيراً عن انتصاره على عـسكر الليل الذي ولى هارباً، فضحكت عليه وعلى نجومه زهور الأرض ونباتاتها وبكت السماء حزناً، ويلاحظ أن الشاعر حشد ألوان البديع من جناسٍ وطباقٍ دون حشوٍ أو تكلفٍ، بل جاءت منـسبكةً منسابةً في أبياته، يقول:

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 159.

(2) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، 264/1.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 116.

[الكامل]

بــرَزَ الــصَّباحُ برايَــةٍ بيــضاءَ   زَحْفــاً فــوَلَّى عَــسْكَرُ الظَّلمَــاءِ

ضَـحِكَتْ علَـى نُجُـمِ الـسَّما نُجُـمُ   فبَكَـتْ أسًــى بمَـدامِعِ الأنـواءِ[1]

"فالشاعر العربي فنان عبقري رسم وصور ووصف بالكلمات ما رآه وما أحسه في بيئته ونفسه"[2].

ويشبه الليل في صورةٍ أخرى بالرداء أو البرقع الذي ترتديه الفتاة، فيأتي الصبح ويرفعه فتنطلق الشمس من ورائه لتملأ الأفق ضياء، يقول:

[البسيط]

أمِسْكةُ اللَّيلِ مَسَّتْ حُمْرَةَ الشَّفَق   فَأرَّجَــتْ بــشذاها حُلَّــةَ الــشُّفق

وَشَمَّرَ الصُّبحُ ذَيْلَ اللَّيلِ وانطلَقتْ   ذُكاءُ سافِرةً عنْ بُرقُعِ[3] الغَسَقِ[4]

ورسم ابن خَطِيب داريا صورةً جميلةً لانبلاج الصبح وطلوع الفجر استوحاها من خياله الخصب، مستحضراً لجانبٍ من العلاقة الإنسانية وهي المصافحة والعناق، يقول:

[الطويل]

وما زالَ حتَّى عانَقَ اللَّيلُ صُبْحَهُ   وَكَـفُّ الثُّرَيَّـا آخِـذٌ بيَـدِ الفَجْـرِ[5]

وشبه ابن زقاعة الصبح بالراهب، لأنه رأى فيه رمزاً للنور وهداية الناس إلى الخير، يقول:

[الكامل]

فاللَّيــلُ كَــالزِّنْجِيِّ عُرْيانــاً أتَــى   وَالـصُّبْحُ يُشْبهُ راهِباً فِي بيْعَةِ[6]

ولم تغب الأخلاق الإسلامية عن ذهن الشعراء وخيالهم الخصب، فالـشاعر أبـو بكـر الدماميني يصور انبلاج الصبح بالعطس والفراق بالتشميت، في صورةٍ فنيةٍ جميلةٍ، تذكر بقـول ا (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[7] يقول:

---

(1) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 169/1.

(2) الهيب، أحمد فوزي، **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء**، 137.

(3) البرقع: ما تلبسه المرأة على وجهها، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "برقع"، 9/8.

(4) **النبهاني**، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 457/2.

(5) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 53.

(6) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(7) سورة **التكوير**، **آية** 18.

[مخلع البسيط]

قُلْــتُ لَــهُ: وَالــدُّجَى مُــوَلٍّ ... ونحــنُ فِــي الأُنْــسِ بِــالتَّلاقِي

قَــدْ عَطَــسَ الــصُّبْحُ يَــا حَبِيبِــي ... فَـــلا تُـــشَمِّتْهُ بِـــالفِرَاقِ(1)

فقد استطاع الشعراء أن يتواصلوا مع الموروث الديني، وأن يطوعوه لأفكارهم وأن يصوغوا منه الصور الفنية الطريفة.

وقسم ابن حجر العسقَلاني نهاره بين التفكير في المحبوب وانتظاره عله يظفر بخبر يفرحه، يقول:

[الطويل]

قَسَمتُ نَهارِي فِي انتِظَارٍ وَفِكرةٍ ... وَلا خَبَـرٌ يَـأتِي إلَـيَّ وَلا رُسْـلُ(2)

ثانيا: النجوم والكواكب

النجوم "هي الأجرام السماوية المحيطة بنا: شمساً وقمراً وكواكب سيارة"(3)، وقد اهتم العرب قديماً بالنجوم، لأنها تقودهم إلى موضع حاجتهم، ولأنهم كانوا يحتاجون إلى الانتقال، وهم يعلمون أن عملية التنقل هذه تحتاج إلى وقتٍ صحيحٍ يوثق فيه وجود الغيث والكلأ، وهذا ما حملهم على الاهتمام بمطالعها ومساقطها"(4)، وقد وصف شعراء هذا العصر النجوم، فقد تأملوا السماء في الليل تزينها النجوم المتلألئة في منظرٍ يسحر الألباب ويسبي العقول، فأعجبهم جمالها، ونظموا ما شاهدوه في قصائد ومقطوعاتٍ جادت بها قرائحهم، فالشهاب المنْصوري يصف السماء بزرقتها وصفائها وقد انقشعت غيومها وانتشرت أنوارها فبدت جميلةً رائعةً تشفي النفوس والقلوب من الهموم والأحزان، يقول:

[الكامل]

انْظُرْ إلَى حُسْنِ السَّماءِ إذا صَحَتْ ... والنُّورُ يُشْرِقُ وَالغُيومُ قدِ انْمَحَتْ

فَبِــصَحْوِهَا وَبِــضَوْئِهَا وَبِلَوْنِهَــا ... تَشْفِي قُلُوباً بِـالهُمُومِ تَدَحْدَحَتْ(5)

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً (مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته)**، رسالة ماجستير،117.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 173.

(3) الشامي، يحيى، **النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي**، 26.

(4) العالم، إسماعيل، **وصف الطبيعة في الشعر الأموي**، 73.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة**، 283، وتدحدحت : اتسعت، ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " دحح "، 197.

ووازن الشعراء بين مظاهر الطبيعة المختلفة، ورسموا لوحاتٍ أبرزوا من خلالها الصفات المشتركة بينها، فالنَواجي يتطرق في حديثه عن النيل إلى وصف السماء، فالنيل يحاكيها في جمالها وعلوها وشرفها حيث زينتها النجوم والأبراج، وكلاهما جرت الأفلاك فيه، فهي تزخر بالأجرام، وهو يحمل السفن التي تسير على صفحته، ويشبه الشاعر كُلا من النيل والسماء بالمرآة الصافية، يقول:

[البسيط]

يَحْكِي السَّماءَ وَتَحْكِيهِ حُلاً وَعُلاً ... وأنجُماً وَبُروجاً كَمْ حَوَتْ شَرَفَا

كِلاهُمَا جَرَتِ الأفْلاكُ فِيهِ وَقَدْ ... حَقَّتْ بِحافَّتِهِ الأمْلاكُ فأتَلَفَا

كأنَّمَا هُوَ مِرْآةٌ لَهَا جُلِيَتْ ... بالصَّقْلِ أوْ هِيَ مِرْآةٌ صَفَتْ[1]

ووصف الشعراء النجوم، فابن زقاعة يصورها بالهدية التي أهداها الخالق للبشر، يستدلون بها في سفرهم، ويهتدون إلى قبلتهم، فهي كالدراهم المتناثرة في السماء التي استعار لها صورة ديباجٍ حسنٍ شُق للتفصيل والتطريز، يقول:

[الكامل]

سُبْحانَ مَنْ جَعَلَ النُّجُومَ هَدِيَّةً ... لِلسَّائِرِينَ وَعُمْدَةً لِلْقِبْلَةِ

نثرَ الكَواكِبَ كُلَّها كَدَراهِمٍ ... نُشِرَتْ عَلَى دِيباجٍ[2] أحسَنِ[3]

فقد انتزع الشعراء لمظاهر الطبيعة صوراً من ألوان الحياة والزينة التي كانوا يستعملونها ويتزينون بها[4]، ويشبهها ابن زقاعة أيضاً بصورة الزهور البيضاء، يقول:

[الكامل]

إنَّ الثَّوابتَ فِي السَّما شبَّهْتُها ... بأزاهِرٍ مُبْيَضَّةٍ فِي حَضْرَتِي[5]

ويشبه ابن قُرقُماس النجم بالثمرة اليانعة كنايةً عن وميضها اللامع في السماء الصافية في وصفه لفصل الربيع، ويلاحظ أن التشبيهات الحسية قد غلبت على أوصاف الشعراء، يقول:

[الكامل]

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 121. والنواجي، شمس الدين، **المطالع الشمسية في المدائح النبوية**، 185.

(2) الديباج: معربة معناها النقش والتزيين، ويقصد بها الثياب المصنوعة من الإبريسم، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "دبج"، 62/2.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179.

(4) ينظر: حسين، محمد كامل، **في أدب مصر الفاطمية**، 292.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179.

يـا حبَّـذا زمَـنُ الرَّبيـعِ وَروضُـهُ   ونَســيمُهُ الخَفَّــاقُ بالأغــصَانِ
زمــنٌ يُريــكَ الــنَّجمَ فِيــهِ يانِعــاً   والشمسُ كالدِّينارِ فِي المِيزانِ [1]

وتنوع الشعراء صورهم التي تدل على إبداعٍ وقدرةٍ على استنباط الخيالات وتوليد التشبيهات، فالفَيروزأبادِي يرسم لوحةً فنيةً للنجوم، يظهر الليل فيها سِتاراً أُسبل على الوجود الذي تلون بلونه، أما النجوم فتبدو كالقناديل المعلقة في سلاسل، يقول:

[البسيط]

كَمْ بتُّ أُسْبلُ غَيْثَ الدَّمْعِ بَعْدَكُمُ   وَاللَّيْلُ سِترٌ عَلَى الآفاقِ مَسْبُولُ
وَالشُّهْبُ تحْسَبُها والأُفْقُ جامِعُها   سلاسِلاً وَهْيَ فِي الظَّلْما قنادِيلُ [2]

واتخذ النواجِي من الإماء في غزله صورةً لوصف النجوم، فظهرت جواريَاً تخدم محبوبته التي تجلت وتبرجت، فالشعراء حاولوا دائماً تفضيل من يمدحونهم أو يتغزلون بهم على مظاهر الطبيعة التي تتميز بالعلو والرفعة كالشمس والقمر والكواكب والنجوم، أو مساواتهم بها، يقول:

[الكامل]

أضْحَتْ لِخَدمَتِها النُّجومُ جَوارِياً   لمَّــا تَجلَّــتْ وَهْــيَ ذاتُ تَبــرُّجِ [3]

وتفاءل الشعراء أحياناً ببعض النجوم، ورأوها جالبةً للخير والبشر والسعادة [4]، وجعلوها تجود بخيرها على من يهمهم أمره، يقول النواجِي: [البسيط]

يـا رَاحِـلاً وَنجُـومُ الـسَّعْدِ تَخْدُمُـهُ   فِــي طَلْعَــةِ البَــدْرِ أَوْ فِــي حِلْيَــةِ [5]

ووصف الشعراء الشهب والنيازك، وأتوا بصورٍ جميلةٍ، فالشهاب المنْصوري يصف شهاباً ساقطاً من السماء، مستحضراً معنى قرآنياً في وصفه، جاعلاً اللون عماد الصورة، يقول:

[مجزوء الرجز]

وَكوْكَــبٍ مِــنْ أُفْقِــهِ   فِــي إِثْــرِ عِفْرِيــتٍ وَثَــبْ [6]

(1) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، 159.

(2) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 127/3.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 102. والنواجي، شمس الدين، **المطالع الشمسية في المدائح النبوية**، 168.

(4) ينظر: أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في شعر مصر والشام**، 64-65.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 225.

(6) تضمين بالمعنى من قوله تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ)، **سورة الملك** آية 5.

كَأَنَّــــــــــهُ مُحَـــــــــــارِبٌ   يَجُـــرُّ رُمْحــاً مِــــنْ ذَهَـــبْ[1]

وقريب من هذا المعنى صورة ابن زقاعة الذي وصف النيازك والشهب بالرماح التـي تحمل في رؤوسها شعلاً من النيران، يقول:

[الكامل]

وَكَأَنَّمـا شَـبَّهَتْ الرُّجُـومُ رَماحَهَـا   وَلِكُـلِّ رُمـحٍ حَرْبَـةٌ مِـنْ شُـعْلَةِ[2]

ووصف الشعراء الثريا وعبروا عن حبهم لها منذ القدم، فمنظرها الساحر فـي الـسماء يسلب النفوس والعقول، فإبراهيم ابن زقاعة يحشد للثريا عدة صورٍ تنم عن ذوقٍ رفيـعٍ وحـسٍ مرهفٍ وقدرةٍ على الصياغة اللغوية والابتكار والتشبيه حيث يقول:

[الكامل]

وكَـذا الثُّرَيَّـا شُـبِّهَتْ فِـي نَظْمِهَـا   تَقْـوِيرَةً مِــنْ جِلْـدِ نَمْـرٍ شُــقَّتِ
أَوْ كُـــرةً مِــــنْ وَدَعٍ منْظومَــــةً   أَوْ ثَغْـرَ مُبتَـسِمٍ بَـدَا فِــي ظُلْمَــةِ
أَوْ قَـدُّ مَـنْ بَيْـضاءَ لاحَـتْ جَهْـرَةً   مِـنْ تَحْـتِ ثَـوْبٍ أَسْـوَدٍ وَتَبَـدَّتِ
أَوْ كَالمَـسامِيرِ التِـي قَـدْ رُصِّـعْتْ   فِـي ظَهْـرِ طارِقَــةٍ تَلـوحُ بِقَلْعَـةِ
أَوْ مِثْـــلِ عِقْـــدٍ قَـــدْ تَـــنَظَّمَ دُرُّهُ   أَوْ مِثْـلِ عُنْقُـودٍ بَـدَا مِـنْ كَرْمَـةِ
أَوْ شَـــكلِ لِحْيَـــانٍ بَـــدا لِمُـــنَجِّمٍ   مِنْ تَحتِ رَمْلٍ فِيهِ كمّ مِنْ نُقْطَةِ
أَوْ غُـرَّةٍ فِـي وَجْـهِ فحـلٍ أَدْهـمٍ   أَوْ باقَــةٍ مِـنْ نَـرْجِسٍ لِلْمُنَعَّـتِ[3]

فهو يصف نجوم الثريا بالبقع التي تلون جلد النمر، وباللؤلؤ، وبالثغر المتبسم في الظلام، وبالغادة البيضاء التي تخمرت بالأسود فبان بياضها، وبقطعة الخشب التي رصعتها المـسامير، وعقد الدر المنضد، وعنقود العنب، وبالشيخ المسن الذي علقت بلحيته ذرات الرمل، وبالغرة في وجه الفحل وبباقة زهور النرجس، فالشاعر استقى صوره وتشبيهاته من الحيـاة التـي يحياهـا ومن الواقع الذي يعيشه، ويلاحظ أن الشعراء أكثروا وصف المظاهر الخارجية الحسية، لـذلك جاؤوا بالتشابيه التي تناسبها من الناحية الخارجية[4].ويعد الشاعر ابن زقاعة مقدماً في باب العلم بالنجوم ووصفها، ففي ديوانه قصيدتان بلغت الأولى مئةً وأربعة عشر بيتاً، وبلغت الثانية قرابـة

---

(1) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 35، والسيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 82.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187، والشطر الأول مكسور من المصدر.

(3) **نفسه**، 171-172، والشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

(4) ينظر: الغباري، عوض، **شعر الطبيعة في الأدب المصري (القرن الرابع الهجري)**، 88.

مئة بيتٍ، إلى جانب أبياتٍ متناثرةٍ في قصائد المديح والغزل الأخرى، تناول فيها ذكـر نجـوم السماء والكواكب والأبراج والأفلاك وأسمائها وصفاتها وآراء الفلاسفة والعلماء فيها وعكـست هذه القصائد معرفته وخبرته في الفلك وحساباته، والحقيقة إن كثيراً من هذه الأبيات لايفهمها إلا العالمون والعارفون بالرموز والمصطلحات الفلكية العلمية ومن أحب قراءة هذه العلوم فيستطيع العودة إلى ديوان الشاعر، وسأذكر بعض الأبيات من قصيدته الثانية التي وصف فيها الكواكـب والنجوم وقدم من خلالها لوحاتٍ فنيةً متكاملة الأجزاء تدل على دقة الملاحظة والقدرة على سبك الصور الفنية الجميلة، يقول:

[الكامل]

فالشَّمسُ مِرْآةٌ بَدَتْ مِنْ عَسْجَدٍ[1] ... والبَـدْرُ يحْكِـي قُرْصَـهُ مِـنْ فِـضَّةِ

وَكَــذلِكَ المَــرِّيخُ مِــنْ إشْــراقِهِ ... تَجلْــى أشِــعَّتُهُ تَلَهُّــبَ جَمْــرَةِ

والمُـشتَرِي وعَطَـارِدٌ يَتَنَــاظرانِ ... ذَا لِلظُّهــورِ وذَا طَويــلُ الغَيْبَــةِ

والزُّهْـرَةُ الغـرَّاءُ قَـدْ شَـبَّهتُها ... بَـيْنَ النُّجُـومِ إذا بَـدَتْ كَمَليحَـةِ

مِـنْ فَـوقِهِمْ زُحَـلٌ يَـدورُ عَلَـيهِمْ ... كَمُلَـتْ فَـصَلِّ علَـى نَبـيِّ الرَّحْمَـةِ

إنَّ الثَّوابِـتَ فِـي الـسَّما شَـبَّهْتُهَا ... بِـأزاهِرِ مُبْيَـضَّةٍ فِـي حَـضْرَتِي[2]

يلاحظ القارئ جمال اللوحة وتناسق ألوانها فالشمس مرآةٌ من ذهب، والقمر قرص مـن فضة، والمريخ بلونه الأحمر الجميل يشبه الجمرة الملتهبة، ويشخص الشاعر المشتري وعطارد فيبدوان إنسانين يتناظران فيكون الظهور والنصر للمشتري الذي يظهر في السماء أكثـر مـن عطارد، أما كوكب الزهرة فيبدو كالفتاة الجميلة التي تفوق النجوم بحسنها، وزحل يعلوها فتكتمل الصورة بنجومها التي تشبه الأزهار البيضاء في حضرته.

ويشبه الشاعر نفسه الفرقدين بالفارسين المتنافسين والمفتخرين بنفسيهما فـوق القطـب الشمالي لقربهما منه، يقول:

[الكامل]

فالفَرْقَــدانِ كَفارِسَــيْنِ تَقارَنَــا ... فِــي حَــضْرَةِ القُطْــبِ الكَبيــرِ[3]

أما بنات نعش[1] فتشبه في شكلها الدائري الأفعى الملتوية، يقول:

---

(1) العسجد: الذهب، ينظر:ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "عسجد"، 290/3.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179-180.

(3) **نفسه**، 180.

[الكامل]

فَبَنــــاتُ نَعْـــشٍ حَيَّـــةٌ مَلوِيَّـــةٌ وكَواكِـبُ التِّنِّـين [2]مِثـلُ الحَيَّـةِ[3]

واستحضر الشعراء النجوم في مديحهم، فالمؤرخ المقْريزي يدعو لممدوحه بالعز وعلـو الذكر مادامت الكواكب السيارة في مكانتها الرفيعة في السماء وهي: "زحل والمشتري والمـريخ والشمس وعطارد والزهرة والقمر"[4]، يقول:

[البسيط]

لازِلْـتَ تَبْقــى وتَرْقــى لِلعُـلا أبَـدًا مـا دامَ لِلـسَّبعَةِ اللأفْـلاكِ أحْكـامُ[5]

ويعلو ممدوح النواجي على الكواكب والنجوم في المرتبة والشرف، يقول:

[الكامل]

مَـوْلىً عَـلا فَـوْقَ الـسِّمَاكِ مَحَلُّـهُ وَغَدا عَلَى هَامِ الكَواكِبِ مُزْهِرًا[6]

وكان لوصف الشمس حضور جيد في شعر الشعراء، فهي تسطع على الكـون فتملـؤه نوراً وضياء وتبعث في الحياة الحركة والنشاط والعمل، وأدرك الشعراء فضلها وعبروا عن ذلك في أشعارهم، فابن مِليك الحموي يستعير للشمس معنًى من المعاني الحربية المشاهدة في واقعه، فيجعل أشعتها جيشاً يشن غاراته على عدوه الليل، يقول:

[الرجز]

قُـمْ نَبِّـهِ الأقْـداحَ إنَّ الـشَّمسَ قَـدْ شـنَّتْ عَلَـى جَيشِ الـدُّجَا غارَاتِهـا[7]

وتنطلق الشمس متبرجةً بلون الورس[8] الأصفر بعدما سترها الليل، وتبدو رائعـةً فـي زينتها على الرغم من تجردها من الحلي، يقول الشهاب المنْصوري:

[البسيط]

---

(1) بنات نعش: "سبعة كواكب، أربعة منها نعشٌ، وثلاثٌ بنات"، الفيروز أبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "نعش"، 546.

(2) التنين: نجم من نجوم السماء له ذنب دقيق أسود يشبه الأفعى، ينظر، ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "تنن"، 242/2.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **نفسه**، 180.

(4)المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار المعروف با**لخطط المقريزية، 6/1.

(5) **نفسه**، 6/1.

(6) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

(7) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي- العصر المملوكي**، 419، نقلاً عن **ديوانه**،51.

(8) الورس: نبات أصفر كالسمسم يصبغ به، أو هو العصفر أو الزعفران، ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "ورس"، 521.

وشمَّرَ الصُّبحُ ذيْلَ اللَّيلِ وانْطَلَقتْ   ذُكـاءُ سـافِرَةً عَـنْ بُرْقُـعِ الغَـسَقِ

وأقبَلَـتْ فِـي رداءِ الـوَرْسِ رافِلَـةً   فألْبِـسَتْ مِـنْ حَلاهـا عاطِـلَ [1]

ثم يجعل الشاعرنفسه أشعتها الصفراء الممدودة إلى النهر جسراً من الذهب، أما الظـل فهو يتسلل للنهر مختلساً لأنه لا طاقة له بالتغاب على شعاعها، يقول:

[البسيط]

وَالشَّمْسُ فِي النَّهْرِ مَدَّتْ جِسرَها   وَالظِّـلُّ يَـسْعَى عَلَيْـهِ سَـعْيَ [2]

أما النواجي فيصور أشعتها بالملاء المذهب، يقول:

[الكامل]

وَالـشَّمْسُ قدْ نَشَرَتْ مُلاءً مُذَهَّباً   وَالأرْضُ قَـدْ فَرَشَـتْ بِـساطاً [3]

وهي أسهم يرميها قوس الغيم على الأرض فتنبت الـزرع،ويلاحظ حـضور الـصور الحربية بقوة، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وأشِـعَّةُ الـشَّمسِ المُنيـرَةِ أسْـهُمٌ   يَرْمِـي بِهـا قَـوْسُ الغَمـامِ فَتُنْبتُ[4]

وشعاعها فوق النيل يشبه الذهب، يقول البدر البشْتُكِي:

[مجزوء الكامل]

والـشَّمسُ فَـوْقَ النِّيـلِ قَـدْ   ألْقَـتْ شُـعاعاً كَالـذَّهَبْ[5]

ووصف الشعراء الهالات المستديرة حول الشمس، فبدت أتراساً مستديرةً تقي صـاحبها ضربات السيوف والرماح، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وكَأنَّمـا الهـالاتُ أتْـراسٌ[6] لَهـا   فِـي الاسْـتِدارَةِ شُـبِّهَتْ بِمِجَنَّـةِ[7]

---

(1) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 457/2-458، عاطل: المرأة التي لا حلي عليها، والطرق، جمع طرقة: وهي الظلمة، ينظر:الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " عطل "،930، ومادة " طرق "، 813.

(2) **نفسه**، 458/2.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 288.

(6) الترس: ما يتوقى المحارب به الضربات، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "ترس"، 32/6.

(7) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

وربط الشعراء ذكر الفجر بحديثهم عن الشمس، فصوروا انسلاخه من الظلام وسطوع نور الصباح الذي يخفي النجوم ويضع الحدود بين الليل والنهار[1]، فالشاعر أحمد بن محمد المعروف بابن عربشاه يرسم صورةً لطلوع الفجر تعبر عن قدرة شعر هذا العصر على الرقي والسمو إلى أبعادٍ فنيةٍ جميلةٍ، ويلاحظ على أبياته الرقة والعذوبة في الخيال، يقول:

[الطويل]

يُواصِلُ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ سَاتِرٍ ... فَيَفْضَحُنِي فَجْرٌ مِنَ الفَرْقِ يَسْطَعُ

فَيالَكَ وَصْلاً كَالصَّلاةِ وَحُسْنِها ... تُشَابُ بِقُبْحٍ عِنْدَما الشَّمْسُ تَطْلُعُ[2]

ويجعل أحمد بن محمد ابن مظفر الشمس ساعة الغروب غادةً تلبس ثوباً مطرزاً من الحرير، يقول:

[الطويل]

كَأَنَّ جُنوحَ الشَّمسِ للغربِ غادَةٌ ... تُودِّعُنا فِي ثوبِ خزٍّ مُوَرَّسِ[3]

والشمس تستمد نورها من وجه الممدوح الذي يفوقها إشراقاً، يقول الشاعر علي وفا السكنْدري الشاذِلي:

[الكامل]

الشَّمسُ مِنْ لَمعانِ حُسنِكَ تُشْرِقُ ... فَعَلى الحقِيقةِ إنَّ وَجْهَكَ أَشْرَقُ[4]

والشفق الأحمر يحاكي لون الدماء أولون الراية الحمراء عند انعكاس الشمس في الأفق لحظة الغروب، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وبحُمرةِ الشَّفقِ الَّذِي شبَّهتُهُ ... مثلُ الدِّما أوْ رايةٍ مُحْمَرَّة[5]

والقمر في الليل يبدد الظلام، ويهدي السبيل في السفر، وهو بين النجوم كأنه ملك تحف به الكواكب من حوله، وقد تناول شعراء العصر المملوكي الثاني القمر وصوروه بدراً وهلالاً، وشبهوا به ممدوحيهم ومزجوه بغزلهم، وتعددت صور البدر في دواوين الشعراء وكتب الأدب،

---

(1) ينظر: توفيق، زكريا محمد، **دراسات في أدب مصر الإسلامية**، 122.

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 138/2.

(3) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 231/1.

(4) الشاذلي، علي وفا السكندري، **ديوانه**، 233.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

وإن جاءت قليلةً إذا ما قيست مع أشعار السابقين، وخاصةً شعراء العصر المملوكي الأول، فالصفَدِي ألف كتاباً جمع فيه الأشعار التي قيلت في وصف الهلال وسماه "رشف الزلال في وصف الهلال"، ثم جاء السيوطِي بعده وجمع أشعار الصفَدِي في الهلال في رسالته التي سماها "رصف الآل في وصف الهلال"، ولقد اطلعت عليها فلم أجد أشعاراً لشعراء هذا العصر وإنما تضمنت أشعاراً لشعراء العصر المملوكي الأول ومن قبلهم، ومن الصورالجميلة لشعراء هذا العصر صورة فخر الدين ابن مكانِس الذي استعار للبدر صورة الملك وللكواكب السيارة حوله صورة الإماء الجواري، يقول:

[مجزوء الرجز]

والبدرُ فِي الدَّراري ... الخُنَّس[1] الجَواري

مَلْكٌ لدَى سَمائِهِ ... يَخْتالُ فِي إمائِهِ[2]

ويشبه الشاعر نفسه البدر أيضا بالدينار وبجوهر البلور، يقول:

[مجزوء الرجز]

فِي وَجْهِهِ آثارٌ ... كأنَّهُ دِينارٌ

يُشرِقُ فِي الدَّيْجورِ ... كَجامَةِ البَلُّورِ[3]

واستعار الشعراء لوصف الطبيعة مظاهر من الطبيعة نفسها، فقد كانوا يصفون مظاهرها من البيئة التي يشاهدونها أو يتعايشون معها، ومن ذلك وصف إبراهيم بن عمر البِقاعِي لشعاع للبدر الذي تخيله نهراً من الفضة يسير بمحاذاته وصحبه في عرض البحر، يقول:

[الطويل]

ولمَّا رَأيْتُ البَدرَ ألْقى شُعاعَهُ ... علَى نِيلِ مِصرَ والسَّفينُ بِنا

تَخيَّلْتُهُ نهراً يسيرُ بسيْرِنا ... مِنَ الفِضَّةِ البَيضاءَ في لجَّةِ[4]

وظهر البدر لحظة الغروب وقد عكس شعاعه الفضي الأبيض على زرقة البحر وكأنه يحمل سيفاً من الفضة سله لما ظن البحر يريد ابتلاعه، يقول علاء الدين البِيري الحلَبي:

---

(1) الخنس، زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهي تخنس أي تستتر تحت ضوء الشمس في النهار، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "خنس"، 72/6.

(2) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، مخطوط، غير مرقم الصفحات.

(3) **نفسه**، والبلور، نوع من الأحجار الكريمة، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "بلر"، 80/4.

(4) البقاعي، برهان الدين ، **عنوان الزمان**، 84/2.

أرَى البـدرَ لمَّـا أنْ دَنـا لِغُروبِـهِ وأُلْـبِسَ مِنـهُ أزْرَقُ المـاءِ أبْيَـضَا
تَـوهَّمَ أنَّ البحـرَ رامَ التِقامَـهُ فَـسَلَّ لَـهُ سَـيْفاً عَلَيْـهِ مُفَضَّـضَا[1]

فقد نقل الشعراء الصراع والتنافس بين البشر إلى أوصافهم في الطبيعة لإيصال الصورة بأحسن الحال، ويشبه ابن زقاعة نور البدر الأبيض بلون الفضة اللامعة، يقول:

[الكامل]
فالـشَّمسُ مِـرْآةٌ بَـدَتْ مِـنْ عَـسْجَدٍ والبدرُ يحْكِي قُرْصَـهُ مِنْ فِضَّةِ[2]

ويظهر البدر في شعر النواجي تائهاً حائراً يشكو ما يشكوه الإنسان من السهاد والسهر، يقول:

[الكامل]
والبـدرُ لازمَـهُ الـسُّهادُ فلَـمْ يَـزَلْ فِـي اللَّيْـلِ يـشْكِي تائِهـاً مُتحيِّـرًا[3]

ومن صورهم في الهلال تشبيهه بالزورق وهي من الصور التراثية التي استعاروها من القدماء، يقول أحمد بن محمد بن صالح الإشْلِيمي واصفاً مجرة الديجور بنهر الفـضة والهـلال بالزورق الذهبي، يقول:

[الكامل]
يــارُبَّ ليـلٍ بِتُّـهُ مُتنعِّمـاً بْيَن الكُؤوسِ وبيْنَ وصْلِ الخُرَّدِ
ومَجـرَّةُ الـدَّيجورِ دُونَ هِلالِـهِ نهـرٌ لُجَـيْنٌ فِيـهِ زَوْرَقُ عَـسْجَدِ[4]

ويمزج أبو بكر الدماميني غزله بالوصف عندما يجعل النجوم عاشقةً لمحبوبته، فجاءتها تسري في الليل وظهر الهلال وسطها كالزورق، يقول: [الطويل]

كَـأنَّ النُّجـومَ الزَّاهِـراتِ بأسْـرِهَا لِحُـسْنِكَ يـا بـدْرَ المَلاحَـةِ تَعْـشَقُ
فجاءَتـكَ تـسْرِي فِـي الـدُّجَى غـدَا وَهْـوَ فِـي نَهْـرِ المَجَـرَّةِ [5]

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 133/12.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179.

(3) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 426، البيت غير موجود في الديوان.

(4) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 205/1.

(5) السراجنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 119 .

واعتاد الشعراء على جمع عدة صورٍ للهلال جرياً على عادة الشعراء القدماء، فالشاعر فَخْر الدين ابن مكانِس ينظم أرجوزةً في المديح تخاص من خلالها إلى وصف الليـل والهـلال، وحشد المعاني فيها للهلال حشداً متوالياً، في أكثر من عشرين تشبيهاً، يقول:

[الرجز المزدوج]

يـــا طِيبَهـــا مِـــنْ ليْلـــة   لَـــــوْ أنَّهــــا طَويلَـــــة

ســــــاعاتُها قِـــــصارُ   وكُلُهـــــــا أنْـــــــوارُ

بَــــدَا بِهــــا الهِــــلالُ   يُزَيِّنُـــــــهُ الجَمــــــالُ

مِـــن جانِــــبِ الغَمامَــــةِ   كَالحُـــبِّ[1] فِـــي العَمامَـــةِ

ولَمْعَـــــةِ الـــــسِّراج   والـــصَّدع فِـــي الزُّجـــاج

وجانِــــبِ المِــــرآةِ   والنَّعـــلِ فِـــي الفَـــلاةِ

أو كَـــشِفاهِ الأكْــــؤُسِ   والحاجِـــبِ المُقَـــوَّسِ

قُلـــتُ لـــهُ حِـــينَ وفَـــى   ورَقَّ لِـــي وانْعَطَفَـــا

كالغُـــصْنِ لِـــدْنِ أعْـــوَجِ   والفَـــخِّ أو كالـــدُّمْلُجِ

مُعَرَّقـــاً كَـــالنُّونِ   وَهَيئَـــةِ العُرْجُـــونِ

يـــا صَـــفوَةَ الأقْمَـــارِ   يـــا مَبْـــدَأ الأنْـــوارِ

يـــا مَـــنْ يُحـــاكِي القَتَبَـــة[2]   والقَيْنَـــةَ المُنْتَقَبَـــة

وزَورَقِ الـــسِّباحَةِ   والظُّفـــرِ فِـــي التُّفَّاحَـــةِ

فيَـــا لَـــهُ حِـــينَ وَثَـــبْ   قَرْبُـــوسُ سَـــرْجٍ مِـــنْ ذَهَـــبْ

أو مِنْجَـــلِ الأعْمـــارِ   أو قِـــسمَةِ الـــسِّوارِ

أو مِخْلَبًـــا للطَّـــائِرِ   أو مِثْـــلِ نعـــلِ الحـــافِرِ[3]

ولهذه القصيدة علاقةٌ بنص شعري سابق لابن نباتة نظمه في وصف الهلال، فالـشاعر اقتبس كثيراً من صور ابن نُباتَة، فتشبيه الهلال بالنعل والنون وشفة الكأس والحاجب والـزورق والمنجل ونصف السوار ومخلب الطائر قاسم مشترك بين النصين، وتشبيه الهلال بالعرجون فيه

---

(1) الحب: الجرة الضخمة، ينظر: الفيروزأبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " حبب "، 67.

(2) القتبة: الإكاف الذي يشد على ظهر البعير، ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "قتب"، 113.

(3) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**،غير مرقم الصفحات.

نظر إلى الآية الكريمة (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)[1]، أما بقية المعـاني فـي القصيدة فتوجد في نصٍّ لابن نُباتَة[2] حيث يقول:

[البسيط]

كــأنَّ هِــلالَ العيــدِ فــي يَــدهِ ... قوسٌ على مُهج الأضدادِ موتـورُ

أو مخلـبٌ مـدَّهُ نـسرُ الـسَّما لهـم ... فكُـلُّ طـائرِ قلـبٍ منـهُ مـذعورُ

أو منجـلٌ بحـصادِ القـوم مُنعطِـفٌ ... أو خنجرٌ مُرهفُ النَّصْلينِ مَطرُورُ

أو نعـلُ تبـرٍ أجـادَت فـي هديَّتِـهِ ... إلـى جـوادِ ابـنِ أيـوبَ المقـاديرُ

أو راكعُ الظُّهرِ شكراً في الظلامِ ... مـنْ فـضلُهُ فـي الـسَّما والأرضِ

أوْ زورقٌ جاء فيـه الغيدُ مُنْحدِراً ... حيثُ الدُّجى كعبابِ البحرِ مسْجُورُ

أو لا فقـل شـفةٌ للكـأسِ مائلـةٌ ... تـذكِّرُ العـيشَ إنَّ العـيشَ مـذكُورُ

أو لا فنِـصفُ سِـوارٍ قـامَ يطْرَحُـهُ ... كفُّ الدُّجى حين عمَّتهُ التَّباشِيرُ[3]

وهكذا فإن الشعراء قد استفادوا من معاني السابقين ووظفوها في أشعارهم وإن اختلفـت في الشكل والصياغة والأسلوب.

ثالثاً: الغيم والمطر

تأمل الشعراء السماء في فصل الشتاء فشاهدوا الغيوم تحجبها عنهم وترسل حبات المطر كاللآلئ المتتابعة على الجبال والوديان والسهول والرياض، فتسقيها وتحيك لها نـسيجاً أخـضر جميلاً تزينه الأزهار بحمرتها وصفرتها وبياضها، فرسموا ذلك كله في لوحاتٍ جميلةٍ مزجوهـا بمشاعرهم وأحاسيسهم فجاءت معبرةً عن حبهم وإعجابهم بالطبيعة وروعتها، وعـن إدراكهـم لأهمية المطر على الحياة والمخلوقات، فالشاعر ابن زقاعة يسبح ا الذي أنشأ السحب وبسطها في السماء فأرسلت خيراتها فجرتْ الأنهار واخضرت الأرض بزروعهـا وأزهارهـا فكانـت الحدائق والرياض، يقول:

[الكامل]

(1) سورة يس، آية 39.

(2) ينظر: جاد الرب، إبراهيم الدسوقي، **ابن مكانس والشعر في عصر المماليك**، 164-165.

(3) ابن نباتة، جمال الدين، **ديوانه**، 186.

سُبحانَ مَنْ غمَرَ العِبادَ برزقِهِ ... بسَطَ الهوَا مِنْ فوقِهِمْ بالقُدْرَةِ

وأشارَ للسُّحْبِ الثِّقالِ فأمْطَرَتْ ... وجَرَتْ يَنابيعُ المِياهِ بحِكْمَةِ

أحيَا بها مَيْتَ النَّباتِ وأزْهَرَتْ ... بحَدائِقٍ هِيَ فِي الرِّياضِ ببَهْجَةِ(1)

ويرسم الشاعر نفسه السحاب بأبعاده الحركية واللونية، فيستعير للسحب صورةً عسكريةً ويجعلها كتائب مقاتلةً تتتابع بألوانها البيضاء والسوداء التي تحاكي ألوان الغيوم، ثم يشبه تجمعها وتراكمها بصورة الخيمة، يقول:

[الكامل]

أمَّا السَّحابُ فإنَّها كَسَناجِقٍ ... بِيضٍ وَسُودٍ أوْ مِثالِ الخَيْمَةِ(2)

ويخلع النواجِي على الغيوم الصفات الإنسانية عندما اتخذ منها عاشقا أحرقت نار الحب جوفه، أو امرأةً ثكلى أصيبت بابنها، فظهر الاثنان يبكيان مصابهما بدموعٍ غزارٍ كالمطر الذي تخلله البرق فسالت على الرياض، وتشبيه الدموع بالمطر قديم في الشعر العربي، يقول:

[الطويل]

خليلَيَّ هلْ لِلمُزنِ مُقلَةُ عَاشِقٍ ... أمِ النَّارُ في أحشائِهِ وَهْوَ لا يَدرِي

سَحابٌ حَكَى ثَكْلَى أُصِيبَتْ بواحِدٍ ... فعاجَت لَهُ نحْوَ الرِّياضِ علَى قبرِ

تُرقرِقُ دَمعاً فِي خُدودٍ تَوَشَّحَتْ ... مَطارِفُها بالبَرق طرْزاً مِنَ التِّبْرِ(3)

ويشخص الشهاب المنْصوري السحب فتظهر فتاةً مختالةً في حلتها الدكناء، يقول:

[الكامل]

والسُّحْبُ تخْطُرُ فِي ذُيولِ نَسِيمِها ... مُختالَةً فِي حُلَّةٍ دَكْناءِ(4)

واتخذ ابن حِجة صورته للغيوم من صورة المرأة المرضع ومن النبات صورة الجنين، يقول:

[البسيط]

ولا يزالُ جَنِينُ النَّبتِ تُرضِعُهُ ... حَوامِلُ المُزْنِ فِي أحْشَا

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

(2) **نفسه**، 187.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 377.

(4) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 170/1.

(5) الحموي، ابن حجة، **ثمرات الأوراق**، 388، البيت غير موجود في الديوان.

ورسم ابن مليك الحموي للسحاب صورة المرأة الحائكة وقـد خاطـت ثوبـاً حريريـاً مطرزاً، يقول:

[الطويل]

وَحَاكَـتْ لَهَـا أَيْـدِي الـسَّحَابِ مُوَشَّـعَةً قَـدْ دَبَّجَتْهَـا الأَزَاهِـرُ(2)

وجاء حديث الشعراء عن السحب والأمطار في كثيرٍ من الأحيان مقترناً بـذكر أثرهـا على الأرض، فسقوط الأمطار يحيي الأرض ويجعلها خضراء جميلةً، وهذا انعكاس نفسي لمـا ترسخ في وعي الشعراء من أهمية الأمطار وفضلها على الحياة والأحياء، يقـول ابـن مليـكِ الحموي في إحياء المطر للأرض وجاب الربيع لها:

[الكامل]

أحيَـا الرَّبيـعُ الأرْضَ بعْدَ مَماتِهـا وحَـلا بـسَكْبِ القطْرِ عُـودُ نَباتِهـا
وَسَرَى النَّسِيمُ عَلَى الرِّياضِ وَقَدْ يُهدِي إليْكَ الطِّيبَ مِنْ أنْفاسِهَا(3)

وهو يكرر هذا المعنى في قصائد أخرى، فيصف السحب بالحائك الماهر الـذي أتقـن حياكة حللٍ سندسيةٍ مطرزةٍ للرياض التي فرحت وضحكت، وما فرحها إلا فرح مـن الـشاعر أسقطه عليها، يقول:

[البسيط]

ومِنْ كَمائِمِها تِلكَ الغُصونُ غَدَتْ تُلقِـي عَلَيْنـا نِثـاراً مِـنْ أعالِيهـا
والـسُّحْبُ حاكَتْ بِها مِنْ سُنْدُسٍ بدِيعةَ الوَشْـي قدْ رَقَّتْ حَواشِيهَا
ومُرسِلُ الغيْثِ قدْ حلَّ النَّباتَ بِهاً والقَطرُ يَنْهَلُّ سَكباً فِي نَواحِيهـا
وأعْينُ الطَّلِّ دُرُّ الدَّمعِ قدْ نَثرتْ والـرَّوضُ يـضْحكُ عُجْبـاً مِـنْ

وبرزت الصورة السمعية للمطر من خلال تشبيه صوته وهو يسقط على الأرض بصوت نقر الأنامل على الدف، يقول محمد ابن إياس الحنفي:

[الطويل]

ولِلـوَدْقِ نَقْـرانٌ كَوقْـعِ أنامِـلِ علَـى دَفِّ أوْراقِ الرِّيـاضِ

---

(1) المطارف: أردية من الخز، ينظر ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "طرف"، 220/9.

(2) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي(العصر المملوكي)**، ، 409، نقلا عن ديوانه، 62.

(3) **نفسه** 418، نقلا عن **ديوانه**، 51.

(4) **نفسه**، 420، نقلا عن **ديوانه**، 86-87.

(5) ابن إياس الحنفي، محمد، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، 273.

ويصفه ابن زقاعة بالعرق الذي يسيل غزيراً، يقول:

[الكامل]

وَالنَّقْعُ مِثْلُ الغَيمِ يَرفعُهُ الهَوا   وَالقطرُ مِنْ عَرَقٍ يَسيلَ بِقُوَّةِ(1)

ويشبه الشاعر الأوحد المفنن المطر باللآلئ التي نظمت فأصبحت كالعقد المنضد بالجواهر، يقول:

[الطويل]

وقدْ نثرتْ أيدِي السَّحابِ لآلئاً   نُظِمنَ فصَارَتْ عِقدَ دُرٍّ مُنَضَّدِ(2)

وأخذ الشاعر أحمد بن محمد ابن مظفر صورته للسحاب من مجالس الخمر، فجعله ساقياً، وجعل نباتات الروض ندماء، يقول:

[الطويل]

كَأنَّ السَّحابَ الجُونَ(3) سَاقٍ   يَطُوفُ عَلَى شَرْبِ الرِّياضِ

وجرياً على عادة القدماء في الدعاء للمعاهد الدارسة والأطلال البالية، دعا الشعراء للأماكن التي أحبوها بالسقيا دلالة على تعلقهم بها وتمني الخير لها، يقول النّواجي:

[الطويل]

مَعاهِدُ حَيَّاهَا الحَيَا وَمَنَازِلٌ   لَها فِي قُلوبِ العَاشِقِينَ مَنَازِلُ(5)

كما دعوا لقبور أحبابهم بالسقيا، وفي ذلك إسقاطٌ نفسي من الشاعر على المفقود، لأن الماء رمز للحياة، وفي سقيا قبره إحياء لذكراه، يقول ابن حجر العسقَلانِي في نهاية قصيدةٍ رثائيةٍ:

[الوافر]

عَلَيهِ سلامُ ربِّي كلَّ حِينٍ   يُلاقِيهِ الرِّضا فِيما يُلاقِي

وَأسْقتْ لحْدهُ سُحْبُ الغوادِي   إذا تهْمِي همتْ ذاتُ انطِباقِ(6)

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(2) البقاعي، برهان الدين ، **عنوان الزمان**، 131/1.

(3) الجون: اللون الأبيض والأسود، ينظر، الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " جون "،1070.

(4) **نفسه**، 237/1.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 157.

(6) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 320-321.

ومزج الشعراء مدحهم بوصف الطبيعة، وشبهوا الممدوح بالغيث، وجعلوه يعلو في كثيرٍ من الأحيان على مظاهر الطبيعة، فالغيث مهما غزر لا يساوي شيئا من عطاء الممدوح وكرمه، يقول ابن مليك الحموي:

[البسيط]

قالوا: هُوَ الغيْثُ والتَّفْرِيقُ بيْنهُما ... أضْوَا وأشْهُرُ مِن نارٍ ومِن نورِ

الغيثُ إن شَحَّ أوْ إن سَحَّ وابِلُهُ ... نزْرٌ وهَذا عَطاهُ غيْرُ مَنْزورِ[1]

واشتاق الشعراء إلى بلادهم التي اضطرتهم الظروف للابتعاد عنها، فدعوا لها بـالخير والسقيا، لأنها تعيش في نفوسهم ووجدانهم، فتقي الدين المقْريزي فارق بلاده دمياط، "فحن إليهـا واستسقى لها المطر، ورق شعره رقة الذكرى، وعذب عذوبة الحياة"[2]، يقول:

[الطويل]

سَقى عهْدَ دِمياطٍ وحَيَّاهُ مِنْ عَهدِ ... "فقدْ زادَنِي ذِكراهُ وجْداً علَى وجْدِ"[3]

ولا زَالتِ الأنواءُ يسْقِي سَحابُها ... دِياراً حكَت مِنْ حُسنِها جنَّةَ الخُلْدِ[4]

ولم أجد في شعرهم عن الثلج، سوى مقطوعةٍ من بيتين هي عبارة عن لغزٍ لعلـي بـن محمد الحصكفي، يقول:

[مجزوء الرجز]

اسـمُ الَّـذِي ألغَزتُـهُ ... يُطفِـي شَـرارَ اللَّهَـبِ

مَقلوبُـهُ مُـصَحَّفاً ... وَجَدْتُـهُ فِـي حلَـبِ[5]

رابعاً: البرق والرعد

البرق والرعد صنوان وظهورهما يكون في وقت واحد، الأول تدركه الأبصار، والثاني تتلقفه الأسماع، وهما يسبقان المطر، وقد وصفهما الشعراء في هذا العصر، وكان نصيب البرق أكبر، وربما يعود ذلك إلى أن تأثيره الجمالي عند رؤيته أوقع في النفس من تأثير الرعد الـذي يبعث الرعب أحياناً في النفوس.وذكر الشعراء أحبتهم وديارهم كلما لمع البـرق مـن حمـاهم

---

(1) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي، (العصر المملوكي)**، 407، نقلا عن **ديوانه**، 28-30.

(2) الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 324.

(3) هذا الشطر مضمن من شعر ابن الدمينة وصدره،" ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد "، ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**،56/17.

(4) المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والاعتبار**، 224/1.

(5) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، 265/1.

ومعاهدهم، فحنوا لها واشتاقوا إليها وإلى أيامهم الجميلة التي قضوها هناك، فرؤية البرق تثير أشجان إبراهيم بن محمد بن أبي شريف المقْدِسِي وأشواقه، فتنفعل نفسه بالأسى وتفيض أدمعه، يقول:

[البسيط]

ما شِمتُ برْقاً بأَرْجاءِ الشَّامِ بَدا	إلاَّ تنفَّستُ مِن أشْواقِيَ الصُّعُدَا
وَلا شَمَمْتُ عَبيراً مِنْ نَسِيمِكُمْ	إلاّ قَضَيْتُ بِأَنْ أَقْضِي بِهِ كَمَدَا[1]

وشبه الشعراء لمعان البرق وامتداده الطولي في الأفق بالسيف، وقد ألح الشعراء على هذا المعنى كثيراً، كما شبهوه بالنار، فابن زقاعة يصفه بالنار التي توقد من مقداحٍ، ويصوره بالمقاتل الذي سل على المشارق سيوفاً، وأضرم في المغارب ناراً، يقول:

[الوافر]

وبرقٌ لاحَ مِنْ حَبرُونَ وهْناً	كمِثْلِ النَّارِ تَستَعِرُ اسْتِعارَا
كأَنَّ زِنَادَهُ مِقْداحُ نارٍ	فَفِي وَجهِ الدُّجَى يَرْمِي شَرارَا
وَسَلَّ عَلَى مَشارِقِهِ سُيوفاً	وأضْرَمَ فِي المَغارِبِ مِنْهُ ناراً[2]

ويصوره في بيتٍ أخر سيفاً سلّ على الظلماء، وكأن البرق رجلٌ محارب، يقول:

[السريع]

شَبَّهْتُ لَمْعاً لاحَ مِنْ وَمْضِهِ	سَيْفاً عَلَى الظَّلْماءِ قَدْ سَلَّهُ[3]

وأكثر الشعراء من استحضار الصور القتالية للبرق، فهو في صورة النواجي سيوفٌ حادةٌ مسلولةٌ على رؤوس العباد، يقول:

[الطويل]

ومَا لِسُيوفِ البَرْقِ حُدَّتْ وَأُرْهِفَتْ	وَسُلَّتْ عَلَى هَامِ الأَنامِ نِصَالُهَا[4]

ولمعان البرق يذكر الشهاب المنْصوري وجه النبي محمد- صلى ا عليه وسلم – في حسن التخلص من الوصف إلى المديح، يقول:

[الكامل]

---

(1) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، 104/1.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 101-102.

(3) **نفسه** 124.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 245، والنواجي، **شمس الدين، تأهيل الغريب**، 814.

وَالسُّحْبُ تَخْطُرُ فِي ذُيُولِ نَسِيمِها   مُخْتالَـــةً فِـــي حُلَّـــةٍ دَكْنـــاءِ[1]

وَالبَـــرْقُ يُـــذَكِرُنا ضِـــياءَ مُحَمَّـــدٍ   كَهـــفِ الـــوَرَى المَخْـــصُوصِ [2]

وكثر في خواتيم قصائد المديح النبوي الدعاء للنبي والصلاة عليه كلما لمع البرق في الجو ولاح، يقول النواجي:

[الطويل]

عَلَيــهِ صَــلاةُ اللّــهِ مــا لاحَ بــارِقٌ   وما لعْلَـعَ الحـادِي سُحيْراً بمَكّـةٍ[3]

وربط الشعراء حديثهم عن البرق بذكر الرعد، فهما متلازمان ينشآن معا، يقول ابن زقاعة مشبهاً زمجرة الرعد بأصوات الطبول التي تقرع في الحرب:

[الكامل]

والرَّعْدُ شِبْهُ طُبُولِ حَرْبٍ صُوِّرَتْ   والبَرقُ يَلْمَعُ شِبْهَ سَيْفٍ مُصْلَتِ[4]

ويجعل النّواجِي الرعد خيولاً تكر على أحشائه، يقول:

[الطويل]

ومــا لِخُيــولِ الرَّعــدِ كَــرَّتْ علــى   أمــا ضَــاقَ فِــي قلــبِ المَــشوق [5]

ورسم أبو بكر الدماميني للبرق صورةً فريدةً، فهو يستعير لصوته صورة زئير الأسد، ويوري بلفظة الأسد التي تعني أيضا أحد أبراج السماء، ويجعله يفترس الشمس ويخرج لسانه متلمظاً في إشارةٍ إلى البرق وامتداده في السماء، وفي أبيات الشاعر توجيه بأسماء النجوم، يقول:

[الكامل]

مــاءُ الحَيــا الوَكّــافُ أرسَـلَ دَمْعَــهُ   والبَــرْقُ مِــنْ خَلَــلِ الــسَّحابِ قَــدِ

هــذا وفِــي أُسُــدُ البُــروج تَحَجَّبَــتْ   شَمسُ السَّماءِ وَقدْ أبَتْ أنْ تُلْحَظا

وكأنَّمَــا الأسَــدُ اسْــتطابَ زَئِيــرَهُ   بالرَّعــدِ مِــنْ حَنَــقٍ وزادَ تغيُّظــا

---

(1) الدكناء: اللون الضارب إلى السواد، ينظر: ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "دكن"، 157/13.

(2) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 170/1.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 33، النواجي، شمس الدين، **المطالع الشمسية**، 98.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 245.

وكَأنَّـــهُ افْتَــرَس الغَزالَـــةَ بغْتَـــةً   فانظُرْ لِسانَ البرْقِ كيفَ تلمَّظا[1]

خامساً: الرياح

الرياح من الظواهر الطبيعية التي وصفها شعراء العصر، فهي تسوق المـزن وتـسقي البلاد، وتدفع المراكب والأساطيل في البحر، وتحمل عبق الرياض والزهور إلى الشعراء، يقول الشهاب المنْصوري في الرياح التي تسوق المزن مشبهاً سيرها بسيرالإبل الـسريعة إلـى قبـر الممدوح صلى ا عليه وسلم:

[البسيط]

والرِّيحُ تحدُو ركاباً مِن سَحَائِبِها   مَخْـصُوصَةً مِـنْ ضُـرُوبِ الـسَّيرِ[2]

كأنَّهَـا نُجُـبٌ والـشَّوْقُ قائِـدُها   إلــى ضَــريحِ عَظِــيمِ الفَــضْلِ[3]

وهي أيضا تسوق السفن في البحر وتوجهها، يقول ابن زقاعة:

[الخفيف]

عُــدَّ لِــي فِيــكَ فِــي سَــفِينَتِهِمْ   كُلُّهُــمْ يُقلِعــونَ فِــي الــرِّيحِ[4]

واتخذ الشعراء من الريح رسولاً يحملونه أشواقهم إلى أحبابهم وأرضهم، فـابن حجـر العسقَلاني يتشوق إلى وطنه الغالي مصر، فيرسل سلامه إلى روحه التي تـسكن بيتـه وهـي زوجته، ويطلب منها أن تسامحه ويوصي الريح بإخفاء سقمه وسهده عنها وأن توصل عهده في الحب والوفاء إليها، يقول:

[الطويل]

فيــا نَــسَماتِ الـرِّيحِ باللَّــهِ بَلِّغِـي   سَلامِي علَـى رُوحِـي المُقِيمَـةِ فِـي

سَـلِيها تُـسامِحْ مُقْلتِــي بمنامِهــا   لِتَحْظَى بطِيبِ الوصْلِ مِنْ طَيْفِهـا

ولا تُخْبِرِيها عَنْ سَقامِي يَسُووُها   وَلا سَــهَرِي البــاقِي وَلا دمْعِـــيَ

وَقُولِي لَهـا إنِّـي عَلَـى عَهْدِ حُبِّهـا   مُقيمٌ وإنْ لمْ تُطْوَ شُقَّةُ أسْفارِي[5]

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 114 .

(2) العنق: ضرب من سير الإبل، ينظر: ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "عنق"، 274/10.

(3) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 2/ 458.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 122.

(5) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 182.

وذكر الشعراء الرياح كثيراً في حديثهم عن الرياض ووصفها، فهم يـذكرون الروضـة وأزهارها ومياهها والرياح فيها، فابن مليكٍ الحموي يسقط أحاسيسه النفـسية علـى روضـةٍ ويشخص الرياح ويجعلها إنساناً يشبب بالعيدان ويتشارك مع الطير في صنع هذا الجو الموسيقي الجميل الذي تحياه الروضة، يقول:

[البسيط]

وَوَجْنَــةُ الــرَّوْضِ وشْــيُ القطْــرِ   لمَّـا بَـدتْ ولَـهـا فِـي الخَـدِّ تَوْرِيُـدُ

وَالَرِّيحُ شَبَّبَ بالعِيدانِ مِنْ طَرَبِ   والطَّيْرُ يُطرِبُ مالا يُطْرِبُ العُودُ[1]

ويرسم الشهاب المنْصوري صورتين جميلتين للرياح مزجهمـا بالوصـف المعنـوي، والمدقق لهما يلاحظ روعة التشبيه حين يجعل رياح الصبا نماماً ينقل أسرار الروض ويفشيه، ثم يصور الرياح في الرياض عليلةً تسعى للشفاء برقية الحمائم على أغصانها، يقول:

[الكامل]

وَوَشَى بسِرِّ الرَّوْضِ نمَّامُ الصَّبا   وغَـدا يطُـوفُ بِـهِ علَـى الأحْيـاءِ

والرِّيحُ فِي فُرْشِ الرِّيـاضِ عَلِيلَـةً   ترْجُـو الـشِّفاءَ برُقْيـةِ الوَرْقـاءِ[2]

وصوت الرياح العذب بين الغصون يحاكي صوت محبٍّ يناجي حبيبه، أو صوتاً خفياً لا يكاد السامع يفهم مضمونه، يقول الشاعر أحمد بن محمد ابن مظفر:

[الطويل]

كـأنَّ دَوِيَّ الـرِّيحِ بـيْنَ غُـصُونِهِ   نِداءُ مُحِبٍّ أوْ حَديثٌ مُوَسْوَسُ[3]

ورياح الشمال تعبق الأرجاء بطيب الزهور العطرة، وتحيي الميت من حسن رائحتهـا، يقول الشهاب المنْصوري:

[البسيط]

وأسْبَلتْ ذيْلَها ريحُ الشَّمالِ عَلَى   مَبـاخِراً[4] صُـنِعَت مِـنْ عَـسْجَدِ

حتَّى تأرَّجَتِ الأرْجاءُ طِيبَ شَذَا   وَأنْـشَرَتْ مَيْتَهـا مِـنْ ريحِهـا

(1) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)**، 418، نقلا عن **ديوانه**، 30.

(2) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 169/1.

(3) البقاعي، برهان الدين ، **عنوان الزمان**، 1 /226، والشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى: (**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**)، **سورة الناس** آية 5.

(4) المباخر، ما يتبخر به والرائحة الطيبة، ينظر الفيروز آبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "بخر"، 313.

(5) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 2/228-229.

والرياح تنثر أمواج البحر فتبدو هذه الأمواج سيوفاً مميتـةً للمحـل، يقـول الـشهاب المنْصوري:

[البسيط]

كـأنَّ أمْواجَــهُ والـرِّيحُ تنْـشُرُها صَـوارمٌ بظُباهـا المَحْـلُ مَقتُـوُلُ(1)

ويشبه ابن العطار صفحة الغدير وقد جعدته الرياح بالزرد، يقول:

[الخفيف]

هبَّــتِ الــرِّيحُ بالعَــشِيِّ فحاكَــتْ زَرَداً لِلغــدِير ناهِيــكَ جِنَّــةْ(2)

واتخذ الشعراء من الرياح موضوعاً للحديث عن معاناتهم في الشوق والبعد عن الـديار والأحبة، فابن حجر العسقلاني يرى أن جسمه أصبح أخف من الرياح مع أنه قد أثقله الـضعف في مطابقةٍ بين الخفة والثقل التي ضمنها صورته، يقول:

[البسيط]

جِسْمِي أخَـفُّ مِـنَ الـرِّيح العلِيلَـةِ أنِّـي ثقُلْـتُ بـضَعفٍ كـادَ يَقْتُلُنِـي(3)

ومنهم من استوقف الرياح للحديث عن همومه ومعاناته، كقول الشاعر مورياً في كلمـة روحي:

[مجزوء الهزج]

ألا يـــــا نَـــــسْمَةَ الــــرِّيح قِفِـــــي أبْــــدِيكِ تبْرِيحِــــي

قِفِـــي أُخْبِــرْكِ عَـــن جِـــسْمِي وإنْ شِـــئْتِ أقُـــلْ روحِـــي(4)

ومن الشعراء من اتخذ الريح موضوعاً للهجاء والشكوى، فالشاعر محمد بن محمد ابـن مباركْشَاه يشكو الريح وأثرها عليه إلى ا ويدعوه أن يكشف عنه أذاهـا وألا يـضيع شـكواه، يقول:

[الكامل]

يــا ربِّ إنَّ الـرِّيحَ أضْـعَفَ بُنيَتِـي فأضَــرَّها وأضَــرَّ بِــي تبْرَيَحــي

فاكْـشِفْ بفَـضْلِكِ كَرْبَـهُ عَنِّــي وَلا تَجْعَلْ دُعـائِي رائِحـاً فِـي الـرِّيح(5)

---

(1) ابن إياس الحنفي، محمد، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، 15.

(2) العباسي، عبد الرحيم، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، 98/2.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 158.

(4) العسقلاني، ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، 168.

(5) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع لأهل القرن السابع**، 68/9.

ويلاحظ اختلاف وصف الشعراء للرياح في هذا العصر عن العصور السابقة، فغاب الحديث عن الرياح وأنواعها وأثرها على حياتهم مثل تعفية آثار الأطلال أو ما تجلبه من جدبٍ أو قحطٍ أو بردٍ شديد، بسبب بعدهم عن الصحراء[1].

سادساً: النسيم

النسيم ابتداء كل ريح قبل أن تقوى وهي ريح طيبة[2]، والنسيم عنصر أساسي من عناصر صور الطبيعة، فيها يستحيل الصمت إلى لغةٍ يفهمها المحب، ويتحول النبات إلى حركةٍ وحياة، تنقل أنفاس العاشقين[3]،والنسيم يذكر الشعراء بأحبتهم، فابن زقاعة يتعجب من النسيم الذي يسري سحراً معبقاً برائحة نبات البان والرند والآس العطرية،ويصوره برسول الأحبة الذي يحمل له صوتهم فيتخيلهم معه يحدثهم ويحدثونه في صورةٍ تزخر بالصوت والحركة، يقول:

[الطويل]

ومِنْ عَجَبِي أنَّ النَّسِيمَ إذا سَرَى سُحَيْراً بِعَرفِ البانِ والرَّنْدِ
يُعيدُ على سَمعِي حَدِيثَ أحِبَّتِي فيَخْطُرُ لِي أنَّ الأحِبَّةَ جُلاَّسِي[4]

والنسيم هو منبع اللطف والرقة، واللطف لا ينسب إلا إليه، يقول ابن حِجة الحموي:

[السريع]

أنتَ لطِيفٌ يا نسِيمَ الصَّبا واللُّطفُ ما يُنْسبُ إلاَّ إلَيْكْ[5]

وريح الصبا من النسيم[6]، وعادةً ما قرن الشعراء حديثهم عن النسيم بذكر الرياض والأشجار والأغصان والزهور حتى يرسموا صورةً متكاملةً لمظاهر الطبيعة، ولا عجب في ذلك، فالنسيم هو صديق الرياض والحدائق، يقول محمد بن علي بن عباس واصفاً رقة النسيم وهبوبه في الأسحار تحت المطر، و ترقيصه الأشجار وهز أغصانها:

[الكامل]

رقَّ النَّسِيمُ وَهبَّ فِي الأسْحارِ وَهَمَى الغَمامُ بوابِلِ الأمْطارِ

---

(1) ينظر: القيسي، نوري حمودي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، 56-57، والعالم، إسماعيل، **وصف الطبيعة في الشعر الأموي**، 60-63.

(2) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "نسم"، 573/12.

(3) ينظر: توفيق، زكريا محمد، **في أدب مصر الإسلامية**، 126.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 158.

(5) الحموي، ابن حجة، **تأهيل الغريب**، مخطوط، 289، البيت غير موجود في ديوانه.

(6) ينظر الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 62/1.

واهْتَـزَّتِ الأَغْـصانُ تِيهـاً بالـصَّبا   وتَراقصَتْ طَرَبـاً علَـى الأشْـجارِ[1]

وتعددت الصور التي رسمها الشعراء للنسيم، فالشهاب المنْصوري يجعل النـسيم علـيلاً رقيقاً لم يذق مثله طعم فرقة الأحباب، ثم يعاود التفكير متسائلاً عن سبب علته، فهل يكون الحب سببها، ويشخص النسيم ويجعله يطرق باب المحبوبة ويصاب بالخفقان من الحب، يقول:

[الخفيف]

ونــسِيمٌ أضْـحَى علِـيلاً رَقِيقـاً   لـمْ يَـذُقْ طعْـمَ فُرْقَـةِ الأحْبـابِ

ليْـتَ شِـعْرِيْ مـا لِلنَّـسِيمِ علِـيلاً   أتُـرى بِالنَّسيمِ فِـي الحُـبِّ مـا بِـي

أمْ سـرَى طارِقـاً دِيـارَ حَبِيبِـي   فــانْثَنَى خــافِقَ الحَــشا ذا

ويحدو النسيم السحاب الممطر وقد بلت أذياله حاملاً الأخبار معه، يقـول عِـز الـدين الموصِلي:

[مجزوء الرجز]

رُبَّ نَــسِيمٍ قــدْ سَــرَى   يحْــدُو سَــحَابا مُمْطِــرًا

أذْيَالُــــهُ بَلِيلَــــةٌ   تُخْبِرُنــا بمــا جَــرَى[3]

وهو شخص كريم يجود على الربا بكرمه وفيضه، يقول ابن حِجة الحموي:

[مجزوء الكامل]

جــادَ النَّــسِيمُ علــى الرُّبَــا   بنَــدى يديْــهِ وقــالَ لِــي

أنــا مــا أُقَــصِّرُ عــنْ نَــدًى   وكَمــا علِمْــتَ شَــمائِلِي[4]

ويصوره الشهاب المنْصوري عازفاً على الشبابة:

[الكامل]

فِـي رَوضـةٍ فِيهـا النَّـسِيمُ مُـشبِّبٌ   والوُرْقُ تشْدو والغَمامُ لَنـا سَقَا[5]

واتخذ علي بن محمد بن عبد الرحمن الحلَبي النسيم رسولاً يحمل سلامه وأشـواقه إلـى الأحبة وديارهم، يقول:

[الطويل]

---

(1) ينظر الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 1/ 62.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386.

(3) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، مخطوط، 317.

(4) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، مخطوط، 104، الشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

(5) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 369.

أُســائِلُ عـنْكُمْ كـلَّ غــادٍ ورائِــحٍ وأبْعثُ فِـي طـيِّ النَّـسيمِ سَـلامِيا[1]

ويستعير ابن حِجة الحموي للنسيم كفاً، ويجعل أغصانها ذؤابات شعرٍ يـسرحها النـسيم بكفه دون مشط، يقول:

[الطويل]

وتُرْخِـي عليْنَـا لِلغُـصُونِ ذوائِبـاً يُـسرِّحُها كفُّ النَّـسِيمِ بِـلا مِـشْطِ[2]

وكثيراً ما حمل الشعراء النسيم أشواقهم إلى من أحبوا، فابن مِليك الحموي يحمل النـسيم أمانةً وهي سلامه إلى بلاده حماة وإلى أهله، يقول:

[الطويل]

نَــسيمَ الــصَّبا باللَّـــهِ إنْ جُــزْتَ فحَيِّ أُهيْلَ الحَـيِّ مِنْ أهْلِ جِيرَتِـي
وعرِّجْ على الوادي رَجاءً بِسَحْرَةٍ وبلِّغْ حديثَ الشَّوقِ عَنِّي أحِبَّتِـي[3]

ويوضح عِز الدين الموصِلي سبب طيب النسيم، فهو قد مر في آثار المحبوبة ونال بعضاً من ثنائها، يقول:

[البسيط]

تَعْلِيـلُ طِيـبِ نَـسِيمِ الـرَّوْضِ حِـينَ بأنَــهُ نَــالَ بَعْـضاً مِــنْ ثنَــائِهِمُ[4]

وقد أخذ ابن حِجة هذا المعنى، يقول:

[البسيط]

نَعَمْ وقـدْ طـابَ تعليـلُ النَّـسيمِ لَنـا لأنَّـــهُ مــرَّ فِــي آثَــارِ تُــربِهِمِ[5]

ويجعل ابن خَطِيب داريا لطافة النسيم مستمدةً من رسائله الرقيقة التـي كـان يرسـلها لأحبته:

[البسيط]

ويا نَسِيمَ الصَّبا لوْلا اكتِسابُكَ مِنْ رَسـائِلِي لـمْ تَـبِنْ فِيـك اللَّطافـاتُ[6]

ومن مبالغات النّواجي اللطيفة قوله:

---

(1) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، 2/ 454.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 61.

(3) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 396، نقلا عن **ديوانه**، 106.

(4) محمود، سميحة حسين، **الحجة في سرقات ابن حجة الحموي للنواجي**، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، 99.

(5) **نفسه**، 99، والبيت غير موجود في ديوانه.

(6) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 108.

[مخلع البسيط]

لـــو هفَـــواتُ النَّـــسيِمِ مـــرَّتْ عَلَيْـــهِ مِـــنْ لُطْفِـــهِ تَجَعَّـــدْ[1]

- الطبيعة الأرضية

وصف شعراء العصر المملوكي الثاني الطبيعة الأرضية بكل ما فيها، ولا غرابة في ذلك، " فالطبيعة كانت ولا تزال مستودع الأسرار الجمالية التي ينهل من معينها الشعراء والفنانون والفلاسفة في كل منحنًى وزاوية، ولا يقف الأمر عند حدود التصوير الخارجي أو النقل المباشر، بل يتجاوز ذلك إلى خفايا الأشياء وانعكاساتها على الشاعر ووجدانه، فتصبح الطبيعة مرآةً ترتسم عليها الأشياء الداخلية وظلالها، أو معبراً إلى عوالم وآفاقٍ بعيدةٍ، يسمو فيها الخيال وتشرق الصور الشعرية وتعمق المعاني والتأملات"[2].

أولاً: فصول السنة

تركت فصول السنة أثراً ملحوظاً في شعر العصر المملوكي الثاني، فقد وصفها الشعراء وتناولوها في على النحو الأتي:

أ- الربيع

أحب الشعراء فصل الربيع، وآثروه على غيره من الفصول، فابن مليك الحموي يعدد مظاهر جمال الطبيعة في فصل الربيع، وانعكاسها على النفوس، ويرسم لها صورةً فنيةً متكاملةً، جاعلاً عناصر السمع والبصر واللمس والشم عناصر أساسيةً في إدراك جمال الصورة، فهو يصف الربيع وأثره على بعث الحياة في الرياض، واخضرار الأشجار ونمو النباتات والأزهار، فتصبح يانعةً وغضةً جميلةً، ويضفي على صورته الحيوية والحركة، فالنسيم يحمل الروائح العطرية التي تعبق الأنفاس، ويهز الأغصان التي تتغنى عليها الطيور، والزهر منتثر في أرجاء الرياض كأنه كنوز جادت به الأرض زكاةً، والندى جواهر من الدر، والريحان أسطر وأغصان البان ألفاتها، والعنادل تشبه الخطباء في شدوها على الأغصان ، أما جداول الماء فهي خلاخيلٌ وخرير الماء رناتها، فالشاعر يصف الربيع وفضله على الطبيعة، وهو ينقل مشاعره وأحاسيسه السعيدة الفرحة بهذا الجمال الساحر، يقول:

[الكامل]

أحيَـا الرَّبيــعُ الأرضَ بعـدَ مَماتِهـا وَحـلا بـسَكبِ القَطْـرِ عُـودُ نباتِهـا

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 147.

(2) الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 203.

وسَرَى النَّسِيمُ عَلى الرِّيـاضِ وَقَدْ | يهْـدِي إلِيْـكَ الطِّيـبَ مِـنْ نَفَحاتِهـا
وَالعـودُ هزَّتْـهُ الـصَّبا والطَّيـرُ قـدْ | غنَّـــتْ عَليْـــهِ بـــاخْتِلافِ لُغاتِهـــا
والزَّهْـرُ قـدْ ألقـى النِّثـارَ كأنَّمـا | أدَّتْ كُنوزُ الـرَّوْضِ بَعْضَ زَكاتِهـا
والأرْضُ كلَّلَهـا النَّـدَى بِجَـواهِرٍ | نُظِمـتْ عُقـودُ الـدُّرِّ مِـنْ حبَّاتِهـا
والرَّوْضُ بالرَّيْحانِ خرَّجَ أسْطُراً | أضْحَتْ غُصُونُ البانِ مِنْ أَلِفاتِها
تحْكِـي عَنادِلُهـا عَلـى أعْوادِهـا | خُطَباءَ تَتْلُو الـوَعْظَ مِنْ سَجَعاتِها
وحَكَـتْ جَـداوِلُها خَلاخِـيلاً وَقَـدْ | أضْحَى خَرِيرُ المـاءِ مِنْ رَنَّاتِهـا[1]

فالشعراء فضلوا فصل الربيع على غيره من الفصول، لذلك كانوا يبثون الجمال في كـل ما يحيط بهم من المظاهر الطبيعية، فكانوا يرسمون صورهم بحيث يرضون حواسهم البـصرية المفتونة باستجلاء الألوان، ويرضون آذانهم المتعطشة إلى أصوات الطيور التي تصدح بألحانها العذبة، أكثر مما يطربها العود أو الطنبور، كما أنهم يرضون أنوفهم بعبق الأزهار التي تماثـل المسك[2].

وصور الشعراء الربيع فصلاً ضاحكاً جاء يحمل معه البهجة والسرور للكون وللإنسان، يقول الشاعر محمد النقاريسي:

[الكامل]

ضَـحِكَ الرَّبِيـعُ وَجـاءَ سَـعْدٌ مُقْبِـلُ | وَلَكَ الـهَنا ذَهَبَ الزَّمـانُ المُمْحِلُ[3]

ويصف ابن قُرقُماس الربيع وروضه ونسيمه الذي يلاعب الأغصان، وهـو لا يكتفـي بوصف أثر الربيع على الأرض، بل يصف أثره على الطبيعة السماوية، فيبدو النجم في الـسماء ثمرةً يانعةً، والشمس كالدينار الذهبي، يقول: [الكامل]

يــا حبَّـذا زَمَـنُ الرَّبِيــعِ ورَوْضُــهُ | ونَـــسِيمُهُ الخَفَّـــاقُ بالأغْـــصانِ
زمَـــنٌ يُرِيــكَ الـــنَّجمَ فِيـــهِ يانِعــاً | والـشَّمسُ كالـدِّينارِ فِـي المِيـزانِ[4]

---

(1) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 418-419، نقلا عن ديوانه، 51، والخفاجي، شهاب الدين ، **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، 114/1.

(2) ينظر: نوفل، سيد، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، 206.

(3) السخاوي، شمس الدين محمد، **الضوء اللامع**، 10/7.

(4) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 159.

وتعددت صور الربيع في خيال الشعراء، ورأوا في حضوره مناسبةً لدعوة الأصـحاب للتمتع بجماله واشتمام وروده، يقول أبو بكر الدمامِيني موشياً بيتيه ببديع الاكتفاء[1]:

[الوافر]

يَقــولُ مُــصَاحِبي وَالــرَّوْضُ زاهٍ وَقَـدْ بَـسَطَ الرَّبيــعُ بـساطَ زَهْـرِ

تَعَــالَ نُبــاكِرُ الــرَّوْضَ المُقَــدَّى وَقُـمْ نَـسْعَى إلَـى وَرْدٍ وَنَـسْرِي[2]

أما ابن مليك الحموي فيقتنص فرصة قدوم الربيع داعياً إلى شـرب الخمـر، ويـصفه بالخيام التي نصبت حلتها السندسية الجميلة فوق الأرض، يقول:

[الكامل]

بـاكِرْ إلـى زَهـرِ الرِّيـاضِ واسْقِنِـي كـــأْسَ الطَّـــلا[3] والـــرَّاحُ رَوحُ

أوَمـا تَـرَى نـصَبَ الرَّبيـعُ خِيامَـهُ فِـيْ الـرَّوضِ فـوقَ مَطـارِفٍ مِـنْ [4]

ومزج الشعراء وصفهم للربيع بالغزل، فالربيع يجلب السرور معه، لذلك حاول الشعراء التمتع به قبل انقضائه بمنادمة الأصدقاء والأحباب، يقول الشاعر أحمد بن علـي بـن قُرطَـاي مشبهاً ورد الربيع بخدود محبوبه، مازجاً بين خصوبة أرض الربيع وخصوبة لقـاء الأحبـاب، يقول:

[الطويل]

رعَـى اللّـهُ أيَّـامَ الرَّبيـعِ ورَوْضَـها بهـا الـوَرْدُ يَزهُو مِثْلَ خدِّ حبيبِـي

وإنِّـي وحَـقِّ الحُـبِّ لـيْسَ ترحُّلِـي سِـوَى لِمكـانٍ مُمْـرَعٍ وخَـصِيبِ[5]

ويذكر الربيع النّواجِي أحبته فيهيم قلبه ويصبو إليهم، فجمال الربيع لا يكتمل إلا بروعة اللقاء، يقول:

[الخفيف]

مــا تعلَّلْــتُ بــالرَّبيعُ لــدَى الجِيــ زَةِ إلاَّ صَـــبا وَهـــامَ فُـــؤادِي[6]

---

(1) الاكتفاء: حذف القافية لدلالة البيت عليه، ينظر، النواجي، شمس الدين، **كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء**، 97.

(2) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 107 .

(3) الطلا: الخمر، ينظر: ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة " طلل "، 406/11.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 143، الشطر الأول من البيت الأول مكسور.

(5) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، 37/14.

(6) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 362.

هذه بعض الصور التي عثرت عليها في الربيع، وهي قليلةٌ، وكنت أتوقع كماً أكبر، لأن الربيع هو من أعلق الفصول بالقلوب وأحبها إلى النفوس، ولكن من المؤكد أن كثيراً من الأشعار لم تصلنا لضياعها أو أنها ما زالت مخفيةً في بطون الكتب التي تنتظر من يحققها.

ب - الصيف

الصيف هو فصل الحر الشديد، وعادةً ما شكا الشعراء السابقون حرارته الملتهبة، ولـم أجد إلا مقطوعةً واحدةً للنواجي يتحدث فيها عن التهاب حرارة الشمس وأثرها عليه حيث أنه لا يستطيع لبس ثيابه من الحر، يقول:

[السريع]

قَـدْ أقبَـلَ الـصَّيفُ وَوَلَّـى الـشِّتا ... فقُلْـتُ والجِـسْمُ بِــهِ فِـي التِهـابْ

فَعَلْتَ بِـي يـا صَـيْفُ مـا لـمْ يَكُـنْ ... يُلْـبَسُ واللَّــهِ عليْــهِ الثِّيــابْ[1]

ج - الخريف

الخريف يلي الصيف ويسبق الشتاء، فيه تخف وطأة الحر وتسقط الأوراق مصفرةً وكأنه جاء ليهيئ الناس للاستعداد لفصل الشتاء البارد، فالناصر محمد بن قُرقُماس يتحدث عن الخريف وطيبه ونسيمه الذي يحرك الأغصان، وكأن هذا النسيم هو مقدمة الرياح العاتية التي تهب فـي فصل الشتاء، يقول:

[الكامل]

يـا حبَّـذا فـصْلُ الخَريـفِ وطِيبُـهُ ... ونـسِيمُهُ الخَفَّــاقُ بالاغــصانِ

زمــنٌ يُرِيــكَ الــنَّجمَ فِيــهِ يانِعــاً ... والـشَّمسُ كَالـدِّينارِ فِـي المِيزانِ[2]

وذكر الشعراء في حديثهم عن الخريف بعض مظاهره مثل سقوط الأوراق واصفرارها، من ذلك مقطوعة علي بن أيبك الجميلة التي شخص فيها النهر إنساناً متسولاً يمد يديه للـسؤال، فأكرمه الغصن ببعض الأوراق المصفرة التي تشبه الدنانير، يقول:

[المنسرح]

ما أكرمَ الغُصْنَ فِي الخَرِيفِ وَقَدْ ... أثَّــرَتْ الــرِّيحُ فِيــهِ تــأْثِيرَا

لمَّــا أتَــى النَّهــرُ ســائِلاً مَــلأتْ ... أوْرَاقُــــهُ كَفَّــــهُ دَنـــانِيرَا[3]

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 339.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 76/3.

(3) السخاوي، شمس الدين ، **الضوء اللامع**، 195/5.

واعتاد الشعراء في حديثهم عن الخريف نعته بفصل الذهب، في إشارةٍ إلى اصفرار أوراقه وسقوطها، فالشاعر زين الدين ابن الخَراطْ يستعير لسقوط الأوراق الصفراء على الخمر صورة الإنسان الذي ينقط العروس ذهباً ، يقول:

[المتقارب]

أتانــا الخَريــفُ نَــدِيمِي فَقُــمْ نُجــدّد الرِّيــاحَ عَيْــشاً ذَهَــبْ

إذا مــا جَلوْنــا عَــروسَ الطَّــلا عَلَــى الغُــصْنِ نَقَّطَهــا بالــذَّهَبْ(1)

ويقول علي بن أَيبك الدمشقي مخاطباً محبوبه ألا يخشى الفقر لأن ذهب الخريف قادم، فلوحته تزخر بالألوان، وهو يمازج بين لون الخمرة الفضي ولون الخريف الذهبي، ويدعو لاستجلائها في هذا الفصل، يقول:

[السريع]

لا تخْشَ يـا مَحبُـوبُ مِـنْ فـاقتِي فعَــنْ قريــبٍ ذَهَبــي يَــأْتِي

فاذْهَــبْ لِفِــضياتِ ذا بــالطَّلا وَاسْــتَجْلِها فِــي الــذَّهَبِيَّاتِ(2)

وأسبغ الشعراء على الطبيعة الإدراك الإنساني، وخلعوا عليها المشاعر الإنسانية، وهذا أعلى مقامات الوصف، لأنهم وإن كانوا يصفون الطبيعة، فهم يضفون عليها ما في نفوسهم، لأنها تدل على الشاعر الواصف، أكثر مما تدل على الموصوف نفسه(3)، فابن حجر العسقَلانِي يبرز الزهور وقد غارت من فصل الخريف، فنضارتها لا تذهب لأن الذهب قادم في هذا الفصل، يقول:

[السريع]

قدْ قالَ زهرُ الرَّوضِ منْ ذا الَّذِي فَــضَّلَ فَــصْلَ الــذَّهبِيَّاتِ

مــا ذَهَبِــي يَــذْهبُ مِــنْ عَجَلَــةٍ مُوَدِّعــاً بــلْ ذَهَبِــي يَــأْتِي(4)

د- الشتاء

تطرق الشعراء في حديثهم عن الفصول إلى ذكر الشتاء، وجاءت أشعارهم في وصفه قليلةً أيضا، فقد اشتكوا من برده الشديد وأثره على نفوسهم، ورأوا فيه مناسبةً للتعبير عن

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 218، الشطر الثاني من البيت الأول مكسور.

(2) **نفسه** ، 219.

(3) ينظر: محمد، محمود سالم، **أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري**، 161.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 219، المقطوعة غير موجودة في ديوانه.

حاجتهم وفقرهم، وجاؤوا بمعانٍ جميلةٍ مثل الشاعر النواجي الذي استعار ظاهرة التجمـد مـن الطبيعة وأسقطها على قريحته فأصبحت عاجزةً عن نظم الشعر، يقول:

[الكامل]

جَمُدَت عُيُونُ الأَرْضِ فِي فَصْلِ جَزَعاً وَنَفْسُ الصَّيْفِ مِنْهُ خامِدَةْ

وَدَعْوتُ فِكرِيَ لِلقَرِيضِ فَلَمْ يُجِبْ يا حَسْرَتا حتَّى القَرِيحَةُ جامِدَةْ[1]

وفي نفس المعنى يصف محمد الأزهري نفسه عاجزا عن النظم في الشتاء بخلاف الربيع الذي يصف فيه النوروز وهواحتفالٌ يقام بوفاء النيل[2]، يقول:

[الكامل]

مَولايَ إنِّي فِي الشِّتاءِ لَعاجِزٌ عَنْ نظْمِ مَدْحٍ صِيغَ كالإبْرِيزِ

لَكِنَّ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ فَإنَّنِي مُتهَتِّكُ الأمْداحِ فِي النَّوْرُوزِ[3]

ويصف الشاعر حاجته وفقره عله يلقى تعاطفاً وعوناً يقول:

[الخفيف]

سائِلِي فِي الشِّتاءِ عَنْ شَرْحِ خُذْ جَوابَاً تَطِبْ بِهِ مِنْكَ نَفْسُ

لِيَ جيْبٌ مُمَزَّقٌ مِثْلُ شَمْلِي لَيْسَ مِنْهُ وَحَقِّ ذقنِكَ فِلْسُ[4]

ويلوح النواجي إلى فقره وحاجته من خلال المدح، عله يحظى بعطف ممدوحه، يقول:

[مجزوء الوافر]

بِكُمْ قَدْ صِرْتُ مُكْتَفِيَاً وأنْتُمْ سَادَتِي رُكْنِي

وقَدْ جَاءَ الشِّتا حَقَّا وفِي التَّلْوِيحِ مَا يَكْفِي[5]

وكان الشعراء يلوحون بمطالبهم حتى يستعدوا للشتاء، يقول البـدري: "كـانوا يعتـدون للشتاء بالأسمان والأدهان ويمونون البيوت بالحبوب ولحم القديد والمعسولات والفاكهة المعلقـة والحلاوات المؤنقة"[6].

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 339.

(2) ينظر: المقريزي، تقي الدين، **خطط المقريزي**، 1/ 108.

(3) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 323/1.

(4) **نفسه**، 31/2.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 268.

(6) **نزهة الأنام**، 220.

ولم يجد أبو بكر بن عثمان العجمِي سوى صورة الحديد ليعبر من خلالها عـن ضـعفه أمام البرد القارس، يقول:

[الخفيف]

فَصْلُ الشِّتَاءِ وَافَى جِسْمِي فِيهِ وَهَـنٌ عَـنْ مُتَلَقَّـاهُ شَـدِيدُ
كَيْفَ يَقْوَى لِشِدَّةِ البَرْدِ جِسْمِي وَعَلَى البَرْدِ لَيْسَ يَقْوَى الحَدِيدُ[1]

واستعار ابن سودون البشْبَغَاوِي للهوى حللاً تسخن جسمه في الشتاء، ولما خلعهـا لـم يحتمل البرد مهما ضعف، وهو يقصد الحب، يقول:

[الوافر]

لَبِسْتُ مِنَ الهَوَى حُلَلاً فكانَتْ تُـسَخِّنُنِي إذا بَـرَدَ الـشِّتَاءُ
وَمُنْذُ خَلَعْتُهـا لَـمْ يَقْـوَ جِـسْمِي عَلَى بَرْدٍ وَلَوْ ضَعُفَ الشِّتَاءُ[2]

ثانياً: الرياض

سميت الرياض بهذا الاسم لأن الماء يستريض فيها، و الرياض تشكل مساحاتٍ لا بـأس بها من جزيرة العرب، وتكون دائماً مطمئنةً، يسيل إليها ماء السيول فيستريض فيهـا، فتنبـت ضروباً من العشب والبقول ولا يسرع إليها الذبول وإذا أعشبت الرياض، وتتابع عليها الوسـمي ربعت العرب بنعمها جمعاء، وكانت تسيل في بعض الجداول الصغيرة وتسمى الرياض حـدائق إذا التف عشبها وتكاثف[3].

ووصف شعراء العصر المملوكي الثاني الرياض، وصوروا جمالها وروعتها، وأثرهـا الساحر على نفوسهم، وذكروا متعتهم وسعادتهم وهـم يرتعـون بـين خـضرتها وأشـجارها وأزهارها، فالأخضر الممزوج بالأبيض والحمرة والصفرة ألوانها، وأصوات البلابل والشحارير وخرير الماء موسيقاها، وروائح الأزهار والورود شذاها وعطورها، وذكر الشعراء الرياض من خلال الغزل حيث تنعموا في أحضانها بلقاء الأحبة والأصدقاء، أو من خلال التـشوق لـديارهم وبلدانهم التي كانوا يكتوون بنار البعد عنها، كما وصفوها لذاتها، معجبين بجمال هـذه الطبيعـة الخلابة التي تسبي العقول وتأسر النفوس، فجاؤوا بأوصافٍ جميلـةٍ لهـا، وموضـوع وصـف الرياض من أكثر الموضوعات التي طرقها الشعراء لما لها من أثرٍ على نفوسهم، ولأنها تنسيهم همومهم وأحزانهم، ولأنهم يعيشون في ظلالها، فتضفي على حياتهم شيئاً من الجمال والروعة.

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 479/1، البيت الأول مكسور كما جاء من المصدر.

(2) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 52.

(3) ينظر: ابن ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدا ، **معجم البلدان**، 83/3.

فالشاعر عِز الدين الموصِلِي "يطوف بالروضة طواف العاشق، فتبهره مجاليها وتأسره مرائيها، فيرى في صفحاتها آيات الجمال، لقد نقشت أرضها إبر الحياة وطرزتها، ودارت أشجار السرو من حولها كالسوار، أو كالخلخال، وغياضها باديةٌ ألوانها، وأغصانها الند، وأوراقها السندس، وأزهارها الياقوت والبلور، والدراهم بين الدنانير، وظلها ثوب يجمعه النسيم تارةً، وتارةً يفرقه، ونهرها كالسيف الصارم"[1]، يقول:

[البسيط]

وَرَوضَــةٌ نقَّــشَتْها لِلحَيــا إبَــرٌ	فأصْـبحَتْ بـيْنَ تطريـزٍ وَتزْهِيـرِ
مثلُ السِّوارِ لَها سَروٌ أحاطَ بِها	مِنْ سَلْسِلٍ هِيَ مِنْهُ ذاتُ تسْوِيرِ
أوْ كَالخَلاخِيلِ لِلأدْواحِ دارَ علَى	سوْقٍ لَها مطلقٍ فِي زيٍّ مأسُورِ
تحْتَ الرِّياضِ غِياضٌ دُبِّجَتْ	ألوانُهــا ذاتَ تــشهيرٍ وتــشْذِيرِ
أَغْصانُها النَّدُّ والأوْراقُ سُنْدُسَةٌ	والزَّهْـرُ عـرَّقَ ياقوتـاً ببلُّـورِ
والزَّهْـرُ بـيْنَ شُـعاعِ الـشَّمسِ	دراهِمــاً نُثِــرَتْ بــيْنَ الــدَّنانِيرِ
والظِّلُّ ثـوْبٌ إذا مَـرَّ النَّـسيمُ بِـهِ	فالرَّوْضُ مابيْنَ مهْتوكٍ ومستُورِ
ونهرُها زائِـرٌ بالخِـصْبِ يُؤْذِنُنـا	كصارمٍ فِي سَبيلِ اللَّهِ مشْهُورِ[2]

وتفنن الشعراء في وصف الرياض "فجاؤوا بصورٍ خالبةٍ آسرةٍ جمعت إلى النقل الحسي المباشر، النزعة التشخيصية التي يرتقي فيها الشاعر إلى مقاماتٍ رفيعةٍ من الجودة الفنية"[3]، فالشهاب الحِجازي يقف أمام روضةٍ غناء ويصفها وصفاً ينم عن حس مرهفٍ وقدرةٍ على توظيف الكلمات لتنقل الصورة بأدق تفاصيلها، وهو يزين صورته بالتشخيص والطباق، ويجمع بين الوصف الحسي والمعنوي، في تقابلات تثري لوحته بالحركة وتبث فيها الحياة، فالروض الضاحك يقابل السحاب الباكي، ويزيد الصورة جمالاً عندما يضفي عليها المشاعر الإنسانية، فالشمس غادةٌ تحتجب بالسحب، والغصون تتثنى سكارى، والغمام ساقيها، والورقُ قيان تشدو بأعذب الألحان، وهذا إبراز للجانب الصوتي، فروضته تمتع عين الرائي، وتطرب الأذن بألحانها، ويستخدم الشاعر الألفاظ الحربية في تشبيهاته، فالماء كالصارم المرهف، والغصون رماح، والشعراء استمدوا ألفاظهم ومعانيهم من الواقع المشاهد حولهم، واستقوها من مظاهر الطبيعة أو من الأدوات التي يستخدمونها، أو من المعجم الغزلي، أما الأقاحي فهي ثغور

---

(1) سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، 402/7.

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور في منازل السرور**، 141/1.

(3) الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر في العصر المملوكي**، 204.

مبتسمة، والمطر دموع منهمرةٌ من عيون الغمام، والنسيم رقيقٌ عليلٌ، لـم يـذق طعـم فرقـة الأحباب، يقول:

[الخفيف]

ضحِكَ الرَّوضُ مِنْ بُكاءِ السَّحابِ ... وتوارَتْ شمْسُ الضُّحَى بالحِجابِ
وتثنَّـتْ هِيَـفُ الغُـصونِ سُـكارَى ... مُـذْ أدارَ الغَمـامُ كـأْسَ الـشَّرابِ
وشَــدَتْ وُرْقُهــا فكانَــتْ قِيانــاً ... آتَيــاتٍ مِــنْ لحْنِهــا بالــصَّوابِ
وَجَرَى الماءُ فِي الغَديرِ فَحاكَى ... صــارِماً مُرْهَفــاً بغَيْــرِ قِــرابِ
قوَّمَـتْ نَحـوَهُ الغُـصونَ رِماحــاً ... فكَــساهُ النَّــسيمُ دِرْعَ حُبــابِ
وثُغــورُ الأقــاحِ ذاتُ ابتِــسامٍ ... وعُيــونُ الغَمــامِ ذاتُ انــسِكابِ
حبَّــذا منْظَــرٌ تَعَجَّــبَ فِيــهِ ... نـاظِرِي فِي الهَوَى أنَّى عُجابِ(1)
لِغَــديرٍ مُسْلْــسَلِ المــاء صَــبٍّ ... وَهْـوَ خَلْـوٌ مِـنْ لَوْعَـةٍ واكْتِئـابِ
ونَــسِيمٌ أضْــحَى علِــيلاً رَقِيقــاً ... لـمْ يَـذُقْ طعْـمَ فُرْقَـةِ الأحْبـابِ(2)

ووصف ابن الزين لبيكُم روضةً، بدا كل شيء فيها فَرِحاً، وما فرحها إلا إسقاطٌ من نفس الشاعر عليها وتوحده معها، فهي تغني وترقص وكأن حفلةً موسيقيةً تقدم في أحضانها، فـالطير قيان تغني، والريح تشبب، وراحة النهر تصفق، والطير يطرب والقُمري يزعق، والماء خـادم، ولم ينس الشاعر أن يعطر هذا الجو كله بروائح الآس والرياحين، ويلاحظ أن الـشاعر أبـرز عنصر الأصوات وجعله جزءاً أساسياً في الصورة، يقول:

[الطويل]

سَقى اللّـهُ دوْحـاً كلَّلَتْـهُ يدُ القَطْرِ ... عُقوداً لفَرطِ الحُسْنِ تزْهُو عَلـى
أتيْــتُ لَــهُ كيْمــا أُنــزِّهَ نــاظِرِي ... فَجَـلا هُمـومِي بالمَحاسِـنِ عـنِّ
ومالَــتْ بِــهِ الأغْـصانُ نَحْـوِي ... وألْقَـتْ عَلـى رَأسِـي نَثـاراً مِـنَ
ومَـدَّتْ لأقْـدامِي نبـاتَ شـقَّائِقٍ ... وآسٍ ورَيْحـانٍ تَـضَوَّعَ بالنَّـشْرِ
وشـالَتْ عَلـى رأسِـي الغُـصُونُ ... وماسَتْ بفَرْطِ الحُسْنِ فِي الحُلَلِ
وَغنَّتْ قِيانُ الطَّيرِ والرِّيحُ شبَّبَتْ ... وَقَدْ صفَّقتْ مِنْ فَرْحَةٍ راحةُ النَّهْرِ
وقدْ رُفِعَتْ مِنْ فوْقِ رأسِيَ قُبَّةٌ ... مِنَ النّورِ فِيها الطَّيرُ مِنْ طرَبٍ
وقدْ ظلَّ كالشَّاوِيشِ يزْعَقُ فَرْحَةً ... أمـامِي بـشَجْوٍ مِـنْ فَـصاحَتِهِ

---

(1) الصواب " ناظري في هواه أنى عجاب" حتى يستقيم الوزن.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385-386.

وأصْبَحَ كالسُّلطانِ حَقاً وَحيثُما الـ ـتَفَتُّ رأيْـتَ المـاءَ فِـي خِـدْمَتِي[2]

فالشعراء نظروا إلى الرياض ولم يكتفوا بالتحديق والتفرس فقط، وإنما وصفوا إلى جانب المشهد الخارجي الحالة النفسية والوجدانية التي يعيشها الشاعر ويحس بها[3]، وركـز الـشعراء على عنصر الحركة الذي يبث الحياة في أشعارهم ولوحاتهم، فالحركة والنشاط تبعـث الأنـس والبهجة لاسيما إذا وصفت بها عناصر الطبيعة فبدت كالإنسان تغني وتقرأ وتتـشاجر وتبكـي وتتعاطف، يقول الشاعر أبو الفضل ابن أبي الوفاء في وصف روضةٍ وشحها بكل آيات الجمال، فالماء وافر فيها والظل وارف، والروض رداء جميل حاكته السماء بأمطارها، والحمـائم قـراء والغصون كراس، وأوراق الغصون مصاحف، وبين أشجار الروضة وغراساتها تشاجر، وبـين الطيور تصانفٌ، وبين غصون البان تزاحم:

[الطويل]

ومِـنْ قائِـلٍ والمـاءُ فِـي الـرَّوْضِ مَدِيـدٌ وظِـلُّ الكَـرْمِ فِـي الـرَّوْضِ

زهْــا الــرَّوْضُ حُــسْناً وازْدَهَــى عَلـى الأرْضِ مِـنْ وَشْـي الـسَّماءِ

جَوَامِـعُ لِلَّــذاتِ تَخطُــبُ حُـسْنَهاْ عَلـى أنَّهـا لِلَّهْـوِ أيْـضاً مَقاصِـفُ

حمائِمُهـــا قُرَّاؤُهـــا وَغُـــصُونَها كِراسٌ وأوراقُ الغُصونِ مَصاحِفُ

وبَـيْنَ غِراسَـاتِ الجِنَـانِ تَـشاجُرٌ وبَـيْنَ طُيـورِ الأيْـكِ فِيـهِ تَـصانُفُ

وبَــيْنَ غوادِيـــهِ بُكـــا وتَـــزاحُمٌ وبيْنَ غُصونِ البانِ فِيـهِ تعاطُفُ[4]

والألوان تعطي الصورة جمالاً وتظهر معالمها، لذلك لون الشعراء رياضهم وأزهـارهم وأشجارهم، حتى تخرج اللوحة بديعةً متكاملةً في نقلها للمعنى والصورة بتفاصيلها وألوانها، فابن زقاعة يصف روضاً سقاه سحاب ممطر فغدا معشوشباً بألوانه الزاهية، فالخزام يحاكي حجـارة الفيروز ذات اللون الأزرق والأحمر، وهو يحاكي بلونه الأزرق السماء، والشقيق في لونه كلون الياقوت الأحمر، وهو يتشح بخرزٍ أسودٍ، والنوفر كلون الشاعر إذا مـا رآه، والجلنـار أحمـر اللون، وهو يمزج ألوانه بروائح الياسمين والآس التي فاحت وعطـرت الروضـة، واسـتعار لصوت العندليب صوت قارئ الزبور، فأتت لوحته متكاملةً في ألوانها وأصواتها وجمالها، يقول:

[البسيط]

---

(1)القَرقار: صوت الحمام، ينظر، الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " قرر "، 416.

(2) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 358-359.

(3) ينظر: حاوي، إيليا، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، 13.

(4) حروب، إسماعيل طه محمد، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء (جمع ودراسة وتحقيق)**، رسالة ماجستير، 173.

وزارَكُمْ كُلُّ وَسْمٍ عارِضٌ هَتِنٌ ... يسقِي كُثَيْبَ المُصَلَّى صَوْبَ

حتَّى يُغادِرَهُ مُعْشوْشِباً عَبِقاً ... كَأَنَّ رَضْوانَ وافاهُ بِروْضَتِهِ

فيهِ مِن الزَّهرِ والنَّوَّارِ ما عَجِزَتْ ... قَرائِحُ البُلَغا عَنْ وَصْفِ جُمْلَتِهِ

ومِنْ خُزامٍ حَكى فَيْرُوزُهُ قَرَنا ... نَحوَ السَّماءِ فَحاكاها بِزُرْقَتِهِ

ومِنْ شَقِيقٍ كَياقوتٍ بِهِ سَبَجٌ[1] ... أوْخالُهُ خالُ مَنْ أهْوَى بِوَجْنَتِهِ

وسَوْسَنٍ[2] فِيهِ تشْبيهٌ بعارِضِهِ ... ونَوْفَرٍ مِثْلِ لوْنِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ

وأقْحُوانٍ كَشِبْهِ الثَّغرِ مُنْتَظِمٍ ... وَخَيْزُرانٍ وَبانٍ مِثْلِ قامَتِهِ

وجُلُنَّارٍ أرى أكوازَهُ سُبِغَتْ ... مِنْ وَرْدِ وجْنَتِهِ الحَمْرا وحُمْرَتِهِ

وياسَمِينٍ وَآسٍ فاحَ نَشْرُهُما ... كَالمَنْدَلِ الرَّطْبِ أوْ مِعْطارِ نَكْهَتِهِ

وعَنْدلِيبٍ عَلى الأغْصانِ مُنْفَرِدٍ ... إذا شَدا سَحَراً أصْبو لِنَغْمَتِهِ

يتلو زَبورَ الهَوى طَرِبًا ويُنْشِدُ ... صَبْراً على بَيْنِ مَنْ أهْوَى ...[3]

ويأنس الشهاب الحجازي بروضةٍ نديةٍ، نسيمها مشبب وحمائمها تشدو، وغمامها يسقيها، فيصف أزهارها ويسمها بالأعداء، يقول:

[الكامل]

يا ليْلَةً غَرَّاءَ قَدْ جَمَعَتْ لَنا ... شَمْلاً عَلَيَّ بِها الزَّمانُ تَصَدَّقا

فِي رَوْضَةٍ فِيها النَّسِيمُ مُشَبِّبٌ ... وَالوُرْقُ تَشْدو وَالغَمامُ لَنا سَقا

عِنْدَ الصَّباحِ رَأَيْتُ نَمَّاماً بَدا ... مَعَ حُمْرَةٍ فِي الرَّوْضِ قلتُ هِيَ

وَمُراقِباً مِنْ نَرْجِسٍ قَدْ راعَنِي ... وَمِنَ البَنَفْسَجِ لِي عَدُوّاً أزْرَقا[4]

ونوع الشعراء صورهم ومعانيهم في وصف الرياض، ولم يغفلوا في كثيرٍ من أشعارهم ذكر السماء وفضلها في سقياها وتدبيجها، فأبو الفضل ابن أبي الوفاء يستعير للروض صورة الثوب المصنوع من الخز وقد صنعته الغمائم بأمطارها ، يقول:

[الطويل]

---

(1) السبج: كلمة معربة ومعناها الخرز الأسود، ينظر: ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "سبج"، 294/2.

(2) السوسن، نبت أعجمي معرب، أجناسه كثيرة أطيبه الأبيض، ينظر ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "سوسن"، 229/3.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 144- 145، والشطر الأول من البيت الأخير مكسور.

(4) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 80.

زَهــا الــرَّوْضُ حُــسْناً وازْدَهَــى عَلَـى الأرْضِ مِـنْ وَشْـي الـسَّماءِ

ويجعل صدر الدين الآدمي الروض وقد أقبل بأزهاره فتاةً حسناء تختال بلباسها الجميل، يقول:

[السريع]

والــرَّوْضُ قــدْ وَافــا بأزْهــارهِ يَتِيــهُ فِــي زاهٍ مِــنَ المَلْــبَسِ

كأنَّمــا الأغْــصانُ غِيــدٌ وَقــدْ لَبِــسْنَ ألوانــاً مِــنَ الأطْلَــسِ(2)

وشبه أبو الفضل ابن أبي الوفاء الروضة لجمالها وحسنها بالجنة، يقول:

[الرمل]

وكــأنَّ الــرَّوْضَ جنــاتٌ وَقــدْ زُخْرِفـتْ والـوَرْدُ فِيهـا كَالـدَّهانِ

وكــأنَّ الطَّيْــرَ لمَّــا أنْ شَــدَتْ فِي رُبا الرَّوْضِ مَغانٍ فِي مَغانِ(3)

ويصور الشّهاب المنْصوري ألوان روضه بالأثواب الملونة، يقول:

[البسيط]

لمَّا اكْتَسَى الرَّوْضُ أثواباً مُلوَّنَـةً تَمايَلَ الـوَرْدُ فِي أثوابـهِ الحُمْرِ(4)

ويراه محمد الأزهري بساطاً أخضراً، يقول:

[الكامل]

لِلَّــهِ بُــستانٌ بَــدِيعٌ حُــسْنُهُ قـدْ ضَـمَّ شَـمْلي بالَّـذِي أهْـواهْ

مـازالَ يَفْـرِشُ لِـي بساطاً أخضراً فَرَعَــى اللَّــهُ رياضَــهُ وَكَــلاهْ(5)

ويظهر الروض كخد الفتاة الحسناء في بيت الشهاب المنْصوري، يقول: [الرجز]

زهــا كَخَــدِّ الخَــوْدِ رَوْضٌ أُنُــفٌ وأدْمُــعُ الطَّــلِّ عَلَيْــهِ تَكِــفُ(6)

ويستعير الشاعر عِز الدين الموصِلي لروضته وأزهارهـا صـورة الـسماء البديعـة ونجومها، فنجوم السماء تحسد الروض وأزهاره، يقول:

[الطويل]

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعرأبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(2) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 56.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**،191-192.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.

(5) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 101/3.

(6) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة**، 169/1.

ورَوضٍ بِنُجْمِ الزَّهْرِ أصبَحَ مُعْجَباً   فَتَحْسُدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الأنْجُمُ الزُّهْرُ
مُذْ أرْجَفَ الماءَ النَّسيمُ تَدَرَّعَتْ   مُزَرَّدَةَ الأثْوابِ مِنْ خَوْفِها الغُدْرُ
فَلِلـرَّوْضِ تـدْبيجٌ بـألوانِ زَهْـرِهِ   وَلِلغُـصْنِ مِـنْ أوْراقِـهِ الحُلَـلُ الخُضْرُ[1]

وفي مثل هذا المعنى، يشبه ابن مليكٍ الحموي الروضة بالسماء ونُوارها بالكواكب، يقول:

[البسيط]

وأرْضُـها كَـسَماءٍ فِـي نَـضارَتِها   وَنوْرُهـا المُـشْرِقُ الزّاهِـي كَواكِبُها[2]

وروضة أبي الفضل ابن أبي الوفاء بألوانها الغنية تحاكي أذناب الطواويس في جمالها وروعتها، يقول:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ نَشَرَتْ مِنْ حُلِيها حُلَلاً   مُـدَنَّرَاتٍ كَأذنـابِ الطّـواويسِ
عايَنْـتُ رَنَّـةَ دُولابٍ وسَـبْحَتَهُ   قدْ أبْدَيا حُسْنَ تَسْبيحٍ وَتقدِيسِ[3]

ووصف الشعراء أغصان الرياض وأوراقها ونسيمها وأنهارها وجداولها، فهذه العناصر من المكونات الأساسية لإبراز جمال الرياض، يقول الشهاب المنْصوري مصوراً أغصان الروضة راقصةً طرباً من شدو الورق بألحانها الساحرة، وخالعاً على الشقائق صفة الحسد:

[البسيط]

وروضَـةٍ رقصَتْ أغْصانُها طَرَبـاً   مِنْ شَدْوِ وُرْقٍ عنِ الألْحانِ تُغْنِينَـا
شَقِيقُها شـقَّ غيْظاً قلبَ حاسِدِنـا   وحُسنُ مَنثُورِها المَنْظومِ يُلْهِينَـا[4]

وربط الشعراء ذكرهم للرياض بوصف المطر، فهو صاحب الفضل في صنع ديباجتها وتطريزها بالخضرة والحمرة والصفرة، كما أنهم وصفوا أطيارها وأنهارها وثمارها، يقول ابن زقاعة متحدثا عن أثر المطر على الحدائق وبث الحياة فيها، وقد بدت أطيارها مترنمة، أو كخطباء على المنابر، وأنهارها متدفقة، وأشجارها راقصة، وثمراتها نجوم السماء:

---

(1) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 143/1.

(2) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 420، نقلا عن ديوانه، 51.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 166-167.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 367.

[الكامل]

أحيَا بهـا مَيْت النَّبـاتِ وأزْهـرَتْ ... بحدائِقٍ هِيَ فِي الرِّيـاضِ ببَهْجَـةِ

وترَنَّمَــتْ أطيارُهــا وترقَّــصتْ ... أشــجارُها فكأنَّهــا فِــي جولْــةِ

وتــدفَّقتْ أنهارُهــا وتفتَّحــتْ ... أزهارُهــا وأتــتْ بكُــلِّ بَدِيعَــةِ

فكأنَّمــا الأطيــارُ فِــي دوحاتِهــا ... خُطبــاً أُقِيمَـتْ فِـي مَنـابرِ جُمْعَـةِ

وكأنَّمــا الثَّمـراتُ فِـي أغْـصانِها ... مِثْلُ النُّجومِ مِن السَّماء تمدَّتِ[1]

واعتاد الشعراء دعوة أحبابهم وأصدقائهم إلى المسامرة في الرياض، فالجلوس في هـذه الطبيعة الخلابة لا يشابهه أي مجلس، فكل ما فيها يعجب الأنظار والأسماع، ويعطـر الأنـوف والأنفاس، يقول أحمد بن محمد بن صالح الإِشْلِيمِي، داعياً نديمه إلى زيارة روضـةٍ صـنعتها أمطار الغمام، وبدت طيورها تغني على العود والزهر طرب راقص:

[الرجز]

بــاكِرْ إليهــا يــا نــدِيمي روضَــةً ... قــدْ نمَّقتْهــا أنمُــلُ الغَمــامِ

غنَّــتْ علــى العُــودِ مُطوَّقاتهــا ... فزَهْرُهــا يــرْقصُ بالأكْمــامِ[2]

ويراود النواجي نديمه لحضور مجلس أنسٍ في روضة، ويغريه بشذى الروضة العطرة، وبورودها وباناتها، يقول:

[مخلع البسيط]

هــلْ لــكَ فِــي روْضــةٍ شــذاها ... يهــيمُ فيــهِ الأنــامُ عِــشْقاً

تنظـــر بانــــاً بهــــا وَوَرْداً ... نعِــيشُ فِــي ظِلِّــهِ ونَبْقــى[3]

واستغل الشعراء لحظات الأنس والسعادة التي قضوها بين الريـاض، ودعـوا أنفـسهم وندماءهم إلى شرب الخمرة حتى تكتمل البهجة، ومزج الخمرة بوصف الطبيعة والرياض تقليـد درج عليه الشعراء قديماً، وسار على هذا النهج شعراء العصر المملوكي الثاني، يقـول صـدر الدين الآدمي في وصف روضةٍ وداعياً نديمه إلى أن يسقيه الخمر:

[الرمل]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 355/2.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 320.

سبَّحَ القُمْريُّ في الرَّوْضِ وغرَّدْ فحَسِبْنا أنَّ فِي الرَّوضَةِ مَعْبَدْ

والنَّدى فاضَ على زهْرِ الرَّبا فسَرَتْ بيْن النَّدامى نفْحَةُ النَّدْ

إنَّما الزَّهرُ ثُغورٌ فُتِّحَتْ باسِماتٌ تجْمعُ المُزْنَ وتَحْمَدْ

فاسقِني القهوَةَ حتَّى انْثنِي مِثلَ غُصنِ البانِ إذْ يتأوَّدْ[1]

ويدعو ابن خَطِيب داريا إلى شرب الخمر على نشر الورود والنرجس، يقول:

[السريع]

هاتِ اسقِني الصَّهْباء يا مُؤنِسِي قدْ فاحَ نشْرُ الورْدِ والنَّرْجِسِ[2]

وإلى جانب ذكر الخمر تطرق الشعراء إلى الغزل ومزجوه أيضا بوصفهم للرياض والطبيعة، فروضة ابن حجر العسقَلانِي تغار من محبوبته والأزهار تحمر خدودها خجلاً، والنرجس غاضب، يقول:

[الطويل]

ولمْ أنسَ إذْ مرَّ الحَبيبُ بروْضَةٍ فغارَتْ مِنَ المَعشوق أعيُنُها

ولاحَتْ بخدِّ الورْدِ حُمْرَةُ خَجْلَةٍ نَعَمْ ورَأيْنا طرْفَ نَرْجِسِهِ غضًّا[3]

و الرياض تحاكي وجنتي محبوبة الشهابِ المنْصوري في البهجة والجمال، يقول:

[الوافر]

أُنادِي ذاتَ حُسنٍ وجْنتاها تُحاكِيها الِّرياضُ سَناً وبَهْجَةْ

أمُهْجةُ واصِلِي الصَّبَّ المُعنَّى فما أحدٌ يعيشُ بدونَ مُهْجةْ[4]

ويناجي أبو الفضل ابن أبي الوفاء طيور الروض فتنسيه همومه، فالبهجة تقتل الهموم في نفس صاحبها وتدفنها إذا ما رتع في ذلك الجمال، يقول:

[الطويل]

رعَى اللهُ أيَّاماً أهاج بلابِلِي إليْهِنَّ روضٌ قدْ تناجَتْ بلابِلُهْ

فما راقنِي فِي الماءِ إلا صَفاؤُهُ ولا شاقني فِي الغُصْنِ إلاَّ تمايُلُهْ

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين ، **المنهل الصافي**، 201/8.

(2) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 168.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 299.

(4) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 83.

كـأنَّ بـهِ القِمـريُّ صبٌّ لـهُ الـصَّبا رسُولٌ وأوراقُ الغصونِ رَسائِلُهْ

مَـصارفُ همِّـي فِـي مُناجـاةِ طيْـرِ إذا أنفذَتْ لِي ما حَوَتْهُ حَواصِلُهْ[1]

والشعراء لم يتركوا صورةً أنيقةً أو صفةً جميلةً إلا منحوها لحدائقهم، ولم يدعوا سمةً بديعةً أو زينةً لفظيةً إلا خلعوها في براعةٍ وألبسوها جناتهم، فتزاحمت الصور والتشبيهات، وتراصت الجزيئات من أغصانٍ وأنوارٍ وحمائم ومياهٍ ورياحٍ وأنداءٍ ونسائم، لتتشكل أمام القارئ حديقةٌ غناء، وروضةً فيحاء، راقصةً طروب[2].

وعبر الشعراء عن حبهم للرياض وتلهفهم لزيارتها والتنعم في مرابعها، فالنواجي يعلن لهفته لروضٍ تكسرت أمواهه على ضفافه، فأصبح النسيم عليلاً في رباه، لذلك لا بد من زيارته والاطمئنان عليه، يقول:

[الطويل]

ولَهْفِـي لِـروْضٍ قـدْ تكـسَّرَ مـاؤُهُ فَجَدْوَلُـــهُ صَـــبٌّ بِـــهِ وَغَـــدِيرُهُ

فأمسى نـسيمُ الرَّوضِ فِـي فُرُشِـهِ عِلِـيلاً فقُـمْ نـسْعَى لَـهُ ونَـزورُهُ[3]

ويدعو أصحابه لزيارة بستانٍ والتنعم بأكل ثمار النخل والزبيب والتوت:

[مخلع البسيط]

بـــاللهِ يـــا صـــاحِ قُـــمْ وَبـــاكِرْ بُـــستانَ لهْـــوٍ حَـــوَى نُعوتـــا

تـــشبَعُ نخْـــلاً بـــهِ وكرْمـــاً مُزَبَّبـــاً يانِعـــاً وتُوتَـــا[4]

ويتشوق ابن حجة الحموي إلى موطنه حماة التي اكتوى بنار البعد عنها، فيصف رياضها ويتشوق لروابيها وشعاب جبالها وأراكها وزهورها وغيومها وأندائها، يقول:

[الكامل]

بـــاللهِ إنْ رنَّحْـــتَ ذيْلَـــكَ بـــالحِمَى وَوَرَدْتَ شِعْباً مِنْ دُموعِي مُعْشِبَا

وهَـزَزْتَ فِيـــهِ كُـلَّ عـودِ أراكَـةٍ أضْـحَى بهاتِيـكَ الثُّغـورِ مُطَيَّبَـا

ولَثمتَ مِنْ زَهْرِ الأقـاحِي مبْسِماً أبْـدى بِـدُرِّ الطَّـلِّ ثغْـراً أشْـنَبَا

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 182.

(2) ينظر: منصور، حمدي، **الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين**، 76.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 320.

(4) **نفسه**، 320.

ودَخلْـتَ كـلَّ خِبـاءِ زَهْـرٍ قـدْ غَـدا بِــدُموعِ أجْفــانِ الغَمــامِ مُطَنَّبَــا

عُـجْ بالعُـذَيْبِ فـإنَّ مَحْجَـرَ عَيْنِـهِ أمــسى لِمــا حُمِّلْتَــهُ مُتَرقِّبَــا[1]

وفي نهاية الحديث عن موضوع الرياض يلاحظ أن الشعراء قد أكثروا من وصفها الأمر الذي يعكس تأثرهم بها وحبهم لها، كما يعكس سخاء الطبيعة وجمالها وتسخيرها لمتعة الإنسان وسعادته[2].

ثالثاً: النباتات

"ساعد اعتدال المناخ في مصر والشام على انتشار الأشجار والنباتات والأزهار في مختلف أرجائها، كما أن تنوع بيئتها من سهولٍ وجبالٍ وصحراء، أسهم في تنوع نباتها وشجرها"[3]، "ففيها أثلات الصحراء التي تغنى بها الشعراء منذ القدم، وأشجار التفاح في المناطق المرتفعة الباردة، والموز في المناطق الغورية الحارة، والأزهار متناثرة في السهول والجبال والصحاري"[4].

ولتنوع هذه البيئة وغناها بالنباتات والأشجار والأزهار، أكثر شعراء العصر المملوكي الثاني من وصف هذه الطبيعة وتسجيلها في أشعارهم مما عكس حضورها الواضح في أذهانهم وتعايشهم معها وتأثيرها في نفوسهم وعقولهم، ولا أبالغ إذا قلت إن هذا الموضوع في وصف الطبيعة إلى جانب وصف الرياض احتل مساحةً كبيرةً من شعر الشعراء، فقد حوت دواوين الشعراء والمصنفات الأدبية أشعاراً كثيرةً، صاغوها على شكل قصائد طويلة، أو بشكل مقطوعاتٍ كان هدفها تصوير موقفٍ خاطفٍ والحديث عنه دون التعرض لجزيئاته وتفاصيله الكاملة، وسأبدأ حديثه هنا بالأشجار التي تناولها الشعراء بكثرة.

أولاً: الأشجار

وصف شعراء هذا العصر الأشجار، ولا عجب في ذلك، فهي مكون أساسي وجزء مهم من مكونات الطبيعة في كل إقليمٍ وقطرٍ، فأشجار البلاد الصحراوية تختلف عن أشجار المناطق الغورية والجبلية أو الساحلية، وتعرض الشعراء إلى الأشجار وجمالها وظلالها وثمارهم الشهية، وخلعوا عليها كثيراً المشاعر الإنسانية والأوصاف الحسية والمعنوية، ورسموا لها صوراً لا تخلو من الجمال، وكانت صورهم في كثيرٍ من الأحيان تقليديةً صاغوها في قوالب جديدةٍ فجاءت

---

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 66.

(2) ينظر: توفيق، زكريا، **دراسات في أدب مصر الإسلامية**، 111.

(3) النجادي، موسى، **وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول**، 47.

(4) أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في شعر مصر والشام من القر الخامس حتى نهاية الدولة الأيوبية**، 122.

جميلةً طريفة تدل على قدرة الشعر في تلك الفترة على التواصـل والتجديـد والتقليـد لحقـب السابقين.

أ- الأشجار المثمرة

وصف الشعراء الأشجار المثمرة التي تزين بيئتهم، وأسـقطوا مـشاعرهم وأحاسيـسهم عليها، وجاؤوا بصورٍ آسرةٍ خالبةٍ لا تقل جمالاً عن سابقيهم من الشعراء في العصور المختلفة، وسأبين ذلك من خلال الصفحات التالية:

1 - الأترج

وصف علي بن محمد المعروف بابن الحمصي الدمشقي الأترج ولونه، وعبر عن حبـه له فهو أصفر اللون يبث الشوق للرائي وتومئ أصابعه له بالقدوم والتمتع، يقول:

[الوافر]

وأتْــرُجٌّ مِــنَ البُــسْتانِ وافــى بهَيْئَتِــــهِ إشـــــاراتٌ وَفَهْـــــمُ

فَــصُفْرَتُهُ تَبُـــثٌّ إليْـــكَ شَـــوْقاً وَتُــومِي بالأصـــابعِ أنْ هَلُمُّــوا[1]

2- الأجاص

على الرغم من انتشار أشجار الأجاص في البيئة الشامية إلا أن وصفها جاء قليلاً أيضا، ووجدت مقطوعةً واحدةً لأبي البقاء البدري يشبه فيها ثمار الأجاص في شكلها بكـرات الفـضة ورائحتها برائحة العنبر، يقول:

[مجزوء الرجز]

يـــا حُـــسْنَ أجـــاصٍ أتَـــى يحْكِـــي لِعَـــيْنِ المُبْـــصِرِ

أكُـــراً بَـــدَتْ مِـــنْ فِـــضَّةٍ قـــدْ ضُــــمِّخَتْ بعَنْبَـــرِ[2]

3- التفاح:

جاء ذكر التفاح قليلاً في شعر هذا العصر، فابن زقاعة يمزج وصفه للتفـاح والخـوخ بالغزل ويشبههما بخد المحبوبة الذي يحاكي لونها الأحمر:

[الكامل]

والخــوخُ والتُّفــاحُ خَــدٌّ مَليحَــةٍ كَمُلَـتْ بــهِ يـا صـاحِبي تَـشْبيهَةِ[1]

---

(1) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود**، 457/2.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام** ، 126.

ويصور التفاح على الأغصان بخدود الحسان المخضبة بلون العنّاب الأحمر للتشابه بينهما في اللون، يقول:

[الخفيف]

أوخُدودُ التُّفّاحِ مِنْ تَقُّوحِ خَضَّبَتْها أنامِلُ العُنَّابِ[2]

و تشبيه خدود الملاح بالتفاح قديم عند السابقين بسبب المشابهة والمماثلة في الحمرة بين الخد والتفاح الأحمر، ويجمع ابن خطيب داريا بين التفاح الذي يحاكي الخدود والنهود التي يصفها بالرمان، يقول:

[البسيط]

وَحَبَّذا غُصْنُ تُفَّاحِ الخُدودِ وَرُمْـ مَانُ النُّهودِ عَلى الأغْصانِ مِنْ[3]

ويدعو ابن حجة المحب إلى تذوق فاكهة تفاح الوجنات من المحبوب، يقول:

[الكامل]

تُفّاحُهُ الشَّامِيُّ فِي وَجَناتِهِ كَمْ قالَ يا عَيْنَ المُحِبِّ تَفَكَّهي[4]

4- التين

شبه أبو البقاء البدري أوعية المسك بالتين المترائي في الظلمة، يقول:

[مجزوء الرجز]

نَوافجُ [5] المِسْكِ حَكَى تِيناً تَراهُ فِي الغَلَسْ[6]

5- الخوخ:

"من محاسن الشام الدراقن وهو أصنافٌ بدمشق ويسمى في القاهرة الخوخ"[7] ولم أجد إلا بيتاً واحداً ذكرته من قبل في الخوخ وهو قول ابن زقاعة:

[الكامل]

والخَوْخُ والتُّفَّاحُ خدُّ مَليحَةٍ كَمُلَتْ بهِ يا صاحِبي تَشْبيهَةِ[1]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 193.

(2) **نفسه**، 114.

(3) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 29.

(4) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 49.

(5) النوافج: أوعية المسك، معربة، ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "نفج"، 190.

(6) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 158.

(7) **نفسه**، 124.

6- الرمان

أكثر الشعراء من وصف زهر الرمان عندما يعقد على الأشجار لجماله، فـابن زقاعـة يمازج بين الجلنار وأعراف الديوك لحمرتها، ويشبه عصارته بدموع المحبين، يقول:

[البسيط]

والجُلُّنَـارُ كَـأعْرافِ الـدُّيُوكِ وَقَـدْ   تحْكِـي عُـصارَتُهُ دَمْـعَ المُحِبِّينَـا[2]

ويشبهه في بيتٍ آخر بالفوانيس التي تعلق على الأسوار، يقول:

[الكامل]

والجُلُّنَـــارُ أتـــاهُمُو بِفَـــوانِسٍ   حُمْـرٍ مُـشَرَّقَةٍ كَمِثْـلِ القَلْعَــةِ[3]

وهي على أغصانها تشبه قطع المرجان فوق زبرجد، يقول علي بن محمـد بـن عبـد الرحمن المعروف بابن العبي الحلبي:

[الكامل]

انْظُرْ إلى الرَّوْضِ البَدِيعِ وَحُسْنِهِ   والزَّهْـرُ بَـيْنَ مُـنَظَّمٍ وَمُنَـضَّدِ

والجُلُّنَـارُ عَلَـى الغُـصُونِ كَأنَّـهُ   قِطَعٌ مِنَ المَرْجانِ فَوْقَ زَبَرْجَدِ[4]

ويعبر عبد ا بن أحمد التونسي – نزيل القاهرة – عن حبه للرمان، فيستعير لأوراقـه صورةً رثائيةً عندما يجعلها تمزق أثوابها حزناً على فراقه، وما حزنها إلا عواطـف الـشاعر، يقول:

[الكامل]

عَجَبًـا مِـنَ الرُّمَّـانِ عِنْـدَ قطافِـهِ   تُكْسَى رِياضُ الدَّوْحِ مِنْ أوْرَاقِهِ

فكأنَّمـــا أوْراقُـــهُ مِـــنْ حُزْنِهـــا   قَــدْ مَزَّقَــتْ أثوابَهــا بِفِراقِــهِ[5]

ومن المعاني التي كررت كثيراً عند الشعراء تشبيه الرمان في شكله بنهود النساء، وفي حمرته بخدودهن:

[الكامل]

وكَـذَلِكَ الرُّمَّـانُ يُـشْبِهُ نَهْـدَهَا   وَالتُّـوتُ فِـي آذانِهـا كَالحِلْيَـةِ[6]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 193.

(2) **نفسه** ، 103.

(3) **نفسه**، 198.

(4) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 161/8، والمقريزي، تقي الدين، **درر العقود**، 454/2.

(5) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود**، 354/2.

(6) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 193.

ويقول:

[البسيط]

وجُلُنَّـــارٍ أرَى أكْـــوازَهُ سُـــبِغَتْ   مِنْ وَرْدٍ وَجْنَتِهِ الحَمْرَا وَحُمْرَتِهِ[1]

ولون الجلنار يشبه لون الذهب والياقوت، تحمله أغصان من زمرد، يقول ابـن خَطِيـب داريا:

[السريع]

وجُلُنَّـــــارٌ تِبْـــــرُ أوراقِـــــهِ   صَـــيَر طَرْفِـــي فِيـــهِ مَبْهُوتَـــا
كَأنَّمـــــا أغْـــــصانُهُ تَحْتَـــــهُ   زُمُـــــرُّدٌ يَحْمِـــــلُ ياقُوتَـــــا[2]

ويلاحظ أنه كان للمرئيات وما فيها من ألوانٍ متجانسةٍ أو متضادةٍ نصيب كبير من أوصاف هذا العصر، فقد احتلت مكاناً واسعاً في أوصافهم وخاصةً وصف الأثمار[3].

7- الزيتون

وصف ابن زقاعة الزيتون والتين في بيت، فبدا الزيتون في شكله الأخـضر كأحجـار الزبرجد، أما التين فهو يشبه ثمر الجنة، في تواصلٍ من الشاعر مع القرآن الكريم، ويلاحـظ أن الشاعر لم يتعمق في الوصف فلم يتحدث عن الطعم أو الاستعمال وخاصة للزيتون مع العلـم أن ابن زقاعة كان يسكن مدينة الخليل التي يكثر فيها الزيتون، يقول:

[الكامل]

وَكَــذَلِكَ الزَّيْتــونُ مِثْــلُ زَبَرْجَــدٍ   وَالتِّــينُ يَحْكِــي فاكِهــاتِ الجنَّــةِ[4]

8- السَّفَرْجَلْ

لم أظفر سوى بمقطوعةٍ واحدةٍ في وصف السفرجل، ركز فيها الشاعر على إبراز لونـه وشكله، فشكله من الخارج يحاكي لون الحرير الأصفر، أما شكله فدائري، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وسَـــفَرْجَلٌ لمَّـــا أتَـــى مُتَجعِّـــدًا   شَـــبَّهْتُهُ فِـــي الوَصْـــفِ وَالكَيْفِيَّـــةِ

---

(1) نفسه، 145.

(2) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 115.

(3) ينظر: الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً و ناقداً** ، 134.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 194، مضمن من قوله تعالى ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، **سورة الطور**، آية 1.

بمُـــدَوَّراتٍ مِـــنْ حَريـــرٍ أصْـــفَرٍ جَمَعَـتْ سـافِلَها كَمِثْـلِ الـصُّفْرَةِ[1]

9- العنب:

صور ابن زقاعة العنب، فوصف أشجاره التي تشبه المعرشات وشبهها بخيام الـسندس الخضراء المنصوبة، أما قطوف العنب الناضجة فهي تحاكي القناديل إذا تدلت من أغصانها، ولم ينس الشاعر ألوان العنب المختلفة، فالعنب الأحمر كالعقيق، أما الأبيض فلؤْلؤٌ مصفوفٌ، ويرسم لهذه المعرشات في البيت الرابع صورة الإنسان المشفق على أخيه الإنسان، فالوصف جاء حسياً ركز فيه على شكل شجرة العنب وثمرها، يقول:

[الكامل]

ومُعَرَّشَــاتُ الكَـرْمِ تحْـسَبُ أنَّهـا مِثْـلُ الخِيـامِ الـسُّنْدُسِ المَنْـصوبَةِ
وقُطوفُهـــا تحْكِـــي قنـــادِيلاً إذا أرْخَـــتْ عَناقِـــدَها ثُـــمَّ تَـــدَلَّتِ
مِـنْ أحْمَـرٍ مِثْـلِ العَقِيـقِ حَـسِبْتَهُ أوْ أبْـيَضٍ مِثْـلِ اللآلِـئِ صُـفَّتِ
باَتْــت تَمُــدُّ أكُفَّهــا نَحْـوَ الـسَّما تَـدْعُو لِعاصِـي رَبِّهـا بالتَّوْبَـةِ[2]

ويشبهها مع الزيتون بالعروش، يقول:

[الخفيف]

وخِـلالُ الرِّيـاضِ نَـصْبُ عُـروشٍ وَعُـروشُ الزَّيْتُـونِ وَالأعْنـابِ[3]

وعناقيد العنب المتدلية على أشجارها تحاكي حباتها اللآلئ، وإذا عصرت خمـراً كانـت دواء، يقول ابن حجة الحموي:

[الوافر]

عَناقِيـــدٌ عَلَـــى قُـــضْبٍ تَـــدَلَّتْ حَكَـــى مَنْظُومُهـــا عَقْـــدَ اللآلِـــي
إذا عُصِرَتْ تَرَى فِي الكَأسِ مِنْها دَواءً قَــدْ تَرَكَّــبَ مِــنْ دَوالِــي[4]

ويرى ابن سودون في عروش العنب وهي تحمل ثمارها صورة سماءٍ تناثرت الثريا في أرجائها، يقول:

[البسيط]

---

(1) **نفسه**، 194.

(2) **نفسه**، 194.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 115.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 137. الأبيات غير موجودة في ديوانه.

إذا العناقِيدُ لاحَتْ فِيـهِ صـارَ بهـا يَحْكِـي سَـماءً بَـدَتْ فِيـهِ ثُرَيَّـاتُ[1]

وارتبط ذكر العنب عند بعض الشعراء بالحديث عن الخمر الذي يصنع منه، فبدر الدين ابن الصاحِب يدعو إلى عصر العناقيد الفاخرة خوفاً من تعرضها للتلاف وتحولها إلـى زبيـب، يقول:

[السريع]

يـا أيُّهـا العاصِـرُ بـادِرْ إلَـى عُنْقـودِكَ الفـاخِرِ فِـي كَرْمِـهِ
إيَّـاكَ أنْ تَتْرُكَـهُ سـاعَةً يُزَبِّـبُ الـنَّحْسَ عَلَـى أُمِّـهِ[2]

ووصف البرهان البهنَسِي العنب من خلال إلغازه فيه، فصور ألوانه البيضاء والحمراء، وشبهه بعقود الجمان، وذكر استخداماته، فهو قد يصنع خمراً أو يشرب عصيراً أو يؤكل حبـاً، وهو يكثر في الشام ويقل في مصر:

[الخفيف]

ذُو بَيـاضٍ وَحُمْـرَةٍ وَكَـذا لِـي فَرَحاً مِنْ راحٍ سَرَتْ فِي المَفاصِلْ
وَتَـراهُ يبْـدو عُقـودَ جُمـانٍ[3] مَـا لَهـا غَيْـرُ ثَغْـرِ حِبِّـي مُماثِـلْ
وَتَـراهُ طَـوْراً سُـلافَةَ راحٍ وَلِـدُرِّ الحُبـابِ فِيهـا حَواصِـلْ
وَعَلَـى عُـودِهِ يُغَنِّـي عَلَيْنـا أعْجَمِـيٌّ بِـهِ تَهِـيجُ البَلابِـلْ
لَـكَ مِنْـهُ فَواكِـهٌ وَشَـرابٌ كُـلُّ عَـصْرٍ إلَيْـكَ تَلْقـاهُ واصِـلْ
وحَلاواتُـهُ بِهـا كُـلُّ قَلْـبٍ كَـسَرورِهُ وَالقَلْـبُ لِلكَـسْرِ حامِـلْ
وَصْـلُهُ فِـي مِـصْرَ قَلِيـلٌ وَلَكِـنْ هُـوَ بالـشَّامِ لا يَـزالُ مُواصِـلْ[4]

فالشاعر في لغزه يرسم صفات العنب التي تدركها حواس البصر والسمع والذوق ليتمكن المتلقي من حل اللغز.

10 - العُنّاب

العناب ثمر يكون في قمع، وقد شبه ابن زقاعة لونه الأحمر بلون الخِضاب، يقول:

[الكامل]

وكَـذلِكَ العُنَّـابُ فِـي تَقْمِيعِـهِ شَـبَّهْتُهُ بأنامِـلٍ مَخْـضوبَةٍ[1]

---

(1) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 197.

(2) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 261.

(3) الجمان، هنوات تتخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "جمن"، 92/13.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 138-139.

ويشبه علي بن أيبك العناب بأقرص الياقوت الحمراء، وبالعنم[2]، يقول:

[السريع]

كأنَّمـــا العُنَّـــابُ فِـــي دَوْحِـــهِ لمَّـــا تَنـــاهَى حُـــسْنُهُ وابْتَـــسَمْ
أقْـــراصُ يـــاقوتٍ تَبَـــدَّتْ لَنـــا وَأنْمُـــلٌ قَـــدْ قُمِّعَـــتْ بِـــالعَنَمْ[3]

11 - الفستق

من الأشجار المثمرة التي وصفها الشعراء الفستق، فابن زقاعة رأى الفـستق الـشامي بقشرته الجميلة كلابس حلةٍ تشبه طلع النخيل، يقول:

[الكامل]

والفُـسْتُقُ الـشَّامِي كَلابِـسِ حُلَّـةٍ مِـنْ طَلْـعِ أكـوارِ النَّخِيـلِ ظَرِيفَـةٍ[4]

ويسقط ابن خطيب داريا سروره على الفستق، فيجعله مسروراً مثله، ولفرط سـروره، يكاد يخرج من قشوره، يقول:

[الرجز]

أمـا تَـرَى الفُـسْتُقَ مِـنْ سُـرورِهِ قَـدْ كـادَ أنْ يَخْـرُجَ مِـنْ قُشُورِهِ[5]

12- القراصيا

شجرةٌ أغصانها سبطةٌ تشوبها حمرة ورقها أطول من ورق المـشمش وثمرتهـا تـشبه حبـة العنب[6]، وجاء وصفها قليلاً، وقد وصف أبو البقاء البدري ثمرتها على أغـصانها الخـضراء فبدت كالنجم المتلألئ في السماء وقت ظهور الشفق، يقول:

[مجزوء الرجز]

تَحْكِـــي القَراصِـــيا وَقَـــدْ لاحَـــتْ بِعِـــرْقٍ نَـــضِرِ
كَنَجْمَـــــةٍ فِـــــي شَـــــفَقٍ بَـــــدتْ بِـــــذَيْلٍ أخْـــــضَرِ[7]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 192.

(2) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب، ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "عنم"، 1029.

(3) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، 276/2.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 194.

(5) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 122.

(6) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 117.

(7) **نفسه**، 117.

ويصورها في بيتٍ آخر بحبة المرجان المعلقة بخيط أخضر، يقول:

[مجزوء الرجز]

كأنَّمـــــــا القَراصْـــــــيا لمَّـــــا بَـــــدَتْ للنَّظَـــــر

حبَّـــــةُ مَرْجـــــانٍ تُــــرَى فِـــي رَأسِ خَـــيْطٍ أخْـــضَرِ[1]

13- اللوز

تكثر أشجار اللوز في البيئة الشامية، واللوز هو أول ثمار الربيع وأزهاره هـي أولـى الأزهار، وتعرض الشعراء إلى ذكر اللوز ولكن وصفهم لأزهاره يفوق وصفه، وربمـا يرجـع ذلك إلى جمال أزهاره وإلى أنها أيضا تبشر بقدوم الربيع بحلته الخضراء، وإلى كثـرة أشـجار اللوز، و   در الشاعر:

[الطويل]

أهِيمُ بِزَهْرِ اللَّوْزِ مِنْ أجْلِ سَبْقِهِ يُبَـــشِّرُنا أنَّ الرَّبيـــعَ لَقـــادِمٌ

وأعْجَـبُ شـيءٍ مـنْ مَعانِيـهِ أنَّـهُ تُقطَّـعُ أغْـصانٌ لَـهُ وَهْوَ باسِمٌ[2]

ويشبه ابن زقاعة لون اللوز الأخضر المشوب بالغبرة بلون قماش الجـوخ الأخـضر، يقول:

[الكامل]

واللَّوْزُ الأخْضَرُ جاءَ لابِسَ جُبَّةٍ خَـضْراءَ مِـنْ غَبَـرَة، كَمِثْـلِ

ويفضل الشهاب الحِجازي لوز بلاده مصر وجوزها على ثمار الشام، وهو يشفع صورته بالجناس مما أعطى الأبيات إيقاعاً موسيقيا جميلاً، يقول:

[الرجز]

قـالُوا دِمَـشْقُ قـدْ زَهَـتْ لِزَهْرِهَـا فـامْضِ وَشَـاهِدْ جَوْزَهـا وَلَوْزَهَـا

فقُلْـــتُ لا أُبْـــدِلُ بَلْـــدَتِي بِهـــا ولَـسْتُ أرْضَـى زَهْرَهَـا وَلَوْزَهـا[4]

أما أبوبكر الدماميني فيرسم صورةً جميلةً للوز مزجها بوصف الخمر، فـالخمرة التـي تستخلص من عقود العنب تعهدت بنفي الهموم وإزالتها، ويشهد الشاعر ورفاقـه علـى ذلـك،

---

(1) نفسه، 117.

(2) النواجي، شمس الدين، حلبة الكميت، 263.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، ديوانه، 194،الصواب في الشطر الأول " واللوز أخضر جاء لابس جبةٍ " لاستقامة الوزن .

(4) المقّري، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/161-162.

والشاعر يوشح صورته بالتورية في لفظة عاقد التي تعني خروج الثمرة وعقد الـزواج عنـدما يجعل اللوز شاهداً وعاقداً للعهد، يقول:

[الطويل]

لَئِنْ عَقَدَتْ بِنْتُ الكُرومِ عُقودَها عَلَى نَفْيِ حَمْلِ الهَمِّ وَالهَمُّ زائِدُ

فَنَحْنُ شُهودٌ فِي المَقامِ لِعَقْدِها عَلى أوْلِياءِ اللَّهْوِ وَاللَّوْزُ عَاقِدُ[1]

ونقل أبو البقاء البدري بعض المقطوعات الوصفية لزهر اللوز منها مقطوعة للشاعر ابن الخَراط يطابق فيها بين نوارة اللوز الضاحكة وبين المطر الباكي، يقول:

[الطويل]

ورَوْضٌ بِهِ ثَغْرُ الأزاهِرِ باسِمٌ وَطَرْفُ الحَيا مِنْ ضِحْكِ نُوَّارِهِ [2]

ويعبر الشاعر نفسه عن حزنه لانقضاء موسم اللوز و أزهاره، فيجعـل الحمـام نائحـاً والدولاب باكياً على ضياع نشر أزهار اللوز وعبقها، يقول:

[الطويل]

مرَرْتُ عَلى دَوْحٍ يَنوحُ حَمامُهُ وَدُولابُهُ يَبْكِي عَلى شاطِئِ النَّهْرِ

فَقُلْتُ عَلَى ما أنْتَ باكٍ ودائِرُ فقالَ عَلى ما ضَاعَ مِنْ نَشْرِ [3]

ويجمع ابن مليك الحموي إلى جانب ذكر نوارات اللوز وصف الحمائم المغنية والـريح المشببة والأغصان الراقصة، فيظهر الروض في احتفالٍ وعرس، يقول:

[البسيط]

بادِرْ إلى الزَّهْرِ فِي عُرْسٍ فالوُرْقُ غَنَّتْ عَلَى العِيدانِ فِي

والرِّيحُ شَبَّبَ وَالأغْصانُ رَاقِصَةٌ وَالزَّهْرُ تَنْثُرُ أوْرَاقاً مِنَ الوَرَقِ[4]

أما زهر اللوز والندى يكلله فثغر باسم يكشف عن أسنانٍ فيها رقةٌ وعذوبةٌ أو كأس فضةٍ مملوءةٍ ذهباً ومزينةٍ بعقود الدر والحبب، يقول ابن مليك الحموي:

[البسيط]

---

(1) السراحنة، سارة، أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، 79.

(2) نزهة الأنام، 143.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام** ، 143.

(4) **نفسه** ، 144.

كــأنَّ زَهْــرَ الرُّبــا والطَّــلُّ بَلَّلَــهُ   ثَغْرٌ بَدا باسِماً يَفْتَرُّ عَنْ شَنَبِ[1]

أَوْلاَ فَكَــأسُ لُجِــيْنٍ مِلْــؤُهُ ذَهَــبُ   مُكَلَّـلٌ مِـنْ عُقـودِ الـدُّرِّ بِالحَبَـبِ[2]

ويشخص ابن خَطِيب داريا اللوز إنساناً فرحاً مبتسماً، يقول:

[البسيط]

كـأنَّ مُبْـيَضَّ زَهْرِ اللَّـوْزِ ذُو فَـرَحِ   تَــواتَرَتْ مِنْــهُ فِــي الــرَّوْضِ [illegible][3]

هذه هي بعض الأشعار التي ظفرت بها في وصف اللوز، وقد قصر الشعراء عن سابقيهم في وصفه، وجاءت أوصافهم سطحيةً في أغلبها تركز على الشكل الخارجي، وكثير من أشعارهم جاءت تعبر عن مضامين نفوسهم ومشاعرهم أكثر من كونها وصفاً قصد لذاته.

14- الليمون

أُعجِب ابن حِجة الحموي بأشجار الليمون، وشبه روائحها العطرية بروائح الكافور والزعفران، يقول:

[البسيط]

وانْظُـرْ إلَـى شَـجَرِ اللَّيْمـونِ حِـينَ   لمَّـا تَـضَوَّعَ رَيَّاهـا عَلـى الـشَّجَرِ

تَحْكِــي حِقاقــاً مِــنَ الكــافورِ قَــدْ   بِزَعْفَــرانٍ فَراقَــتْ كُلَّمــا بَــصُرَ[4]

ووصف إبراهيم الأنطاكي المعروف بالنصير الحمامي لون الليمون وطعمه، واستعار للونه لون صفرة العاشق الذي أنهكه الوجد، أما طعمه فيشبه طعم هجرانه، يقول:

[السريع]

أهــدْى إلــيَّ الظَّبْــيُ لَيْمونَــةً   لا زِلْــتُ ذا شُــكْرٍ لإِحْــسانِهْ

صُــفْرَتُها تَحْكِـي اصْـفراري بِــهِ   وَطَعْمُهــا مِــنْ طَعْـمِ هِجْرانِــهْ[5]

وفي مقطوعةٍ أخرى له ينقل لنا الشاعر صورةً دقيقةً لشكل الليمون الذي يشبه بيض الدجاج وقد لطخ بالزعفران، يقول:

[السريع]

---

(1) الشنب: ماء ورقة وعذوبة في الأسنان، ينظر الفيروز آبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة "شنب"، 96.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام** ، 145.

(3) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 108.

(4) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360، الأبيات غير موجودة في الديوان.

(5) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 330/2.

لَيْمونُنــا هــذا الــذي قــدْ بَــدا يَأخُــذُ مِـــنْ إشـــراقِهِ بالعَيـــانْ
كأنَّــــهُ بَـــيْضُ دَجـــاجٍ وَقَـــدْ لطَّخَـــهُ العابِـــثُ بِـــالزَّعْفرانْ[1]

15- المشمش

وصف ابن زقاعة شجرة المشمش، فرآها سماء من زبرجد، وثمارها كواكـب معجونـةً بالزعفران، يقول:

[الوافر]

سَــماءُ زَبَرْجَــدٍ[2] نَثَــرَتْ عَلَيْنــا كَواكِـبَ مِـنْ عَجِـينِ الزَّعْفَـرانِ[3]

ويجمع مع ذكره وصف البندق والزعرور، وقد ظهر المشمش معجوناً بالعـصفر وهـو نوع من أنواع التوابل، يقول:

[الكامل]

والبُنْـدُقُ وَالزَّعْـرورُ شِـبْهُ بَنـادِقٍ مَعَ مِشْمِشٍ مِنْ عُصْفُرٍ مَعْجُونَـةِ[4]

ويبرز سراج الدين الفَيومي في صورته لون المشمش الذي أصبح أصفر اللـون كلـون العاشق بعدما كان أخضر كالزمرد، يقول:

[الخفيف]

أنْكَــرَ العاشِــقونَ صُــفْرَةَ لَــونِي بَعْــدَما كُنْــتُ كَــالزُّمُرُّدِ أخْــضَرْ
مــادروا أننــي عــشقت فجــسمي أصفر وقلبي من بعاد قد تكسر[5]

أما علي بن أَيبك فقد وصف طعمه الذي يفضل على كل الملذات والطرب، فثمرته على الشجرة عند هبوب الريح تحاكي أزرار الذهب الصفراء التي تخاط بالثوب:

[البسيط]

ومِــشمِشٍ جــاءَنِي مِــنْ أعْجَــبِ أشْـهَى إلَـيَّ مِنَ اللَّـذاتِ وَالطَّـرَبِ
كَأَنَّــهُ فِــي هُبــوبِ الــرِّيح تَنْــشُرُهُ بَنـــائِقٌ[6] خُرِطَــتْ مِــنْ خــالِصِ

16- الموز

---

(1) **نفسه**، 331/2.

(2) الزبرجد: الزمرد، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "زبرجد"، 194/3.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 200.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 192، الشطر الأول مكسور من المصدر.

(5) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، 298/2، الشطر الثاني من البيت الثاني مكسور.

(6) البنائق: جمع بنيقة، وهي لبنة القميص أو فتحته، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "بنق"، 27/10.

(7) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 115.

شبه ابن زقاعة الموز الأصفر في شكله المعوج بناب الفيل المصبوغ بالزعفران، يقول:

[الكامل]

والمَــوْزُ كَالنَّابــاتِ مِــنْ أفْيالِهــا   مَـصْبوغَةٌ بِـالزَّعْفَرانِ وَصُـفْرَةِ[1]

ويصف ابن حجة الحموي أشجار الموز الخضراء عند هبوب النسيم عليها بالفتيات المتمايلات في أثوابٍ خضرٍ، أما ثمارها فيستعير لها لون الذهب من الخارج ويجعل مذاقتها كطعم عسل قصب السكر، وهذا الوصف إبراز للشكل والطعم يقول:

[البسيط]

كأنَّمـا المَـوْزُ إذْ هَـبَّ النَّـسيمُ بِـهِ   غِيدٌ تَمـايَلْنَ فِـي خُضْرٍ مِنَ الأزْرِ

كـــأنَّ خارِجَـــهُ تِبْـــرٌ وَداخِلَـــهُ   قَنْدٌ مَشوبٌ بِعَذْبٍ بـارِدٍ خَـصِرِ[2]

والموز سبائك من فضةٍ في قول البدري، يقول:

[مجزوء الرجز]

انظُـــرْ إلـــى المَـــوْزِ الَّـــذِي   حَـــلا وَصَـــفا إذْ مَـــرَّ بـــي

سَـــــبائِكاً مِـــــنْ فِـــــضَّةٍ   قـــــدْ مُوِّهَـــــتْ بَالـــــذَّهَبِ[3]

ويلغز النّواجي في الموز متسائلاً عن شيءٍ حسن الشكل يوزن عند الناس بالميزان، فإذا زدنا واواً ونوناً على كلمة موز صارت الكلمة " موزوناً"، يقول:

[السريع]

مــا اسْــمُ شَــيْءٍ حَــسَنٌ شَــكْلُهُ   تَلْقــاهُ عِنْــدَ النَّــاسِ مَوْزونــاً

تَـــــراهُ مَعْـــــدوداً وَإنْ زِدْتَـــــهُ   وَاواً وَنونـــاً صـــارَ مَوْزونـــاً[4]

17- النَّارَنْجْ

النارنْج هو البرتقال وهي كلمة فارسية[5]، وتعرض شعراء هذا العصر إلى وصف البرتقال، وبدت حباته الذهبية كراتٍ من الذهب الأحمر في وصف ابن زقاعة، يقول:

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 193.

(2) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360. الأبيات غيرموجودة في الديوان.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 210، الشطر الثاني من البيت الأول مكسور من المصدر.

(4) عبد الهادي، حسن، **شعر شمس الدين النواجي**، 374.

(5) ينظر: الفيروز أبادي، مجدالدين، **القاموس المحيط**، مادة "نرج"، 189.

[الكامل]

وكأنَّمـا النَّـارَنْجُ فِـي خِرْصـانِهِ أُكُرٌ مِنَ الذَّهَبِ الشَّدِيدِ الحُمْرَةِ[1]

ووصف ابن زقاعة في مقطوعةٍ أخرى أشجار البرتقال وثمرتها، فأبرز ثمرتها الذهبيـة باكيةً لما هب النسيم، في حين بدت الأشجار عذارى مليحاتٍ في جمالها، يقول:

[البسيط]

هبَّ النَّسيمُ على نارَنْجِها فَبَكَى مِنْ عَسْجَدٍ أُكُراً بيْنَ الجَواكِينِ

أشْجارُها كَالعَذارَى فِي مَلاحتِها خُضْرٌ نَضِيراتٌ سَقْيَ البَساتِينِ[2]

وتنوع الشعراء في صورهم للبرتقال، فابن خَطِيب داريا يرى ثمرات البرتقال في كانون جمراتٍ متوقدةً وسط كانونٍ من النار، وقد أحسن الشاعر توظيف الجنـاس فجـاء جمـيلاً دون استكراهٍ أو تكلفٍ، يقول:

[البسيط]

كأنَّ نارَنْجَها المُحْمَرَّ مِنْ مَطَرٍ فِي شَهْرِ كانونَ جَمْرٌ وَسْطَ [illegible][3]

ويصف أحد الشعراء أغصان البرتقال فبدت حباتها زمردا وعقيقاً أنضجته حبات المطر، وهو يتكئ على التراث الديني جاعلاً موسى عليه السلام قد أقبسها من ناره فبـدت فـي لونهـا البرتقالي وكأنها نار مشتعلة، أماالخضر فقد جر عليها ذيله وهذا يدلل على ثقافة الشاعر الدينية، يقول:

[البسيط]

انظُرْ إلى قُضُبِ النَّارَنْجِ حامِلَةً زُمُرُّداً وَعَقِيقاً صاغَهُ المَطَرُ

كأنَّ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ أقْبَسَها ناراً وَجَرَّ عَلَيْها ذَيْلَهُ الخَضِرُ[4]

ويذكر ابن إياس في بدائع الزهور أن شجر النارنج أفلح وطرحت أشجاره طرحـا لـم يعهد مثله عام 817هـ، وكان الإنسان إذا مر بين الأشجار يرى النارنج أكثر من الورق فقـال أحد الشعراء في وصف روضة برتقالٍ تسبي الأنظار وقد بدت حباتها ناراً مشتعلةً لا تنطفئ ولا تشعل الأغصان، يقول:

[البسيط]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

(2) **نفسه**، 104.

(3) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 34.

(4) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 16/2.

انْظُرْ إلى رَوْضَـةٍ يَـسْبِيكَ مَنْظَرُهـا بِحُسْنِها فِي البَرايـا يُضْرَبُ المَثَلُ
نـارٌ تلـوحُ مِنَ النَّـارَنْجِ فِي قُضُبٍ لا النَّـــارُ تُطْفَـــى وَلا الأغْـــصانُ تَشْتَعِلُ[1]

وكان معجم الغزل حاضراً دائماً في وصف الطبيعة، واستقى منه الشعراء كثيـراً مـن معانيهم، يقول ابن حجة الحموي في تشبيه حبات البرتقال في اتساقها بنهود الحسان:

[البسيط]

كـــأنَّ نارَنْجَـــهُ إذْ لاحَ مُتَّـــسِقاً نُهـودُ غِيْـدٍ بَـدَتْ فِـي أَحْـسَنِ الصُّوَرِ[2]

وشبه أبو البقاء البدري أشجار البرتقال بالحسناء التي تتبختر في حلةٍ من السندس ولهـا أزرار من اللؤلؤ وهي تميس مع النسيم كلما هب عليها، يقول:

[الكامل]

نارَنْجَـةٌ قَـدْ أشْـبَهَتْ حَـسناءَ فِـي عُـرْسِ النَّـسِيمِ تمِـيسُ مَـعْ نَـشْرِ الصَّوَى[3]
يـا حُـسْنَها تُجْلَـى لَنـا فِـي حُلَّـةٍ مِـنْ سُنْدُسٍ أزْرارُهـا مِـنْ لُؤْلُـؤْ[4]

ويصور زهرتها البيضاء الجميلة الفضية بسبائك الذهب:

[مجزوء الرجز]

فِـــي الكِيمْيـــا صَـــحَّتْ لَنـــا نارَنْجَـــةٌ مِـــنْ حَطَـــبِ
لُجَـــيْنُ زَهْرِهـــا يَعِـــدْ سَـــبائِكاً مِـــنْ ذَهَـــبِ[5]

18- النَّخيل

النخيل من أجمل الأشجار، ومنظره في حقوله من أجمل المناظر، وإذا كان قوم تـصح نسبتهم إلى النخيل فهم العرب، وللنخلة أسماء حددها العرب من حين تبدو صغيرةً إلى أن تكبر، وكذلك الرطب من حين يكون طلعا إلى أن يصير رطبا.

وجاء وصف الشعراء في هذا العصر للنخيل عابراً، لا يدل على معرفةٍ عميقةٍ له، ربما يعود ذلك لقلة معايشتهم له بخلاف شعراء الجزيرة العربية والعراق الـسابقين الـذين وصـفوا

---

(1) **نفسه**،ق2، 16/2.
(2) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 360. هذا البيت غير موجود في ديوانه.
(3) الصوى: مختلف الريح، ينظر: الفيروز أبادي، مجد الدين ، **القاموس المحيط**، مادة "صوو"، 1173، والشطر الثاني مكسور.
(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 199،
(5) **نفسه**، 199.

أشجار النخيل وثمارها وصف العارف الخبير بتفاصيلها وجزئياتها، لكنهم على الرغم من ذلـك جاؤوا لنا بصورٍ جيدةٍ لا تقل جودةً في الوصف، فالشهاب الحِجازي يصف النخيل وصفاً حـسياً يعبر من خلاله عن إعجابه النفسي بما يشاهد من روعةٍ وجمالٍ، فالنخيـل تمـيس كالحـسان، وعثاكيلها قلائد من الياقوت الأحمر، يتخيلها ذهباً بالرغم من أنها أشتال، يقول:

[البسيط]

وللنَّخِيـل إذا ماسَـتْ قلائِـدُ مِـنْ حُمْرِ اليَواقِيتِ حاكَتْها العَثاكِيلُ[1]

لا غرْوَ أنْ سَحَرَتْ عيْنِي وَخُيِّلِ بأنَّهـا ذهَـبٌ وَهْـيَ المَـشاتِيلُ[2]

وجمع ابن زقاعة للنخيل عدة صور، فشبهها بالعرائس المزينة، ووصف بلحها بقلائـد من الياقوت الأحمر والأصفر، والشاعر يحرص على أن تكون صورته متناسـقةً فـي ألوانهـا وتفاصيلها، لتقديم الأفضل، لذاك رسم للبلح صورة الياقوت المضمخ بالعنبر، واسـتعار للنخيـل صورةً إنسانيةً وأبرزها في هيئة عساكر تستعد لخوض معركةٍ حربيـةٍ، وجريـدها سـيوفها، ويستطيع القارئ أن يلمس روعة الصورة وجمالها خلال قراءتها، يقول:

[الكامل]

وكأنَّمـا النَّخِيـلُ عَـرائِشٌ[3] كُـلٌّ كَـشِبهِ عَروسَـةٍ مَجْلِيَّـةِ

نَـشَرَتْ قلائِـدَها علَـى عُـشَّاقِها مِنْ أحْمَرِ الياقوتِ أوْ مِنْ صُفْرةِ

وكأنَّمـا الـبلحُ المُرَطَّـبُ قُمِّعَـتْ ياقوتُـهُ بِـالعنْبَرِ المُتَفَتِّـتِ

وكأنَّمـا يَـوْمَ الطِّـرادِ تجَهَّـزَتْ لِلحـرْبِ بـيْنَ عَـساكِرٍ مُـصْطَفَّةِ

فَجَريـدُها مِثْـلُ الـسُّيوفِ تَلاعَبَـتْ طـوْراً بـهِ والـرُّمْحُ مِثْـلُ القامَـةِ[4]

ولابن زقاعة مقطوعة أخرى في وصف أشجارالنخيل، حيث صورها بالعـذارى بـين صفوف المحاربين، وجعل جريدها سيوفاً للمقاتلين، وقوام العذارى رماح لطولها واسـتقامتها ، يقول:

[الخفيف]

ونَخيـلٍ كـأنَّهُنَّ عَـذارَى يـوْمَ حـرْبٍ بَـرَزْنَ بـيْنَ الـصُّفوفِ

---

(1) العثاكيل: مفرده عثكال، وهو الشمراخ الذي يحمل التمر في النخيل، ينظر: ابن منظور، جمال الدين ، **لسان العرب**، مادة "عثكل"، 425/11.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 30.

(3) الصواب " وكأنما صف النخيل عرائش"، حتى يستقيم الوزن.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 192.

كـــلُّ عــذرَا لَهـــا قـــوامٌ كَـــرُمْحٍ   لَعِبَــتْ مِــنْ جَرِيــدِها بِــسُيوفِ[1]

ويصور ابن خَطِيب داريا النخل بالعرائس المتباهيات اللواتي تجلين لأزواجهن، يقول:

[الطويل]

كــأنَّ النَّخِيــلَ المائِــساتِ عَــرائِسٌ   عَلى أعْيُنِ الأكْفاءِ يَحْلو جَلاؤُها[2]

ومن الصور الطريفة لابن حجة وصف أغصان النخيل المعوجة بصورة ظهور العجائز المنحنية، يقول:

[البسيط]

كأن ما اعْوَجَّ مِنْ دَوْحِ النَّخِيلِ بِـهِ   عَجائِزٌ قَدْ حَناها الدَّهْرُ مِنْ كِبَرِ[3]

ورأى ابن إياس أشجار النخيل فتخيلها في عرسٍ دلالة على سرور نفسه وحبـه لهـا، يقول: [الطويل]

نَظَرْتُ إلى عُرْسِ النَّخِيلِ فَسَرَّنِي   مَحاسِــنُ مــا عايَنْتُــهُ وَأَشــاهِدُ[4]

وطرح النخيل ثماراً جيدةً في وقت وفاءالنيل[5]، يقول النواجي في مطلع قصيدةٍ: [البسيط]

الحَمْــدُ لِلَّــهِ أوفَــى نِيلُنــا وَوَفَــى   وَبَــلَّ غُلَّــهَ قَلْــبٍ كــانَ قَــدْ نَــشَفَا

ثم يتحدث عن أثر هذا الوفاء بعد عدة أبياتٍ: [البسيط]

وأَطْعَــمَ النَّخْــلُ فِــي العــامِ الَّــذِي   بِــــاليُمْنِ يُمْنــــاهُ لا شِيــــصاً[6] وَلا

[illegible][7]

وعندما يشتاق عبدالرحيم العِراقِي لبلاده مصر يتذكر نخيلها ورياضها، يقول: [الطويل]

"ألا ليْــتَ شِــعْرِي هــلْ أبيــتَنَّ   بمِــصْرَ فَفِيهــا مَــنْ أُحِــبُّ نُــزُولُ"[8]

وَهــلْ أرِدَنْ يَوْمــاً مِــوارِدَ نِيلِهــا   وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي رَوْضَةٌ ونَخِيلُ[9]

---

(1) **نفسه، ديوانه**، 156.

(2) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 6.

(3) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360، هذا البيت غير موجود في ديوانه.

(4) ابن إياس الحنفي، محمد ، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، 273.

(5) وفاء النيل هو زيادة ماء النيل وتدفقه بغزارة حتى يصل إلى مستوى معين، ينظرالحموي، **معجم البلدان**، 334/5- 335.

(6) الشيص: رديء التمر، والحشف: التمر الفاسد، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "شيص"، 47/9، ومادة "حشف"، 194/3.

(7) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 123.

(8) الشطر مضمن من شعر مالك بن الريب التميمي، ينظر، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، 354/1.

(9) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 187/4.

ويوري صدر الدين الآدمي ببذرة التمر لنوايا من يخاطب وظنونهم، يقول:

[مجزوء الرجز]

لَــــــمْ أُرِدِ التَّمْــــــرَ الَّــــــذِي   أهْــــــــدَيْتُمُوهُ لِــــــــسِوَى
خَــــــوْفِيَ مِــــــنْ نَــــــواكُمُ   لأنَّ فِــــي التَّمْــــرِ النَّــــوَى[1]

ب- الأشجار غير المثمرة:

1- الأراك

هو الشجر الذي يؤخذ منه عود الأراك ويستعمل للتسوك، وقد وجدت مقطـوعتين فـي وصفه، المقطوعة الأولى للشاعر بدر الدين أحمد بن شرف الحنا الذي مزج وصـفه بـالغزل، حيث يهنئ عود الأراك لملامسته طيب ثغر المحبوب، يقول:

[الكامل]

هُنِّئْــــتَ يــــاعُودَ الأرَاكِ بِثغْــــرِهِ   إذْ أنْــتَ لِلأوْطَــانِ غيْــرُ مُفَــارِق
إنْ كُنْــتَ فارقْــتَ العَقِيــقَ وَبارِقــاً   هــا أنْــتَ مــابيْنَ العُــذَيْبِ وبــارِق[2]

والمقطوعة الثانية لمحمد بن محمد بن هِبةِ ا المعروف بابن البـارزي، وفيهـا يـدعو غصن الأراك للحضور إلى حديقة النرجس والبنفسج دون الخوف من الوشاة والرقباء، يقول:

[البسيط]

حدِيقَتِي قدْ حَكَى الزَّرْقا بَنَفْسَجُها   والنَّــرْجِسُ الغــضُّ فِيهــا أشْــبَهَ
فاحْــضُرْ ولا تخْــشَ يــا غُــصْنَ   لُــسْنِ الوُشــاةِ ولا مِــنْ أعْــيُنِ

2- البان:

البان شجر يسمو ويطول في استواء، وهو شديد الخضرة وثمرته تشبه قرون اللوبيا[4]، وقد تعرض الشعراء إلى ذكره، وإن جاءت صورهم أقل من سابقيهم، لتغير البيئة وميلهـا إلـى الاستقرار والترف ولقلة معايشتهم له، وجاء ذكره من خلال وصف الرياض والحدائق ، أو مـن خلال الغزل، فأبو الفَضل ابن أبي الوفاء يتجول في الروضة فتستوقفه باناتها وتعجبه، فيـستعير لها صورة العرائس التي فاحت منها رائحة المسك والطيب، يقول:

[البسيط]

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 193.

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين ، **النجوم الزاهرة**، 307/11.

(3) السخاوي، شمس الدين محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 826/2.

(4) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 107.

كَأَنَّمـا قُـضُبُ البانــاتِ إذْ خَطَـرَتْ   عَرائِسٌ زَهِيَتْ بالمِسْكِ وَالطِّيـبِ[1]

ولم ينس الشعراء اللون ودوره في رسم معالم الصورة، فابن زقاعة يستعير للبان لـون السنجاب، وهو حيوان قارض يتخذ من الأشجار بيوته، يقول:

[البسيط]

والبانُ قدْ لبسَ السِّنْجابَ مُفْتَخِراً   بـــــهِ عَلــــى الآسِ والـــــورْدِ[2]

وارتبط حديث الشعراء عن البان بذكر الحب والغزل، ونظموا صوراً جميلةً فـي هـذا الصدد فاضت رقةً وعذوبةً، فابن زقاعة يتخذ من اصطلاحات الحديث ورواته صورةً يمزجهـا بغزله، فالمنثور يسامر الشاعر ويروي له قصص الحب عن النسيم والبان ونباتات الرند والغار، في دوحةٍ كللتها أزهار البنفسج، يقول:

[الطويل]

ودوْحـةُ ورْدٍ أرضـها مِـنْ بنفْـسَجٍ   يُنـــادِمُنِي منْثــورُ هــا باصْــفِرارِهِ

رَوَى لِي حَدِيثَ الحُبِّ عَنْ نـسْمَةٍ   عــنِ البــانِ عــنْ رَنْــدِ الغُــوَيمِ[3]

وركز الشعراء في وصف البان على ذكر طوله وليونته، وشبهوا بـه قـدود الحـسان لضمورها واستقامتها، فمحبوبة النواجي شابهت قامتها البان في استوائه، وهذه الـصورة مـن الصور التقليدية التي اعتاد الشعراء على استدعائها في وصف المرأة، يقول:

[البسيط]

تَمِـيسُ عَـنْ مِثْـلِ غُـصْنِ البـانِ   تِيهاً وَتَبْسِمُ عنْ أبْهَى مِنَ الـدُّرِّ[4]

ويصور علي بن أَيبك الدمشْقِي غصن البان منعطفاً على المحبوب، فهو يشابهه ويماثلـه لأن الأشياء تألف مثيلاتها:

[الوافر]

مَلـيحٌ قــامَ يجـذِبُ غُـصنَ بــانٍ   فمـــالَ الغُــصنُ مُنْعطِفــاً عَلَيْـــهِ

ومَيـلُ الغُـصنِ نحْـوَ أخِيــهِ طبْـعٌ   وشِــبْهُ الــشَّيءِ مُنجَــذِبٌ إليْــهِ[1]

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 153.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 103.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 139.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 44.

ورسم الشعراء صوراً معكوسةً لأشجار البان، فقد اعتاد الشعراء وصف قـدود النـساء بالبان في الطول والاستواء، لكن شعراء هذا العصر شبهوا البان بقدود النساء الرشيقة، يقول ابن خَطِيب داريا:

[السريع]

كَــأنَّ غُــصْنَ البـــانِ قـــدُّ الَّـــذِي　　　أهْـواهُ فِـي ثـوبٍ مِـنَ الـسُّنْدُسِ[2]

ويشبه الشهاب الحِجازي أشجار البان وأزهار الـشقائق والنـرجس بقـدود المحبوبـة وخدودها ولواحظها، يقول:

[الخفيف]

قـدْ حَكَـى البـانُ والـشَّقائِقُ والنَّـرْ　　　جِـسُ مِنْهـا قـداً وخَـداً ولحْظـاً

فلِحـاظِي مِـنْ حُـسْنِها فِـي نَعِـيمٍ　　　وفُـؤادِي فِـي نـارِ خـدٍّ تلَظَّـى[3]

ويجعل النّواجِي بانات النقا وغصونها محتارةً من قوام غادته الهيفاء في تثنيتها:

[الطويل]

فُتِنْـتُ بِـهَيْفـاء القَـوامِ إذا انْثنَـتْ　　　تُحيِّـرُ بانـاتِ النَّقـا وَغُـصونَهُ[4]

ويدعو النّواجِي صاحبه إلى عدم قياس قوام المحبوبة بالبان، فقوامها معتدلٌ رشيقٌ وهو معوج:

[البسيط]

ولا تقِـسْ بِغُـصونِ البـانِ قامَتَهـا　　　"وهـلْ يُطـابِقُ مُعـوَجٌّ بمُعتَـدِلِ"[5]

وكان للبان حضور في مراثي الشعراء، فأغصانها تتقصف حزناً على مفقود النواجي:

[الطويل]

ومـا لِقُـدودِ البـانِ حُزْنـاً تقـصَّفَتْ　　　وكَـــم راقَ هاتِيْـــكَ الغُـــصُونُ

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، 67/4.

(2) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 168.

(3) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 89/2.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 335.

(5) **نفسه**، 78، والشطر الثاني مضمن من لامية الطغرائي وصدره " وشان صدقك عند الناس كذبهم"، **ديوان الطغرائي**،55 .

(6) **نفسه**، 245.

ويصور النواجي الورق نائحةً على غصن بانٍ تقصف وقضى، فهو يتلهف عليـه لأنـه طالما غازل الأحبة:

[البسيط]

لهْفِـي عَلَـى غُـصْنِ بـانٍ كـانَ قُضَى فناحَـتْ عليْـهِ الـوُرْقُ مِـنْ **إلـى الأحِبَّـةِ طوْعَ الوَصْلِ مُنْبَعِثـا فسَجْعُها بيْنَ أثنـاءِ النَّشِيدِ رِثـا**[1]

3 - السَّرو

السرو من أشجار الزينة المعروفة في بلادنا، وقد وجدت أشعاراً قليلةً في وصفه كغيـره من الأشجار غير المثمرة، منها بيتٌ في وصفه لعِز الدين الموصِلي، حيث جعل أشجار الـسرو وهي تحيط بالروضة كالسوار الذي يحيط بالمعصم، يقول:

[البسيط]

وروضَـةٌ نقَّـشتْها لِلحَيـا إبَـرٌ **فأصـبَحَتْ بـيْنَ تطْريـزٍ وَتزْهيـرِ**

مِثْلَ السِّوارِ لَها سرْوٌ أحاطَ بها **مِنْ سَلْسَلٍ هِيَ مِنْهُ ذاتُ تسْوِيرِ**[2]

ومن المعاني القديمة تشبيه الأشجار بقدود النساء الحسان الـلواتي يتبخترن ويتبـاهين بطول ونعومة أجسادهن:

[البسيط]

والسَّرْوُ يحْكِي قُدودَ الغِيدِ مائِسةً **فِي الإسْتِقامَةِ والتَّحْريكِ وَاللِّينِ**[3]

ووصف فخر الدين ابن مكانِس شجرة سرو قصد إليها مع بعض رفاقه على شاطئ النيل قائلا:

[البسيط]

مالتْ عَلى النَّهرِ إذْ جاشَ الخريرُ **كأنَّهـا أُذُنٌ مالَـت لإصْـغاءِ**

كأنَّ صَمْغَتَها الحَمْرا بِقشْرتِها الدُّ **دَكْناءَ قُرْصٌ علَى أعْكانِ سَمْراءِ**

نسْعَى إليْها عَلى جَرداءَ جارِيةٍ **مِنْ آلَـةٍ كَهِلالِ الأُفْقِ حَدْباءِ**[4]

---

(1) **نفسه**، 356 .

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 143/1.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 104.

(4) ابن مكانس، فخرالدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

والتصوير في الأبيات بديع، فشجرة السرو المائلة على النيل كأنها أذن مالت لتصغي إلى خريره، ويتخيلها بلونها الأحمر الداكن وهي منحنية على أمواج النيل في فيضانه كأنها قـرص ملتصقٌ بطيات بطنٍ لسمراء عارية، ويقول ابن مكانس إنهم سعوا إليها في سفينة حدباء كهـلال الأفق.

4- الغضا

وصف الشعراء الغضا في هذا العصر، وركزوا في وصفهم له علـى صـفة الحـرارة الشديدة والجمر المحرق الذي يخلفه[1]، واستعاروا هذه الحرارة المحرقة لبيان حرقة قلوبهم مـن خلال الحديث عن المحبوبة التي "تتعسف وتؤجج النار في ضلوع المحب وأحشائه"[2]، فالشاعر علي بن محمد بن إبراهيم الجعفري النابلسي يصف قلبه محاطاً بجمرات الغضا الملتهبـة التـي تكويه بحرها و بنارها كلما هدده أحبته بالفراق، يقول:

[الكامل]

والقلبُ فِـي جمْرِ الغَضا مُتَقَلِّـبٌ   إذ هـدَّدُوهُ بـالفِراقِ وأرْجَفُـوا[3]

أما أبو الوليد محمد بن محمد المعروف بابن الشحنَة فقد جعل بين ضلوعه واديـاً مليئـاً بجمر الغضا، وهو يبالغ في صورته للتعبير عن معاناته وأزمته النفسية التي يحياها، يقول:

[السريع]

أسِـيرُ بالجَرْعـا أسِـيراً ومِـنْ   هَمِّـي لا أعْـرِفُ كيْـفَ الطَّرِيـقْ
فِـي مُنْحنَـى الأضْلُعِ وادِي الغَضا   وفوْقَ سَفْحِ الخَدِّ وادِي العَقِيقْ[4]

وبدا الغضا في صورة النواجِي ناراً يتطاير منها الشرر:

[الطويل]

ومـا احْمـرَّ دمْـعُ المُقلتَـيْنِ وَإنَّمـا   نـأيْتُمْ فَأَفْنَـتْ مـاءَ دمْعِيْ المَحـاجِرُ
وأضْـرمْتُمُ جَمْـرَ الغَـضا فِـي   فَـذاكَ شَـرارٌ مِنْهمـا يَتَطـايَرُ[5]

وذكر الغضا يبعث الشوق والحنين في نفس ابن مليك الحموي، فهو يذكره بمن أحب:

---

(1) ينظر: العالم، إسماعيل، **وصف الطبيعة في الشعر الأموي**، 97.

(2) النواجي، شمس الدين، **المطالع الشمسية في المدائح النبوية**، 41.

(3) المكي، محمد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**،755/2 ، والسخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 280/5.

(4) العسقلاني، ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، 97/7.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 323.

[الكامل]

ذُكِرَ الغَضا فَحَنَتْ عَلَيْهِ أضْلُعِي ... وَبَكَى العَقِيقُ فَساقطَتْهُ أدْمُعِي[1]

5- الأثل

إلى جانب ذكر البان والأراك والسرو، ذكر الشعراء بعض الأشجار غير المثمرة، ففخر الدين ابن مكانس يصف شجرة أثلٍ راسخةٍ عريقةٍ نبتت فوق جدولٍ من الماء:

[مجزوء الخفيف]

هِمْتُ فِي حُسْنِ أثْلَةٍ ... رَسَخَتْ فَوْقَ جَدْوَلِ
ذاتُ أصْلٍ عَريقةٍ ... عُرفُها بالعُلا مَلِي
يا لَها بِنْتُ دوْحَةٍ ... ذاتُ مَجدٍ مُؤمَّلِ[2]

6- النَّقا

أما أغصان النقا[3] فتميل شوقاً إلى الممدوح، يقول النواجي:

[البسيط]

يميلُ غصْنُ النَّقا شوْقاً لِعطْفِكَ يا ... أقلامُهُ ورِماحُ الخطِّ تخْشاكَ[4]

ويفضل الشهاب المنْصوري قد محبوبه على أغصان النقا، يقول:

[السريع]

لستُ لأغْصانِ النَّقا مادِحاً ... لأنَّ حِبِّي قدُّهُ أمْيَسُ[5]

7- المُرَّان

وأشجار المران[6] تحاكي يراع الممدوح، يقول النواجي:

[الطويل]

تطاوَلَتِ المُرَّانُ تحْكِي يَراعَهُ ... وعِندَ التَّناهِي يقْصُرُ المُتَطاوِلُ[7]

---

(1) الخفاجي، شهاب الدين، **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، 113/1.

(2) ابن مكانس، فخرالدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(3) النقا: الكثيب من الرمل، ينظر:ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة " نقه "، 347/14.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 155.

(5) ابن معصوم، علي صدر الدين، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 107/5.

(6) المران: هو النبات الذي تصنع منه الرماح، ينظر، ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة " مرن "، 61/14.

(7) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 189.

8- البُطْمْ

أما البطم[1] – وهو نوع من الأشجار البرية في بلادنا- فعناقيده تشبه عرجون النخيل، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

وفِـي الرُّبـا شـجراتُ الـبُطْمِ قـدْ	مِـنَ العَناقِيـد ِأمْثـالَ العَـراجِينِ[2]

ثانياً: الخضراوات

ذكر القَلْقَشَنْدِي عدداً كبيراً من الخضروات التي تزرع في مصر مثل البطـيخ والقثـاء والباذنجان والقنبيط والحمص والعدس السمسم والكتان والقمح والشعير، ولكن تنـاول الـشعراء لهذه النباتات جاء قليلا جدا في شعر شعراء مصر والشام[3].

1- الباذنجان

وركز الشعراء في حديثهم عن الباذنجان على اللون، فأبو البقاء البدري يشبه الباذنجـان في لونه بلون الزنجي الراقد، وبلون يد الخادم الأسود، يقول:

[مجزوء الرجز]

بَذِنْجَـــــــةٌ شَـــــــبَّهْتُها	لمَّـــــا قلاهــــا وَاخْتَـــــرَمْ
بـــــسِقْطِ زِنْــــجٍ راقِــــدٍ	وَزِنْــدِ مِــنْ بعْــضِ الخَــدَمْ[4]

ثم يشبهه بالزنوج ويشبه رؤوسه بالطراطير الخضرعلى رؤوسهم، يقول:

[المجتث]

بَـــــــذِنْجُكُمْ كَزُنُــــــــوجٍ	كَواسِـــــجٌ فِــــي التِئـــــامِ
خُـــضْرُ الطَّراطيـــرِ[5] هـــاموا	بـــالرَّقْصِ تحْــــتَ الخِيـــامِ[6]

2- الخس

قال محمد بن أحمد شمس الدين الدجوي مشبهاً أوراق الخسة لجمالها بـالعروس، كمـا يصور أوراقها بأثواب السندس المحلاة بالفضة، يقول:

---

(1) شجرة ثمرتها خضراء اللون، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة " بطم "، 104/2.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 105.

(3) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 307/3-308.

(4) **نفسه**، 170.

(5) الطراطير: جمع طرطور، وهي القلنسوة، ينظر، الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " طرر "،388.

(6) **نفسه**، 171.

[الطويل]

أيا خَسَّةً تُجْلَى بأَوْراقِ حِلْيِهَا عَرُوساً وراقَتْ فِي الرِّيَاضِ

كَساها بَديعُ الحُسْنِ أثوابَ سُنْدُسٍ مُقَصَّبَةً أثوابُها بلُجَيْنِ[1]

3- الخَشْخَاشْ[2]

وصف عِز الدين الموصِلي أزهاره الحمراء التي تشبه أقداح البلور المملوءة بالخمرة غير الممزوجة، يقول:

[السريع]

وزَهْرُ خَشْخاشٍ بَدا أحْمَراً كأنَّهُ فِي رَوْنَقٍ وابْتِهاجْ

أقْداحُ بَلُّورٍ وقَدْ أُتْرِعَتْ مِنْ خمْرَةٍ لمْ تخْتَلِطْ بالمِزاجْ[3]

ويراه البدري دبابيساً في أيدي الجنود التتار، يقول:

[مجزوء الرجز]

خَشْخاشُنا النَّاشِفُ فِي قِشْرٍ لَهُ لمَّا حَضَرْ

حَكَى دَبابيساً أتَتْ حَمْلاً بأيْدٍ لِلتَّتَرْ[4]

4- الخيار

الخيار من النباتات الموسمية التي أشار إليها الشعراء، فالشاعر عيسى العالية يعبر عن سروره بإهداء خيارةٍ إليه، فهي تشبه الكافورة التي ألبست الحرير، يقول:

[مخلع البسيط]

خِيارَةٌ أُهْدِيَتْ إلَيْنا مِنْ كَفِّ مَنْ يجلِبُ السُّرُورَا

كأنَّها إذْ قطَعْتُ مِنْها كافورَةٌ ألبِسَتْ حَرِيرَا[5]

5- الفقّوس

أحسن ابن خَطِيب داريا وصف الفقوس، فهو يشبه ثماره في الرياض بمخازن الفضة الملفوفة بالسندس وقد حشيت بالكافور، يقول:

[البسيط]

---

(1) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود**، 212/3.

(2)هو نباتٌ منوم ومخدر ينظر، الفيروز أبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " خشش"، 533.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 149.

(4) **نفسه**، 149.

(5) **نفسه**، 159.

شَبَّهْتُ حِينَ بَدا الفَقُّوسُ مُبْتَهِجاً	عَلى الرِّياضِ وَحُبُّ فِيهِ مَأسُورُ
مَخازِنٌ مِنْ لُجَيْنٍ لُفَّ ظاهِرَها	بِسُنْدُسٍ حَشْوُها حَبَّاتُ كافورِ[1]

6- القنبيط(القرنبيط)

عبر أبو البقاء عن بغضه للقنبيط من خلال تصويره برؤوس اليهود التي تعلوها العمائم، يقول:

[مجزوء الرمل]

بُغْضِي فِي قَنَبِيطٍ	قَدْ حَكى وَالفِكْرُ صارِمْ
الرُّؤوسُ مِنْ يَهودٍ	قُطِّعَتْ تحْتَ العَمائِمْ[2]

ثالثا: الأزهار:

الشام ومصر واحتان يجد الناظر إليها ما يسر العين، ويعطر الأنف، ويبهج النفس والروح، فالرياض تحف النيل وتزف إليه ألق الحياة الفواح مع كل نسمة، والغوطة تتربع على صدر دمشق، تبعث النور في عين البصير، لذا نجد الكل يهرول مسرعا ليغتنم فرصةً لأخذ قسطٍ من الراحة بين فيافيها، وأكثر شعراء هذا العصر من وصف الأزهار، والتعبير عما يختلج النفس من سرورٍ وروعةٍ عندما تتلاطم أمواج الأزهار في المروج، وجاء وصفهم في ديباجةٍ مذهبةٍ بالألوان الجميلة، والصور البديعة، والمناظر الساحرة، وقد وصف شعراء العصر المملوكي الأزهار كغيرهم من الشعراء السابقين، فتحدثوا عن أشكالها، وألوانها، وصفاتها، وأسقطوا أحاسيسهم ومشاعرهم عليها من خلال صورٍ فنيةٍ جميلةٍ، وسأبدأ الحديث عن الأقحوان.

1- الأقْحَوان:

شبه الشعراء الثغور بالأقحوان بجامع البياض بينهما، ولأنهم وجدوا في صورته صورة الثغر، فأوراقه صغيرةٌ ومفلجة[3]، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

وَأَقْحَوانٍ كَشِبْهِ الثَّغْرِ مُنْتَظِمٍ	وَخَيْزُرَانٍ وَبانٍ مِثْلِ قامَتِهِ[4]

ويجعل الشهاب المنْصوري ثغور الأقحوان مبتسمةً، يقول:

[الخفيف]

---

(1) نفسه، 161.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام** ، 169.

(3) ينظر: القيسي، نوري حمودي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، 89.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 144.

وَثُغــورُ الأقــاحِ ذاتُ ابْتِــسامٍ   وَعُيُـونُ الغَمـامِ ذاتُ انْـسِكابِ[1]

ويدعو إلى تقبيل هذه الثغور:

[الخفيف]

قُـمْ نُعـانِقْ مَعـاطِفَ الأغْـصانِ   وَنُقَبِّـلْ مَباسِـمَ الأقْحَـوانِ[2]

وثغور الأقاحي تشبه القبل في وجنة النهر، يقول:

[البسيط]

وَلِلأقـاحِ ثُغـورٌ بِالـصَّبا انْتَـشَرَتْ   كَأَنَّهـا قُبَـلٌ فِـي وَجْنَـةِ النَّهْـرِ[3]

ووصف الشعراء الأذريون وهو صنف من الأقحوان نواره أصفر[4]، فابن حجة يـشبهه بالبرق إذا لمع، يقول:

[مجزوء الرجز]

كَـأَنَّ آذَرْيونَهـا   وَنَـوْرَهُ قَـدْ أَبْهَجـا

وَمِـيضُ بَـرْقٍ لامِـعٍ   فِـي جُـنْحِ لَيْـلٍ قَـدْ دَجـا[5]

2- البنفسج:

وصف الشعراء لونه الأزرق، يقول ابن زقاعة مشبهاً له بحجر اللازورد:

[البسيط]

كَذا البَنَفْـسَجُ فَـوْقَ المـاءِ زُرْقَتُـهُ   كَـلازَوَرْدٍ عَلَـى صَـحْنٍ مِـنَ ...[6]

وفي معنًى قريبٍ يجعل الشاعر البنفسج مفتخراً بنفسه على الزهور، ويعلل سبب أفضلية لونه الأزرق بغيرة البحر من لون السماء، يقول:

[الكامل]

قـالَ البَنَفْـسَجُ لِلزُّهـورِ مُفـاخِرًا   مِـنْ لازَوَرْدٍ أَزْرَقٍ ذِي خَلْعَتِـي

وَالبَحْرُ غارَ مِنَ الـسَّما مِنْ لَوْنِـها   فَلأجْـلِ ذا لَبِـسَتْ ثِيـابَ الزُّرْقَـةِ[1]

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة** ، 386.

(3) **نفسه**، 387.

(4) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 89-90.

(5) **نفسه**، 89-90. الأبيات غير موجودة في ديوانه.

(6) **نفسه**، 104.

3- الرَّيحان:

من أنواع الزهر له رائحةٌ عطريةٌ، وذكر القلقشندي أن الريحان موجود في مصر على اختلاف أنواعه[2]، ووصف الشعراء رائحته التي يعطر النسيم الروض بها، يقول ابن حِجة:

[البسيط]

يَقولُ رَيْحانُ رَوْضِي لِلنَّسِيمِ وَقَدْ	تَعَطَّرَ الكَوْنُ مِنْهُ حِينَ وَافانِي
سَرَقْتَ نَشْرِي وَهادَيْتَ الأنامَ بِهِ	وَلَيْسَ تَحْمِلُ مِنِّي عُودَ رَيْحانِ[3]

ووصف ابن خَلوفْ "الطراطِري" وهو نوع من أنواع الريحان، فبدا كالأجفان التي غطت بصرها، وأسبلت أوراقها فوق قامات السيقان ذوائبا، كما أن سيقانها تشبه في اخضرارها قضب الزمرد وآثار الخضاب بكف الكاعب، يقول:

[الوافر]

وَرَيْحانٍ نَضِيرٍ غَضَّ جَفْنًا	وَأَسْبَلَ فَوْقَ قاماتٍ ذَوائِبْ
حَكَتْ قُضُبُ الزُّمُرُّدِ فِي اخْضِرارٍ	وَآثارُ الخِضابِ بِكَفِّ كاعِبْ[4]

وربط الشعراء ذكرهم للأزهار بذكر الرياض، ومثال ذلك وصف ابن زقاعة لريـاض مدينة الخليل التي تزخر بالأشجار والرياحين، يقول:

[الخفيف]

وَخِلالَ الرِّياضِ نَصْبُ عُروشٍ	وَعُروشُ الزَّيْتُونِ وَالأعْنابِ
وَالرَّياحِينُ كُلُّها فِي الحَواشِي	وَعُيُونُ المِياهِ كَالدُّولابِ[5]

4- السَّوْسَن:

السوسن نبات له ورق يشبه الخناجر في عرضها، محدد الطرف، وساقه تخـرج مـن وسط الورق وطوله ذراع، وهو أبيض وأصفر وأزرقُ[6]، و در القائل:

[السريع]

---

(1) نفسه، **ديوانه**، 195.

(2) **صبح الأعشى**، 308/3.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 94-95، الأبيات غير موجودة في الديوان.

(4) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 230/2.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 115.

(6) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 84-85.

وَسَوْسَـــنٌ أذْكَـــى مِـــنَ النّـــدِّ   قَدْ جازَ فِي الوَصْفِ عَنِ الحَدِّ
لونـــانِ هـــذا أبْـــيَضٌ ناصِـــعٌ   وَأزْرَقٌ كَـــالقَرْصِ فِـــي الخَـــدِّ[1]

ووصف ابن حِجة الحموي أزهار السوسن الزرقاء والصفراء وقد التفت فـي أوراقهـا، بعضها فوق بعض، فبدت في الربا وكأنها غلالاتٌ أو ثياب رقيقةٌ صبغت بألوان مختلفة بالطول والعرض وبعضها أقصر من بعض، يقول:

[الطويل]

بدا سَوْسَنُ الرَّوْضِ المُدَبَّجِ أزْرَقاً   وَأصْفَرُ يَعْلو طُولُـهُ فَوْقَ مُبْيَضِّ
كَـأنَّ الرُّبـا أرْخَـتْ ذُيُـولَ غَلائِـلٍ[2]   "مُـصَبَّغَةٍ وَالْـبَعْضُ أقْـصَرُ مِـنْ بَعْضِ"[3]

وذكر الشهاب المنْصوري السوسن في الروض قائلاً: لو أحسنت الرياض الكلام لكلمتنا أزهار السوسن، يقول:

[الخفيف]

مِنْ رياضٍ لَوْ أحْسَنَتْ بَعْضَ نُطْقٍ   كَلَّمَتْنـــا بِألْـــسُنِ الـــسَّوْسانِ[4]

5- شَقائِقُ النُّعْمَانْ:

من محاسن الشام شقائق النعمان، وهو متنوع الأزهار، فمنها الأحمر والأبيض وورقـه يشبه ورق الكزبرة إلا أنه أدق وساقه أخضر رقيقٌ وورقه منبسطٌ على الأرض وأغصانه شبيهةٌ بالقصب[5].

والشقائق تنبت في صدر الربيع، فهي طليعة الأزهار، ترصع بـساط المـروج بلونهـا الياقوتي الأرجواني القاني، الذي يضم في الوسط سواداً أكحل كالمسك، والمقل السود، ويتـضح هذا في قول الشاعر علي بن أَيبك الدمشْقِي، يقول:

[الكامل]

وَشَـــقِيقَةٌ حَمْـــراءُ ذاتُ تَوَقُّـــدٍ   مَطْوَيَّـةٌ فِي اليَـوْمِ تُنْـشَرُ فِي غَـدِ

---

(1) ابن محمد، جنيد بن محمود، **حدائق الأنوار وبدائع الأشعار**، 229.
(2) الغلائل: جمع غلالة وهي الثياب الرقيقة، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "غلل"، 502/11.
(3) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 304/2. الأبيات غير موجودة في الديوان، والبيت الثاني مضمن من بيت ابن الرومي : كأذيال خوز أقبلت في غلائلٍ   مصبغةٍ والبعض أقصر من بعض، ينظر: **ديوانه**، 1419/4.
(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 346.
(5) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 96.

فَكَــأنَّ حُمْرَتَهــا وَحُــسْنَ سَــوادِها خَــدُّ الحَبِيــبِ زَهــا بِخَــالٍ أسْـوَدِ[1]

فهذه الشقيقة الحمراء المتوقدة لم تتفتح بعد، وهي تشبه في لونها الأحمر واللون الأسـود في وسطها خد الحبيب وقد ميزه خالٌ أسود، والحقيقة أن أكثر أشعار وصف الأزهـار جـاءت مختلطةً بأشعار الغزل، فالشعراء ساووا في كثيرٍ من الأحيان بين المرأة والزهرة فـي الحـسن والجمال والرائحة، ويوضح هذا قول الشهابِ الحِجازي:

[الخفيف]

قَـدْ حَكَـى البـانُ وَالـشَّقائِقُ وَالنَّـرْ جِـسُ مِنْهـا قَـداً وَخَـداً وَلَحْظـاً[2]

ووصف الشعراء رائحة الشقائق العطرة، فابن حِجة يتساءل عن النقط الـسوداء التـي تزين زهر الشقائق التي تعطر الروض، فكان الجواب أن المسك أعجبه الشقيق فقبله وترك أثراً من سواده في وجنته، يقول:

[الطويل]

سَـأَلْتُ الـشَّقِيقَ الغَضَّ عَنْ نُقْطَـةٍ عَلـى خَـدِّهِ وَالـرَّوْضُ مِنْهـا تَعَطَّـرَا
فَقالَ: سَـوادُ المِسْكِ هـامَ بِـوَجْنَتِي وَقَـدْ أَكْثَـرَ التَّقْبِيـلَ فِيهـا فَـأَثَّرَا[3]

ووصف الشعراء لون الشقائق، فابن زقاعة يستعير للون الشقيق لون احمرار عيونه من البكاء فيقول: [الطويل]

وَرُبَّ شَـــقِيقٍ شـــاقَنِي فَبَكَيْتُـــهُ بِهِ شَبَهٌ مِنْ مَدْمَعِي وَاحْمِرارِهِ[4]

ورسم الشعراء صوراً جميلةً للشقائق، فهي تبدو في لونها الأحمر شفقاً يلوح في سـماءٍ من الزبرجد، أما اللون الأسود في زهره فهو كحلٌ في عيون الأرمد،يقول الشاعر ابن خَلوفْ:

[الكامل]

خِلْتُ الشَّقِيقَ وَقَدْ يُرَى فِي زَرْعِهِ شَـفَقًا تَقَطَّـعَ فِـي سَـماءِ زَبَرْجَـدِ
وَكَـــأَنَّ أسْـــوَدَهُ إذا لاحَظْتَـــهُ آثــارُ كُحْـلٍ فِــي لَـواحِظِ أرْمَـدِ[5]

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 97.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 89/1.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 98.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 138.

(5) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 120/2.

والشاعر ابتعد في صورته عن التجربة الإنسانية الحية، لأن غايته المقابلة بين مشهدين يتشابهان تمام الشبه[1].

والزبرجد حجر كريم، والشعراء في كثيرٍ من الأحيان أخـذوا تـشبيهاتهم وصـورهم للأزهار ومظاهر الطبيعة من المعادن النفيسة والأحجار الكريمة الملونة، فابن زقاعـة يـصور الشقيق في شكله ولونه بالياقوت الأحمر الذي توسطه خرز أسود، يقول:

[البسيط]

وَمِـنْ شَـقِيقٍ كَيـاقوتٍ بِـهِ سَـبَجٌ   أوْ خَالُهُ خالُ مَنْ أهْوَى بوَجْنَتِـهِ[2]

كما يشبهه بخال من أحب وقد زين وجنتيه، فصور الشعراء متعددةٌ ومختلفةٌ في الشقيق، حتى إن الشاعر ليجمع في البيت الواحد أكثر من صورة، وذكر الرياض حاضر فـي وصـف الشقيق، فالشقائق قطعةٌ من الرياض وجزء منها، لا تكتمل بهجتها وجمالها إلا به وبأمثاله مـن الأزهار الملونة الأخرى، فابن خلوف يجعل الشقائق سبباً لحسن الروض، وهي تشبه إناء الفضة وقد احتوى خرزاً أحمر وسطه قرص عنبر، كما أنها تشبه خالاً ومقلةً على الخد، يقول:

[الطويل]

كَفَـى الـرَّوْضَ حُـسْناً أنَّ بَـيْنَ   شَـقِيقةُ نُعْمَـانِ تَلُـوحُ وَتَبْتَـدِي

كُجْـامِ عَقِيـقٍ وَسْطَهُ قُرْصُ عَنْبَـرٍ   وَخَـدٌّ بِـهِ خَـالٌ وَمُقْلَـةُ أرْمَـدِ[3]

ويجعل الشهاب المنْصوري الروضة عروساً وجنتاها شقائق النعمان، يقول:

[الخفيف]

لا تَقُـلْ رَوْضَـةً وَلَكِـنْ عَرُوسـاً   وَجْنَتَاهـا شَـقائِقُ النُّعْمَـانِ[4]

ويدعو ابن حِجة نديمه إلى جنان الروض للتنعم بزهر الشقائق الذي شابه كأسـاً مـلئ برحيق الندى، يقول:

[الرجز]

انْهَـضْ إلـى جَنَّـةِ رَوْضٍ زاهِـرٍ   لا يَعْتَرِيـكَ فِـي مَقـالِي شَـكٌّ

---

(1) حاوي، إيليا، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، 19.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 98.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386.

وَانْظُـرْ إلـى كَـأسِ شَـقِيقٍ مُلِئَـتْ   رَحِيــقَ طَــلٍّ وَالخِتــامُ مِــسْكٌ[1]

ويحاول ابن خَلوفْ التونسِي تفسير سبب لون الشقائق الأسـود، فاسـتعار صـفةً مـن الصفات المعنوية للإنسان وأسقطها على الشقائق وهي حسدها لأزهار الربا لما رأتها تكشف عن مبسمٍ كالدر المنضد، يقول:

[البسيط]

مَـا لِلـشَّقَائِقِ إذْ بَـدا زَهْـرُ الرُّبـا   يَفْتَـرُّ عَـنْ مَبْـسَمٍ كَالـدُّرِّ مُنْتَـضِدِ

إسْـوَدَّ باطِنُهـا مِـنْ نَـوْرِهِ حَـسَداً   حتَّــى الــشَّقَائِقُ لا تَخْلُــو مِــنَ [2]

ويصف الشهابِ الحِجازي روضةً ترقص أغصانها طرباً من ألحان الورق، وقد أغـاظ الشقيق قلب الحاسد وشقه، يقول:

[البسيط]

وَرَوْضَـةٌ رَقَصَتْ أغْصانُهَا طَرَبًـا   مِنْ شَدْوِ وُرْقٍ عَنِ الألْحانِ تُغْنِينَـا

شَـقِيقُها شَـقَّ غَيْظاً قلبَ حاسِدِنا   وَحُسْنُ مَنْثورِها المَنْظومِ يُلْهِينـا[3]

ويرسم أبو بكر الدماميني صورةً جميلةً للشقائق، فسوادها المزين بحمرة أوراقها، يحاكي قلوباً سودها الصدود، وجرحها لحظ فسالت دماؤها، وهو يستعير لون الـدماء لأوراق الـشقيق الحمراء، يقول:

[الطويل]

سَوادُكَ يـا زَهْرَ الـشَّقَائِقِ قَدْ زَهـا   بِحُمْــرَةِ أوْراقٍ يَــروقُ سَــناؤُها

يُحــاكِي قُلوبــاً بِالـصُّدودِ تَـسَوَّدَتْ   وَجَرَّحَهـا لَحْـظٌ فَـسَالَتْ دِماؤُهـا[4]

وجمع الشعراء مع الشقيق أزهاراً أخرى، فابن زقاعة يجعل الجلنار – زهر الرمـان– شقيقاً للشقائق بجامع تشابه اللون الأحمر، يقول:

[السريع]

---

(1) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 222/2. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(2) **نفسه**، 121/2.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 367.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 98. الأبيات غير موجودة في ديوانه.

شَـــقائِقٌ شِـــقٌّ فُـــؤادِي فكَـــمْ مِـــنْ قبْلِـــهِ شَـــقِيقُهُ الجُلَنَّـــارْ(1)

ويتنعم أبو بكر الدماميني بالشقائق إن غاب خد الحبيب ومتعته، يقول:

[السريع]

شَـــقائِقُ النُّعْمـــانِ أَلْهُـــو بِهـــا إنْ غـابَ مَـنْ أَهْـوَى وَعَـزَّ اللِّقـا

فالخـدُّ فِـي القُـرْبَ نَعِيمِـي وَإنْ غـــابَ فَـــإنِّي أَكْتَفِـــي بالـــشَّقا(2)

ووصف النواجي شقيقاً في الروضة رآه وقد تفتحت أكمامه ، يقول:

[الكامل]

وَغَـدا الـشَّقِيقُ مُفَتَّحـاً أَكْمامُـهُ طَرَبـاً وَجَيْـبُ الـوَرْدِ فِيـهِ مُزَرَّرَا(3)

وشبه ابن زقاعة شقائق النعمان الحمراء اللون برؤوس الأصـابع المخـضبة بالحنـاء، يقول:

[الخفيف]

وَكَـذاكَ الـشَّقِيقُ شَـقَّ جُيُوبـاً مِثْـلَ لَـوْنِ البَنـانِ بَعْدَ الخِضابِ(4)

6- المَنْثور:

المنثور أو الخيري من رياحين الشام، وهو ألوان، منه الأصفر والأبـيض والبنفـسجي والأزرق(5)، والمنثور لا رائحة له ما دامت الشمس طالعةً فإذا غابت ظهرت له روائح مـشابهةٌ لروائح القرنفل(6)، وقد وصف ابن زقاعة لونه الأصفر الذي يحاكي لون الإنسان المصفر مـن العشق والوجد، يقول:

[السريع]

وَشِـبْهُكَ المَنْثـورُ فِـي لَوْنِـكَ ال مُـصْفَرِّ مِـنْ شَـوْقٍ وَمِـنْ وَجْـدِ(7)

وفي معنًى آخر يظهره في صورة النديم الذي ينادم صاحبه، يقول:

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 150.

(2) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 116، و يريد بالشقا " الشقائق " وهو من باب الاكتفاء.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 219.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 114.

(5) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**،81.

(6) ينظر: النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 226.

(7) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 154.

[الطويل]

وَدَوْحَـةُ وَرْدٍ أرْضُـها مِـنْ بَنَفْسَجٍ   يُنَــادِمُنِي مَنْثُورُهــا باصْـفِرارِهِ[1]

ولفتت روائح المنثور الشعراء، وفضلوها على سائر العطور، فأبو بكر الدماميني يصف زهور منثورٍ في روضةٍ وقد فاحت منها الروائح التي تفوق عبير المسك والكافور، أما قطرات الندى فهي تحاكي الجواهر المنظومة، وقد أحسن الشاعر مطابقته بين لفظتي المنظـوم للنـدى والمنثور للزهر، يقول:

[الكامل]

لِلَّــهِ مَنْثــورٌ بِرَوْضِــكَ نَــشْرُهُ   يَطْـوِي عَبيـرَ المِـسْكِ وَالكـافورِ
قَطْرُ النَّدَى فِيـهِ الجَـواهِرُ نُظِّمَـتْ   يَـا حَبَّـذا المَنْظـومُ فِـي المَنْثـورِ[2]

ووصف الشعراء شكله، فأوراقه تشبه الأكف والأصابع، يقول ابن حِجةَ الحموي فـي منثور مد أوراقه على الماء:

[الطويل]

رَأَيْتُ مَـعَ المَنْثـورِ بَعْضَ وَقاحـةٍ   وَلَـمْ أدْرِ مـا بَـيْنَ الغَـديرِ وَبيْنَــهُ
تَلَــوَّنَ مِنْــهُ ثُــمَّ مَــدَّ أصَــابِعاً   إلى وَجْهِـهِ عَمْداً وَخَضَّرَ عَيْنَـهُ[3]

وجمع الشعراء إلى جانب ذكر المنثورذكر أزهارٍ أخرى مثل الآس والجلنار، وقد بـدا المنثور منتشراً في أرجاء الروضة، يقول ابن الزين لُبيكُم:

[البسيط]

وَالآسُ قَدْ مـاسَ وَالمَنْثُورُ مُنْتَثِرٌ   وَالجُلُنَّــارُ شَــكا نــاراً بِــإحْراقِ[4]

وأبرز ابن حِجة المنثور وقد تغيرلونه غيرةً وغيظةً لما مدح الورد ووصف بأنه أميـر الزهور، أما ثغور الأقحوان فقد ابتسمت مسرورةً، وهذا نقل للمـشاعر الإنـسانية إلـى عـالم الطبيعة، وهذه الصفات يتسم بها الإنسان وهو هنا ينقلها للأزهار، فالشاعر والطبيعة مثل الجسد والروح، لا انفصام بينهما، والطبيعة غدت نبضاتٍ لقلوب الشعراء وملاذاً لأنفسهم[5]، يقول:

[الكامل]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 139.

(2) السراجنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 106.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 104.

(4) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 104.

(5) ينظر: باشا، عمر موسى، **ابن النقيب شاعر الطبيعة الدمشقي في العصر العثماني**، 57، والهيب، أحمد فوزي، **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء**، 139.

وَمُـدْ قِيـلَ لِلمَنْثـورِ إنَّ الـوَرْدَ قـدْ وَافـى عَلَـى الأزْهـارِ وَهْـوَ أمِيـرُ
بَـسَمَتْ ثُغُـورُ الأقحَـوانِ مَـسَرَّةً لِقُدومِـــهِ وَتَلَـــوَّنَ المَنْثُـــورُ[1]

وبدا المنثور كارهاً لحضور الورد وداعياً عليه بالهلاك، أما ثغور الأقحوان فـودت أن تعض أصابعه، يقول ابن حجة:

[الكامل]

لَمَّـا دَعـا المَنْثـورُ أنَّ الـوَرْدَ لا يـأتي وأن يـصلي بنـار الـسعير
ودت ثغـور الأقحـوان لـو أنهـا كانـت تعـض أصـابع المنثـور[2]

وفي نفس المعنى يقول:

[الطويل]

وَمُـذْ قُلْـتُ لِلمَنْثـورِ إنِّـي مُفَـضِّلٌ عَلَـى حُـسْنِكَ الـوَرْدَ المُنَـزَّهَ فِـي
تَلَـوَّنَ مِـنْ قـوْلِي وَزادَ اصْـفِرارُهُ وَفَـتَّحَ كَفَّيْـهِ وَأومَـا إلـىَ وَجْهِـيَ[3]

ويجعل الشاعر نفسه المنثور يصافح وردةً فيلومه القُمـري، وتحـتج ورود الـروض مغتاظةً، يقول:

[السريع]

صَـــافَحَ مَنْثـــورُ الرُّبَـــا وَرْدَةً فَلامَـــهُ القُمْـــرِيُّ فِـــي الأيْكَـــةِ
قَالَـتْ وُرودُ الـرَّوْضِ فِـي غَيْظِهـا هَـلْ جَـاءَ فِـي إصْـبَعِهِ شَـوْكَةِ[4]

ويفضل زين الدين الخَراطْ الورد على المنثور، فشمس الورد غطت بنورهـا وجمالهـا نوره، فبدا من خلالها هباء منثورا لا قيمة له، يقول:

[مجزوء الوافر]

دَع المَنْثـــورَ شَـــمْسُ الـــوَرْ دِ غَـــشَّتْ نَـــوْرَهُ نُـــورَا
ألَـــــمْ تَـــــرَهُ إذا يَبْـــــدُو "هَبَـــاءً فِيـــهِ مَنْثُـــورَا"[5]

ومن الصور الجميلة للمنثور قول ابن حِجة مشبها الخَيري وهو المنثور - وقد ظهـرت عليه أثار المص في خد فتاة حيية:

---

(1) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 128/1.الشطر الأول من البيت الأول مكسور من المصدر والأبيات غير موجودة في ديوانه.

(2) **نفسه**، 129/1، البيتان غير موجودين في ديوانه ، والشطر الثاني والثالث من الأبيات مكسورة من المصدر.

(3) النواجي، شمس الدين، **الحجة في سرقات ابن حجة**، 457. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(4) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 103.

(5) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 83، والشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا"، الفرقان آية 23.

[البسيط]

كَأَنَّمــا زَهْـرُ الخَيْـريِّ حِـينَ بَـدا آثــارُ مَـصٍّ غَـدَتْ فِــي خَـدِّ ذِي

7- النَّرْجسْ:

بفتح النون وكسرها، من الرياحين طيب الرائحة[2]، وهو أول الأزهار طلوعاً في فصل الربيع[3]، وقد وصف ابن زقاعة النرجس، فساقه زبرجد، ورأسه نصفه ذهب والنصف الأخـر فضةٌ بيضاء اللون، يقول:

[الكامل]

وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ المُضاعَفُ قالَ فِـي زَهْرِكُمْ مِثْلِـي وَيَحْمِـلُ رَايتِـي

سَـاقِي زَبَرْجَـدْ ثُـمَّ رَأسِـي نِـصْفُهُ ذَهَــبٌ وَباقِيــهِ سَــبيكُ فِـضَّةِ[4]

وجمع بعض الشعراء للنرجس أكثر من صورة، فالسيوطي شبهه بالعيون، وقـد اعتـاد الشعراء على هذا التشبيه، كما شبهه بالذهب الذي تحمله أعمدة الزمرد وسـط أوراق الكـافور، يقول:

[البسيط]

وَالنَّـرْجِسُ الغَـضُّ لَـمْ يَغْـضُضْ فَزَهْـرُهُ بَـيْنَ مُـنْقَضٍ وَمَـزْرُورِ

كَأَنَّـــهُ ذَهَــبٌ مِــنْ فَــوْقِ أعْمِـدَةٍ مِـنَ الزُّمُـرُّدِ فِـي أوْراقِ كَـافُورِ[5]

وشبه ابن حجة قطرات الندى على زهر النرجس بالدموع، كما صورها أيضا بحبـات اللؤلؤ، وهي تزين وتكلل عيونه، يقول:

[البسيط]

حَدائِقُ الرَّوْضَةِ الفَيْحـاءِ نَرْجِسُها عُيُونُــهُ بِـدُمُوعِ الطَّـلِّ مُـذْ رَمَقَـتْ

هِمْنـا إلَـى رَشْفِ ثَغْرِ الكَأْسِ مِنْ "فَــأَمْطَرَتْ لُؤْلُــؤاً مِــنْ نَــرْجِسٍ

ونظر بعض الشعراء للأزهار نظرة الحذِر المتَرقبِ لما بدا الأذى منها تجاههم ، مثـل الشهاب المنْصوري الذي وصفها بصفات التجسس والعداء، يقول:

---

(1) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360. البيت غير موجود في الديوان.

(2) ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "نرجس"، 514/8.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد، **نزهة الأمم**، 42.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 196، في الشطر الثاني من البيت الثاني الصواب " سبيكة" حتى يستقيم الوزن.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.

(6) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 186/2، الأبيات غير موجودة في الديوان، والشطر الثاني من البيت الثاني مضمن من شعر الوأواء الدمشقي وعجزه " ورداً وعضت على العنّاب بالبرد "، ينظر **ديوانه**، 84 .

[الكامل]

عِنْدَ الصَّباحِ رَأيْتُ نَمَّاماً بَدا مَعَ حُمْرَةٍ فِي الرَّوْضِ قُلْتُ هِيَ

وَمُرَاقِباً مِنْ نَرْجِسٍ قَدْ راعَنِي وَمِنَ البَنَفْسَجِ لِي عَدُوّاً أَزْرَقا[1]

ورآه قد تلون من الحسد والغيرة، يقول:

[الكامل]

وَالنَّرْجِسُ الزَّاهِي تَلَوَّنَ غَيْرَةً فَرَمَى بِمُقْلَةِ حَاسِدٍ صَفْرَاءِ[2]

واتخذ الشعراء من الأزهار موضوعاً للمناظرة والمفاضلة، ومن المعروف أن ابن الرومي قد أحب النرجس وفضله على الورد حتى أنه قد هجاه[3]، فالمقْريزي يفضل الورد ويرى أن النرجس لا يصلح إلا أن يكون خادماً له، يقول:

[السريع]

مَنْ فَضَّلَ النَّرْجِسَ وَهْوَ الَّذِي يَرْضَى بِحُكْمِ الوَرْدِ إِذْ يَرْأَسُ

أَما تَرَى الوَرْدَ غَدا قاعِداً وَقامَ فِي خِدْمَتِهِ النَّرْجِسُ[4]

واتخذ النواجي من عيون النرجس - وهي صفة اعتاد الشعراء على نعته بها - مادةً للنقد، فهو يشخص النرجس رقيباً عليه ويطالبه بغض بصره، يقول:

[الكامل]

غُضِّي جُفُونَكِ يا عُيونَ النَّرْجِسِ مِنْكِ اسْتَحَيْتُ بِأَنْ أُقَبِّلَ مُؤْنِسِ

نامَ الحَبِيبُ تَذَبَّلَتْ وَجَناتُهُ وَجُفُونُكُنَّ شَواخِصٌ لَمْ تَنْعَسِ

وَلَقَدْ تَحَيَّرَ إِذْ رَآكِ شَواخِصاً تَرْمِينَهُ بِلَواحِظِ المُتَفَرِّسِ[5]

وكما جعل بعضهم الورد مفضلاً على الأزهار، فضل بعضهم النرجس، فقد رأى الشاعر سيدي أحمد بن بكْتُمر النرجس سيد الأزهار وسلطانها بألوانه التي تشبه لون الذهب والفضة، وهو في ذلك يعبر عن حبه للنرجس وإعجابه به، يقول:

[الطويل]

---

(1) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 80. البيت غير موجود في مجموع شعره.

(2) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 170/1.

(3) ينظر: حسن، رشدي علي، **شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني**، 59-60.

(4) المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والاعتبار**، 368/1.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 372.

تَـسَلْطَنَ مـا بـيْنَ الأزاهِـرِ نَـرْجِسٌ   بِمَـا خُـصَّ مِـنْ إبْرِيـزِهِ وَلُجَيْنِـهِ[1]

أما ابن خَطِيب داريا فيدعو أصحابه للاجتماع والشرب في وقت الربيع على بساط الورد والنرجس لتحلو الأوقات وتتمتع النفوس بالمناظر الجميلة، يقول:

[السريع]

هاتِ اسْقِنِي الصَّهْباء يا مُؤْنِسِي   قَدْ فاحَ نَشْرُ الوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ[2]

ورسم ابن حِجة صورةً جميلةً للنرجس، فبدا في الروض قائماً يترقب حذَراً من بيـاض الصبح، يقول:

[البسيط]

وقـامَ نَرْجِـسُهُ وَهْنـاً عَلَـى قَـدَمٍ   كَأَنَّهُ مِنْ بَياضِ الصُّبْحِ فِي حَذَرِ[3]

8- النَّمَّام[4]:

يعبر البدر البشْتُكِي عن بغضه للنمام من خلال التورية، يقول:

[الكامل]

إنِّـي أرَى البُـسْتانَ فِيـهِ ثَلاثَـةٌ   عِنْـدي بِهـا حَـسَناتُهُ آثـامُ

العَـيْنُ صـافِيَةٌ بِـهِ وَنَـسِيمُهُ   وَاشٍ وَزَهْـرُ رِياضِـهِ نَمَّـامُ[5]

9- النَّيْلُوفِر:

من محاسن الشام، وهو أصفر وأزرقٌ وبنفسجي وأحمر، ينبت فـي مـستنقعات المـاء العذبة، وهو يوجه وجهه إلى الشمس إذا طلعت، ويزيد تفتحه بزيادة علو الشمس، فـإذا غابـت الشمس أكمل انضمامه وغطس في الماء[6]، وإلى ذلك يشير النواجي في وصف النيلوفر الـذي يرقب حبيبه نهاراً وليلاً في أحلامه، يقول:

[السريع]

لَيْنُـوفَرٌ فِـي بِرْكَـةٍ قَـدْ زَهـا   عَبِيـرُهُ المِـسْكُ كَنَـشْرِ الحَبِيـبْ

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 112/1.

(2) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 168.

(3) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360. البيت غير موجود في ديوانه.

(4) النمام: نبت طيب الرائحة، ينظر ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة " نمم "، 362/14.

(5) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360. البيت غير موجود في ديوانه، 95.

(6) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 103.

نَهـــــارُهُ يَرْقُبُـــــهُ باهِتـــــاً حَتَّـــى إذا حَـــان أوانُ المَغِيـــبْ
أطْبَـقَ جَفْنَيْـهِ عَـسَى فِـي الكَـرَى يَنْظُـرً مَـنْ فارَقَـهُ عَـنْ قريـبْ[1]

ووصف علي بن أيبك أيضاً بعض صفات النيلوفر وأبرز طيب رائحتـه التـي عبقـت المكان، فهو عندما ينضم وينكمش وقت غروب الشمس يبدو عاشقاً أغرق نفسه في المـاء لمـا غاب حبيبه، وكما مر فقد اعتاد الشعراء على استحضار معاني الغزل فـي وصـف الزهـور للتلازم بينهما في الجمال أو السعادة التي يشعر بها الشعراء تجاه كل منها، يقول:

[الكامل]

يـا حُـسْنَهُ فِـي بِرْكَـةٍ قـدْ أصْبَحَتْ مَحْـشُوَّةً مِـسْكًا يُـشابُ بِنَـدِّهِ
وَكَأنَّـــهُ إذْ غـــابَ عِنْـــدَ مَـــسائِهِ فِـي المـاءِ وَاحْتَجَبَتْ نَضارَةُ قَدِّهِ
صَـبٌّ تَهَـدَّدَهُ الحَبِيـبُ بِهَجْـرِهِ ظُلْمـاً فَغَـرَّقَ نَفْـسَهُ مِـنْ وَجْـدِهِ[2]

وارتبط ذكره عند بعض الشعراء بصورة الخمر، فمرآه يثير في نفس الشاعر الرغبـة بشربها، فيطيب له الشراب مبتهجاً بألوان الأزهار [3]، فأحمد الخَاوفْ يجمع للنيلوفر أكثـر مـن صورة، يراه في الأولى وقد نبت على حواف الغدران ببقايا الخمر في الكؤوس، ويتخيلـه فـي الثانية كأذناب الطواويس التي تزين بالياقوت صفحة العاج، يقول:

[الطويل]

وَنَيْلُـوفَرٌ شَـبَّهْتُهُ فِـي غَـدِيرِهِ بَقايـا سُـلافٍ فِـي كُـؤُوسِ زُجَـاجِ
تَمَثَّـلَ أذْنـابَ الطَّـواوِيسِ إذْ غَـدا يُمَـوِّهُ باليـاقُوتِ صَـفْحَةَ عـاجِ[4]

ووصف ابن زقاعة النيلوفر، فهو يطفو على سطح الماء بلونه الأصفر الذهبي اللـون، ولم أدر ما الخصال التي قصدها، وذكر بعد ذلك أن الطيور تسكن زهره لوقت طلوع الـضحى، يقول:

[الكامل]

وَالنَّـوْفَرُ النَّهْـرِيُّ قـالَ وَقَـدْ طَفـا فَـوْقَ النُّهْـورِ بِخَلْعَـةٍ ذَهَبِيَّـةِ

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 375.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 103.

(3) ينظر: الغباري، عوض علي، **شعر الطبيعة في الأدب المصري**، 45.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 106-107.

لِـي مِـنْ خِـصالِ الـصَّالِحينَ ثلاثـةٌ جَمَعَتْهــا أَلْــوانُهمْ فِــي صُــفْرَةِ
مِـنْ بَعْـدِ هَـذا وَالطُّيـورُ تَزورُنِــي وَتَبِيتُ فِي زَهْرِي لِطالِعِ ضَحْوَةِ[1]

ورسم الشاعر نفسه للنيلوفر صورةً أخرى، فهو يبدو بسيقانه التي تتخذ شكل الحبال ثعابين خضراء، وزهره كأنه ذهب من بقايا كنوز قارون، وفي هذا تواصل من الشاعر مع الموروث الديني من القرآن الكريم، يقول:

[البسيط]

وَالنَّوْفَرُ الغَضُّ فِي الغُدْرانِ مُنْحَلاً كَــأنَّ قُـضْبانَهُ خُــضْرُ الثَّعــابِين
كَأنَّمـا زَهْـرُهُ قـدْ صِـيغَ مِـنْ ذَهَـبٍ إبْرِيـزُهُ مِـنْ بَقايـا كَنْـزِ قـارُونِ[2]

10- الوَرْدُ:

الورد أنواع أحسنه الجوري[3]، وهو شجر شائك له أزهار صفراء وبيضاء وحمراء،رائحته عطرية فواحة[4].

تأمل الشعراء الورد فسبى نفوسهم وعقولهم، ووصفوا جماله، وسجلوا إعجابهم الشديد به، واغتنموا أوقات قدومه، وعاشوا لحظاتٍ سعيدةً مستمتعين بحسنه وروعته، وفضلوه على غيره من الأزهار حتى رأى فيه ابن زقاعة سلطان الأزهار بلا منازع، لأجل هذا حسدته بقيتها، يقول:

[الكامل]

والوَرْدُ سُلطانُ الزُّهورِ بِلا مِراءٍ حَـسَدوهُ يـا هَـذا لِأجْـلِ النِّعْمَـةِ[5]

ويستعير النواجي للورد صورةً قتاليةً، فبدا الورد سيداً ومليكاً تسلطن على الأزهار الجميلة بشوكه الحاد، فقاد جيوشها، وأطاعته خاضعةً لأمره، يقول:

[الوافر]

مَلِيـكُ الـوَرْدِ أقْبَـلَ فِـي جُيـوشٍ مِــنَ الأزْهــارِ فِــي حُلَــلٍ بَهِيَّــة
فَوافَتْـــهُ الأزاهِـــرُ طائِعـــاتٍ لِأنَّ الــــوَرْدَ شَـــوْكَتُهُ قَوِيَّـــة[1]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 196.

(2) **نفسه**، 103-104، والشاعر يتواصل مع قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)، سورة **القصص** آية 76.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 61.

(4) ينظر: الجندي، علي، **الشذا المؤنس في الورد والنرجس**،11.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 195.

وفي معنًى قريبٍ يستخدم شهاب الدين الباعوني الأدلة والبراهين لإقناع المتلقي بفـضل الورد على الأزهار، ويسمه بالزعامة والرئاسة، وقد ذكر ابن إياس أن أزهار النرجس والبنفسج والياسمين تسبق الورد في فصل الربيع[2]، فالشاعر هنا يشير إلى وقت ظهور الورد وهو عقب هذه الأزهار، كما أنه يعبر عن إعجابه الشديد بالورد وتفضيله عل سائر الأزهـار، والـشاعر يحاول التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ونقلها من خلال هذه الصورة الجميلة، يقول:

[الكامل]

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الوَرْدَ عَنْ تَأْخِيرِهِ	وَقُدومِ أَنْواعِ الزُّهورِ أمامَهُ
فَأجابَنِي إنَّ المَلِيكَ إذا أتَى	سَاقَ العَساكِرَ كُلَّها قُدَّامَهُ[3]

فالشاعر يستخدم أسلوب المحاورة والإقناع والتبريـر فـي وصـفه لإيـصال فكرتـه والانتصاروالسمو بها.

وأبرز ابن زقاعة ألوان الورد، وذكر أحد أنواعه، وهو الورد الجوري الأحمـر، أمـا الورد الأبيض فله رائحةٌ نفاذةٌ تشبه رائحة الكافور، والورد الأصفر يـسر النـاظرين ويـبهج نفوسهم، كما أن الشاعر لم يغفل ذكر شوكه، يقول:

[الكامل]

والوَرْدُ نادَى يا زُهورُ أنا الَّذِي	لِي شَوْكَةٌ أفَما تَهابُوا شَوْكَتِي
لا تُنْكِرونِي إنَّنِي سُلْطانُكُمْ	لا لَنْ أغِيبَ فَنابِتِي مِنْ دَمْعَتِي
فِي حُلَّةٍ حَمْرَا سَآتِيكُمْ غَداً	مِنْ شُقَّةٍ مَصْبُوغَةٍ جُورِيَّةِ
مِنْ بَعْدِهِ فِي حُلَّةٍ بَيْضا لَها	عَرْفٌ يَضُوعُ كَنَسْمَةِ الكافُورَةِ
مِنْ بَعْدِهِ فِي حُلَّةٍ صَفْرا تَسُرْ	رُالنَّاظِرِينَ، كَما أنا، وَرَسِيَّةِ[4]

أما ابن حِجة فيعبر عن إعجابه بالورد الأبيض، ويرى في تفتحه صورة البدر، يقول:

[مجزوء الرجز]

كَمْ وَرْدَةٌ بَيضاءُ قَدْ	حَكَتْ لَنا مُذْ أزْهَرَتْ

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 319.

(2) ينظر ابن إياس الحنفي، محمد، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، 42.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2 ، 6/2.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 197-198.

طَلْعَـــــةُ بَــــــدْرٍ كَامِــــــلِ "وَالـــشَّمْسُ فِيهـــا كُـــوِّرَتْ"[1]

وتنوعت صور الورد في أذهان الشعراء، وأكثروا من مزج وصفهم له بالغزل، وشبهوه بالخدود لعلاقة التشابه بينهما في اللون، فالشعراء منذ عصور الأدب الأولى اعتادوا على "خلـع صفات الزهر على المرأة، وخلع صفات المرأة على الزهر"[2] يقول إبراهيم بن محمد بن علـي ابن مدلج:

[البسيط]

وَالـوَرْدُ مِثْلُ خُدودِ الغانِيـاتِ بَـدا وَالنَّـــرْجِسُ الغَـــضُّ تَـــسْبِينا [3]

وهذا المعنى قديم ومطروقٌ عند الشعراء السابقين لهذا العصر، ومثاله قـول إسـماعيل الأصبهاني:

[الكامل]

وَالـــوَرْدُ فِيـــهِ كَأَنَّمـــا أَوْراقُـــهُ نُزِعَـــتْ وَرُدَّ مَكـــانَهُنَّ خُـــدودُ[4]

وعبر ابن خطيب داريا عن إعجابه بالورد، فهو يعظم الخالق الذي أنبتـه مـن العـدم تعظيماً يستشف منه حبه له، وهذا الورد يحاكي وجنة المحبوب التي نقطها المحِب بـدينارٍ مـن الذهب، يقول:

[البسيط]

انْظُرْ إلى الـوَرْدِ مـا أحْلَـى شَـمائِلَهُ سُبْحانَ خالِقِهِ مِنْ يـابسِ الحَطَبِ

كأَنَّـــهُ وَجْنَـــةُ المَحْبـــوبِ نَقَّطَهـــا كَـفُّ المُحِـبِّ بِـدِينارٍ مِـنَ الـذَّهَبِ[5]

ويشخص ابن حجة الورد مستدعياً معاني الغزل في وصفه، فالورد فتاةٌ تطلب القبل في الصباح، وبعد زوال الشمس يظهر كالوجنة وعليها أثار قبل الشمس، يقول:

[الطويل]

---

(1) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 194/2. الأبيات غير موجودة في الديوان، والشطر الثاني من البيت الثاني مضمن من قوله تعالى "إذا الشمس كورت"، سورة **التكوير**، آية 1.

(2) الغباري، عوض، **شعر الطبيعة في الأدب المصري**، 43.

(3) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(4) الأزدي، علي، **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات**، 80.

(5) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 63. الأبيات غير موجودة في ديوانه.

أرَى الوَرْدَ عِنْدَ الصُّبْحِ قدْ مَدَّ لِي ... يُشِيرُ إلَى التَّقْبيلِ فِي سَاعَةِ

وَبَعْدَ زَوالِ الصُّبْحِ يَبْدو كَوَجْنَةٍ ... وَقَدْ أثَّرتْ فِي وَسْطِها قُبْلَةٌ[1]

ورأى زين الدين الخَراط وردًا على الماء، فتخيله خدوداً وماء الجدول دموعاً:

[الوافر]

عَجِبْتُ وَقَدْ رَأتْ عَيْنَايَ وَرْداً ... يَسِيرُ بِجَدْوَلٍ عَذْبِ الشُّرُوع

فَلَمْ يَرَ نَاظِرِي أبَداً خُدُوداً ... جَرَتْ مِنْ قَبْلِهِنَّ مَعَ الدُّمُوع[2]

وفي معنى قريبٍ شبه البدر البشْتُكِي الورد المكلل بالندى بالخد الأحمر وقد سالت دموعه:

[السريع]

كَأنَّمَا الوَرْدُ وَقَطْرُ النَّدَى ... مُحْمَرُّ خَدٍّ رُشَّ بِالأدْمُع[3]

وارتبط وصف الورود أيضا بذكر الرياض التي تنبت فيها وتحتضنها، فالشهاب المنْصوري يرى الورد متمايلاً بين أزهار الروضة، يقول:

[البسيط]

لَمَّا اكْتَسَى الرَّوْضُ أثْواباً مُلَوَّنَةً ... تَمايَلَ الوَرْدُ فِي أوْراقِهِ الحُمْرِ[4]

ويصف أحمد الخَلوفْ ورود الروض وقد بللتها قطرات الماء بالسقاة الذين يحملون في أكفهم كؤوساً، وقطرات الماء عليها تشبه الدر، يقول:

[الطويل]

حَكَتْ شَجَراتُ الوَرْدِ فِي الرَّوْضِ ... يُقَبِّلُها فِي خَدِّها مَبْسَمُ القَطْرِ

سُقَاةُ مَحَلٍّ أبْرَزَتْ فِي أكُفِّهَا ... كُؤُوسَ نَضارٍ قدْ تَرَصَّعْنَ بالدُّرِّ[5]

---

(1) **نفسه**، 65. الأبيات غير موجودة في ديوانه.

(2) **نفسه**، 64-65.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 34.

(4) **نفسه**، 387.

(5) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 64.

وشبه أبو بكر الدماميني ورد الرياض بالياقوت المذهب، وجمع إلى جانب متعة النظر إليه متعة سماع غناء الشحارير وهديل الحمام حتى وكأن المغني معبد يصدح بغنائه في الروضة، يقول:

[الطويل]

ولاحَ بهـا الـوَرْدُ النَّضِيرُ كَأنَّـهُ	دُفُوفٌ مِنَ الياقوتِ نُقِّطْنَ عَسْجَدَا
وَغَنَّى بها الشَّحْرُورُ لَكِنْ حَمامُها	خَطِيبٌ فَفِي الحالَيْنِ عايَنْتُ (1)

وإلى جانب ذكر الورد ذكر الشعراء أنواعاً أخرى من الأزهار كالنرجس والأقحوان، فالشعراء معجبون بالأزهار عامةً وإن فضلوا الورد عليها في كثيرٍ من الأحيان، فهم يحبون الطبيعة ويتحدثون عنها ويمزجون مشاعرهم وأحاسيسهم بها ويعبرون عن فرحهم من خلال وصفها، يقول إبراهيم بن محمد ابن مدلج:

[البسيط]

بِتْنا عَلَى رَوْضَةٍ كانَ الغَدِيرُ بِها	وَالأقْحَوانُ بِها فاحَتْ أزاهِرُهُ
وَالوَرْدُ مِثْلُ خُدودِ الغانِياتِ بَدا	وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ تَسْبِينا (2)

فقد حاول الشعراء إكمال الصورة وزيادة عناصر الجمال فيها، فالروضة تحوي الغدير، والماء عنصر من عناصر الجمال في الطبيعة، كما أنها تحتضن الأزهار التي يكللها الطل والتي تفوح بروائحها العبقة فتسبي وتعجب الناظرين.

ويدعو ابن كَمِيلْ المنْصوري نديمه للتنعم في بستان زاه بهي حوى أزهار الورود وثمار التوت، وهو يوري بلفظة "توتا" توريةً لطيفةً وتعني الثمرة والإتيان، يقول:

[مخلع البسيط]

بُسْتانُنا زاهٍ بَهِيٌّ	لَذَّاتُهُ الآنَ لَنْ تَفُوتا
هَلْ لَكَ تَأْتِي لَهُ سَرِيعاً	تَنْظُرُ وَرْداً بِهِ وَتُوتا (3)

ومزج الشعراء أيضا حديثهم عن الورد بوصف الخمر، فالورد يثير رغبتهم في شرب الخمر، والشاعر لطربه بالطبيعة يهتف بالخمر في إبان جمالها، والخمر عنده لون من ألوان

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 77 .

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(3) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 105.

الطرب الربيعي التي ينشرها في الرياض أزهاراً بيضاء وحمراء وخضراء وصفراء، فالشاعر إبراهيم بن محمد ابن مدلج يستعير لون الورد وطعمه ورائحته العبقة ويمنحها للخمر، فالتمتع بالورد لا يحلو إلا بحضور الخمر والعكس صحيح، وسأترك الشاعر ليعبر عن إعجابه بالطبيعة وتوحده معها وتكامل هذا الفرح بحضور أسبابه ومنها شرب الخمر، يقول:

[الكامل]

هَـذا أوانُ الـوَرْدِ فاشْـرَبْ قَهْـوَةً ... قَـدْ شـاكَلَتْهُ فَلَوْنُهـا مِـنْ لَوْنِـهِ
وَمَـذاقُها مِـنْ طَعْمِـهِ وَأَرِيجُهـا ... مِـنْ نَـشْرِهِ، وَكَأَنَّهـا مِـنْ كَوْنِـهِ
إنْ جَـفَّ كَـأْسٌ كـانَ وَرْداً جامِـداً ... أَوْ ذابَ وَرْدٌ فَالمُـدامُ بِعَيْنِـهِ[1]

وركز الشعراء إلى جانب لون الورد وطعمه على ذكر الرائحة، فأحد الشعراء كتب إلى أبي البقاء البدري يهديه وردةً ويصف رائحتها التي تشبه رائحة المسك، وهي أيضاً تشبه العذراء التي تعففت واستترت لما رآها الرائي، يقول الشاعر:

[المتقارب]

وَدُونَـكَ يـا سَـيِّدِي وَرْدَةً ... يُـذَكِّرُكَ المِـسْكُ أَنْفاسَـها
كَعَـذْراءَ أَبْـصَرَها مُبْـصِرٌ ... فَغَطَّـتْ بِأَكْمامِهـا رَأْسَـها[2]

وذكر الشعراء أنواع الورد فمنه الجوري والنصيبي، فالشهاب أحمد الباعوني يوري بالورد الجوري من خلال الغزل، يقول:

[الوافر]

رَأَيْـتُ بِوَجْنَتَيْهـا الـوَرْدَ يَزْهُـو ... وَفِـي أَلْحاظِهـاجَوْرٌ كَجُـورِي
وَقالَـتْ خَيَّرُونِـي أَيَّ وَرْدٍ ... بِخَـدٍّ أَوْ أُجـورُ فَقُلْـتُ جُـورِي[3]

فهو يوري بلفظة جوري التي تعني الظلم ويقصد بها الورد الجوري، و يوري في بيتٍ آخر بالورد النصيبي، يقول:

[الوافر]

رَأَيْـتُ بِوَجْنَتَيْـهِ الـوَرْدَ يَزْهُـو ... فَنـادانِي أَهَيَّـا يـا حَبِيبِـي

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 63.

(3) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 152/2.

حَـدِيثُ الـوَرْدِ فِـي لَـوْنٍ وَرِيـحٍ   فمـا هَـذا ؟ فَقُلْـتُ لَـهُ: نَـصِيبِي[1]

11- الياسمين:

الياسمين ألوان منه الأحمر والأصفر[2]، أظهره ابن زقاعة فـي غمـار التنـافس بـين الأزهار، وغدا الياسمين منادياً على الزهور مفضلاً نفسه عليها، فهو المقدّم وهي جنوده، وظهر من خلال أبياته نباتاً متسلقاً كالخيام وأزهاره فضةٌ مسبوكةٌ، يقول:

[الكامل]

نـــاداهُمُ الياسْـمِينُ بَـيْنَ خِيامِــهِ   أنْــتُمْ جُنُــودِي كُلُّكُــمْ حَـضْرَتِي

أنــا لِــي خِيــامُ سُـنْدُسٍ مَنْـصوبَةً   أعْلامُهــا مِــنْ فِـضَّةٍ مَـسْبُوكَةِ[3]

والياسمين الأصفر بين كثبان الرمل يشبه عساكر الروم التي غزت بلاداً وهـي تحمـل صلبان الذهب، يقول علي بن أيبك:

[المنسرح]

كأنّمَـــا اليَاسَـــمِينُ حِـــينَ بَـــدَا   أصْـــفَرُهُ فِـــي جَوانِـــبِ الكَثُـــبِ

عَـــسَاكِرُ الـــرُّومِ نازَلَـــتْ بَلَـــداً   وَكُـــلُّ صُـــلْبانِها مِـــنَ الـــذَّهَبِ[4]

ورسم الشاعر ابن حِجة له صورة أقراط الفضة، وقد تعطرت الريح من نشره وطيبـه، يقول:

[البسيط]

والياسَـمِينُ كَـأقْراطِ اللُّجَـيْنِ بَـدا   فَعَطَّلَ الرِّيحُ مِنْ نَشْرٍ لَـهُ عِطْرُ[5]

وربط الشعراء بين الأزهار والربيع، فهما متلازمان في القدوم والذهاب، فـأبو بكـر الدماميني يستغل مجئ الربيع للتنعم بالورد والنسرين وموشياً صورته ببديع الاكتفاء، يقول:

[الوافر]

يَقُـــولُ مُـــصاحِبِي وَالـــوَرْدُ زاهٍ   وَقَـدْ بَـسَطَ الرَّبِيـعُ بِـساطَ زَهْـرِ

تَعَـــالَ نُبـــاكِرُ الـــرَّوْضَ المُفَـدَّى   وَقُـمْ نَـسْعَى إلَـى وَرْدٍ ونِـسْرِي[6]

---

(1) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 153/2.

(2) ينظر: النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 346.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 196، الأبيات مكسورة من المصدر.

(4) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 192/2.

(5) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360، البيت غير موجود في ديوانه .

(6) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 107.

ورسم ابن حجة للياسمين صورة الدراهم التي استحق الصيف قبضها بعد حلـول وقـت الدين بذهاب الشتاء ومضي الربيع، وفي هذا إشارة إلى وقت الياسمين وهو فصل الربيع، يقول:

[الكامل]

اليَاسَمِينُ يَقُولُ مُذْ وَلَّى الشِّتَا   وَمَضَى الرَّبِيعُ بِأَعْيُنٍ وَمَبَاسِمِ

دَيْنُ المَصِيفِ عَلَيَّ آنَ أَوانُهُ   فَقَدِ اسْتَحَقَّ اليَوْمَ قَبْضَ دَرَاهِمِ[1]

وفي نهاية الحديث عن الأزهار يجدر الذكر أن الشعراء كثيراً ما وصفوا الأزهار دون تحديد نوعها، يقول الشاعر علي بن أَيبك واصفاً لطف الزهر وحنوه عليه في ساعات الهموم:

[مجزوء الكامل]

الزَّهْرُ أَلْطَفُ مَا يَكُو   نُ إذا تَكَاثَرَتِ الهُمُومْ

تَحْنُو عَلَيَّ غُصُونُهُ   وَيَرِقُّ لِي فِيهِ النَّسِيمْ[2]

رابعا: الأنهار والبحار

أ - الأنهار

وصف شعراء العصر المملوكي الثاني الأنهار، فقد تأملوا الطبيعة ورأوا الأنهار تجري في السهول والروابي مانحةً إياها الخصب والخضرة والأزهار والأثمار، فأعجبهم هذا المنظـر الجميل، فوصفوه وتباروا في نظم الصور والمعاني وحرصوا كل الحرص على الإجادة ونقـل المشاعر والأحاسيس ومزجها بالصور، وجاءت عواطفهم صادقةً فيما قالوا ووصفوا، فالطبيعـة هي منحةٌ إلهيةٌ جميلةٌ تسحر الألباب والعقول، وكانت صور القدماء ومعـانيهم حاضـرةً فـي الشعر، يقول عِز الدين الموصِلي مشبهاً النهر بالحسام:

[البسيط]

وَنَهْرُهَا زائِدٌ بِالخِصْبِ يُدْنِينا   كَصارِمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَشْهُورُ[3]

وهذا المعنى قديم في الشعر العربي، يقول أبو الصلْتْ من قصيدةٍ:

[مجزوء البسيط]

وَالنِّيلُ بَيْنَ الرِّيَاحِ مُضْطَرِبٌ   كَصارِمٍ فِي يَمِينِ مُرتَعِشْ[1]

---

(1) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 192/2. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(2) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**،248 .

(3) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 143/1.

وكرر شعراء هذا العصر المعنى كثيراً، مع بعض التغيير، يقول الشهاب المنْصوري:

[الخفيف]

وَجَرَى المـاءُ فِـي الغَـدِيرِ فحَـاكَى ... صَــارِماً مُرْهَفــاً بغَيْــرِ قِــرابِ[2]

فهذا النهر سيف حاد مرهفٌ لا غمد له، وجمع الشعراء أحياناً أكثر من صـورةٍ للنهـر يقول المقْريزي:

[الطويل]

فَلِلَّــــهِ أنْهــــارٌ تَحِــفُّ بِرَوْضِـــها ... لَكَـالمُرْهَفِ المَـصْقولِ أوْ صَـفْحَةِ

فالأنهار في الصورة صوارم أو خدود، ومعاني الغزل حاضرةٌ دائمـا فـي أشـعارهم، فالمؤرخ المقْريزي يذكر زهور الأقاحي التي تشبه الثغور وهي تميل على ماء النهر تقبل خدوده ووجناته، يقول:

[البسيط]

ولِلأقـاحِي ثُغُورٌ بِالـصَّبَا انْتَشَرَتْ ... كَأنَّهــا قُبُـلٌ فِــي وَجْنَــةِ النَّهْـرِ[4]

وتنوعت صور الشعراء في وصف النهر، وأتوا بصورٍ لاتقل براعـةً وطرافـةً عـن سابقيهم، وخلطوا بين وصفها ووصف الرياض بزروعها وأزهارهـا وأشـجارها وأغـصانها وأثمارها، فقد حرصوا على الإتيان بصورٍ متكاملةٍ للطبيعة حتى تكتمل البهجة، وهـذا إسـقاطٌ للمشاعر النفسية على الطبيعة، فالشعراء ينقلون أحاسيسهم ومشاعرهم مـن خـلال تـشخيص مظاهر الطبيعة وتجسيمها، التي ظهرت بالصفات الإنسانية، فبدت الأنهار تـصفق والأغـصان ترقص ومظاهر الطبيعة فرحة، يقول ابن مليك الحموي:

[البسيط]

وَالنَّهْرُ صَفَّقَ وَالأغْصانُ راقِصَةٌ ... وَلِلهَنـا كُـلُّ وَقْـتٍ فِيــهِ تَجْدِيـدُ[5]

---

(1) الأزدي، علي، **غرائب التنبيهات**، 64، والبيت منسوب لأحد الأندلسيين والشطر الأول على النحو التالي، والنيل تحت الرياح مضطرب، ينظر الصيرفي، نور الدين علي بن داود الجوهري، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، 140/2.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386.

(3) المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والاعتبار**، 224/1.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.

(5) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 418، نقلاً عن الديوان، 30.

واقترن ذكر الأنهار كثيراً بذكر الرياض، فحيثما جرى النهر وجد الـروض، فالـشهاب المنْصوري يصف روضةً جميلةً بدت أمواج النهر كطيات البطن، كما برز النهر فيها مـصفقاً والشجر راقصاً، يقول:

[البسيط]

فِـي رَوْضِـةٍ جُلِيَـتْ فِـي حُلْـي فَألْبسَتْ سُنْدُساً مِنْ زَهْرِهَا خُضْرَا

وَالـرِّيحُ تَفْتُـقُ مِـنْ أذْيالِهـا أَرَجـاً وَالقُضْبُ تَعْقِدُ فِي أكْمامِها زَهْرَا

وَالمـاءُ يُظْهِرُ مِنْ أمْواجِـهِ عُكُنـاً يَسْبي العُيُونَ وَمِنْ دَارَاتِهِ سُرُرَا

غَنَّى الهَزارُ عَلَى تَشْبيبِ نَسْمَتِها وَصَـفَّقَ النَّهْـرُ حَتَّـى أرْقَـصَ

وذكر الشعراء فوائد النهر للأرض والرياض، فهي تسقيها حانيةً عليها فتظهر مستبشرةً فرحة، يقول ابن مليك الحموي:

[البسيط]

حَيْثُ المَيـاهُ بهـا تَـسْقِي الرِّيـاضَ قامَـتْ عَلَـى سُـوقِها تَجْـري

ويقول الشاعر أبو الفضل ابن أبي الوفاء: [السريع]

مُعَبِّـساتُ الجَـوِّ تَبْكِـي عَلَـى أرْضٍ لَهـا بـالنَّهْرِ وَجْـهٌ طَلِيـقْ(3)

ورسم ابن مليك الحموي للنهر صورة الفضة الخالصة البيضاء وهـي تجـري علـى الحصباء التي تحاكي اللآلئ، يقول:

[البسيط]

وَتَحـتَ رَبْوَتِهـا الأنْهـارُ جارِيَـةٌ تَجْري لُجَيْناً عَلَى حَصْبا لآلِيها(4)

وبرز النهر كالساق الملساء التي نقش لها النبت بساطاً راحت تمشي عليه، يقـول ابـن حجة:

[الطويل]

وُمُذْ مَدَّ ذاكَ النَّهْرُ سَاقاً مُدَمْلَجا(1) وَرَاحَ بِـنَقْشِ النَّبْـتِ يَمْـشِي عَلَـى

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.

(2) باشا، موسى عمر، **تاريخ الأدب العربي**، 419، نقلاً عن الديوان، 86-87.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء**، 179.

(4) باشا، موسى عمر، **تاريخ الأدب العربي**، 420، نقلاً عن الديوان، 86-87.

ووصف الشعراء أنهار مصر والشام، واحتل نهر النيل المرتبة الأولى في وصفهم، "فقد ألهم نيل مصر الشعراء خيالاً خصباً، فصوروه في شعرهم تصويراً اسقطوا فيه على النيل مشاعرهم وعواطفهم"[3]، فقد عاشوا على ضفافه، ونعموا بمياهه المتدفقة العذبة، وبما أخرجته مياهه من غروسٍ وزروعٍ وأثمارٍ وأزهار، ورأوه يجري باثاً الحياة والجمال فيما يمسه، فقد وصفوا النيل وشطوطه ومراكبه التي تجري عليه، كما تحدثوا عن وفائه وزيادته وفيضانه أو نقصه واضمحلاله، ومزجوا بهذا الوصف مشاعرهم وأحاسيسهم، ورسموا صوراً جميلةً لا تقل في جمالها عن صور السابقين، فالشاعر بدر الدين ابن الصاحِب يصف النيل بملك الأنهار وسيدها، يقول في هجوم النيل على غفلة:

[الكامل]

يــا نِيــلُ يــا مَلِــكَ المِيــاهِ بِأَسْــرِها   "ما فِي وُقوفِكَ ساعَةً مِنْ بَأْسٍ"[4]

وعبر الشعراء عن حبهم للنيل وإعجابهم به وبمنظره الساحر، كيف لا وهو جالب الخير والحياة لهم، يقول ابن حِجة الحموي مشبهاً نيل مصر بالكوثر وأنهار الجنة:

[الرجز]

وَكَــوْثَرُ النِّيــلِ يَــرُوقُ مَنْظَــراً   حَتَّــى كَــأَنِّي فِــي جِنــانِ الخُلْــدِ[5]

ويدعو شمس الدين النواجي لركوب النيل للتنزه والترفيه، ففي ركوبه الراحة والظفر بالمنى، فهو يحب النيل ويدعو إلى مشاركته في هذا الحب والإعجاب:

[الخفيف]

ارْكَــبِ النِّيــلَ مــا اسْــتَطَعْتَ فَفِيــهِ   راحَـــةٌ لِلفَتَـــى وَغايَـــةُ بُغْيَـــهْ

كَــمْ تَنَزَّهْــتُ حِــينَ ســافَرْتُ فِيــهِ   فِــي بــلادٍ وَكَــمْ ظَفِــرْتُ بِمُنْيَــهْ[6]

وإذا ذكر النيل ذكرت "سرحة النيل" وهي السرحة التي خلدها الشاعر فخر الدين ابن مكانِس في شعره، فقد رأى شجرة سروٍ على شاطئ النيل، فأثارت "بمفاتنها وساوس الشياطين،

---

(1) المدملج: الحسن أو الأملس، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة "دملج"، 276/2.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**،61.

(3) الغباري، عوض علي، **شعر الطبيعة في الأدب المصري**، 65.

(4) المقريزي، تقي الدين، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، 264/1، الشطر الثاني اقتباس من بيت لأبي تمام وعجزه " نقضي ذمام الأربع الدوارس"، ينظر **ديوانه**، 366/1.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 67 .

(6) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 341.

وهواتف أبالسة الشعر، فناجاها بهذه القصيدة الفريدة"[1]، وقد تطرق الشاعر من خـلال حـسن التخاص إلى وصف النيل وهو ما يهم هنا، والحقيقة أن كمية وصفه للنيل بالنسبة إلى حديثه عن الشجرة جاء قليلاً، خاصةً وأن أبيات القصيدة فاقت الستين، وكان حرياً به أن يطيل في وصـف النيل وأن يجعل نصيبه أكثر من السرحة[2]، لالشيءٍ إلا لأن الشاعر قد أبدع في قـصيدته أيمـا إبداع، فجاءت جزلة قوية المعاني متنوعة في صورها، فقد حشد لقصيدته المعاني الذي تـدرك بحواس البصر والسمع والشم، كما أبرز الألوان في لوحته، ورسم للنيل أكثـر مـن صـورةٍ، فأمواجه تصفق فرحاً بالأزهار البيضاء والصفراء، والشجرة تميل عليه وتعطيه أذنهـا لتـسمع صوت خريره العذب الرائع، وهو في صفائه وحسن منظره مرآةٌ متلألئة، أو كفرند السيف عند تحريك النسيم له، أو شبك لؤلؤ منظومٍ، أو كالرقشاء في تموجها وتمايلها، وهـو فـي زرقتـه الصافية شبيه بلون زرقة عين الباكي، وهو في عين الشاعر يفوق جميع الأنهار ويتفوق علـى نهر الأبلة[3] الذي عد من المعجزات، يقول:

[البسيط]

كَـمْ صَـفَّقَ المَـوْجُ مِـنْ أزْهارِهـا ... فَنَقَّطَتْـــهُ بِبَيْـــضاءٍ وَصَـــفْراءِ

مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إذْ جاشَ الخَرِيرُ ... كَأنَّهـــا أُذُنٌ مالَـــتْ لإصْـــغاءِ

كَأنَّمـا النَّهْـرُ مِـرْآةٌ وَقَـدْ عَكَفَـتْ ... عَلَيْـهِ تُـدْهَشُ فِـي حُـسْنٍ وَلألاءِ

ذُو شـاطِئٍ رَاقَ غِبَّ القَطْرِ فَهْوَ ... نَهْـرِ الأُبلَّـةِ يُـزْرَى أيَّ إزْراءِ

كَأنَّـهُ عِنْـدَ تَحْرِيـكِ النَّـسِيمِ لَـهُ ... فِرَنْـدُ سَـيْفٍ نَـضَّتْها كَـفُّ جَـلاءِ

كَأنَّـهُ شَـبَكٌ مِـنْ لُؤْلُـؤٍ نُظِمَـتْ ... أوْ جَوْهَرُ ألْسُنٍ أوْ تَجْلِيلُ رَقْشاءِ

كَأنَّـهُ حِينَ يُهْـدِي زُرْقَـةَ وَصَـفا ... رَقْـراقُ عَـيْنٍ بِوَجْـهِ الأرْضِ

ووصف إبراهيم بن عمر البِقَاعِي النيل فبدا نهراً من الفضة، يقول:

[الطويل]

وَلَمَّـا رَأيْـتُ البَـدْرَ ألْقَـى شُـعاعَهُ ... عَلَـى نِيـلِ مِـصْرَ وَالـسَّفِينُ بِنـا

تَخَيَّلْتُـهُ نَهْـراً يَـسِيرُ بِـسَيْرِنا ... مِـنَ الفِضَّةِ البَيْـضاءِ فِـي لُجَّـةِ

(1) سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، 407-408.

(2) ينظر: جاد الرب، إبراهيم الدسوقي، **ابن مكانس والشعر في عصر المماليك**، 153.

(3) سمي بهذا الاسم نسبة إلى بلدة الأبلة التي تقع على شاطئ دجلة وتجاور البصرة، وهو فرع من دجلة حفره شخص يسمى زياد، ويعد من عجائب الدنيا، ينظر ابن ياقوت الحموي، شهاب الدين، **معجم البلدان**، 77/1.

(4) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات، والشطر الثاني من البيت السادس مكسور من المصدر .

(5) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 84/2.

واستدعى الشعراء معاني الغزل ومزجوها بوصف النيل، فابن خطيب داريا يصف أمواج النيل ويمزج الوصف الحسي بالصفات المعنوية من خلال جعل التطام الأمواج لأجل الحب والشوق، يقول:

[البسيط]

كَأَنَّما النِّيلُ يَهْوَى ما أحاطَ بِهِ ... مِنَ الرُّبا فَهْوَ لِلأَشْواقِ يَلْتَطِمُ(1)

أما ابن حجر العسقلاني فنظر إلى تلاطم أمواج النيل من ناحيةٍ مغايرة، واستعار لها صورةً رثائيةً، وجعل الحركة عنصراً مهماً من عناصر الصورة، عندما جعل ارتطام الأمواج بالشاطئ كلطام الوجه سببها الحسد، يقول:

[مجزوء الكامل]

وَالنِّيلُ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ... حَسَداً بِكَفِّ المَوْجِ لَطْماً

وَبِكَفِّهِ ماءُ الحَيا ... ةِ فَإنْ لَثَمْتَ حَيِيْتَ مِنْ مَا(2)

ورآه أيضاً يغني عن المطر، فهو يسقي الرياض ويشكل بديلاً عنه:

[البسيط]

فَلِلْجَزِيرَةِ بِالنِّيلِ المُقيمِ بِها ... غِنًى عَنِ المَطَرِ الحانِي عَلَى

وفي معنًى قريبٍ يتحدث الشاعر عن فوائد النيل للرعية، فهو ملك يكشف الضر ويسقي البلاد والعباد، يقول النواجي:

[البسيط]

كَأَنَّهُ مَلِكٌ وَافَى لِيَنْظُرَ فِي ... أَمْرِ الرَّعِيَّةِ إنْ ضُراً رَأى كَشَفا(4)

ويتحدث الشاعر نفسه عن النيل فيصف طيب مائه الذي يطوف البلاد متحرياً أماكن السقيا ليسقيها ويسكت ظمأها، يقول:

[البسيط]

مِنَ الجِنانِ هَمَى يَنْبُوعُ كَوْثَرِهِ ... يا طِيبَ عُنْصُرِهِ رَيّاً وَمُرْتَشَفا

جَرَى عَلَى أَجْمَلِ العاداتِ مُنْبَسِطاً ... وَلا تَوَقَّفَ يَوْماً لا وَلا وَقَفا

---

(1) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 186.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 112.

(3) ابن خطيب، داريا، **ديوانه**، 29.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 119.

طافَ البِلادَ وَجابَ الأَرْضَ مُقْتَفِياً   آثــارَهُ يَتَلافَــى مِنْــهُ مــا تَلَفــا

كَأَنَّـــهُ يَتَحَـــرَّى فِـــي تَعَهُّـــدِهِ   مَواقِعَ السَّقْيِ أَنَّى سارَ أَوْ عَكَفا(1)

ويتحدث الشهاب المنْصوري عن أثره على الأشجار والثمار والنبات، كما أنـه يـشبهه بالسماء، فكلاهما يتصفان بالشرف والعلى ويحويان البروج، كما صـوره بـالمرآة المـصقولة الصافية، وصور السماء بمثل ذلك، يقول:

[البسيط]

صِـيغَتْ خَلاخِيـلُ لِلأَشْـجارِ مِنْـهُ   قَلائِـدِ الطَّلْـعِ حَلَّـى جِيـدَها تُحَفَـا

وَاسْـتَوْحَشَ النَّبْـتُ حَتَّـى الأَرْضُ   تُجْلَى وَمِنْ قُرْطِهِ قَدْ أُلْبِسَتْ شَنَفَا

يَحْكِي الـسَّماءَ وَتَحْكِيـهِ حُلاً وَعُلاً   وَأَنْجُمـاً وَبُرُوجـاً كَمْ حَـوَتْ شَـرَفا

كِلاهُمــا جَـرَتِ الأَفْـلاكُ فِيْـهِ وَقَـدْ   حَقَّــتْ بِحافَّتِــهِ الأَمْــلاكُ فائْتَلَفَــا

كَأَنَّمــا هُــوَ مِــرْآةٌ لَهــا جُلِيَــتْ   بِالــصَّقْلِ أَوْ هِــيَ مِــرْآةٌ صَــفَتْ (2)

والتنزه على شاطئ النيل يعيد الشيب شباباً، يقول المقْريزي:

[الطويل]

وَفِي شاطِئِ النِّيلِ المُقَدَّسِ نُزْهَةٌ   تُعِيـدُ شَـبابَ الـشَّيْبِ فِـي عَيْـشِهِ

وَتُنْشِي رِياحاً تَطْرُدُ الهَمَّ وَالأَسَى   وَتُنْشِي لَيـالِي الوَصْلِ مِنْ طِيبِهـا (3)

وخلط الشعراء وصفهم للنيل بالمدح، فالشاعر "يجعل صفات النيل وصـفات المـدوح تتعانقان، لكنه يعلي من صفات الممدوح بحيث يصبح النيل مريدا يتعلم منه الوفاء ويأوي إليـه طالبا نواله"(4) ، يقول النواجي في ممدوحه:

[الطويل]

تَعَلَّمَ هَذا النِّيـلُ مِـنْ خُلْقِـكَ الوَفـا   فَذاقتْ لَـهُ تِلْكَ البَشائِرُ فِي مِصْرِ

وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَى صِفاتِكَ فانْبَرَى   بِساحِلِ مَوْجِ البَحْرِ بِالـشِّيَمِ الغُرِّ(5)

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 119.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 262.

(3) المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والاعتبار**، 224/1.

(4)عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 179 .

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 188.

ويمدح ابن حِجة الحموي ابن العجمي "فلا يجد ما يصفه به خيراً من النيل وما يفيـضه على الناس من عطاءٍ فيقول مادحا"[1]:

[البسيط]

بَحْرٌ تَحَلَّى بِـهِ النِّيـلُ الـسَّعيدُ لِـذا ... صَـارَتْ زَوائِـدُهُ أَحْلَـى مِـنَ الحُلُـمِ

وَبعْـدَ مــا آلَ لِلأهْــرَامِ قــالَ لَنــا: ... لَقَدْ سَلَلْتَ شَبَابي مِنْ يَدِ الـهَرَمِ[2]

والحقيقة أن صور الشعراء في وصف النيل كانت صوراً سطحيةً، فالشعراء لم يتعمقـوا في وصفهم للنيل، فجاءت صورهم ساذجة، ولم تكن دائما مـشاعرهم صـادقة فيمـا قـالوه أو نقلوه[3].

ووصف الشعراء وفاء النيل وأكثروا من الحديث عنه، وذلك لأن هذا اليوم هو يوم فرحٍ كانت تقام فيه الحفلات وتوزع الصدقات، وتروج الأسواق للبيع والشراء[4].

وللشهابِ المنْصوري قطعةٌ جميلةٌ في وفاء النيل، وهـي تفـيض بالـصور والأخيلـة والمعاني المتنوعة، فهو يبدأ بحمد ا على نعمة الوفاء، ويشبه النيل بالجواد الذي جعـل زبـد الأمواج سيقانه، والحبب على صفحته كالراح المعلول، والصبا تجعد سطحه كأنها درع الحـرب من نسج داوود، وتظهر أمواجه كالصوارم والريح تحملها وتنشرها، والسفن تسير فوقه جواري مزدانةً "ويأبى الشاعر البارع وإحساسه العميق إلا أن يقيم من الأمواج والشط وخريـر المـاء والروضة والأغصان والزهر أوراق الدوح وعناقيده حفلاً، أو قل عرساً مكتملاً تغشيه الفرحـة ويحدوه السرور[5]، يقول:

[البسيط]

الحَمْـدُ لِلَّــهِ أوْفَــى وَعْـدَهُ النِّيــلُ ... إنَّ الوَفَـاءَ مِـنَ المَحْبُـوبِ مَـأمولُ

جَـرَى جَـواداً فَمِـنْ دَاراتِــهِ غُــرَرٌ ... لَــهُ وَمِــنْ زَبَـدِ الأمْـواجِ تَحْجِيـلُ

يُــنَظِّمُ الحَبَــبَ الطَّــافِي وَيَنْثُــرُهُ ... "كَأنَّــهُ مَنْهَـلٌ بـالرَّاحِ مَعْلُـولُ"[6]

كَأَنَّـــهُ وَالـــصَّبا صُـــبْحاً تُجَعِّـــدُهُ ... "مِــنْ نَــسْجِ دَاوُدَ فِــي الهَيْجَــا

---

(1) الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 138.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 34.

(3) ينظر: فؤاد، نعمات أحمد، **النيل في الأدب العربي**، 182.

(4) ينظر: سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 369/7.

(5) ينظر: سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 373/7.

(6) الشطر الثاني أيضاً مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر **ديوانه، 19.**

كَـأنَّ أمْواجَــهُ وَالــرِّيحَ تَنْــشُرُها ... صَــوارِمٌ بِظُباهــا المَحْــلُ مَقْتُــولُ

كَأنَّمـا الـسُّفْنُ غـاداتٌ جَـرَيْنَ بِـهِ ... لَهـا المَراسِـي شُنوفٌ أوْ مَراسِيلُ

مِـنْ كُـلِّ جارِيَـةٍ كَـالخَوْدِ زائِـرَةٍ ... إزارُهــا قَبْــلَ أنْ تَلْقــاكَ مَحْلُــولُ

كَأنَّمــا الــشَّطُّ وَالأمْــواجُ تَلْطِمُــهُ ... دَفٌّ لَهـا وَخَرِيـرُ المـاءِ مَوْصُـولُ

كَأنَّمــا الرَّوْضَــةُ الغَنَّــاءُ غانِيَــةٌ ... بِحُسْنِها قَلْبُ هَذا النِّيلِ مَشْغُولُ

أغْـصانُها مِــنْ غُـصونِ الـدَّوْحِ ... وَرِيقُهـا مِـنْ زُلالِ المـاءِ مَعْسُولُ

مِـنْ سُنْدُسِ الزَّهْرِ الزَّاهِـي لَهـا ... خُـضْرٌ وَمِـنْ سُـورِها العَـالِي [2]

ومن القصائد الفريدة حقاً في وصف الوفاء، قصيدة النواجي أو تغريدته التي نظمها في وفاء النيل عام 854هـ، وهي مليئة بالعواطف الجياشة والمعاني المتنوعة الممزوجة بحمد ا وشكره على هذا الوفاء الذي جرى في الزروع وأعاد فيها روح الحياة، وشفى أسقامها وروى عطشها، فبدت الأرض فرحةً به تهتز وترقص منتشية، ففرح الناس ببشائره وعم السرور، والقصيدة طويلة تقارب الثمانين بيتا سأكتفي بإيراد بعضها، يقول:

[البسيط]

الحَمْـدُ لِلَّـهِ أوفـى نِيلُنـا وَوَفـى ... وَبَـلَّ غُلَّـهَ قَلْـبٍ كـانَ قَـدْ نَـشَفَا

وَعـادَ مـاءُ حَيـاةِ الـزَّرْعِ مُنْهَمِـراً ... إلَـى مَجارِيـهِ فَيَّاضـاً بِهـا كَلِفَـا

نَعَمْ جَرَى المـاءُ فِـي عُود الحَيـاةِ ... بَ البُرْءُ فِـي السَّقْمِ مَمْزُوجاً بِكُلِّ

مِـنَ الجِنـانِ هَمَـى يَنْبُـوعُ كَـوْثَرِهِ ... يَـا طِيـبَ عُنْـصرِهِ رَيّـاً وَمُرْتَـشَفَا

جَرَى عَلَى أجْمَلِ العاداتِ مُنْبَسِطاً ... وَمَـا تَوَقَّـفَ يَوْمـاً لاَ وَلاَ وَقَفَـا

طافَ البِلادَ وَجابَ الأرْضَ مُقْتَفِياً ... آثَـارَهُ يَتَلافَـى فِيـهِ مَـا تَلَفَـا

كَأنَّمـا يَتَحَـرَّى فِـي تَعَهُّـدِهِ ... مَواقِـعَ الـسَّقْيِ أنَّى سارَ وَاعْتَكَفا

دَقَّتْ بَشائِرُهُ فِـي مِصْرَ وَانْتَشَرَتْ ... راياتُــهُ بِقُلُــوعٍ آذَنَــتْ بِوَفَـا

وَفـاً يُـشارُ إلَيْـهِ بالأصَـابِعِ بَـلْ ... بِفَـيْضِ فَـضْلِ أيـادٍ عَهْدُهَا سَلَفَا

أرْخَـى عَلَـى النَّـاسِ سِـتْرَ العَـدْلِ ... فِـي رَوْضَـةٍ مِـنْ شَـذاهَا أصْـبَحَتْ [1]

(1) الشطر الثاني أيضاً مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر **ديوانه**،21.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 29-30.

ونظم بدر الدين ابن الصاحِب واصفاً اجتماع الناس يوم الوفاء، وشبههم بالأزهار التـي تطفو على نهر الروض، يقول:

[البسيط]

لِلَّهِ يَوْمُ الوَفا وَالنَّاسُ قَدْ جَمَعُوا   كَالرَّوْضِ تَطْفُو عَلَى نَهْرٍ أزاهِرُهُ

وَلِلْوَفــاءِ عَمُــودٌ مِــنْ أصــابعِهِ   مُخَلَّــقٌ تَمْــلأُ الــدُّنْيَا بَــشائِرُهُ[2]

فالشعراء يمزجون بين مشاعر الطبيعة ومشاهدها، ويجد القارئ لشعرهم تفـاعلاً بـين الاثنين، فالشاعر يخلع أحاسيسه ويسقطها على المظهر الطبيعي[3].

وأبرز الشعراء النيل مفتخراً بنفسه، متحدثاً مدركاً لفضله وأهميته، يقول بعض الشعراء عندما أوفى النيل في سنة 789هـ:

[الكامل]

النِّيــلُ قَــدْ أوْفَــى بحَمْــدِ إلَهِنــا   وَجَرَى عَلَى العاداتِ بَعْدَ تَوَقُّفِ

وَغَدَا يَقُولُ لأَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ   مَنْ ذا يَفِي فِي مِصْرَ إنْ أنا لَمْ أفِ[4]

واستعاروا له صفة الكرم حتى فاق كرم حاتم الطائي، يقول أحدهم:

[الطويل]

أرَى النِّيلَ قَدْ أوفى وَزادَ وَلَمْ يَزَلْ   يَجُودُ عَلَى أهْلِ القُرَى بِالمَكارِمِ

أفَــاضَ عَلَيْهــا المــاءُ مِــنْ بَــسْطِ   أصــابعُها فَاقَــتْ أيــادِيَ حــاتِمِ[5]

وتحدث الشعراء عن فيضان النيل أحياناً وطغيان مياهه، كما تحدثوا عن مقياسه الـذي يقيسونه به ويتعرفون من خلاله على زيادته ونقصانه، يقول فخر الدين ابن مكانِس:

[البسيط]

انْظُرْ إلَى النِّيلِ ما أحْلَى رَوَاهُ وَقَدْ   فاضَتْ عَزالَيْـهِ وانْهَلَّتْ بَـوادِرُهُ

---

(1) عبدالهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 119-121.

(2) العباسي، عبد الرحيم، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، 177/4.

(3) ينظر: سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر المملوكي**، 332/2.

(4) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،ق2 ، 385/1، والصواب في الشطر الأخير " لم أوفي"، لاستقامة الوزن.

(5) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ق2، 146/3.

كَـأَنَّ مِقْياسَــهُ يَــوْمَ الوَفــا عَلَـمٌ مُخَلَّــقٌ تَمْــلأُ الــدُّنْيا بَــشائِرُهُ[1]

وكما تحدثوا عن وفائه تحدثوا عن نقصانه وتأخره في الوفاء، فقد صور بدر الدين ابـن الصاحب مصر بالعروس والنيل زوجها فلما تأخر عن الوفا ترملت، واستعار صورةً من أقوال الناس المتداولة وهي أن الزواج " سترة "، يقول:

[مجزوء الرجز]

كانَــــــتْ لِمِـــــصْرَ سُــــــتْرَةٌ بِالنِّيــــلِ مُــــذْ وَلّــــى خَلَــــتْ
كَأَنَّـــــــــهُ زَوْجٌ لَهـــــــــا فَبَعْــــــدَهُ تَرَمَّلَـــــــــتْ[2]

وأكثر الشعراء شكواهم من تأخر النيل في الوفاء، الأمر الذي أدى إلى انتـشار القحـط وارتفاع الأسعار، فالنواجي يمتدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقصيدة قدم فيها الحـديث عن تأخر النيل وارتفاع الأسعار، وهو يتوجه إلى الله في دعائه أن يرحم مصر وشعبها، يقول:

[الطويل]

لِــرَبِّ العُــلا نَــشْكو أذى القَحْــطِ وَمَـا مَـسّنا فِيـهِ مِـنَ الـضّرّ والـبَلا
وَنَــسْأَلُهُ فِــي البَــأسِ وَاليَــأسِ رَخــاءً فَقَـدْ مِتْنــا وَعاجَلَنــا الــبَلا
غَلاً أرْخَصَ الأرواحَ لمـاّ تَسَعّرَتْ بِمَوْرِ ضِرامٍ فِي صَمِيمِ الحَشا غَلا
وَدارَتْ رَحَاءُ الجَدْبِ فِي كُلّ بَلْدَةٍ وَمــا تَرَكَــتْ لِلخِـصْبِ فِــي مِـصْرَ
وَمُدّ غـاضَ مِقْيـاسُ المُنـى ضَـاقَ وَأَمْحَـلَ رَبْـعُ الأُنْـسِ وَالـصّبْرُ مـا
حَنانـاً حَنانـاً يـا غِيـاثَ الـوَرَى فَقَدْ يَئِـسْنا وَكُـلّ الخَلْـق أصْبَحَ مُبْتَلَـى
إلَيْــكَ تَوَسَّــلْنا بِجــاهِ نَبِيّنـــا فَمَا خابَ مَنْ أَمْسَى بِـهِ مُتَوَسّلا[3]

وحاول الشعراء تبرير تأخر وفاء النيل، فجلال الدين السيوطي يعاتب النيل فـي عـدم الوفاء، فكان الجواب فساد الناس، والشاعر في وصفه ينقل صورةً من الحياة الاجتماعية ويحاول نقد المجتمع وفساده وتوجيهه، يقول:

[الكامل]

عاتَبْتُ هَذا النِّيلَ فِي تَـرْكِ الوَفـا فَأجــابَنِي حَــالاً بِغَيْــرِ تَوَقُّــفِ

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 155 .

(2) الحموي، ابن حجة ، **خزانة الأدب**، 194/2 .

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 117-118.

سَأَفِي وَإنْ خـانُوا وَأصْفَحُ عَنْهُمُ   ما كِدتُ أُفْسِدُهُ وَمِثْلِي مَنْ يفِـ[1]

ومن الشعراء من عزا تأخره إلى فساد ولي الأمر، يقول ابن أَقْبرس:

[الوافر]

رَأَيْـتَ النِّيــلَ قــدْ وَافــى بِــنَقْصٍ   وَقَـدْ زادَ الفَـسادُ عَلَــى المَـصالِحْ

فقُلْــتُ لِمَعْــشَرٍ: مَــاذا؟ فقــالُوا: وَلِــيُّ الأمْـرِ وَلَّــى غَيْـرَ صــالِحْ[2]

واتخذ الشعراء من النيل سببا للفخر بوطنهم وتفضيله على البلاد الأخرى، يقول أبو بكر الدماميني:

[الطويل]

رَعَى اللَّـهُ مِصْرَ إنَّنـا فِي ظِلالِهـا   نَـرُوحُ وَنَغْدُو سَـالِمِينَ مِـنَ الكَـدِّ

وَنَـشْرَبُ مـاءَ النِّيـلِ مِنْهـا براحَـةٍ   وَأَهْلُ زَبِيـدٍ يَـشْرَبونَ مِـنَ الكَـدِّ[3]

ووصف الشعراء السفن على النيل، ففخر الدين ابن مكانس يذكر سفينةً ركبها مع رفاقه على النيل سعياً نحو شجرة سروٍ نمت على شاطئه، وهذه السفينة الحدباء كهلال الأفق سـوداء اللون، ويتخيلها على ماء النيل الداكن المعطر بعطر خشب الصندل شامةً مطبوعةً علـى شـفةٍ مائلةٍ للسواد تقطر شهداً وعسلاً مصفى[4] :

[البسيط]

نَسْعَى إلَيْهـا عَلَـى جَرْداءَ جارِيَـةٍ   مِــنْ آلَــةٍ كَهِـلالِ الأُفُـق حَـدْباءِ

سَـــوْداءَ تَحْكِـــي عَلَـــى المـــاءِ   مَـةً عَلَـى شَفَةٍ كَالـشَّهْدِ لَعْساءِ[5]

وإلى جانب النيل وصف الشعراء الشام أنهارها، وأتت أشعارهم قليلةً إذا ما قيست بشعر النيل، مثال ذلك قصيدةٌ لابن حِجة الحموي، يشكو فيها غربته ويحن فيها إلى وطنه حماة ويصف مراتع نهر العاصي التي يمر بها، من منبعه حتى مصبه، مروراً بالنواعير النائحة نواح الخنساء على أخيها صخر، وهو يقتات بحلاوة طعمه الباقية في ثغره[6]، يقول:

(1) ابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور،** ق2 ، 396/2.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين،** 141/1.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً،** 81.

(4) ينظر: ضيف، شوقي ، **عصر الدول والإمارات، مصر،** 326 .

(5) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه،** غير مرقم الصفحات.

(6) ينظر: الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي،** 323.

[الطويل]

وَعـاصٍ رَحِيـبُ الـصَّدْرِ قـدْ خَـرَّ ... وَدُولابُهُ كَالقَلْبِ يَخْفِقُ فِي الصَّدْرِ

وَقَـدْ أَشْـبَهَ الخَنْـسَاءَ نَوْحـاً وَأَنَّـةً ... وَهـا دَمْعُـهُ قَدْ صَـارَ يَجْرِي عَلَـى

فَيا جِيرَةِ العاصِي إِذا ذُقْتُ ماءَكُمْ ... أَهِيمُ كَـأَنِّي قَـدْ ثَمِلْـتُ مِـنَ الـسُّكْرِ

وَلَـوْلا بَقَايَـا طَعْمِـهِ فِـي مَـذاقِي ... لَمـا ظَهَـرَتْ هَـذِي الحَـلاوَةُ مِـنْ (1)

وجزيرة حمصٍ حانة لهوٍ يطوف بها القاصي والداني، لذلك جاورها العاصـي وتظهـر التورية جميلةٌ أيضاً وهو يتلاعب في المعنى بين المعصية والنهر،يقول ابن حِجة: [الطويل]

جَزِيْـرَةُ حِمْصٍ لَـمْ تَكُـنْ قَـطُّ كَعْبَـةً ... يَطُوْفُ بِها دَانٍ وَيَسْعَى بِها قَاصِ

وَلَكِنَّهــا لِلَّهْــوِ وَالقَــصْفِ حَانَــةٌ ... أَلَــمْ تَنْظُرُوهَــا كَيْــفَ جَاوَرَهَــا (2)

ومن أنهار الشام الأخرى نهر" يزيد" ونهر "ثَورا" ونهر "بردى" ونهر "بانْيـاس" ونهـر" القَنَوات" ونهر "القَنّاية" ونهر" الدارانِي" وهي أنهار تمر في سوريا خاصة(3)، وقد مـزج صـدر الدين الآدمي ذكره لها بالغزل، يقول:

[البسيط]

قَــالُوا فُــؤَادَكَ بَــرِّدْ عَـنْ مَحَبَّـتِهِمْ ... فَقُلْـتُ نَـارُ الهَـوَى لا تَنْطَفِـي أَبَـدَاً

بَــرَّدْتُ قَلْبِــي عَـنِ الأَحْبَــابِ مُـذْ ... بِمَـا يَزِيـدُ عَلَـى ثَـوْرَا وَمَـا بَـرَدَا(4)

فالشاعر يوري بذكر الأنهار، فهو يبرد قلبه من نار الهوى" بماء يزيد"، ويوري " بمـاء بردا" ، فالمعنى القريب ماء بردا ، أما البعيد فهو أن قلبه لم يبرد من نار الحب .

وجمع شَعبان الأَثاري ذكر هذه الأنهار أيضا ومزجها بالغزل، يقول:

[البسيط]

شَوْقِي يَزِيدُ وَقَلْبُ الصَّبِّ مَا بَرَدا ... وَبَـانَ يَأْسِـي مِـنَ المَعْشُوق حِينَ

وَمَـدْمَعِي قَنَـواتٌ والعَـذُولُ حَكَـى ... ثَـوْرَا يَلُـومُ الفَتـى فِـي عِـشْقِهِ (5)

---

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 64.

(2) **نفسه**، 92، والنابلسي، عبد الغني، **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، 192.

(3) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 54.

(4) ينظر: البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام** ، 54.

(5) **نفسه**، 55.

وخرج علاء الدين الحنَفِي الدمشْقِي المتوفى 900هـ، مع بعض أصحابه إلى نهر وحاب وقال هذه المقطوعة يصف صوت الماء:

[الطويل]

جَلَسْنَا عَلَى رَوْضٍ مِنَ الخَزِّ لَينٍ وَلِلـصَّحْبِ مِـنْ نَـسْجِ الـسَّحَابِ
وَلِلقَـوْمِ قَـوْلٌ مُطْـرِبٌ لِبِقاعِـهِ وَلِلماءِ مِنْ فوق الصُّخُور خَرِيرُ[1]

وإذا ما ذكرت دمشق ذكرت أنهارها، تقول الشاعرة عائشة الباعونية:

[الخفيف]

نَـزِّهِ الطَّـرْفَ فِـي دِمَـشْقَ فَفِيهـا كُـلّ مَـا تَـشْتَهي وَمَـا تَخْتَـارُ
هِــي فِــي الأَرْضِ جَنَّــةٌ فتَأَمَّــلْ كَيْفَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ[2]

ب ـ البحار

وصف الشعراء البحر وعبروا عن إعجابهم به، فهو يشكل بلونه الأزرق الجميل جـزءا أساسياً وجميلاً من الطبيعة بامتداده وبأمواجه وصوت مياهه ومعانقته لشواطئ المدن والبلـدان، فإبراهيم بن عمر البقاعي المولود سنة 809هـ ، يستعير للبحر صورةً حربيةً، ويشبه أمواجـه المتلاحقة بجيشٍ تتابعت به الخيول، يقول:

[الطويل]

أُشَبِّهُ مَوْجَ البَحْرِ جَيْشاً تَتابَعَتْ بِـهِ الخَيْلُ إِذْ ثَوْبُ الرِّيَـاحِ حَدِيدُ[3]

ووصف ابن زقاعة لونه الأزرق الجميل، وخلع عليه صفةً إنسانيةً عندما جعله يغار من السماء ويلبس لونها، يقول:

[الكامل]

وَالبَحْرُ غارَ مِنَ السَّما مِنْ لَوْنِهَا فلأَجْلِ ذا لَبِـسَتْ ثِيَـابَ الزُّرْقَـةِ[4]

ووصف النواجي ملوحته وحذر الناس منه، وإن بدا صافياً أزرقاً، فوراء هـذا الـصفاء يبرز الخطر، يقول:

---

(1) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، 280/1.

(2) **نفسه**، 292/1، والشطر الأخير مضمن من قوله تعالى: (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، **سورة الحديد**، آية 12 .

(3) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 81/2.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 195.

[الكامل]

لا تَرْكَبِ البَحْرَ الأُجاجَ وَعَدِّ عَنْ ... أهْوالِـــهِ فَبِـــدونِ ذلِـــكَ تُـــرْزَقُ

وَاحْـذَرْ تَميـلُ إلـى هَـواهُ فَرُبَّمـا ... أبْدَى الصَّفا وَهُوَ العَدُوُّ الأزْرَقُ(1)

فكما نظر الشعراء إلى مظاهر الطبيعة نظرة حبٍ وإعجاب، نظر النواجي إليهـا مـن زاويةٍ أخرى فحذر من شرورها ووصف البحر بالعدو الأزرق، وهو يتحدث في مقطوعةٍ أخرى عن سفره في البحر، يجعل أعجب ما لاقاه سلامته، وهو يحاول الحديث عن خطر البحر الـذي قد يحمل الموت للإنسان، يقول:

[الطويل]

وَقالوا رَكِبْتَ البَحْرَ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... وَعانَيْتَ فِي الأسْفارِ هَوْلَ قِيامَةِ

فَحَدِّثْ بِمـا شـاهَدْتَهُ مِـنْ عَجائِـبٍ ... وَأعْجَبَ ما لاقَيْتَ قُلْتُ سَلامَتِي(2)

ووصف ابن حجر العسقلاني اكتواءه بنار فراق الأحباب وهو مسافر في البحـر، وقـد وصف السفينة التي ركبها وتعجب منها، فهي في هدوء البحر تبطئ، وتـسرع لحظـة تلاطـم أمواجه، وفي الصورة برزت الحركة وهي وصفٌ لحركة البحر بأمواجه واضطرابه، يقول:

[الطويل]

أأحْبابَنـا أُصْلِيْتُ فِي البَحْرِ بَعْدَكُمْ ... بِنـارٍ وَأنْـتُمْ فِـي رِيـاضٍ وَأنْهـارِ

رَمَتْنِـي النَّـوَى حَتَّـى رَكِبْتُ مَطِيَّـةً ... أحادِيثُهـا فِيهـا غَرائِـبُ أسْـمارِ

إذا الـسَّهْلُ أوْفَـى أبْطَـأتْ فِـي ... وَتُـسْرِعُ فِـي الأمْـواجِ سَـيْراً

ووصف ابن خطيب داريا جزيرةً وقد أحاط البحر بها، فرآها والبحر كهالـةٍ قـد دارت حول القمر، والشعراء كثيراً ما استعاروا مظاهر الطبيعة وشبهوها ببعضها، وهـذا يـنم عـن إعجابٍ وحبٍ لها، يقول:

[البسيط]

يـا حَبَّذا هِيَ وَالبَحْرُ المُحِيطُ بِها ... كَأنَّـهُ هَالَـةٌ دارَتْ عَلَـى قَمَـرِ(4)

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 340.

(2) **نفسه**،341.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 179.

(4) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 29.

وذكر الشعراء الأحجار الكريمة التي تستخرج من البحر، فقد وصف ابن خطيب داريـا مجموعةً من النساء وهن يسبحن وشبههن بالدرر المستخرجة من البحر، يقول:

[البسيط]

يَسْبَحْنَ فِي البَحْرِ مِثْلَ الدُّرِّ مُنْتَثِراً وَهَكَذا البَحْرُ تَحْظَى مِنْـهُ بِالـدُّرَرِ(1)

وتحدث ابن حِجة عن ملوحته التي كوت كبده، فكأن الماء نار مسعرةٌ، يقول:

[الكامل]

وَبِمِلْـحِ هَاتِيْـكَ المِيـاهِ قَـدْ انْـشَوَتْ كَبِدِي، فَهَلْ أَبْصَرْتَ مـاءً أَسْعَرَا(2)

وشبه الشعراء ممدوحيهم بالبحر لبيان صفة العلم أو الكرم، يقول النواجي:

[السريع]

إِنَّ فُلانـــاً بَحْـــرُ عِلْـــمٍ غَـــدا تَغْتَـــرِفُ الطُّـــلابُ مِـــنْ نائِلِـــهْ

ياطالِـــبَ العِلْـــمِ اغْتَـــنِمْ فَـــضْلَهُ وَانْزِلْ تَـرى الرَّاحَـةَ فِـي ساحِلِهْ(3)

وهكذا يلاحظ أن الشعراء قد وصفوا جميع مظاهر الطبيعة الصامتة بما تشتمل عليه مـن المظاهر السماوية والأرضية، كما أنهم قد أكثروا من أوصافهم ونوعوهـا واسـتقوا صـورهم ومظاهرهم للطبيعة من مظاهر الطبيعة نفسها أو من الأدوات المستخدمة في حيـاتهم اليوميـة وخاصة أدوات الحرب واصطلاحاتها، كما أن معجم الغزل كان حاضراً دائما في موصـوفاتهم وأشعارهم، ويلاحظ أيضاً أن الرياض قد حازت على نسبةٍ كبيرةٍ من أوصـافهم، فقـد أحبهـا الشعراء وعاشوا بين أحضانها وتنعموا بخيراتها، فانعكس ذلك على نفوسهم وصاغوه في قوالب فنيةٍ على شكل أشعار تفيض بالصور الجميلة، كما يرى القارئ أنه كـان للأشـجار بأنواعهـا المختلفة وثمارها المتنوعة حضور قوي وواضح في شعر هذه الفترة، إلى جانب الأزهار التـي فاحت روائحها في أدبهم وشعرهم، ولم يغفل الشعراء ذكر الأنهار والبحار، وعرفوا ما للنيل من فضل على الحياة وخاصة في مصر، فسجلوا كل ذلك في أشعارهم التي عكـست لنـا مـواقفهم وآراءهم تجاه الطبيعة والحياة معاً.

---

(1) **نفسه**، 30.

(2) النواجي، شمس الدين، **الحجة في سرقات ابن حجة الحموي**، 2/ 334. البيت غير موجود في الديوان.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 347.

الفصل الثاني

الطبيعـــة المتحركـــة:

- الحيوانـــات الأليفـــة
- الحيوانـــات غيـــر الأليفـــــــــــــة
- الحـــــــــشرات و الزواحــــــــــف
- الطيـــــــــور
- المخلوقات البحرية

الطبيعة المتحركة

أولا: الحيوانات الأليفة

على الرغم من تنوع البيئة الطبيعية في مصر والشام وكثرة الحيوانات التي تعيش على أراضيها، ابتداء من الحيوان الأليف وغير الأليف والطيور والزواحف، إلا أن وصف الشعراء في العصر المملوكي الثاني للطبيعة الحية جاء قليلاً لا يكاد يذكر مع شعرهم في الطبيعة الصامتة، أو مع شعر وصف الحيوان في العصر المملوكي الأول، يقول ياسين الأيوبي في وصف الحيوان في هذا العصر، "وأثناء مطالعتنا لآثار الشعراء........، لم نعثر على شعرٍ كثيرٍ في الحيوان، باستثناء ديوان صفي الدين الحلي الذي أفرد باباً خاصاً سماه: " في الطرديات وأنواع الصفات ". .... "[1]، ولذلك أسباب في رأيي ومنها أن هذا العصر تراجع فيه مستوى الحياة من جميع نواحيها، وبما أن الأدب صورةٌ للواقع، فقد كان هناك تأثر منه بالعصر واصطباغٌ بلونه ،كما أن هناك سبباً آخر وهو أن شعراء هذا العصر قصروا جهدهم في نظم شعر الغزل والمدح، فجاؤوا بشعرٍ كثيرٍ فيهما، ولم يحتل شعر الوصف إلا نسبةً ضئيلةً ،وفي أحيانٍ كثيرةٍ كان الوصف يأتي في ثنايا هذين الفنين، وقلما نظم الشعراء قصائد خالصةً في الوصف، وجاءت كثير من أوصافهم على شكل مقطوعاتٍ، ومن الأسباب الأخرى التي يمكن أن تعزا إلى قلة شعر الحيوان هو ضياع كثيرٍ من الشعر أو اختفاؤه في بطون الكتب المخطوطة التي لم تخرج إلى النور، وأود الإشارة إلى أن كثيراً من الشعر الذي وجدته في هذا الباب لم يكن بالمستوى الجيد الذي جاء به السابقون والقدماء، وهو يتسم بالسطحية وعدم التعمق في الأوصاف والجزئيات، ويفتقر إلى الدقة، وكثيراً ما ذكروا الحيوان ذكراً عابراً، فاستعملوه في الهجاء أو الغزل دون التركيز على هيئتة العامة الخارجية أو صفاته المعنوية، وإنما كانت صورهم ينقصهاالابتكار والتجديد في المعنى، و إذا ما أراد المرء مقارنتها مع غيرها وجدها مكرورةً ومطروقةً، وسأحاول الحديث عن هذه الأشعار التي استطعت الوصول إليها.

1 - الإبل

وصف شعراء هذا العصر الإبل، وأحبوها واعتنوا بها أيما عناية، فهي من وسائل النقل المهمة التي لا غنى عنها، تتحمل قساوة الصحراء وظروفها الشديدة كالجوع والعطش والحر كما أنها تتصف بالصبر والتحمل، والحقيقة أن الشعر الذي وجدته في وصف الناقة قليلٌ أيضا، وجاء وصف الشعراء لها من خلال شعر المديح النبوي والرحلة إلى الديار المقدسة للحج، حيث وصف الشعراء وبخاصةٍ النواجي الذي استحوذ على النصيب الأكبر من هذا الشعر الإبل وصفاً

(1) **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 196.

جيداً، فهو يصف في إحدى رحلاته النياق وصفاً لم يخرج في الإطار العام فيـه عـن وصـف السابقين ومعانيهم، وإنما يمكن القول إن كثيراً من موضوعات السابقين في الإبل غابـت غيابـاً تاماً عن شعر هذا العصر، كذكر تقديمها لضيوفهم، فالنواجي يصف النياق وينسب لهـا صـفة الأصالة وهي من الصفات التي حرص الشاعر على نعتها لناقته حتى يعلي من قيمتها وقـدرها، وهذه النياق تتقاسم مع الإنسان الصفات الإنسانية، فهي تتبرك ببركة تـراب الأرض المقدسـة، وهذا إسقاطٌ نفسي لصفات الشاعر على الحيوان، وهي تسافر كل عامٍ من غير كالٍ أو مالٍ تسير ليلاً ونهاراً حاملةً المسافرين ومتاعهم، وهذه من استعمالات العرب لها، وهو يصف الـصحراء المترامية التي تسير فيها، فهي بعيدة القرار لا نهاية لها، ويظهر الشاعر النياق يسبحن في هـذا البحر المترامي الأطراف "الصحراء " كما يتخيلها طيوراً تطير براكبيها في الجو، يقول:

[الطويل]

مَعاهِـدُ حَيَّاهــا الحَيــا وَمَنــازِلُ	**لَهـا فِـي قُلُـوبِ العاشِـقِينَ مَنـازِلُ**
بِتُرْبَتِهــا الغُــرُّ النِّيــاقُ تَبَرَّكَــتْ	**فَهُــنَّ إِلَيْهــا كُــلُّ عــامٍ رَواحِــلُ**
نِيـاقٌ عِتـاقٌ مـا تَمِـلُّ مِـنَ الـسُّرى	**كِــرامٌ لِمــا حَمَّلْــتَهُنَّ حَوامِــلُ**
سَوابِحُ فِي بَحْرٍ مِنَ القاعِ سَبْسَبٍ	**بَعِيـدِ قَـرارٍ مَـا يُـرى فِيـهِ سَـاحِلُ**
وَتَعْلُوبِنـا فِـي الجَـوِّ حَتَّـى كَأَنَّهـا	**طُيُـورٌ وَلَكِـنْ مـا لَهُـنَّ حَواصِـلُ[1]**

ووصف الشاعر الإبل في قصيدةٍ أخرى، فظهرت النوق شابةً تسير بجدٍ وتقطع الفـلاة مسرعةً حتى فترت سرعتها وتعبت من السير الشديد، لكنها ما تلبث أن تسرع عندما يغني لهـا الحادي، وهي تسير بشوقٍ إلى الديارالمقدسة تحمل على ظهورها ما لا تطيـق غيـر أن حبهـا يدفعها للإسراع والسير تقطع الطرق الوعرة تخط على الرمل بأخفافها دوائر وتخضع لطلعتهـا البدور، والشاعر يركز هنا على قوة ناقته وصبرها وشدة تحملها للظروف القاسية، وهي سوابح تسبح في بحرٍ من الرمال ، والشاعر يعدد صوره للناقة، فهن سفن تسير برياح البر، وهو يوجه بالمصطلحات النحوية فيجعلها كحروف المد تقطع الفلا، ويصف سيرها السريع وقد مدت عنقها باكيةً وهذا وصفٌ إنساني للناقة، فهي تحب وتدمع وتحن وتشتاق، وعلى الرغم من أن هذه الإبل مسلوبة العقول إلا أنها تسمع لمالكها وتطيعه، وهذا وصفٌ معنوي من الـشاعر الـذي يجعـل الحيوان مطيعاً أليفاً حتى تكتمل صفاته وتخرج في أحسن صورة، يقول:

[الكامل]

لَـوْلا المُحَـصَّبُ وَالعَقِيـقُ وَلَعْلَـعُ	**مـا غَنَّـتِ العِيسَ الحُـداةُ وَلَعْلَعُـوا**

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 107-108.

ولَمــاَ سَــرَتْ لِلمَــأْزَمِينَ قلائِــصُ ... تَطْــوِي بِأَيْــدِيها الفَــلاةَ وَتَقْطَــعُ

وَوَنَــتْ مِـنَ الـسَّيْرِ الـشَّدِيدِ وَكُلَّمـا ... غَنَّــى لَهـا الحــادِي بِطَيْبَــةَ تُـسْرِعُ

كَـمْ حُمِّلَـتْ مـا لا تُطِيـقُ وَصَدْرُها ... فِي الحُبِّ مِنْ تِلْكَ الأباطِحِ أوْسَعُ

سِيقَتْ بِقَعْقـاعِ المَهامِـهِ فـانْبَرَتْ ... وَالـرُّوحُ مِنْهـا فِـي الـسِّياقِ تُقَعْقِـعُ

وَلَكَـمْ لَهـا فِـي الرَّمْـلِ دارَةَ مَنْـسِمٍ ... تَعْنُــو لِطَلْعَتِهــا البُــدورُ الطُّلَّـــعُ

سُــقْياً لَهُــنَّ سَــفائِنُ البَــرِّ الأُلَــى ... بِــالرِّيحِ تَجْـرِي وَالهَـوادِجُ تُقْلِـعُ

وَسَــوابِحٌ غَرِقَــتْ بِلُجَّــةِ قاعَــةٍ ... فَغَــدَتْ بِأَيْــدِيها تَــشُقُّ وَتَــذْرَعُ

وَحُـروفُ مَـدٍّ فِـي مَخـارِجِ لِينِهـا ... قَطْـعُ الفَـلا وَلِكُـلِّ حَـرْفٍ مَقْطَـعُ

سَــارَتْ بِنــا عَنَقــاً وَمَــدَّتْ لِلَّــوَى ... عُنُقــاً وَمُقْلَتُهــا تَــسِيلُ وَتَــدْمَعُ

هَذِى المَطِيُّ وَإِنْ سُلِبْنَ عُقُولُهـا ... أَبَــداً لِمالِكِهــا تُطِيــعُ وَتَــسْمَعُ

وَتَهــيمُ وَجْــداً بِــالبَقِيعِ وَأَهْلِــهِ ... وَتَـزورُ هاتِيـكَ البِقـاعَ وَتَرْجِـعُ[1]

واستعار النواجِي صورة أدوات الكتابة لوصف العيس، فمشيها يترك خطاً في الصحراء يشبه الأسطر، يقول النواجِي [الطويل]

قَــرَأْتُ الأَسَــى يَــوْمَ اسْــتَقَلُّوا عَلَـى ... يُخَطُّ بِها فِي صَفْحَةِ البِيدِ أَسْطُرُ

حُـرُوفُ مَعـانٍ إِنْ تُـنَصَّ عَلَـى ... بَعِيـدٍ رَأَيْـتَ الـنَّصَّ فِـي الحـالِ[2]

واستعمل الشعراء الألفاظ التي تدل على قـوة الناقـة وشـدتها، مثـل: "الوجنـاء"[3]، و"العلكوم"[4]، و"الشمردلة"[5]، و"العرندس"[6]، و"العنتـريس"[7]، و"العيـساء"[8]، و"الغلبـاء"[9]، والعاطوس[10]، والعجنسة[1]، والعديس[2]، والعاطبيس[3]، فالنواجِي يصف نياقاً بالعتق والأصالة

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 60-61.

(2) **نفسه** 65.

(3) الوجناء: التامة الخاق الغليظة لحم الوجنة الصلبة الشديدة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " وجن "، 443/13.

(4) العلكوم: الشديد الصلب من الإبل والأنثى علكوم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " علكم "، 423/12.

(5) الشمردل: القوي السريع الفتي من الإبل، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " شمردل "، 371/11.

(6) الناقة العرندسة، القوية الطويلة القامة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عردس "، 138/6.

(7) لم أجد العنتريس، ووجدت العرمس وهي الناقة الصلبة الشديدة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عرمس "، 138/6.

(8) العيساء: الإبل التي يخالط بياضها شيء من الشقرة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عيس "، 152/6.

(9) الغلباء: الطويلة الغليظة الرقبة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة غلب، 652/1.

(10) العاطوس: الناقة الخيار الفارهة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " علطبس "، 146/6.

والأصالة والنجابة، وهي تجوب الصحراء التي تحاكي البحر منسكبةً فيه وحمولها كالأمواج، و تبدو كالطيور في الجو، وهي تحمل ما لا تطيق على ظهرها، ومن الملاحظ أن الشاعر يكـ ـرر صوره في وصف الناقة ولكن بألفاظٍ وأساليب مغايرةٍ قليلاً بعض الشيء، وهـ ـذه النـ ـوق تتبـ ـع بعضها في السير، على ظهرها الإكام وعلى بطنها حزام البعير وعلى صدرها اللبب الذي يـ ـشد في صدر الدابة، وهي تسير شوقاً إلى المحبوب، يقول:

[البسيط]

وادٍ تَبَرَّكَـــتْ الغُــرُّ العِتــاقُ بـــهِ	قِدْماً وَلا غَرْوَ فَهْيَ الأَنْيُقُ النُّجُبُ
مِـنْ كُـلِّ وَجْنـاءَ عُلْكـومٍ شَـمَرْدَلَةٍ	عَرَنْـدَسٍ عَنْتَـريسٍ مـا بهـا جَنَـبُ
عَيْسـاءَ عَلْبـاءَ عِلْطُـوسٍ عِجِنَّسَـةٍ	عِـدِّيسٍ عِلْطَبـيسٍ عَـدْوُها خَبَـبُ
تَجُـوبُ بَحْـرَ فَيـافٍ وَالحُمُـولُ بهـا	أَمْواجُـهُ وَهْـيَ مِثْـلُ المـاءِ تَنْسَكِبُ
وَتَرْتَقِـــي بِجَنــاحَيْ ظِلِّهــا أُكُمــاً	كَـالطَّيْرِ فِـي الجَـوِّ يَعْلُـو ثُـمَّ يَنْقَلِـبُ
قَدْ حُمِّلَتْ فِي السُّرَى مـا لا تُطِيقُ	أَوْدَى بِها السَّيْرُ لَمَّا حَثَّها القَتَبُ
ضَــاقَتْ عَلَيْهــا القَــوافِي وَهْــيَ	بِطـانِ مِنْ خَزْمٍ أَنْفٍ مالهـا هَرَبُ
فِي رِجْلِها طَنَبٌ فِي ظَهْرِها قَتَبٌ	فِي بَطْنِها حَقَبٌ فِي صَدْرِها لَبَبُ
سُقْياً لَهُنَّ وَرَعْياً مِنْ دُموعِ شَجٍ	تَجُـودُ بالعُـشْبِ إِنْ ضَـنَّتْ بِـهِ
وَيـا بِروحِـيَ حَتَّـى العِيسُ مـا	شَوْقاً لِمَحْبوبِها تَبْكِي وَتَنْتَحِبُ[4]

وصور النواجي حنينه لسلع والمأزمين وهي من الأماكن الحجازية من خـ ـلال وصـ ـف القلائص وجعلها ترقص ،يقول :

[الكامل]

وَمَـا أَنْـسَى وَإِنْ نُـسِيَتْ عُهُـودٌ	لِــسَيْفَيْ مُقْلَتَيْــكَ الماضِــيَيْنِ
أَمـــا وَحَنِــينَ أَظْعــانٍ لِـــسَلْعِ	وَرَقْــصِ قَلائِــصٍ بِالمَــأْزَمَيْنِ[5]

وأبرز النواجي هذه الإبل وهي تسير بلا تعبٍ ولا نصبٍ شوقاً إلى زيارة الحبيب، يقول في وصفها:

---

(1) العجنسة: الناقة الشديدة الضخمة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عجنس "، 132/6.

(2) العديس: الجمل الوثيق الخلق العظيم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عديس "، 6/ 134.

(3) العاطبيس، الأملس البراق، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " عاطبس "، 146/6 ؟

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 69-70.

(5) **نفسه**، 110.

[المتدارك]

كَقلائِـــــدِ هَـــــدْيٍ جَـــــدَّ بِهـــــا   طَلَـــــبٌ وتَجاذَبَهــــــا طَــــرَبُ

فَلَـــــتِ الفَلَـــواتِ فَـــلا تَعَـــبٌ   تَلْقـــــاهُ هُنـــــاكَ وَلاَ نَــــصَبُ[1]

ويعبر أحمد بن عبد العال السِّنْدفائي عن شوقه للديار الحجازية من خلال دعوتـه إلـى ترك العيس ترعى وتأكل من خمائل تلك الأماكن فهي قد نشقت عطرها وسكبت دموعها وهـذه مشاعر الشاعر وأحاسيسه، يقول :

[البسيط]

وَخَلِّ عِيسَكَ تَرْعَى فِي خَمائِلِـهِ   وَمـا عَلَيْكَ إذا لَمْ تَرْعَ مِنْ حَرَجِ

فَإِنَّها نَشَقَتْ عِطْراً شَذَى وَسَقَتْ   مِنْ دَمْعِها مَنْزِلاً ذا رَوْنَقٍ بَهِجِ[2]

ويدعو محمد بن أحمد الأَنْصاري إلى حبس القلوص في الروحاء لحنينه وشـوقه حتـى يشتاق تلك الديار ويذرف دموعه، يقول:

[البسيط]

"قِـفْ بالمعـالِمِ بَيْنَ البـانِ وَالـعَلَمِ   وَلا تَعُـجْ عَـنْ حِـمَى سَلْمَـى وَذِي سَلَمِ"

وَاحْبِسْ قَلوصَكَ بِالرَّوْحـاءِ مُتَّئِداً   هُنـاكَ قَلْبِـي بَـيْنَ الـهُضْبِ وَالأكَمِ

وَإِنْ أَتَيْتَ إِلَى وادِي العَقِيقِ فَقِفْ   أُذْرِ عَقِيقَ دُمُوعِي فِيهِ كَالدِّيَمِ[3]

وحث ابن حجر العسقلاني وأصحابه المطي على السير عندما رأوا أعلام ديار المحبوب بدت تلوح لهم وقد حلوا عقالها حتى تسير مسرعةً إلى تلك الديار، يقول :

[الطويل]

وَلَمَّـا رَأَوْا أَعْلامَهـا هـاجَ شَـوْقُهُمْ   وَحَثُّـوا مَطايـاهُمْ وَحَلُّـوا عَقالَهـا

وَحِينَ تَجَلَّى وَجْهُها خَضَعُوا لَـهُ   فَلِلَّـــهِ رَبِّـــي مـــا أَعَـزَّ جَلالَهـا[4]

---

(1)عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 87.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 90/1.

(3) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 329/6، وفي البيت الأول تناص من بردة البوصيري، ينظر **ديوانه**، 165، 166.

(4)العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 80.

وجعل الشعراء الإبل تشاركهم أحزانهم وهمومهم، فالشاعر أبو أحمد "عِز الدين العِراقي" يصف بكاءه الذي أبكى المطي التي شاركته، يقول :

[الطويل]

وَلَمَّــا اعْتَنَقْنَــا لِلْــوَداعِ عَــشِيَّةً وَفِـي كُـلِّ قَلْـبٍ مِـنْ تَفَرُّقِنـا جَمْـرُ

بَكَيْــتُ فَأَبْكَيْــتُ المَطِــيَّ تَوَجُّعــاً وَرَقَّ لَنــا مِــنْ حَــادِثِ الــسَّفَرِ الصَّخْرُ[1]

واعتاد الشعراء أحياناً ختم مدائحهم النبوية بالحديث عن العيس، يقول النواجِي :

[البسيط]

عَلَيْكَ أزْكَـى صَـلاةٍ وَالـسَّلامُ مِـنَ الرَّحْمــانِ تَنْــدَى عَبيــراً بالــشَّذاَ

ما حَنَّتِ العِيسُ شَوْقاً لِلحَبيبِ وَمَا مُدَّتْ لَهُ عُنُقاً فِي سَيْرِها العَنَق[2]

وتحدث الشعراء عن الهدي من خلال حديثهم عن النوق، فالنواجِي لما عزم على الحـج أرسل له المقر الأشرف الناصري محمد بن البارزي[3] جملاً وناقةً هديةً، يقول :

[الكامل]

جَمَـلاً هَجِينــاً قَــدْ بَعَثْــتَ وَنـاقَــةً لأَحُــجَّ فِــي سَــنَتِي وَلَــمْ أَتَحَجَّــجِ

فَغَـدَوْتُ مُكْتَفِيـاً وَقُلْـتُ لأَضْـلُعِي بالنَّـاقَةِ انْبَسِطِي لِمَكَّـةَ وَالْهَجِي [4]

وكان الجمل والناقة حاضرين في أمثال الشعراء، يقول ابن مليك الحموي :

[البسيط]

وَمَـا مُقـامِي بِـأَرْضٍ لاأَنِـيسَ بِهـا "وَلَـيْسَ لِـي نَاقـةٌ بِهـا وَلاجَمَـلُ"[5]

ووصف الأزهري جزاراً قام بنحر ناقةٍ وجملٍ بمديةٍ ثم قطع لحومها، وهذا من المشاهد المألوفة اليومية التي حاول الشعراء نقلها، يقول :

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 138/5.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 85.

([3]) ناصر الدين محمد ابن هبة ا بن عمر البارزي الشافعي، عرف بالزهد والصلاح ورفض كتابة سر دمشق والقضاء بها، توفي 847هـ، ينظر: السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام**، 461/2.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 302.

(5) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي** ، 400، نقلا عن **ديوانه** ، 25، وقد ضمن الشاعر في الشطر الثاني المثل القائل " لا ناقتي في هذا ولا جملي "، ينظر: الميداني، أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، 222/2.

[الرجز]

لِلَّـــهِ جَـــزَّارٌ غَـــدَتْ أَلْحَاظُـــهُ	سَـــافِكَةَ دِمَـــاءَ صَـــبٍّ ذِي وَجَـــلْ
عَايَنْتُـــهُ بِمُدْيَـــةٍ فِـــي لَحْظَـــةٍ	فَـــصَّلَ لَحْـــمَ نَاقَـــةٍ ثُـــمَّ جَمَـــلْ(1)

وعبر النواجي عن حزنه على رحيل الأحبة من خلال وصف سـير العـيس اسـتعدادا للسفر وتحميلها، يقول :

[البسيط]

سَارُوا فَسارَ فُؤادِي إِثْرَ عِيْسِهِمُ	وَضَـــلَّ مَـــابَيْنَ أَجْمَـــالٍ وَأَحْمَـــالِ
زَمُّوا المَطِيَّ غَدَاةَ البَيْنِ وَارْتَحَلُوا	ضُـــحىً فَيَـــا طُـــوْلَ تَطْـــوافي (2)

وتحدث ابن حجر العسقلاني عن صعوبة الصحراء التي قطعتها عيسه، يقول :

[الطويل]

وَكَـــمْ قَطَعَـــتْ عِيـــسِي وَوَاصَـــلَتِ	مَهامِـــهَ فِـــي البَيْـــداءِ جِـــدَّ صِـــعابِ
مَجَاهِـــلَ سَـــمَّاهَا الجَهُـــولُ مَعالِمَـــاً	نَعَـــمْ لِـــسَقامِي بِـــالنَّوَى وَعَـــذَابِي(3)

وذكر ابن حجة الحموي الإبل في مدحه للمقر استدمر(4) وقد هزم أعداءه وسكب دمـاء عيسهم وإبلهم حتى فسدت أسيافه من كثرة الضرب :

[الطويل]

وَكَـــمْ مِـــنْ عـــيس القـــوم قـــد ســـكب	وأســـيافه مـــن ذلـــك الـــسكب قـــد (5)

ووصف ابن زقاعة العيس وقد حملت السيوف على ظهورها، يقول :

[الكامل]

مـــا كُنْـــتُ أَعْلَـــمُ قَبْـــلَ رِحْلَـــةِ عِيـــسِهِمْ	أَنَّ الظُّبَـــا تَعْلُـــو عَلَـــى الأَقْتَـــابِ(6)

---

(1) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 275/2.

(2) عبدالهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 133.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 166.

(4) استدمر الظاهري برقوق، ولي نيابة الإسكندرية ثم حبس، مات 848هـ، ينظر السخاوي، **الضوء اللامع**، 312/2.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 74 ، البيت مكسور من المصدر وقد ورد في قصيدة على بحر الطويل.

(6) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 145،

2- الأرانب

أنشد الشاعر محمد السلاوي يحث على العزلة متخذاً من الأرنب الذي يختفي ويختبئ من الكلاب مثلاً، يقول:

[الخفيف]

قالَتِ الأرْنَبُ السَّبُوقُ كَلاماً فِيهِ ذِكْرَى لِتَفْهَمَ الألْبَابُ

أنَا أجْرَى مِنَ الكِلابِ ولَكِنْ خَيْرُ يَوْمِي أنْ لا تَرانِي الكِلابُ[1]

فالشاعر يبرز من خلال بيته صفةً من صفات الأرنب وهي السرعة والخوف حيث أنه يختبئ خوف أن يمسه الأذى والشاعر يدعو من خلال ذلك إلى اعتزال الناس واجتناب شرورهم.

3- الحمير والثيران

الشعر الذي خلفه شعراء العصر المملوكي الثاني في الحمار والثور قليلٌ جداً، منها قصةٌ شعريةٌ نظمها فخر الدين ابن مكانِس " وهذه القصة المنظومة نجدها في الصفحات الأولى من مجلد ألف ليلة وليلة "[2]، ومغزاها أن الثور كان يقوم بالحرث والدوران في الطاحون ويعمل ليل نهار ويكدح، فجاءه الحمار في ليلةٍ كان الثور فيها يئن، فسأله عن حاله، فقال له الثور: إنه سئم هذه الحياة، فنصحه الحمار بالتمارض وإظهار الضعف فنفذ الثور حيلته، فلما رأى صاحبه سقمه قرر أن يستعمل الحمار بدلاً منه فأدرك الحمار خطأه وأن الحيلة انقلبت عليه، فاحتال للثور حيلةً أخرى، وقال له إذا لم يعد إلى عمله فإن صاحبه سيقوم بذبحه، فخاف الثور وعاد إلى سابق عهده، ونجا الحمار مما وقع به وافتخر في نهاية القصة بنفسه وبقدرته على إعمال الحيلة، وقد بدأ الشاعر أرجوزته بتوجيه الحكم المستخلصة والمستفادة من القصة فبينما بات يئن ليلة، يقول :

[الرجز]

وَالحَزْمُ كُلُّ الحَزْمِ وَالنَّجاح فِي قِلَّةِ الكَلامِ وَالمُزاح

"مِنْ حُسْنِ دِينِ المَرْءِ تَرْكُ ذِكْرِ مَا لَمْ يَعْنِهِ فِي حالِهِ لِيَسْلَما"[3]

كَمْ مِنْ أسِيرٍ بِقُيودِ قِيلِهِ وَواقِعٍ فِي الحِينِ مِنْ فُضُولِهِ

فِي قِصَّةِ الثَّوْرِ مَعَ الحِمارِ عِبْرَةُ مَنْ يَكُونُ ذا اعْتِبارِ

(1) المقريزي، تقي الدين ، **درر العقود الفريدة**، 117/3. الشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

(2) جاد الرب، إبراهيم الدسوقي، **ابن مكانس والشعر في عصر المماليك**، 268.

(3) تضمين للحديث النبوي " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، ينظر: الترمذي، عيسى بن محمد، **جامع الترمذي**،382.

أمْثالُهَا عِنْدَ جَلاها الحِكَمُ   وَذاكَ أنَّ الحُكَمَا قَدْ زَعَمُوا

بأنَّ ثوْراً وَحِماراً كَانَا   فِي دَوْحَةٍ يانِعَةٍ زَمَانَا

فكَانَ فِي الرَّوْضِ الحِمارُ يَمْرَحُ   وَالثَّوْرُ فِي بَحْرِ الشَّقاءِ يَسْبَحُ

قَدْ كَلَّ مِنْ حَرْثِ الأراضِي   وَالدَّوَرانِ المُسْتَمِرِّ وَالتَّعَبِ

فَبَيْنَما بَاتَ يَئِنُّ لَيْلَةً   وَلا لَهُ فِكْرٌ يُجِدُّ الحِيلَةَ

وَافَى الحِمارُ نَحْوَهُ مُسْتَفْهِماً   وَقالَ ما بالُكَ تَشْكُو الألَمَا ؟

قالَ سَئِمْتُ العَيْشَ فِي العَذابِ   وَالدَّوْرَ بَعْدَ الحَرْثِ فِي الدُّولابِ

فقالَ هَذاَ مِنْ سُقوطِ هِمَّتِكْ   وَجَهْلِكَ الجَمِّ وَسُوءِ فِكْرَتِكْ

لا تَأكُلِ اليَوْمَ لَهُمْ عَلِيقَا   فَتَغْتَدِى مِنْ أسْرِهِمْ طَلِيقَا

وَلازِمِ الأنِينَ وَالرُّقَادَا   وَالضَّعْفَ حَتَّى تَبْلُغَ المُرادَا

فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى ادَّعَى الثَّوْرُ التَّلَفْ   وَرَدَّ مِنْ لَيْلَتِهِ تِلْكَ العَلَفْ

وَباتَ مَطْروحاً عَلَى الأراضِي   يَشْكُو مِنَ السَّقامِ وَالأمْراضِ

فمَرَّ فِي شَكاتِهِ أيَّامَا   لا يَعْرِفُ الأكْلَ وَلا المَنامَا

فقالَتِ الزُّرَّاعُ: حَالَ الحالُ   وَصَوَّحَ النَّبْتُ وَضاعَ المالُ

وَالرَّأيُ أنْ نَسْتَعْمِلَ الحِمارَا   لِيَرْوِيَ النَّباتَ وَالأشْجارَا

فَسُقِطَ الحِمارُ فِي يَدَيْهِ   وَانْقَلَبَتْ حِيلَتُهُ عَلَيْهِ [1]

والحقيقة أن القصيدة طويلةٌ وممتعة ولا أريد الإطالة فيها، والشاعر يختم قصيدته بالتذكير أن على الإنسان ألا يتصرف تصرفاً يدفعه إلى الحيلة للخروج منه، كما يدعو إلى قلة الكلام وقلة المزاح .

ولابن حِجة مقطوعتان في وصف الحمار تفيضان بالدعابة والسخرية، يقول في المقطوعة الأولى :

[المتقارب]

تَرَبَّعْ وَنَمْ فِي ظُهورِ الحَمِيرِ   وَلا تَخْشَ مِنْ سَقْطَةٍ عالِيَةْ

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات، الشطر الثاني من البيت الثاني مكسور والشطر الأول من البيت الأخير مكسور أيضا .

وَكُـنْ فِـي مَكـانٍ مَتَّـى مـا وَقَعْـتَ		تَقُـــومُ وَرِجْـــلاكَ فِـــي عافِيَـــةٌ(1)

فهو يتخذ من قصر الحمار موضوعا للسخرية والضحك، ويقول في المقطوعة الثانية :

[الطويل]

كَـأَنَّ حِمـارِي شُـدَّ إِذْ رُمْـتُ مَـشْيَهُ		"بِـأَمْراسِ كَتَّـانٍ إِلَـى صُـمِّ جَنْدَلِ"

وَمِنْ فَوْقِهِ رِجْلايَ تَمْشِي بِسُرْعَةٍ		فَلَـمْ يُخْتَـزَلْ إلا بِـسِتَّةِ أَرْجُـلِ(2)

واتخذ الشعراء من صورة الحمار مادةً للهجاء، فركزوا مثلاً على صوته القبيح وشبهوا به الأصوات المزعجة، يقول محمد الأزهري :

[السريع]

أَتَـــى طُفَيْلِـــيٌّ لَنَـــا مُنْـــشِدٌ		وَصَـوْتُهُ يَحْكِـي عَـذابَ الـسَّعِيرْ

فِـــي فِيـــهِ لُقْمـــانُ غَـــدا قارِئـــاً		"مِـنْ أَنْكَـرِ الأَصْـواتِ صَـوْتُ (3)

ويهجو عِز الدين الموصِلي قوماً لا خلاق لهم ولا يعرفون الطرب ولا الـسمر وإنمـا يتخذون من صوت الحمير منبهاً لهم من نومهم، يقول :

[الكامل]

نادَمْـتُ قَوْمـاً لا خَـلاقَ لَهُـمْ وَلا		مَيْـــلٌ إِلَـــى طَـــرَبٍ وَلا سُـــمَّارِ

يَـسْتَيْقِظُونَ إِلَـى نَهِيـقِ حِمـارِهِمْ		وَتَنـــامُ أَعْيُـــنُهُمْ عَـــنِ الأَوْتـــارِ (4)

ووصف سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي مجموعةً من الراكبين على الحمير، وبـدت هذه الحمير سمينةً وهزيلةً، يقول :

[البسيط]

أَتَـوْا مُـشاةً وَرُكْبانـاً عَلَـى حُمُـرٍ		مِنْهـــا سَـــمِينٌ وَمِنْهـــا الـــبَعْضُ (5)

(1) الحموي، ابن حجة، **تأهيل الغريب**، 67، الأبيات غير موجودة في الديوان.

(2) **نفسه**، 67،والشطر الثاني من البيت الأول مضمن من بيت امرئ القيس وصدره " فيا لك من ليل كأن نجومه " ، **ديوانه** 49 .

(3) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 316/1، والشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"، لقمان، 19.

(4) ابن معصوم، علي صدر الدين، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 81/6، البيت الثاني مضمن من شعر الفرزدق، ينظر: ديوانه،360

(5) السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 398/1.

وجعل ابن الآدمي بغلته وحماره يشتكيان الفقر للتعبير عن حاجته، يقول:

[المتقارب]

وَكَـــمْ تَـــشْتَكِي بَغْلَتِـــي عُطْلَتِـــي وَتَـــمَّ حِمَـــارٌ عَلَيْـــهِ المَـــدارْ [1]

و اتخذ الشعراء من الحمار صورةً للإهانة والهجاء ،يقول زين الدين الخَراطْ :

[السريع]

أيَـــا حِمَـــاراً زيـــدَ فِـــي حَرْثِـــهِ وَعُمْـــرُهُ طَـــالَ فَمـــا فِيـــهِ خَيْـــرْ

لَـوْ عِـشْتَ مـا عِشْتَ فَـلا بُـدَّ أنْ تَفْنَـى وَلَـوْ كُنْـتَ حِمـارَ العُزَيْـرْ [2]

ومن المقطوعات الطريفة في الهجاء أيضاً قوله في ابن حِجة الحموي :

[الكامل]

نَـسَبَ الأفَاضِلُ لاِبْـنِ حِجَّـة سِرْقَةً فَأجَبْـتُ: كُفُّـوا عَـنْ مَلامَـةِ شَـاعِرٍ

هَـــذا حِمَـــارٌ فَـــارِهٌ فِـــي فَنِّـــهِ وَلَكَمْ لَهُ فِـي الـنَّظْمِ وَقْعَـةُ حـافِرِ [3]

"والطرفة الفنية حيث منح الشاعر صفة التفنن للحمار وتمادى في خياله الفني حتى جعل لوقع الحافر محطةً من محطات الشعر المنظوم"[4].

وشبه ابن حِجة الحموي عذوله بالثور، يقول :

[البسيط]

عَذُولِيَ الثَّوْرُ لَمْ يَفْهَمْ مَحاسِنَهُمْ "وَمـا عَلَـيَّ إذا لَـمْ تَفْهَمِ البَقَرُ"[5]

واتخذ شَعبان الأثاري من الحمار صورةً لهجاء الترجمان الذي زين القـاهرة احتفـالاً بالجلال البلقيني وجعل من مظاهر الزينة حماراً حياً:

[الوافر]

(1) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود الفريدة**، 457/2.

(2) النواجي، شمس الدين، **الحجة في سرقات ابن حجة**، 379.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**،ق2 ،162/2.

(4) الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 367.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 30، الشطر الثاني مضمن من بيت البحتري وصدره: "علي نحت القوافي من معالمها"، ينظر **ديوانه**، 186/2.

أقَـــامَ التُّرْجُمـــانُ لِـــسانَ حَـــالٍ عَــنِ الــدُّنْيا يَقُــولُ لَنــا جَهــاراً

زَمــانٌ فِيــهِ قَــدْ وَضَــعُوا جَــلالاً عَـنِ العَلْيـا وَقَـدْ رَفَعُـوا حِمـاراً[1]

4- الخرفان

اتخذ الشعراء من الخراف موضوعاً للحديث عن الهدايا التي كانوا يتهادونها، فالـشاعر النواجي يكتب إلى المقر الأشرف الناصري محمد بن البارزي يذكره بأن يرسل إليـه أضـحية، يقول :

[الطويل]

لِـيَهْنَ بِـكَ العِيـدُ الـذِي عَمَّ فَضْلُهُ وَنَـالَ بِكُـمْ يـا كاتِـبَ الـسِّرِّ إِسْعادَهْ

وَعَوَّدْتَنَافِيـــهِ الـــضَّحايا فَأَجِرْنـــا بِفَـيْضِ نَـداكَ الجَـمِّ مِنْـكَ عَلَـى العادَهْ[2]

وكتب أيضاً إلى من أرسل له كبشاً مليحاً يخبره بأنه أفضل من الكبش المليـح الأقـرن الذي أرسله في العيد الماضي، يقول :

[الكامل]

يـا نـاظِرَ الجَـيْشِ الّـذِي أبْـدَى لَنـا فِــي النَّحْــرِ الغُــرِّ القَلائِـدِ يَمْـنَحُ

أرْسَـلْتَ لِـي كَبْـشاً مَلِيحـاً أقْرَنــاً فِـي عِيدِنـا الماضِـي وَهَـذا أمْلَـحُ[3]

واتخذوا من الأضحية موضوعاً للتعبير عن عوزهم، يقول النواجي:

[المجتث]

العِيـــــدُ جـــــاءَ وَمـــــالِي شَـــــيْءٌ يُبـــــاعُ بِفِلْـــــسِ

لَـــــوْلا خَروفُـــــكَ وَافـــــى لَكُنْـــــتُ أَذْبَـــــحُ نَفْـــــسِي[4]

وكتب إلى قاضي القضاة علم الدين البلقيني[5] يهنئه بالعيد ويستدر عطفه قائلا :

[الكامل]

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 3/ 307.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 266، وسبق التعريف بالبارزي.

(3) **نفسه**، 266.

(4) **نفسه**، 266.

(5) جلال الدين عبد الرحمن البلقيني، ولد 763هـ ، تولى القضاء بالديار المصرية، مات 824هـ،ينظر السخاوي، **الضوء اللامع**، 4/106- 107.

هُنِّئْتَ يـا قاضِـي القُضاةِ وَحَبْرُهـا عِيــداً تَكامَــلَ سَــعْدُهُ المَبْــرُورُ
وَإِذا بَعَثْــتَ إِلَــيَّ أُضْــحِيَةً بِــهِ كَبِّــرْ فَفِيــهِ يَحْــسُنُ التَّكْبِيــرُ(1)

وكتب إليه لما بعث إليه خروفاً صغيراً:

[الكامل]

مَـوْلايَ يـا قاضِـي القُـضاةِ وَمَـنْ فِــي العِيــدِ نــالَ نِهايَــةَ الأَمَــلِ
لَـوْ لَـمْ تَفُـقْ زَهْـرَ النُّجُـومِ لَمـاَ قارَنْـتَ بَـيْنَ الـشَّمْسِ وَالحَمَـلِ(2)

وقال في نفس المعنى :

[مجزوء الرجز]

يــــا قاضِــــياً صَــــادَفَهُ لَمَّــــا أَتَــــى العِيــــدَ زُحَــــلْ
لَــــوْ لَــــمْ تَكُــــنْ فِيــــهِ لَمَــــا بَعَثْــــتَ لِلــــشَّمْسِ الحَمَــــلْ(3)

فالشاعر يوري في المثالين الآخرين، فهو في المثال الأول يكني عن نفسه بالشمس لأن اسمه شمس الدين النواجي والحمل هو الخروف والبرج في السماء، والقاضي يشبه الكوكب في السماء، وهو هنا يجعل القاضي يقارن بين الشمس والحمل وهما أقل مرتبةً من القاضـي وهنـا يمدحه، والمثال الثاني يجعل القاضي في علوه ككوكب زحل .

وقال أخر مادحاً أحد الملوك الذي انتشر العدل في زمانه حتى صارت الشياة تمشي مع الذئاب والضراغم والشاعر هنا يبرز طبيعة العلاقة بين هذه الحيوانات مـن خـلال المبالغـة، للإعلاء من قدر الممدوح، ومن المعروف أن ذلك مغاير للطبيعة :

[مخلع البسيط]

قَــدْ أَظْهَــرَ العَــدْلَ فِــي الرَّعايــا وَأَبْطَــــلَ الجَــــوْرَ وَالمَظَــــالِمْ
وَصَــــيَّرَ الــــشَّاةَ فِــــي حِمــــاهُ تَمْـشِي مَـعَ الـذِّئْبِ وَالـضَّياغِمْ(4)

وفي مثل المعنى مدح الشهاب المنْصوري السلطان لما نصره على من ظلمه :

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 266.
(2) **نفسه**، 266.
(3) **نفسه**، 267.
(4) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 373/2.

[مخلع البسيط]

يُـــصَيِّرُ الـــشَّاةَ فِـــي حِمـــاهُ تَمْـشِي مَـعَ الـذِّئْبِ وَالـضَّراغِمْ(1)

واتخذوا من المواشي سبباً لدعاء ا عز وجل حتى يرحمهم ويجري النيل للوفاء، يقول النواجي:

[الطويل]

وَسَقْياً وَرَعْياً لِلمَواشِي فَقَدْ بَدَتْ كَلاها وَكَلَّ السَّيْرُ فِي طَلَبِ الكَلا(2)

وقال الدماميني في وصف هدية:

[البسيط]

أتَـتْ خِرافُكَ لِـي تَزْهُو مَحاسِنُها بِـرَغْمِ كَبْشٍ مِنَ الأعْداءِ قَرْنـانِي

لَـوْ عابَهـا مِنْ خَروفٍ كـانَ يُذّبَحُ خَــوْفٍ "وَلَــمْ تَنْــتَطِحْ فِــي ذاكَ [illegible]"(3)

5- الخيول

اعتنت العرب بالخيول منذ قديم الزمان وأحبوها، واتخذوها مراكب يطوفون بهـا فـي حروبهم وسفرهم ورياضتهم وصيدهم، إلى غير ذلك من الأمور التي تسهل لهم مصاعب الحياة، فحافظوا عليها وفضلوها على أولادهم أحياناً، وتخيروا لها الأسماء والألقاب، وحـافظوا علـى أنسابها وسلالاتها، وعبر الشعراء عن إعجابهم بالخيل من خلال الشعر، وسـجلوا مـشاعرهم وأحاسيسهم فيه، فشمس الدين محمد بن علي المعروف بابن زرع يصف الخيل وصـفا تقليـدياً مستقياً معانيه من القدماء، فهو يصف لون حصانه الأشقر ويشبه غرته في جمالها ووضـوحها بالفجر في نوره، وبالكوكب في السماء، يقول:

[السريع]

وَأَشْـــقَرٍ فِـــي وَجْهِـــهِ غُـــرَّةٌ كَأَنَّهـــا فِـــي نُورِهـــا فَجْـــرُ

بَـــلْ زَهْـــرَةُ الأُفْـــقِ لأنّـــي أرَى مِـــنْ فَوْقِهـــا قَـــدْ طَلَـــعَ البَـــدْرُ(4)

---

(1) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 173/4.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 118.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 135، الشطر الثاني من البيت الثاني تضمين بالمعنى من الحديث " لا ينتطح فيها عنزان"، أي لا يجري فيها خلاف ونزاع، ينظر: ابن الأثير، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، 909.

(4) الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 140/9.

وألوان الخيول حاضرةٌ في أذهان الشعراء، وهم يحددون جانباً من جوانب استعمالهم لها وهو السفر والانتقال، يقول محمد الأزهري واصفاً قطعه للصحراء في الليل والنهار على ظهـر أشقر بعد أدهم وهي من ألوان الخيول، ومن الجدير بالذكر أن الشعراء استعاروا للنهار صـورة الفرس الأشقر، ولليل صورة الخيل الأدهم، يقول:

[الطويل]

نهاري وليلي أقطع البيد معسفا وأركب فيها أشقرا بعد أدهم[1]

والخيل وسيلةٌ مهمةٌ من وسائل السفر إلى الممدوح، فقد امتطاهـا الـشعراء وأطلقـوا عنانها نحوه، وخلدوا ذكرها في قصائد المدح، فهذا شهاب الدين أحمد بـن مباركـشاه الحنفـي يصف جواداً شق به ظلمة الليل وسط الصحراء، صهوته منظومةٌ من الـدر المنـضود، وهـذا الجواد أهلٌ لما وكل إليه من المهمات، فهو سريع يحمل صاحبه إلى ممدوحه غايـة الـشرف، كنفحة المسك التي تضوع الجو وتعبقه بالطيب، فالصورة تزخر بالحركة، والشاعر هنا معجـب بخيله مفاخر بها، يقول:

[الطويل]

قَطَعْتُ بِهِ مِنْ أَسْوَدِ اللَّيْلِ مَهْمَهاً عَلَى صَهْوَةٍ مِنْ دُرِّ نَظْمٍ تَنَضَّدَا

جَوادٌ إِذا أَرْسَلْتُ فَضْلَ عَنانِهِ يُبَلِّغُنِي مِنْ غايَةِ الشَّرَفِ المَدَى

كَنَفْحَةِ مِسْكٍ قَدْ تَضَاعَفَ نَشْرُها بِأَلْسُنِنا مِمَّا يُعادُ وَيُبْتَدَى[2]

ويفاخر ابن زقاعة بجواده، فهو قد امتطاه لزيارة أحبته متشوقا لهم، وجـواده يتـصف بالضمور وهي من الصفات المحمودة للخيل عند العرب، كما أنه من الخيـول الأصـيلة التـي تنتسب إلى آل طيء (3) وهي من قبائل العرب المشهورة، فالشعراء أحبوا خيـولهم وأسـقطوا عليها الصفات الحسنة، وهذا إسقاطٌ نفسي من الشاعر الإنسان الذي يحب العلو بنفسه ورفع قيمة كل ما يملك، يقول:

[الوافر]

أَتَذْكُرُ لَيْلَةً بِالسَّفْحِ مَرَّتْ لَنا ما بَيْنَ غَزَّةَ وَالجَوادِ

وَمَعْهَدُنا بِذاتِ الشِّيحِ لَمَّا تَعاهَدْنا عَلَى حِفْظِ الوِدادِ

---

(1) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 305/2.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 129/1.

(3) آل طيء: قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنتسب إلى طيء بن أدد، سكنوا الجزيرة العربية، ينظر كحالة، رضا، **معجم قبائل العرب**، 698/2 .

وَزُرْتُ وَقَـدْ رَكِبْـتُ عَلَـى جَـوادٍ		مِــنَ الخَيْــلِ المُــضَمَّرَةِ الجِيــادِ
أبُــوهُ مِــنْ صَــوافِنِ آلِ طَــيْءٍ		تُقِــرُّ لَــهُ سَــوابِقُ آلِ عــادِ(1)

وأبرز الشعراء صفة التحجيل في الفرس، وهي من صفات الجمال في الخيول، ففـرس شمس الدين محمد القادري زانه التحجيل وزاده جمالاً، والشاعر يبين سبب هـذه العلامـة فـي الفرس بأسلوبٍ طريفٍ، فالفرس أراد أن يخفي عطاء حازه فستره بكمه، يقول:

[الوافر]

وَطَـرْفٌ زانَـهُ التَّحْجِيـلُ يَحْكِـي		لِمَــنْ يَحْكِيــهِ بالــسِّحْرِ المُبِــينِ
جَــوادٌ رامَ أنْ يُخْفِــي نَــوَالاً		فَأسْــبَلَ كُمَّــهُ فَــوْقَ اليَمِــينِ(2)

وسرعة الخيول من الصفات المحببة، فالشعراء يتفاخرون بسرعة خيـولهم ويـشبهونها بصورٍ متعددةٍ، فابن حجة الحموي يصف فرساً سريعاً بصورٍ جميلةٍ، فهو في سـرعة البـرق، والطريف استعارته للون الذهب ومنحه للبرق، وهذه الخيل لشدة سرعتها تُعجز الناظرين عـن لمحها وكأنها بقايا يقينٍ كاد يذهبه الشك، وهذه أيضا صورة جميلة فاليقين يذهبه الـشك سـريعاً وهي صورة ذهنية غير محسوسة، يقول الشاعر:

[الطويل]

وَطَـرْفٌ كَتِبْـرِ البَـرْقِ فِـي خَفَقانِـهِ		إذا مَا جَرَى مِنْ تَحْتِ حافِرِهِ سَبَكْ
وَيُعْجِزُنَـا عَـنْ لَمْحِـهِ فَكَأنَّـهُ بَقايَـا		يَقِــينٍ كــادَ يُذْهِبُــهُ الــشَّكْ(3)

ووصف ابن زقاعة فرساً حمراء اللون رآها في منامه، من خلال وصفه لمدينة الخليل، وهذه الفرس الحمراء تشبه الوردة في لونها، وهي ترعى أوراق شجرة سدر مخـضلةٍ بـدموع الندى، وتمشي على الأغصان لا تخاف انزلاقها، وعندما سأل الشاعر عن الفرس قال له صاحبه إنها هدية من إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد قبل الشاعر هديته، وقام الخادم وشد عليها سرجها ووضع فوقها طبلةً يشبه صوتها إذا قرع عند الحرب صوت طائر الباز، يقول:

[السريع]

وَحِجْــرَةٍ فِــي النَّــوْمِ أبْــصَرْتُها		حَمْــرَا كَلَــوْنِ الــوَرْدِ أوْ مِثْلَــهْ

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 141.

(2) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 386/3.

(3)الحموي، ابن حجة، **تأهيل الغريب**، 55/1، الأبيات غير موجودة في ديوانه، والشطر الثاني إشارة بالمعنى إلى قوله تعالى " إن الظن لا يغني من الحق شيئا "، **سورة يونس**، آية 36.

رَأَيْتُهـــا تَرْعَـــى عَلَـــى سِـــدْرَةٍ ... أَوْرَاقُهـــا بالـــدَّمْعِ مُخْـــضَلَّةْ

تَمْشِي عَلَى الأَغْصَانِ لا تَخْشَى ... تَزَلُّـــقَ الحـــافِرِ أَوْ نَعْلَـــهْ

وَكـــانَ قـــدْ نـــادَمَنِي خـــادِمٌ ... لِحْيَتُـــهُ بالـــدَّمْعِ مُبْتَلَّـــةْ

فَقُلْـــتُ يـــا شَـــيْخُ لِمَـــنْ هَـــذِهِ ... قـــالَ لإِبْـــراهِيمَ ذِي الخِلَّـــةْ

مَـــشَى وَناداهـــا فَجـــاءَتْ لَـــهُ ... تَـــدْرُجُ كَـــالطَّيْرِ عَلَـــى قِلَّـــةْ

وَقـــالَ لـــي خُـــذْ هِبَـــةً نِـــصْفَها ... مِـــنَ الخَلِيـــلِ الواضِـــعِ المِلَّـــةْ

وَاقْبَـــلْ هِباتِنـــا بِـــلا كُلْفَـــةٍ ... فَأَنْـــتَ مِـــنْ قَـــوْمٍ يَـــرَوْا فَـــضْلَهْ

قُلْـــتُ قَبِلْـــتُ النِّـــصْفَ ياسَـــيِّدِي ... فَقـــالَ لِـــي مَيْمُونَـــةٌ سَـــهْلَةْ

وَقـــامَ مِـــنْ سَـــاعَتِهِ شَـــدَّها ... وَشَـــدَّ سَـــرْجاً فَوْقَـــهُ طَبْلَـــةْ

وَقـــالَ: هَـــذا طَبْـــلُ بـــازٍ لَـــهُ ... صَـــوْتٌ إِذا أَزْمَعَـــتِ الحَمْلَـــةْ

فارْكَبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ فِي سُرْعَةٍ ... وَسِـرْ إِلَـى الأَقْـصَى وَمـا مِلَّـةْ(1)

ومن الصفات التي أبرزها الشعراء في خيولهم الضمور، وقد وصف ابن مليك الحموي مجموعةً من المقاتلين الذين يقاتلون على خيولٍ تتصف بالضمور وقصر الشعر وسرعة الجري، فهو يرسم لنا الخيل في هيكلها وشكلها الخارجي، يقول:

[الكامل]

مِنْ فَوْقِ كُلِّ أَقَبَّ أَجْرَد سابِحٍ ... كَـالبَرْقِ يَلْعَـبُ بالرِّيـاحِ الأَرْبَـعِ

كَمْ بَحْرِ حَرْبٍ فِي الوَغى خاضُوا ... مَـا بَـيْنَ مُنْحَـدِرٍ يَجُـوبُ وَمُقْلِـعِ(2)

أما ابن زقاعة فيصف أصحابه في ساح الوغى وهم فوق الخيول ويشبههم باللّيوث، ويستعير للخيل الضامرة صورة العقاب في إبراز صفة السرعة، فهي خفيفةٌ سريعة الحركة لا يعيقها شيء، يقول:

[الكامل]

فَبِـأَيْمَنِ الـوادِي عُرَيْـبٌ خَيَّمُـوا ... بِأُثَيْلَـــةٍ مِـــنْ أَكْـــرَمِ الأَعْـــرابِ

مِـــنْ كُـــلِّ أَبْلَـــجَ كَـــالهِلالِ جَبِينُـــهُ ... يَرْمِـي العِـدا مِـنْ كَفِّـهِ بِـشِهابِ

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 124-125.

(2) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 362/2.

وَتَخالُهُ فَوْقَ المُضَمَّرِ فِي الوَغَى   لَيْثَــاً تَــشَبَّثَ فَــوقَ مَــتْنِ عُقَــابِ

رَبَطُــوا الجِيــادَ عَلَــى الجِهــادِ   طَلَبَ الشَّهادَةِ فِي رِضَا الوَهَّابِ(1)

وتأثر ابن حجة الحموي بالقرآن في وصفه للخيل، ففرس ممدوحه يشبه الشهاب في إثر ماردٍ، وهذا وصفٌ للسرعة، أما الممدوح فالهلال نعله لأنه علا عليه، وهو على ظهر الفرس كبدر التمام في الليلة الظلماء ،يقول:

[الطويل]

لَــهُ فَـرَسٌ كَـالنَّجْمِ فِـي إِثْـرْ مـاردٍ   لأَنَّ هِـلالَ الأُفْـقِ صَـارَ لَــهُ نَعْـلاً

إِذا ما عَلا مِنْ فَوْقِ أَفْلاكِ ظَهْرِهِ   تَقُلْ إِنَّ بَدْرَ الـتَّمِّ فِـي أُفْقِها حَـلاَّ(2)

ووصفوا أيضا أصوات الخيول، يقول الشهاب المنْصوري:

[البسيط]

سُــمْرٌ إِذا اعْتَــوَرَتْ فِــي وَقْعِهــا   سَــمِعْتَ مِــنْهُنَّ ضَــبْحَ الــصَّافِنِ(3)

ومدح أبو بكر الدماميني أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر(4)، وشبه خيله بالسفن والقلوع التي تحمل الرايات، أما النقع فهو أبحر، يقول:

[الطويل]

مَلِيــكٌ تُــحاكِــي خَيْلُــهُ سُفُــناً   قُلُــوعٌ مِــنَ الـرَّايــاتِ وَالـنَّقْــعُ(5)

وكثيراً ما ذكر الشعراء الخيل في خضم المدح والحديث عن المعارك والانتصارات، فالحروب كانت الخيل فيها وسيلةً أساسيةً لا غنى عنها، وهي عاملٌ مهم من عوامل النصر، قال فخر الدين ابن مكانِس يمدح صاحب تونس، ويصف الجياد التي تربط على بابه وهي تحب هذا الملك وترغب في البقاء ببابه، والشاعر هنا يعبر عن مشاعره ويمنحها للخيل، وهذه الخيل في الهيجاء أخف وأسرع من البرق، ويظهر الممدوح على ظهرها كالليث، وإذا ظمئت سقاها من دماء الكافرين، يقول:

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 146.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 75.

(3) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 230/2.

(4) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، تولى حكم تونس وإفريقيا عام 772هـ، وتوفي 796هـ، ينظر الحنبلي، **شذرات الذهب**،590/8.

(5) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 86.

[الطويل]

إذا جَيْـشُهُ مِثْـلُ الجَـرادِ تَبـادَرُوا	فمــا قُــضُبُ الأعْـداءِ إلاَّ جَرائِــدُ

تُقــادُ الجِيــادُ الــصَّافِناتُ لِبابِــهِ	ورَغْبَتُهــا فِــي أنْ تُقــادَ تُعــاوِدُ

إذا مَا امْتَطى فِي حَرْبِـهِ صَـهَواتِها	فمــا البَـرْقُ فِـي الهَيْجـاءِ مِمَّـنْ

مِنَ الخُيَلاءِ الخَيْلُ تُزْهَى إذا عَلاَ	عَلَى مَتْنِها لَيْثُ الحُرُوبِ المُجاهِدُ

إذا ظَمِئَتْ فِي الحَرْبِ أكْبادُها فما	لَهـا غَيْـرُ دَمِّ الكـافِرينَ مَـوارِدُ[1]

وفي صورةٍ قريبةٍ، يجعل النواجي الخيل تشرب من دماء الأعـداء، ويجعـل المـوت حياضاً وغدراً تجري إليها الخيل لتستقي، يقول:

[البسيط]

لا تَـسْتَقِي الخَيْـلُ إلاَّ مِـنْ دِمـائِهِمُ	لَمَّــا جَـرَتْ فِــي حِيــاضِ المَـوْتِ [2]

أما ابن حجة فيستعير صفة الزينة للنساء ويمنحها للممدوح الذي يكحل عين الشمس لما رمدت بنقع أرجل الخيل وغبارها، يقول:

[الطويل]

وكَـمْ رَمَـدَتْ عَـيْنُ الغَزالَــةِ فِـي	فَصَيَّرَ مِنْ نَقْعِ الجِيادِ لَها كُحْلاً[3]

ومدح ابن حجة الحموي أيضا الملك المؤيد [4] الذي قتل الأعداء وصير ظهـور الخيـل وأسرجتها مقابر لهم، وبدت حوافر الخيل كالعيون التي تسير على جثث القتلى، والـشاعر هنـا يبرز لنا قوة الخيل وأهميتها في ساح المعركة، يقول:

[الكامل]

وَعَلَـى ظُهُـورِ الخَيْلِ مـاتُوا خِيفَـةً	فكَــأنَّ هَاتِيْــكَ الــسُّرُوجُ مَقَــابِرُ

وَنِعــالُ خَيْلِــكَ كَــالعُيونِ وَمالَهــا	إلاَّ جَمــاجِمُ مَـنْ قَتَلْـتَ مَحــاجِرُ[5]

---

(1) ابن مكانس، فخر الدين ، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات ، وسبق التعريف بصاحب تونس.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 45.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 74.

(4) الملك المؤيد شيخ بن عبد ا المحمودي، ولد770هـ ، كان مملوكا يباع ويشترى تولى الحكم 815هـ ومات في 824هـ، ينظر، السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 308/3.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه** ، 79- 81.

وتأسف إبراهيم بن عمر البِقاعِي على همم الملوك ومروءاتهم في عدم إعانة أهل سبته من بلاد المغرب لما استنجدوهم عندما أخذها الفرنج، وقال متحسراً على ملكٍ ينهض لنصرة إخوانه المسلمين ويجعل فيها ظهر الخيل حبساً مؤبداً على المجاهدين حتى ينصروا الإسلام، يقول:

[الطويل]

يُكابِدُ أنْواعَ الشَّدائِدِ وَحْدَهُ ... إذا سَمِعَ الإشْراكَ باللَّهِ وَحَّدَا

وَيَجْعَلُ ظَهْرَ الخَيْلِ حَبْساً مُؤَبَّدَا ... لِيَنْتَصِرَ الإسْلامُ نَصْراً مُؤَيَّدَا(1)

واتخذ الشعراء الخيل سبيلاً لإجابة الدعوة والوصول عليها للتمتع بالملذات والمتع، فالصدر الآدمِي يقبل دعوة الشاعر إبراهيم بن أحمد الباعوني لشرب الخمر، يقول:

[السريع]

يا راعِيَ الحَمْراءِ إنْ سُقْتَها ... جِئْناكَ بالخَيْلِ سِباقاً إلَيْكْ

وَإنْ تَجاهَلْتَ وَلَمْ تَعْتَمِدْ ... ما نَبْتَغِيهِ فَسَلامٌ عَلَيْكْ(2)

كما وصف ابن حِجة الحموي مجلس غناءٍ بدت فيه الخيول فرحةً ترقص على وقع الأوتار، وهذا إسقاطٌ نفسي من الشاعر الفرح الذي يجعل الطبيعة مبتهجةً مثله، يقول:

[البسيط]

إنْ جَسَّ عُوداً لِضَرْبٍ قالَ سامِعُهُ ... وَالخَيْلُ يُرْقِصُها إنْ حَرَّكَ الوَتَرَا(3)

وذكر ابن العطار الخيل في رثائه لمحمد القاياتي(4) قائلا:

[الوافر]

رَكِبْتَ مَطِيَّةَ الحَدْباءِ لَمَّا ... أنِفْتَ مِنَ الرُّكوبِ عَلَى الخُيولِ(5)

ولم يغفل الشعراء الصفات المعنوية للخيل، ففخر الدين ابن مكانِس يصف فرسه بالرفق واللين قائلا:

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 70/2.

(2) **نفسه**، 18/2.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 73.

(4) محمد بن علي بن محمد القايلتي ولد 785هـ بالقايات، اشتهر بالعلم والفنون، درس في عدة مدارس، وتولى قضاء الشافعية، توفي 850هـ، ينظر السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 212/8.

(5) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان في أعيان الزمان**، 154.

[الوافر]

لَنـــا فَــرَسٌ نُلاقِـــي مِنْـــهُ رِفْقــاً   كَرِفْـــقِ الوالِـــدَيْنِ إذا ثَمِلْنـــــا

تَرانـــا حِـــينَ نَرْكَبُـــهُ سُـــكارَى   نَمِيـــلُ عَلَـــى جَوانِبِـــهِ كَأَنّـــا(1)

ورسم الشهاب المنْصوري صورةً طريفةً لجوادٍ وقع عنه السلطان في سـنة 891هــ، فالجواد كبا هيبةً واحتراماً ليقبل الأرض بين يدي السلطان، وهي صورةٌ جميلـةٌ يواسـي بهـا الشاعر محنة السلطان ويمدحه من خلالها، يقول:

[الطويل]

وَقَـدْ زَعَمُـوا أنَّ الجَـوادَ كَبـا بِـهِ   وَحَاشـاهُ مِـنْ عَيْـبٍ يُضافُ إِلَيْـهِ

وَلَكِـنْ رَأى سُـلْطانَ عِـزٍّ وَهَيْبَـةٍ   فقبَّـلَ وَجْـهَ الأَرْضِ بَـيْنَ يَدَيْـهِ(2)

ونظم الشاعر النواجي لغزاً في فرس، يسأل فيه عن اسمٍ كريمٍ لكن قلبه لا خير فيه لأن قلب لفظة " الفرس " تعطي" السرف" وهو مذموم، وهذا الفرس له أذنان ويظهر في البحر والبر بلا قرنٍ ولكن إذا صحف اللفظ صارت " فرس" " قرن "، يقول:

[الرجز]

مـا اسْمٌ كَـرِيمُ الأَصْلِ لَكِنْ قَلْبُـهُ   لاخَيْـرَ فِيـهِ وَهْـوَ ذُو أُذْنَـيْنِ

فِـي البَـرِّ وَالبَحْـرِ بِـلا قَـرْنٍ وَإِنْ   صُـحِّفَ يَوْمـاً صَـارَ ذا قَـرْنَيْنِ(3)

وجاءت أشعارالشعراء أحياناً للنصيحة وهي بذلك أقرب إلى الشعر التعليمي منهـا إلـى الشعر ذي اللمسة الفنية والجمالية، فالمقريزي يعبر عن حبه للخيل، فقد رأى فيها فائـدةً ،وهـو يدعو إلى ارتياد سوق الخيل والسلاح والكتب، يقول:

[المتقارب]

مُجالَـــسَةُ الـــسُّوقِ مَذْمُومَـــةٌ   وَمِنْهـا مَجـالِسُ قَـدْ تُحْتَـسَبْ

فَـلا تَقْـرَبَنْ غَيْـرَ سُـوقِ الجِيـادِ   وَسُـوقِ الـسِّلاحِ وَسُـوقِ الكُتُـبْ(4)

---

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات ، والشطر الثاني من البيت الثاني اقتباس من قول علي بن الجهم: نميل على جوانبه كأننا لعزتنا نميل على أبينا، ينظر ديوانه، 148.

(2) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 146 ، وابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور**، ق2 ، 227/3 .

(3) عبدالهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 252

(4) المقريزي، تقي الدين، **كتاب المواعظ والاعتبار**، 102/2.

ويدعو فخر الدين ابن مكانِس على قومٍ ظلموه وأجبروه على بيع خيله، ويوري الشاعر في البيت الثاني بلفظه " بغالي " والمعنى القريب هو الغلاء أما البعيد فهو البغال، يقول:

[مجزوء الرمل]

رَبِّ خُـــــذْ بالعَـــــدْلِ قوْمـــــاً   أهْـــــلَ ظُلْـــــمٍ مُتَـــــوَالِ

كَلَّفُـــــونِي بَيْـــــعَ خَيْلِـــــي   بـــــرَخِيصٍ وبَغـــــالِي(1)

ووصف أحمد بن محمد شهاب الدين المنُوفي فارساً ثابتاً فوق فرسٍ مبيناً شجاعته وقوته وفروسيته، يقول:

[الكامل]

اللَّـــهُ أكْبَـــرُ مـــا أشَـــدَّ ثباتَـــهُ   فَـوْقَ الخُيـولِ إذا ابْتَـدَاها رَاكِبـاً

وَكَأنَّـــهُ وَالحَـــرْبَ تُـــسْعِرُ نارَهـــا   كَـالمَوْتِ لِـلأرْواحِ أمْسَى ساكِباً(2)

6- الغزلان

جاء شعر الشعراء في الغزال في هذا العصر قليلاً ومختلطا بالغزل ، وقلمـا وصـفوا الغزال من أجل الوصف، ورأى الشعراء في الظباء الجمال فشبهوا المحبوبة بها، قال النـواجي متغزلاً في محبوبته التي أهداها الظبي من جفونه الحور في عينيها:

[البسيط]

مِـنْ وَجْنَتَيْـهِ خُـدودُ الـوَرْدِ قَـدْ   وَالظَّبْـيُ أهْـدَى لَـهُ مِـنْ جَفْنِـهِ

وهو يتغزل في محبوبه أيضا الذي فاق الظبي في الكحل والجمال، يقول:

[البسيط]

لَـهُ الـصَّباحُ جَبِـينٌ وَالـدُّجَى شَـعَرٌ   وَالغُصْنُ عَطْفٌ وَفـاقَ الظَّبْـيَ فِـي

ووصف ابن حجة الظبي بالخرف عندما حاول تشبيه نفسه بالمحبوب، يقول:

[البسيط]

---

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 260/1.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 232.

(4) **نفسه**، 235.

وَالظَّبْـيُ قـالَ: أنـا أحْكِـي لَواحِظَـهُ فصَحَّ عِنْدِيَ أنَّ الظَّبْيَ قدْ خَرِفا[1]

ولعبد القادر الدماصي لغز في غزالٍ:

[البسيط]

مَوْلايَ ما اسْمٌ لِوَحْشٍ نـافِرٍ أنِسٍ فِي مَأرَبِي مِنْهُ أشْياءٌ جُمِعَتْ فِيهِ

حُرُوفُــهُ أرْبَــعٌ لَكِنّهــا عَجَــبٌ إنْ زالَ أوّلُ حَــرْفٍ زالَ باقِيــهِ[2]

فكلمة غزالٍ مكونةٌ من أربعة أحرف إن زال أولـه وهـو حـرف الـزاي زال باقيـه وأصبحت الكلمة زال، ورد عليه الشهاب المنْصوري وحل اللغز قائلاً:

[البسيط]

مَـوْلايَ ألْغَـزْتَ فِيمـا نَـابَ عَـنْ جِيـداً وَحَـاكَى سَـوَاداً فـي آماقِيـهِ

فَـالبَعْضُ لامٌ حَكَـتْ لامَـاتِ سَـالِفِهِ وَبَعْضُهُ قدْ غَزا فِي اللّـهِ باقِيـهِ[3]

يقول الشهاب إن الملغز فيه ينوب عن قمري وهو الغزال، وإن حذفت لامه بقـي منـه "غزا" ولأبي بكر الدماميني لغز في غزالٍ حيث يقول:

[مجزوء الخفيف]

إنَّ مَــــنْ قـــدْ هَوَّيْتُــــهُ مِحْنَتِــــي فِــــي وُقوفِــــهِ

فـــــإذا زَالَ رُبْعُـــــهُ زَالَ بـــــاقِي حُرُوفِـــــهِ[4]

أي إذا زال حرف الغين أصبحت الكلمة زال، ويتعجب بدر الدين محمد بن جمعة الحنَفي من غزالٍ جاور الليث في قبره، يقول:

[الطويل]

وَرُبَّ غَــزالٍ بِالقَرافَــةِ شَــمْتُهُ مُجـاوِرُ قبْـرَ اللَّيْـثَ بارِقـةَ الغَيْـثِ

فَلَـمْ أرَ قبْـلَ اليَـوْمِ خُـشْعاً مِـنَ تَـأنَّسُ حَتَّـى فِـي مُجاوَرَةِ اللَّيْـثِ[5]

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 14.

(2) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور** ق2، 170/4 ، الشطر الثاني من البيت الأول مكسور.

(3) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 147.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 115.

(5) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهو**، ق2 ، 4 /135.

ويتشوق ابن حجة الحموي إلى حماة ويدعو صاحبه إلى أن يصحب عبير المسك من تربتها لأنها مشارب للغزلان التي ترتع في أراضيها، يقول:

[الكامل]

وَاصْحَبْ عَبيرَ المِسْكِ مِنْهُ فَإِنَّهُ لِشَوارِدِ الغِزْلانِ أضْحَى مَشْرَباً[1]

7- الفيلة

لم أعثر في وصف الفيل سوى على قصيدةٍ واحدةٍ ولغز، القصيدة للصدر سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي المتوفى 811هـ، واصفاً سقوط فيلٍ في قنطرة ومتخذًا من هذه الحادثة فرصةً لنصح الناس بعدم الاغترار بالحياة والعيش لأنها لا تدوم، فكل المخلوقات ستفنى، فهذا الفيل وقع في القنطرة بعد عزه وجاء الناس من كل فج لينظروا إليه ويتفرجوا عليه ويختم الشاعر بالحكمة القائلة إن كل الناس إلى زوالٍ ولا يبقى غير العمل الصالح، يقول:

[البسيط]

يا مَنْ لَهُ فِي طَوالِ العَيْشِ تَأْمِيلُ لا تَغْتَرِرْ إنَّ فِي العُمْرِ تَطْوِيلُ

فَهَذِهِ الدَّارُ لا يَبْقَى بِها أَحَدٌ لَكِنْ زَمانُ مَجِيءِ المَوْتِ مَجْهُولُ

وَلا وُحُوشٌ وَلا طَيْرٌ وَلا سَبُعٌ وَلا جِمالٌ لَها فِي الأَرْضِ تَحْمِيلُ

النِّسْرُ تَفْنَى مَعَ العُمْرِ الطَّوِيلِ كَذا يَفْنَى بِها مَعَ عَظِيمِ القُوَّةِ الفِيلُ

أَمَا تَراهُ أَتَاهُ المَوْتُ أَخْرَجَهُ يَسْمُو بِهِ العَرْضُ بَيْنَ النَّاسِ

حَتَّى أَتَى لِنَفادِ العُمْرِ قَنْطَرَةً مَشْيُهُ عَلَيْها وَمَنْ يَعْلُوهُ مَشْغُولُ

فَلَمْ تُطِقْ ثِقْلَهُ هاتِيكَ فَانْخَرَقَتْ بِهِ وَجاءَ بِذاكَ القالُ وَالقِيلُ

وَذَلَّ مِنْ بَعْدِ عِزٍّ كانَ فِيهِ وَمَنْ يُعَزُّ فَهْوَ بِذُلِّ المَوْتِ مَذْلُولُ[2]

مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَتَوْهُ يَنْظُرونَ لَهُ تَعَجُّباً وَلِكُلٍّ فِيهِ مَعْقُولُ

أَتَوْا مُشاةً وَرُكْباناً عَلَى حُمُرٍ مِنْها سَمِينٌ وَمِنْها البَعْضُ

وَبَعْضُهُمْ راكِبٌ خَيْلاً مُسَوَّمَةً لِمَشْيِها تَحْتَ تِلْكَ التُّرْكِ تَفْضِيلُ

فَحِينَ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ حَقَّ لَهُمْ أَنْ يُنْشِدُوا وَلَهُمْ مِنْ قَبْلُ تَهْلِيلُ

---

(1) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 78/1.

(2) إشارة إلى قوله تعالى " وجعلوا أعزة أهلها أذلة"، **النمل** آية 34.

"كُلُّ ابْنِ أُنْثى وَإِنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْماً عَلَى آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمُولُ"[1]

فَتُبْ إِلَى اللَّهِ بِالإِخْلاصِ مِنْ عَجَلٍ وَمَنْ يَتُوبُ مَعَ الإخْلاصِ مَقْبُولُ[2]

وللنواجي لغز في فيل، وهو يصفه من خلال هذا اللغز، فهو يسأل عن شيء من ثلاثة أحرف وله أربعة أرجل وهو حيوان قلب حروفه يعطي نباتاً وهو يأكله عند جوعه، وقصد به الشاعر الليف، وإذا ما صحف كان تصحيفه لفظ " فيك "، يقول :

[الخفيف]

مـا اسْمُ شَـيْءٍ تَرْكِيبُـهُ مِنْ ثَـلاثٍ وَهْـوَ ذُو أَرْبَـعِ تَعـالَى الإِلَـهُ

حَيَـوانٌ وَالقَلْـبُ مِنْـهُ نَبـاتٌ لَـمْ يَكُـنْ عِنْـدَ جُوعِـهِ يَرْعـاهُ

فِيـكَ تَـصْحِيفُهُ وَلَكِـنْ إِذا مَـا عَكَـسُوهُ يَـصِيرُ لِـي ثُلْثـاهُ [3]

8- القطط

وصف علي بن محمد المعروف بابن الشحنة قطاً بدا كالليث كامل الحسن في شكله وهذا القط صائد، وهو يشبه عنترة العبسي في لونه الأسود وفي عزمه، يقول :

[الطويل]

وَقِـطٌّ كَلَيْـثٍ كامِـلِ الحُـسْنِ صـائِدٍ وَفِـي عَزْمِـهِ وَاللَّـوْنِ يُـشْبِهُ عَنْتَـرا

يَفُـوقُ عَلَـى قِـطِّ الزِّيـادَةِ تَفَـضُّلاً وَسَـمَّيْتُهُ مِـنْ نَـشْرِهِ المِـسْكَ عَنْبَـرا[4]

9- الكلاب

لم أظفر بشعرٍ يصف الكلب وصفاً مباشراً يتناول تفاصيل هيئته وشكله وحركته وطراده للفريسة في الصيد، وإنما ظفرت بأشعارٍ أخذ فيها الشعراء الصفات السلبية للكلب كالذل والمهانة واسقطوها على المهجوين، فالكلب يجمع خصال البذاءة والنذالة والحرص والشره والتسرع[5]، فالشاعر محمد بن عمر الهمذاني البغْدادي يصف الإنسان الطماع بالكلب في الذلة والمهانة، وهو لا يفرق عنه سوى بوجهه وثيابه، يقول:

([1]) البيت مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر ديوانه، 20.

(2) السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 398/1-399.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 374.

(4) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع** 20/6.

(5) الجاحظ، أبو عثمان، **الحيوان**، 312/1.

[السريع]

لَـمْ يَـزَلْ الطَّـامِعُ فِـي ذِلَّـةٍ قَـدْ ... أَشْـبَهَتْ عِنْـدِي بِـذُلِّ الكِـلابْ

وَلَـيْسَ يَمْتَـازُ عَـنْهُمُ سِـوَى ... بِوَجْهِـهِ الكَـالِحِ ثُـمَّ الثِّيَـابْ[1]

أما ابن مليك الحموي فعبر عن فقره وعوزه وشدة حاجته من خلال سخطه على النـاس الذين يعتنون بكلابهم فتعيش عيشةً كريمةً، أما هو فيموت من الجوع وفي هذا نقد للمجتمع الذي يفضل بعض أفراده الحيوان على الإنسان، يقول :

[الوافر]

وَمِـنْ عَجَـبٍ بِـأَنِّي بَـيْنَ قَـوْمٍ ... تَعِـيشُ كِلابُهُـمْ وَأَمُـوتُ جُوعـاً

وَلا مَـوْلَى أَرَى فِـيهِمْ كَرِيمـاً ... كَـأَنَّ النَّـاسَ قَـدْ مَـاتُوا جَمِيعـاً[2]

أما محمد بن عطية الإسكَنْدري فوصف ذنب الكلاب الأعوج الذي لا يستوي ولا يعتـدل من خلال الحديث عن الناس الذين يحيدون عن طريق الحق، يقول :

[البسيط]

وَمَـنْ يَمِـلْ عَـنْ طَرِيـقِ الحَـقِّ ... كَالكَلْـبِ مَـا زَالَ يُلْفَـى أَعْـوَجَ

[3]

والحقيقة أن الشعراء نظروا بازدراءٍ واحتقارٍ إلى الكلاب في هذا العـصر، واسـتعملوا أحياناً الألفاظ التي تقلل من قيمته على العكس من الشعراء السابقين الذي وصفوه أحيانا بصفاتٍ إيجابيةٍ كالوفاء والفائدة منه في الصيد والحراسة.

ثانيا: الحيوانات غير الأليفة

وصف الحيوان غير الأليف جاء قليلاً في هذا العصر ولم يكن وصفاً مباشراً، وإنما كان وصفهم له من خلال التركيز على صفات الحيوان لأغراضٍ أخرى، فالشاعر محمد بن محمد بن عبد ا المعروف بابن العاقُولي يحث على الوحدة مستشهداً في ذلك بالليث الذي يـستأنس فـي غابة وحده في الصبح والمساء من غير أن يمل، يقول :

---

(1) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود الفريدة**، 202/3، البيت مكسور من المصدر.

(2) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، العصر المملوكي 394، نقلا عن ديوانه 120 .

(3) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة**، 17/1.

[السريع]

لا تَقْـدَحِ الوَحْـدَةُ فِـي عـارِفٍ صـانَ بهـا فِـي مَـوْطِنٍ نَفْـساَ
فاللَّيْـثُ يَـسْتَأْنِسُ فِـي غابِـهِ بِنَفْـسِهِ أصْـبَحَ أوْ أمْـسَى[1]

أما شمس الدين القادري فيشيد بقلم ممدوحه الذي رد عنه الخطوب كما تحمي الغابات الأسد من الشرور، يقول :

[البسيط]

فافْخَرْ بأقلامِكَ اللاتِي غَدَتْ حَرَماً مِـنَ الخُطـوبِ لِمَـنْ أمْـسَى عَلَـى
فَكَمْ حَمَتْ قصَباتُ الغابِ مِنْ أُسْدٍ تُمْـسِي كُمـاةُ الـوَغَى مِنْـهُ عَلَـى[2]

ورأى ابن زقاعة في ممدوحه صفات القوة والبأس والشجاعة وهي من صفات الأسد، يقول:

[الكامل]

وَتَخالُهُ فَوْقَ المُضَمَّرِ فِي الوَغَى لَيْثًـا تَـشَبَّثَ فَـوْقَ مَـتْنِ عُقـابِ[3]

والأسد لا يسكن إلا في القمم الحصينة العالية، يقول ابن زقاعة:

[الوافر]

وَذا أسَـدٌ بِهِمَّتِـهِ سَـيَرْقَى إلَـى أعْلَـى مَنِيعـاتِ القِـلالِ[4]

ووصف النواجي ضبعاً سعى إلى سماطه فأبعده عنه وتحداه، يقول:

[المجتث]

لَمَّـا أتَـى الـضَّبْعُ يَـسْعَى إلَـى الـسِّماطِ مُبـادِرْ
باعَدْتُـهُ عَنْـهُ جَهْـدِي وَقُلْـتُ ياضَـبْعُ كاسِـرْ[5]

ويقول ابن حجر العسقَلانِي مشبهاً مراوغة محبوبته بمراوغة الثعلب :

[الطويل]

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، 278/3.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 295/1.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 146.

(4) **نفسه**، 167.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 350.

وَعَـنْ ثَعْلَـبٍ يَـرْوِي دَوامَ رُواغِـهِ   فَلَمْ أرَ مِنْهُ الدَّهْرَ أرْوَى وَأرْوَغا[1]

ووصف يوسف المِهمنْدار قتلى ممدوحه بأنهم طعام للأسود، يقول:

[الكامل]

وَالمُطْعِمِـينَ الأُسْـدَ مِـنْ أمْثالِهـا   أشْـلاءَ كُـلِّ مُجَـدَّلٍ وَمُعَفَّـرِ [2]

ثالثا: الحشرات والزواحف

وصف شمس الدين النواجي الذباب والبراغيث والبق في مقطوعةٍ هي أقرب إلى الدعابة ووصف حاله، فهذه الحشرات هجمت عليه من كل الجهات تقرصه وتشرب من دمه حتى فقد صبره، والبراغيث ترقص والناموس يغني، والذباب يهجم على أنفه وشدقه، وتتسابق هذه الحشرات إلى طعامه لتشاركه فيه، وهو يتمنى الموت حتى يخلص من أذاها، يقول :

[مجزوء الرمل]

مَـنْ تُـرَى يُنْقِـذُنِي يَـا   قَـوْمِ أوْ يَأْخُـذُ حَقِّـي

مِـنْ ذُبـابٍ وَبَراغِيـ   ـثٍ وَنـامُوسٍ وَبَـقِّ

كُلَّمـا قَلَّبْـتُ جَنْبـ   ـيَ إلَـى غَـرْبٍ وَشَـرْقِ

لَيَّسُونِي مِـنْ جِهـاتِي   آخِـذٌ كُـلٌّ بِحَلْقِـي

وَتَـساقَوْا مِـنْ دَمِـي كَـأْ   ساً أدارُوهـاَ بِنَـزْقِ

مَزَّقُـوا إنْ عَرْبَـدُوا ثَـوْ   بَ اصْـطِبارِي أيَّ مَـزْقِ

وَمَـشَوْا لَمَّـا انْتَـشَوْا مـا   بَـيْنَ أكْتـافِي وَعُنْقِـي

فالبراغيـث لهـا   رقـص ولكـن بنـزق

وَكَـذا النَّـامُوسُ يَحْكِـي   صَـوْتُهُ مِزْمـارَ زِقِّ

وَنَهـارِي مَـعْ ذُبـابٍ   فِـي أذايَ لا يُبَقِّـي

يَتَرامَـى نَحْـوَ عَيْنِـي   وَإلَـى أنْفِـي وَشِـدْقِي

وَإذا رُمْـتُ طَعامـاً   سَـابَقُونِي أيَّ سَـبْقِ

ثُـمَّ قاسُـوا عَرْضَـهُ كَـمْ   فِيـهِ مِـنْ عَـرْضٍ وَعُمْـقِ

(1)العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 117.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 265/1.

أَتَوَقَّاهُمْ وَلَكِنْ لَيْسَ يُجْدِينِي التَّوَقِّي
"لَيْتَ أَنِّي قَبْلَ هَذا مِتُّ أَوْ لَمْ يَكُ خَلْقِي"[1]
كَيْفَ أَحْتالُ وَكُلٌّ مِنْهُمُ طالِبُ رِزْقِي
وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الَّذِي ضَيَّقَ خَلْقِي[2]

وللشهابِ المنْصوري مقطوعةٌ في وصف البراغيث والناموس التي تشرب من دمه فترقص وتغني فرحاً، يقول :

[المتقارب]

وَلَيْلٌ تَغُوصُ بَراغِيثُهُ بِلَحْمِي وَنامُوسُهُ أَغْوَصُ
إذا شَرِبُوا مِنْ حُمَيَّا دَمِي تَرَى ذا يُغَنِّي وَذا يَرْقُصُ[3]

ووصف ابن حجر العسقَلانِي ليلةً منعه البعوض من النوم، ويذكر ضعفه بعد فقده للرئاسة وأنه صار لا يقدر على الناموس، يقول :

[الكامل]

بِتْنا بِمَنْزِلِكَ السَّعِيدِ فَصَدَّنا عَنْ نَوْمِنا بِبَعُوضِهِ المنْحوسِ
وَالعَبْدُ فَهْوَ خَلِيعُ ثَوْبِ رِياسَةٍ قَدْ صارَ لا يَقْوَى عَلَى النَّاموسِ[4]

ويقول في مقطوعةٍ أخرى مورياً بالناموس التي تعني الوحي:

[الكامل]

لَمَّا شَكَوْتُ أَذَى البَعوضِ بِمَنْزِلٍ نَزِهٍ تَبَدَّلَ بَسْمَتِي بِعُبُوسِ
قالوا تَحَوَّلْ عَنْهُ قُلْتُ تَرَفَّقُوا لا بُدَّ لِلْقاضِي مِنَ النَّامُوسِ[5]

ولابن خَطِيب داريا مقطوعةٌ جميلةٌ في وصف الناموس، يقول :

[البسيط]

---

(1) مضمن من قوله تعالى" قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا"، **مريم**23.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 537 – 538، القصيدة غير موجودة في الديوان، والبيت السابع مكسور.

(3) **نفسه**، 536.

(4) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 280.

(5) **نفسه**، والأبيات موجودة في الهامش، 280.

وَلَـي مُغَنٍّ مِنَ النَّـاموسِ يُذَكِّرُنِي إنْ فـاتَنِي قَرْصُــهُ مِزْمــارَ داوودَا

وَكَـمْ لَطمْـتُ عَلَـى وَجْهِـي لأقْتُلَـهُ فَفـاتَنِي وَتَرَكْـتُ الوَجْـهَ مَجْلُـودَا

فَـإنْ يَـدُمْ قَرْصُــهُ وَاللَّطْـمُ يَتْبَعُـهُ وَالحَكُّ أصْبَحَ شَعْرُ الذَّقْنِ مَجْرُودَا

وَطُولُ لَيْلِيَ فِي حَرْبٍ وَفِـي قَنَصٍ وَلَمْ أكُنْ بـالوَغَى وَالـصِّيدِ مَعْمُودَا

فَمَـا سَـفَكْتُ فَـإنِّي سَـافِكٌ لِـدَمِي وَمَا أتانِي لِكَيْ يَصْطادَنِي صِيدَا(1)

ونظم محمد بن أحمد بن محمد بن أيوب مقطوعةً في بعض أصحابه الذي استضافه في مكانٍ تكثر فيه البراغيث، فكانوا ضيوفها، يقول :

[المتقارب]

فَمَـــا كـــانَ أطْوَلَهـــا لَيْلَـــةً نرجـــو الإقالَـــةَ مِـــنْ رَبِّنَـــا

فَمَـــــا ضَـــــيَّفُونَا وَلَكِـــــنَّهُمْ بَـــــرَاغِيثُهُمْ ضَـــيَّفوهُمْ بِنَـــــا(2)

وكتب الشهاب المنْصوري إلى محمد بن شاذي حجا ملغزاً في فأر، وقد وصف الفأر من خلال اللغز، فهومفسد يؤذي الناس بأكل أموالهم وإفساد متاعهم، ومن صفاته الخوف والإختباء، يقول:

[السريع]

يـــا سَـــيِّداً بالـــدُّرِّمِنْ نُطْقِـــهِ حَـــلَّ مَحَـــلَّ البَـــدْرِ فِـــي أُفْقِـــهِ

مَـــا قَـــوْلُكُمْ فِـــي فاسِـــقٍ مُفْـــسِدٍ لَـــمْ يَنْهَـــهُ الـــشَّارِعُ عَـــنْ فِـــسْقِهِ

يَأْكُـــلُ مـــالَ النَّـــاسِ غَـــصْباً وَلا إثْـــمَ وَلا تَحْـــريمَ فِـــي رِزْقِـــهِ

وَهْـــوَ عَلَـــى إفْـــسادِهِ مُتَّـــقٍ مُـــلازِمٌ وَالخَـــوْفُ مِـــنْ خُلْقِـــهِ

فَأعْمِـــلِ الفِكْـــرَةَ فِـــي حَلِّـــهِ لِتُوْصِـــلَ المَعْنَـــى إلَـــى حَقِّـــهِ (3)

فأجابه واصفاً أكل الفأر وهو القرض وداعياً إلى قتله، يقول:

[السريع]

إنَّ الـــذي تَعْنِيـــهِ يـــا ذا العُلَـــى جَـــوَّابُ آفـــاقٍ عَلَـــى رِزْقِـــهِ

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 59.

(2) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 83/7، الصواب" نُرجي" بدل " نرجو" في الشطرالثاني من البيت الأول لاستقامة الوزن .

(3) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 111.

يَأكُــــلُ بِـــــالقَرْضِ وَلَكِنَّـــــهُ لَـمْ يُـرْضِ رَبَّ الحَـقِّ فِـي حَقِّـهِ

الفَــأرُ قَــادَ اللَّيْــلَ لَــمْ يَرْضَــهُ فَــلازَمَ التَّــسْهِيدَ مِــنْ حِذْقِــهِ

إنْ حُزتَـــهُ مُلْكـــاً فَـــلا تُبْقِـــهِ فقتْلُـــهُ أنْـــسَبُ مِـــنْ عِتْقِـــهِ [1]

وذكر ابن مليك الحموي الفئران للدلالة على فقره وحاجة بيته، يقول:

[مجزوء الرجز]

وَلَــــيْسَ فِيـــــهِ حِنْطَـــــةٌ صَـــــاعاً وَلا مِـــــنْ مُـــــدِّ

كَــــلاًّ وَلا مِـــــنْ فَـــــأْرَةٍ بِـــــهِ وَلا مِـــــنْ جُـــــرْدِ [2]

ووصف أحد الشعراء الدود من خلال الرثاء، فالدود يأكل الوجوه الحسان بعد موتها:

[البسيط]

أيْـنَ الوُجُـوهُ التِـي كَانَـتْ مُحَجَّبَـةً مِنْ دونِها تُضْرَبُ الأسْتارُ وَالكلَلُ

فَأفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْها الدُّودُ يَقْتَتِلُ [3]

وقال ابن سودون:

[الوافر]

مَضَى الأحْبابُ يا عَيْنِي فَجُودِي بِــدَمْعٍ هامِــلٍ فَــوْقَ الخُــدودِ

هُـمُ بـالأمْسِ فـي الأوطـانِ كَـانُوا وَصَارُوا اليَوْمَ فِي جَوْفِ اللُّحُودِ

تَخَلَّـوْا فِـي الثَّـرى لِلـدُّودِ أكْـلاً وَغَـابُوا فِيـهِ عَـنْ خِـلٍّ وَدُودِ [4]

رابعا: الطيور

تنوعت صور الطير في شعر شعراء هذا العصر، فـ ذكر الـشعراء الحمـام والبلابـل والعندليب والقُمري والديوك، وغاب عدد آخر من الطيور في شعرهم، وكثيراً ما ذكروا الطيور دون تحديد أنواعها، كقول ابن زقاعة:

[الكامل]

فَكَأنَّمَـا الأطْيــارُ فِــي دَوْحاتِهــا خُطَباً أقِيمَـتْ فِـي مَنـابِرْ جُمْعَـةِ [5]

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 216/2.

(2) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، العصر المملوكي، 411، نقلا عن **ديوانه** 57 .

(3) السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 753/2.

(4) البشبغاوي، ابن سودون، ، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 66.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

وقول أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

[الرمل]

وَكَـأَنَّ الطَّيْـرَ لَمَّـا أنْ شَـدَتْ فِي رُبَا الرَّوْضِ مَغانٍ فِي مَغَانْ
وَكَـأَنَّ الـرَّوْضَ جَنَّـاتٌ وَقَـدْ زُخْرِفَتْ وَالوَرْدُ فِيها كَالدِّهانْ[1]

ويرى الشاعر نفسه في مناجاة طيرالروض ذهاب همومه:

[الطويل]

مَصارِفُ هَمِّي فِي مُناجَاةِ طَيْرِهِ إِذا أَنْفَذَتْ لِي ما حَوَتْهُ حَواصِلُهْ[2]

وأبدع ابن حجة الحموي في قوله:

[البسيط]

وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ تَجْوِيداً وَإِنْ وَجَبَ ال سّجُودُ كانَ لِغُصْنِ البانِ سَجَداتُ[3]

وسأبدأ الحديث عن الطيور الأليفة

أولاً: الطيور الأليفة

1- الإوز

لم أظفر سوى ببيتين في الوز، واحد للقاضي أحمد بن صالح يذكر فيه أنـواع الـوز، يقول:

[البسيط]

الـوَزُّ أَقْسَامُهُ شَـتَّى فَوَزَّتُنا أُنْثى وَكُنَّا حَسِبْنا أَنَّها ذَكَرُ[4]

وبيتٌ آخر لابن سودون يعبر فيه عن إعجابه بالوز وهو يعوم في البحر، يقول:

[البسيط]

الـوَزُّ فِيهِ إذا مَا عَامَ يُعْجِبُنِي وَكُلَّما مَرَّ فِيهِ صارَ يَحْلُو لِي[5]

2- البلابل

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 191-192.

(2) **نفسه**، 182.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 113.

(4) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 1/ 205.

(5) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 192.

أُعجب الشعراء في هذا العصر بالبلابل ووصفوها، فالشاعر بدر الدين ابـن الـصاحب يستعير لوصف البلبل صورةً من الصور الدينية ويجعل لصوته الجميل قداسةً تغـشى الخاشـع والناسك وتؤثر فيهما، كما يصور أشجار البان معجبةً بصوت البلبل مادحةً له، يقول:

[السريع]

لِبُلْبُـــلِ البـــانِ غِنـــاً رائِـــقُ يَمِيـــلُ بالخاشِـــعِ وَالنّاسِـــكِ

قالَـــتْ لَـــهُ البانـــاتُ أطْرَبْتَنَـــا فقـــالَ ذا مِـــنْ طِيـــبِ أنْفاسِـــكِ(1)

وأثارت أصوات البلابل مشاعر أبي الفَضل ابن أَبِي الوفَاء عندما تذكر الأيام الـسعيدة، لذلك ركز الشاعر على أصواتها ، كما ارتبط ذكرها عنده بذكر الرياض التي تحتضنها، فـذكر مياهها وأغصانها في صفائها وتمايلها، وذكر الشاعر أيضا أنواعاً أخرى من الطيور كـالقُمري، يقول:

[الطويل]

رَعَـى اللَّـهُ أيَّامـاً أهـاجَ بَلابِلِـي إلَـيْهِنَّ رَوْضٌ قَـدْ تَناجَـتْ بَلابِلُـهْ

فَمـا رَاقنِـي فِـي المـاءِ إلا صَـفاؤُهُ وَلا شَـاقنِي فِـي الغُصْنِ إلا تَمايُلُـهْ

كَـأنَّ بِـهِ القِمْـرِيَّ صَـبٌّ لَـهُ الـصَّبَا رَسُـــولٌ وَأوْراقُ الغُـــصونِ رَسائِلُهْ(2)

ودائماً ما أثارت البلابل مشاعر الشعراء ونفوسهم، يقول بدر الدين الزيتُوني: [السريع]

وَبُلْبُـــــلٌ هَـــــيَّجَ بِلْبالَنـــــا وَمِــنْ هَــزارٍ حَــوْلَ شُــحْرورِ (3)

ورسم فخر الدين ابن مكانِس للبلبل وصوته صورةً جميلةً، فهذا البلبل يقف على الغصن في حلةٍ من الدمقْس الدكناء، وصوته كقرع ناقوس الدير المسبح الذي يدعو في الليل، يقول:

[البسيط]

وَصَوْتُ بُلْبُلِها الرَّاقِي ذُرَى غُصْنٍ فِـي حُلَّـةٍ مِـنْ دِمَقْـسٍ (4) الـرِّيح

كَقَرْعِ نـاقوسِ دَيْـرِيٍّ عَلَـى شَرَفٍ مُـسَبِّحٌ فِـي ظَـلامِ اللَّيْـلِ دَعَّـاءِ (5)

---

(1) النواجي، شمس الدين، حلبة **الكميت**، 248 .

(2) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 182.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 175/4.

(4) الدمقس: القز أو الديباج أو الكتان، ينظر الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " دمقس "، 492.

(5) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**،غير مرقم الصفحات.

واستعار الشاعر نفسه لصوت البلبل صوت الربابة، يقول:

[**الرجز**]

أدْواحُهَا مُخْضَلّةٌ عبابها   عَلَى الغُصُونِ بُلْبُلٌ غَنَّى بها

إذْ تَسْمَعُ المُطْربَ مِنْ رَبابِها   وَالرّوْضُ فِي رياضِهِ رَيّانُها[1]

ويعجب ابن زقاعة بغناء الطيور والبلابل على أشجار الكروم والأعناب، يقول:

[الخفيف]

غَرَّدَ الطَّيْرُ وَالبَلابِلُ فِيها   فِي ظِلالِ الكُرومِ وَالأعْنابِ [2]

أما فخر الدين ابن مكانس فيوري بلفظة البلابل قائلاً:

[الخفيف]

كَمْ غُصونٍ أيْنَعْتُها فَعَلَيْها   هاجَ لِلطَّيْرِ وَالمُحِبِّ بَلابِلْ [3]

وكان البلبل حاضراً في شعر الفخر، فالشاعر أحمد بن إسماعيل الكُوراني يشيد بممدوحه ويفخر بشعره وصوته الذي يشبه صوت البلبل الطرب، يقول:

[البسيط]

رياضُ مَدْحِكَ أزْهارٌ مُفَتَّحَةٌ   وَصَوْتُ شِعْري لَها كَالبُلْبُلِ [4]

واتخذوا منه أحياناً مضرباً للأمثال كقول إبراهيم البِقاعِي:

[مجزوء الكامل]

صَمَتَتْ بَلابِلُ الزَّما   نِ فَأصْبَحَ الخُفّاشُ ناطِقْ[5]

3- الحمام

---

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**،غير مرقم الصفحات.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 114.

(3) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات ، و القواسمي، بسام، **روضة المجالسة وغيضة المجانسة** للنواجي، 196.

(4) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 65/1.

(5) **نفسه**، 214/1.

وصف الشعراء الحمام وأكثروا من ذكره، ومزجـوا صـورهم للحمـائم بأحاسيـسهم ومشاعرهم، ففخر الدين ابن مكانِس يعبر عن سروره وسعادته من خلال إظهار الحمائم سـعيدةً فرحةً ومركزاً على صوتها الذي أشبه الغناء فبدت مغنيةً راقصةً، يقول:

[البسيط]

وَكَمْ شَدَتْنا حَمامَاتُ الأرَاكِ عَلَى أغْصانِها فَالْهُ فِي مَغْنًى وَغَنَّاءِ

وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رُقِيْنَ عَلَى عِيدانِها فَأرَتْنا رَقْصَ هَيْفَاءِ

مِنْ كُلِّ وَرْقاءَ فِي الأفْنانِ صادِحَةً بَيْنَ الحَدائِقِ فِي فَيْحاءَ زَهْراءِ(1)

وربط الشعراء وصفهم للحمام بذكر الرياض والأشجار والأغصان، فالرياض تجمع كل معاني الحسن والجمال والبهجة، والشعراء رسموا هذه المعاني وجمعوها في لوحـاتٍ متكاملـةٍ حتى تكون صورهم أروع وأجمل، فالشهاب المنْصوري يصف روضاً ضحكت أزهاره وتفتحت من بكاء السحاب الذي استترت وراءه الشمس، أما الغصون فقد سكرت بكأس المطـر، ورسـم للحمام صورة القيان التي أتت من غنائها بالألحان الصائبة الجميلة، يقول:

[الخفيف]

ضَحِكَ الرَّوْضُ مِنْ بُكاءِ السَّحَابِ وَتَوارَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِالحِجابِ

وَتَثَنَّتْ هِيفُ الغُصُونِ سُكَارَى مُذْ أدارَ الغَمَامُ كَأسَ الشَّرابِ

وَشَدَتْ وُرْقُها فَكَانَتْ قِياناً آتِياتٍ مِنْ لَحْنِها بالصَّوَابِ(2)

أما النواجِي فقد رأى الحمام في الروضة يعبر من خلال غنائـه عـن غرامـه وحبـه المضمر، يقول:

[الكامل]

وَظَفِرْتُ مِنْ خُلَسِ الزَّمانِ بِساعَةٍ فِي رَوْضَةٍ حَسُنَتْ وَراقتْ مَنْظَرَا

وَالوُرْقُ قدْ غَنَّتْ عَلَى عِيدانِها لَحْناً فَأعْرَبَتِ الغَرامَ المُضْمَرَا(3)

وجعل ابن حجر العسقَلانِي أوراق الروض تغني مع الورق، فأُعجب الـسحاب بغنائهـا ونقطها بمطر كالدرر، وهو يصف البهجة التي أمتعت الأبصار وأطربت الأسماع، يقول:

---

(1) ابن مكانس، فخرالدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات .

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

[السريع]

غَنَّـــى غِنـــا[1] الـــوُرْقِ أوْراقُهـــا   فَنُقِّطـــتْ عُجْبـــاً بـــدُرِّ الـــسَّحابْ

فَرَاقـــتْ الأَبْـــصارَ أَغْـــصانُها   وَأَطْـرَبَ الأَسْـماعَ وَقْـعُ الرَّبَـابْ[2]

فهو يشبه أصوات الحمام بأصوات الآلات الموسيقية وتحديـداً الربابـة، أمـا عائـشة الباعونية فقد رأت أن أصوات الحمائم تخرس الأوتار والآلات عن الغناء لأنها تفوقهـا حـسناً، تقول:

[الخفيف]

وَتُنـاغِيـــكَ بَيْنَهـــا صـــادِحاتٌ   خَرِسَـتْ عِنْـدَ نُطْقِهـا الأَوْتـارُ [3]

ونوع الشعراء صورهم في وصف الحمام، فأبو بكر الدماميني يشبه الحمـام بالخطيـب وكأنه يعاين المغني معبداً، يقول:

[الطويل]

وَغَنَّى بها الشُّحْرورُ لَكِنْ حَمامُها   خَطِيـبٌ فَفِـي الحَـالَيْنِ عَايَنْـتُ

ورأى عِز الدين الموصِلي الحمام مغنياً ومستتراً خلف الأوراق فاسـتعار لهـا صـورة القيان اللواتي يغنين خلف ستار، يقول:

[الطويل]

وَأَغْرَبَتِ الأَلْحانُ فِي الدَّوْحِ وَرْقَـةٌ   فَكُـنَّ قِيانـاً دُونَـها أُسْبِلَ الـسِّتْرُ[5]

واستعار أبو الفضل بن أبي الوفاء وسائل الكتابة لتزيين صورته التـي ظهـرت فيهـا الحمائم كالقراء تقرأ من الغصون التي شابهت الكراسـات وأوراق الغـصون التـي شـابهت المصاحف، يقول: [الطويل]

حَمَائِمُهـــا قُرَّاؤُهَـــا وَغُـــصُونُها   كِـــراسٍ وَأَوْراقُ الغُـــصُونِ

---

(1) الصواب " غناء " كي يستقيم الوزن.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 186.

(3) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، 292/1.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 77، معبد بن وهب: من المغنين المشهورين في العصر الأموي ، ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، 47/1-50.

(5) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 143/1.

(6) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء**، 173.

وجمع الشعراء أحياناً إلى جانب وصف الحمام وصف مظاهر أخرى للطبيعة كالرياح والنهر، كصورة ابن الزين لبيكُم الذي أبرز الطبيعة في صورةٍ من السعادة والبهجة، يقول:

[الطويل]

وَغَنَّتْ قِيانُ الطَّيْرِ وَالرِّيحُ شَبَّبَتْ وَقَدْ صَفَّقَتْ مِنْ فَرْحَةٍ رَاحَةُ النَّهْرِ[1]

ولم يغب عن أذهان الشعراء الخدمات التي يقدمها الحمام للإنسان وهي حمل رسائله، لذلك شبه ابن حجر العسقَلانِي الحمائم بالرسل التي تخفي الأسرار في قوادمها، يقول:

[الطويل]

تَخَيَّرْتُ رُسْلاً يَخْتَفِي السِّرُّ عِنْدَهُمْ إِلَيْكُمْ وَتِلْكَ الرُّسْلُ فَهْيَ الحَمائِمُ

إذا قَدِمَتْ مِنِّي عَلَيْكُمْ فَيا لَها خَوافِيَ سِرٍّ حَمَّلَتْها قَوادِمُ[2]

ورسم ابن خطيب داريا صورةً جميلةً للحمامة فوق الغصن فبدت كالهمزة فوق الألف، يقول:

[مجزوء البسيط]

وَالغُصْنُ مِنْ فَوْقِهِ حَمامَتُهْ كَأَنَّها هَمْزَةٌ عَلَى أَلِفْ[3]

ورأى عِز الدين الموصِلي الحمام مغنياً على الأشجار فتخيلها منابر والحمائم عليها تسجع بألحانها الجميلة، الأمر الذي أطرب الأغصان فمدت أذنها للاستماع، يقول:

[البسيط]

مَنَابِرُ الدَّوْحِ فِيها الوُرْقُ قَدْ فَمَالَتِ القُضْبُ لِلأَلْحانِ وَاسْتَمَعَتْ

وَهاجَها سَحَراً مَرُّ النَّسِيمِ فَمُذْ هَبَّ القَبُولُ إِلى طِيبِ الصَّبُوحِ[4]

وربط الشعراء أحزانهم بوصف الحمام، وعبروا عن أشواقهم ووجدهم من خلال إسقاطها على الحمام، فشمس الدين محمد الدنْجاوِي تثير الحمامة أشجانه وهي ترجع وتردد ألحانها على الشجرة، يقول: [الطويل]

وَمِمَّا شَجانِي فَوْقَ عُودٍ حَمامَةٌ تُرَجِّعُ أَلْحاناً لَها وَتُغَرِّدُ[5]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 456.

(2) العسقلاني، ابن حجر، ديوانه، 303.

(3) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 217.

(4) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 139/1.

(5) السيوطي، جلال الدين، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، 469/1.

ومن الشعراء من جزع من أصوات الحمائم، يقول محمد بن عبد القوي ، يقول:

[الطويل]

فَيا نَفْسُ كَمْ عَنْ زَفْرَةٍ تَتَنَفَّسِي   وَمِنْ طِيبَةِ الجَرْعاءِ كَمْ تَتَجَّرَعِي
أَرَاكِ إِذا ما الوُرْقُ بِالجَزْعِ غَرَّدَتْ   بِتِذْكارِها عَهْدَ المَحَبَّةِ تَجْزَعِي[1]

ويذكر الحمام ابن الآدمي أحبابه إذا ما مر على الأيك فيرسل دموعه الغزار، يقول:

[المتقارب]

وَبِالأَيْكِ مَرَّتْ حَمامُ اللِّوى   فَحَلَّتْ عُقُودَ دُمُوعِي الغِزار[2]

وجعل ابن زقاعة السحاب باكياً على الحمامة التي تغنت وجداً وعشقاً وشوقاً، يقول:

[الخفيف]

وَتَغَنَّتْ حَمامَةُ الأَيْكِ وَجْداً   فَبَكَتْ رِقَّةً عُيونُ السَّحابِ[3]

ويرى ابن سودون في غناء الحمائم نواحاً، وأنها تبكي على إلفها الذي فقدته، يقول:

[الطويل]

وَكَمْ شاقَنِي فِي الدَّوْحِ نَوْحُ حَمائِمٍ   عَلَى فَقْدِ إِلْفٍ غَرَّدَتْ بِحَنِينِ[4]

وأججت ورقاء حزينةٌ على غصنٍ مشاعر الشاعر بدر الدين البشْتُكِي، ووصف من خلالها معاناته ومعاناتها، فالمعاناة مشتركة غير أن كلاً منهما لا يعرف سبب حزن صاحبه، يقول:

[الرمل]

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى   ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صالِحاً   فَبَكَتْ حُزْناً وَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكائِي رُبَّما أَرَّقَها   وَبُكاها رُبَّما أَرَّقَنِي
وَلَقَدْ تَشْكُو فَما أَفْهَمُها   وَلَقَدْ أَشْكُو فَما تَفْهَمُنِي[5]

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 125/10.

(2) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود الفريدة**، 456/2 .

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 113.

(4) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 73.

(5) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 935.

ويرى ابن زقاعة أن غناءه هو الذي أهاج الحمامة، وليس العكس ،يقول:

[مخلع البسيط]

أوْ غَنَّتِ الوُرْقُ صادِقاتٍ   فإنَّما اهْتَاجَها غِنائِي[1]

ويصف النواجي غصن بانٍ قضى وتكسر فبكته الحمامة ورثته بهديلها وصوتها لأنها كانت تعيش بين أوراقه، يقول:

[البسيط]

لَهْفِي عَلَى غُصْنِ بانٍ كانَ   إلَى الأحِبَّةِ طَوْعَ الوَصْلِ مُنْبَعِثا
قُضَى فناحَتْ عَلَيْهِ الوُرْقُ مِنْ   فسَجْعُها بَيْنَ أثْناءِ النَّشِيدِ رِثا[2]

وتأمل علي بن إبراهيم المعروف بابن العفِيفْ أصوات الحمام فرأى أنها للمسرور غناء وللمحزون نوح وللفاقد ندب وللعاشق والمشتاق شوقٌ وشجو وللمفتون تنهيد وراحةٌ، فكل من هؤلاء يفسر صوت الحمام حسب حالته النفسية، يقول:

[الطويل]

عَجِبْتُ لأصْواتِ الحَمائِمِ إذْ غَدَتْ   غِناءً لِمَسْرورٍ ونَوْحاً لِمَحْزُونِ
ونَدْباً لِمَفْقُودٍ وشَجْواً لِعاشِقٍ   وشَوْقاً لِمُشْتاقٍ وتَنْهِيدَ مَفْتُونِ[3]

ويذكر الشهاب المنْصوري يوماً منعه الحمام من النوم، ويرى أن الحمام لو عرف معاناته في الحب لما شدا أو وقف على الشجر بين الأوراق، يقول:

[البسيط]

وَصَادِحٌ فِي ذُرَى الأوْراق أرَّقَنِي   شَدْواً وَما كان جَفْنِي يَعْرِفُ
لَوْ ذاقَ ما ذُقْتُ مِنْ جَوْرِ الغَرامِ   شَدْاً ولَوْ كانَ يَدْرِي ما عَلا[4]

ويرى أبو بكر الدماميني أن الحمام لا يعرف الحب ولا يؤمن به، يقول:

[الطويل]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 51.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 356.

(3) المكي، محمد، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، 2/ 755.

(4) دندراوي، قرشي، **شعر الشهاب المنصوري**، 106.

كَـأَنَّ حَمـامَ الأيْـكِ بالعِشْقِ كـافِرٌ ... أَلَـمْ تَـرَهُ قَـدْ رَاحَ وَهْـوَ مُطَـوَّقُ[1]

ورأت أسماء بنت محمد بن عبد الرحمن السعودي أن الحمام يـدعي الوجـد ويتبـاكى تمثيلاً، تقول:

[الكامل]

أحَمامَـةُ الـوادِي بِـشَرْقِيِّ النَّقـا ... هــاكِي الــشُّجونَ وَإنْ عَجَــزْتِ

لا تَــدَّعِي وَجْــداً وَأَنْــتِ خَلِيَّــةٌ ... قَدْ يُعْرَفُ الباكِي مِنَ المُتَباكِي[2]

ومزج الشعراء وصفهم للحمام بالغزل، فابن زقاعة يطلب الأمان من الهجـران والبـين والصد من أهل نجدٍ، وهو إذا ما سمع نوح الحمام تأخذه الأشواق، يقول:

[الطويل]

أمَا عِنْدَكُمْ لِلصَّبِّ يا ساكِنِي نَجْدٍ ... أماناً مِنَ الهِجْرانِ وَالبَيْنِ وَالصَّدِّ

أمَاناً لِمَنْ شَطَّتْ بِهِ غُرْبَةُ النَّوَى ... فَأصْبَحَ مُلْقًى لا يُعِيدُ وَلا يُبْدِي

يَهِيمُ إذا نَـاحَ الحَمامُ عَلَى اللّوَى ... وَيُمْسِي عَلَى شَوْقٍ وَيُصْبحُ فِي [3]

ويقول بدر الدين ابن الصاحب محملاً الحمامة مسؤولية نواحها الذي سود قلبه وذكـره محبوبته:

[البسيط]

وَذاتُ طَــوْقٍ عَلَــى الأغْــصَانِ ... قَوامَ حُسْنِكَ فِي ضَمِّي لِمُعْتَنَقِكْ

قَدْ سَوَّدَتْ مهجتي نَوْحاً فقُلْتُ لَهَا ... سَوَادُ قَلْبي يا وَرْقاءُ فِي عُنُقِكْ [4]

وحمل الشعراء الحمام سلامهم إلى من يحبون ولا يستطيعون الذهاب إليـه، يقـول أبـو الفضل ابن أبي الوفاء:

[السريع]

بِاللّـهِ إنْ جُـزْتَ الحِمـى يـا حَمـامْ ... أبْلِـغْ سَـلامِي فَهْـوَ دارُ الـسَّلامْ

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 119.

(2) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود الفريدة**، 395/1.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 81.

(4) الغزولي، بهاء الدين ، **مطالع البدور**،88/1 .

وَطُـفْ بِأَبْيَـاتِ الحِمَـى مُحْرِمـاً   مُتَّخِـذاً فِـي كُـلِّ رُكْـنٍ مَقَـامْ [1]

ومزج الشعراء مدحهم بالوصف، فالشهاب أحمد بن يوسف السيرجي يمدح ابـن حجـر العسقَلانِي مجانِساً بين لفظة الورق التي تعني الحمام وبين ورق الكتابة وورق الشجر، يقول:

[البسيط]

قَلَّدْتَنا مِثْلَ أَطْواقِ الحَمامِ مِنَ ال   إنْعامِ فَضْلاً فَصِرْنا وَهْيَ فِي نَسَقِ
فَـالوُرْقُ تَـصْدَحُ بِالأَشْـجارِ فِـي   وَنَحْنُ نَمْدَحُ بِالأَشْعارِ فِي وَرَقِ [2]

واتخذ الشعراء الحمام مضرباً للأمثال وللفخر، فأبو عبد ا الفَيومِي يذكر أن الحمائم قد تسجع وتغنى وقد ينطق الخلخال، أما هو فشاعر وإن لم يكن آباؤه من يعرب وإياد، يقول:

[الطويل]

لَئِنْ جَادَ نَظْمِي فِي القَرِيضِ وَلَمْ   جُـدودِيَ فِـيهِمْ يَعْـرُبٌ وَإِيَـادُ
فَقَدْ تَسْجَعُ الوَرْقَاءُ وَهْيَ حَمامَةٌ   وَقَدْ يَنْطِقُ الخِلْخالُ وَهْوَ جَمادُ [3]

ويهنئ علي بن إبراهيم الحموي الحنفي الحمام وقد سيق الماء لها من الناعورة، يقول:

[السريع]

يَـا أَيُّهَـا الحَمَـامُ بُـشْراكَ قَـدْ   عُدْتَ إِلَى عَصْرِ الصِّبا الذّاهِبِ
كُنْـتَ قَلِيـلَ المـا بَغِيـضاً لَنـا   فَـصِرْتَ كَـالعَيْنِ مِـنَ الحاجِـبِ [4]

ويقول الشّهاب المنْصوري واصفاً روضةً تغني حمائمها:

[الطويل]

وَرَوْضٌ مِـنَ الأَنْـواءِ دارَتْ   وَغَنَّتْـهُ وُرْقٌ وَالرِّيَـاحُ تَمِيـسُهُ
مَرَرْنـا عَلَـى أَزْهـارِهِ فَتَبَـسَّمَتْ   وَأَوْمَتْ إِلَيْنـا بِالسَّلامِ رُؤُوسُـهُ [5]

ومن صوره الجميلة قوله:

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء**، 185.

(2) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 92.

(3) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 117/5.

(4) **نفسه**، 155/5.

(5) السيوطي، **كوكب الروضة**، 368.

[الرجز]

كَأنَّمـــا كُـــلُّ حَمَـــامٍ هَمْـــزَةٌ   يَحْمِلُهـا مِـنْ كُـلِّ غُـصْنٍ أَلِـفُ[1]

والقُمري هو نوع من أنواع الحمام، وقد وصفه الشعراء من خـلال وصـف الريـاض والحدائق، ورسموا له صوراً لا تقل جمالاً عن سابقيهم، فالشهاب المنْصوري يعرج على ذكـر الرياض والحمائم والقمري والأغصان من خلال المدح، فهو يشبه القُمري المغرد على الـشجرة بالقارئ ويجعل أوراق الغصون مصحفاً يقرأ منها، يقول:

[الرجز]

كَأنَّمـــا القُمْـــرِيُّ فِيـــهِ قـــارِئٌ   صُبْحاً وَأَوْراقُ الغُصُونِ مُصْحَفُ[2]

أما أبو الفضل ابن أبي الوفاء فيرسم للقُمري صورة العاشق الذي اتخذ من أوراق الشجر رسائل يرسلها إلى محبوبته، وهو يمزج وصفه للقُمري بالمشاعر الإنسانية، يقول:

[الطويل]

كَـأَنَّ بِـهِ القُمْـرِيُّ صَبٌّ لَـهُ الـصّبا   رَسُولٌ وَأَوْراقُ الغُصُونِ رَسـائِلُهْ[3]

ويمزج الصدر الآدمي وصفه للقُمري بالدعوة إلى شرب الخمر، وهو يتخيـل المغنـي معبداً حاضراً في الروضة عند سماع تغريده، وهذا تعبير عن حب الشاعر وإعجابـه بـصوت القُمري، يقول:

[الرمل]

سَبَّحَ القُمْـرِيُّ فِـي الـدَّوْحِ وَغَـرَّدْ   فَحَـسِبْنا أَنَّ فِـي الرَّوْضَـةِ مَعْبَـدْ

فاسْـقِنِي القَهْـوَةَ حَتَّـى انْثَنَـي   مِثْـلَ غُـصْنِ البـانِ لَمَّـا يَتَـأَوَّدْ[4]

و هيجت أصوات القماري في الروض عزائم ومشاعر وأحاسيس ابن إياس، فقال:

[مخلع البسيط]

وَغَـــرَّدَتْ حَوْلَهـــا القُمـــارِي   سَـــماعُها هَـــيَّجَ العَـــزائِمْ[5]

---

(1) السيوطي، **بغية الوعاة**، 169/1.

(2) **نفسه**، 1/ 169.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 182 .

(4) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة**، 91/2.

(5) ابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور**، ق2، 174/4.

ووصف علي بن أيبك مغنياً وشبه صوته بصوت القمرية:

[السريع]

كَأنَّمــــا فِــــي فِيـــهِ قُمْرِيَّــــةٌ تَــشْدو وَمِــنْ عارِضِـهِ طَوْقُهــا(1)

4- الديكة

وصف إبراهيم بن محمد ابن مدلج روضةً أبرز الديك فيها راقصاً على غناء طيورهـا، يقول:

[البسيط]

وَالـدَّوْحُ يَطْرَبُ وَالأغْصانُ مائِـدَةٌ وَالـدِّيكُ يَـرْقُصُ إذْ غَنَّـاهُ طـائِرُهُ(2)

وهيجت نغمات الديوك وأصواتها أحاسيس ومشاعر ابن زقاعة في وصفه لمسقط رأسه مدينة الخليل في فلسطين، يقول:

[الخفيف]

نَغَمــاتُ الــدُّيوكِ مِــنْ دَيْــرِ بَحّــا آخِــرَ اللّيْــلِ هَيَّجَــتْ أطْرابــي(3)

ومزج البدر ابن الصاحب بين ذكر الخمر ووصف الديك الذي بدا مـصفقاً وصـائحاً، يقول:

[مخلع البسيط]

طــافَ بكَــأسِ الــصَّبوحِ تُجْلَــى فَـــصَفَّقَ الـــدِّيكُ ثُـــمَّ مَاحـــا(4)

واستعار ابن زقاعة للجلنار الأحمر لون أعراف الديوك قائلا:

[البسيط]

وَالجُلنّــارُ كَــأعْرافِ الــدُّيوكِ وَقَـدْ تَحْكِـي عَـصَارَتُهُ دَمْـعَ المُحِبِّـينَ(5)

---

(1) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 396/1.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** 113.

(4) المقريزي، تقي الدين، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، 265/1.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 113.

5- الشَّحارير

يصف ابن خَطِيب داريا الشحرور بالراهب الذي يقرأ الإنجيل ويلبس قلنسوةً على رأسه، يقول:

[السريع]

كَأنَّمـــا شُـــحْرورُها راهِـــبٌ يُـــرَدِّدُ الإِنْجيـــلَ فِـــي بُـــرْنُسِ[1]

أما الشهاب أحمد بن أبي السعود فيجعل الشحرور خطيباً والأغصان ركعاً وسجداً، وهو يشير هنا إلى جمال صوت الشحرور ويمنحه شيئاً من القداسة، يقول:

[الطويل]

وَشُـحْرورُها أضْـحَى خَطِيبـاً بِهـا غَدَتْ رُكَّعاً قُضْبٌ تَمِيسُ وَسُجَّداً[2]

ويعجب ابن حجر العسقلاني بصوت الشحرور فيصفه من خـلال وصـف الروضـة ويشبهه بالأسيود[3] الذي يحمل مزماراً من الذهب، يقول:

[البسيط]

وَرَوْضَةَ رَقَصَتْ أَغْصانُها وَشَدَتْ أَطْيارُهـا وَتَـوَلَّى سَـقْيَها المُحِـبُّ

وَظَـلَّ شُـحْرورُها الغَريـدُ تَحْـسَبُهُ أُسَـيْوداً زامِـراً مِزْمـارُهُ ذَهَـبُ[4]

وقد يجمع الشعراء أكثر من نوعٍ من الطيور، فأبو بكر الدمامِيني يصف الشحرور مغنياً والحمام خطيباً، وهو في الحالتين يستمع إلى المغني معبد، يقول:

[الطويل]

وَغَنَّى بِها الشُّحْرورُ لَكِنْ حَمامُها خَطِيـبٌ فَفِـي الحَـالَيْنِ عايَنْـتُ مَعْبَداً[5]

ويصف الشهاب المنْصوري لون الشحرور الأسود ويصفه بالقينة المغنية، يقول:

[البسيط]

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168، البرنس: "القلنسوة "، الفيروزأبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، مادة " برنس "، 479.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 131/1.

(3) الأسيود: الرجل الضارب إلى السواد، ينظر ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، مادة " سود "، 274/7.

(4) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 144/1، الأبيات غير موجودة في الديوان.

(5) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 77.

غنَّــتْ قِيــانٌ شَــحاريرٌ مَلابِــسُها سُــودُ الرّيــاشِ عَلَــى عِيــدانِها (1)

ومدح الشهاب المنْصوري محمد بن شاذي ووصف أدبه وشعره بغناء الشحرور قائلاً:

[الخفيف]

أنْـــتَ شـــادٍ بِنَغْمَـــةِ الـــشُّحْرورِ فِـي رِيـاضِ المَنْظـومِ وَالمَنْثـورِ(2)

6- الطَّواوِيسُ

لم أعثر على وصفٍ مباشرٍ للطاووس، وإنما اتخذ الشعراء من لون ريشه الجميل صورةً لوصف أشياء أخرى كقول السيوطي في وصف بلدةٍ:

[الكامل]

بَلَــدٌ أعارَتْــهُ الحَمامَــةُ طَوْقَهــا وَكَـساهُ حُلَّـةَ رِيـشِهِ الطَّـاوُوسُ(3)

أو قول أبي الفضل ابن أبي الوفاء في وصف روضةٍ ملونةٍ جميلةٍ كأن ألوانها مستعارةٌ من أذناب الطواويس، يقول:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ نَشَرَتْ مِنْ حِلْيِها حُلَلاً مُــدَنَّراتٍ كَأَذْنــابِ الطَّــواوِيسِ(4)

7- العصافير

ذكر الشهاب المنْصوري العصفور خلال وصفه للرياض، يقول:

[البسيط]

يا حُسْنَها رَوْضَةً فِي مِثْلِ بَهْجَتِها لَـمْ تَـصْدَح الطَّيْـرُ وَالعُـصْفورُ لَـمْ (5)

8- العنادل(6) (الهزار)

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.
(2) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 72.
(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.
(4) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 166.
(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.
(6) العندليب: طائر صغير جميل الصوت، ينظر: ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، مادة " عندل "، 479/11.

وصف الشعراء العندليب ورسموا له صورا جميلةً، فابن زقاعة يصف العندليب على الأغصان وقد شدا بصوته الجميل فصبا الشاعر لصوته، فكأنه يتلو ويقرأ زبور الحب مصبراً الشاعر على فراق من يحب، يقول:

[البسيط]

وَعَنْدلِيبٍ عَلَى الأغْصانِ مُنْفَرِدٍ ... إذا شَدَا سَحَراً أصْبُو لِنَغْمَتِهِ

يَتْلو زَبُورَ الهَوى طَرْباً وَيُنْشِدُني ... صَبْراً عَلَى بَيْنِ مَنْ أهْوى [1]

ووصف صدر الدين بن الآدمي طربه لسماع ترنم الهزار على الغصن قائلا:

[المتقارب]

تَرَنَّمَ فَوْقَ الغُصونِ الهَزارْ ... فَأطْرَبَ سَمْعِي بِعُودٍ وَطَارْ [2]

واقترن ذكر الهزار بذكر الرياض، فالشهاب المنْصوري يرسم صورةً لا تخلو من الحركة عندما يعبر عن فرحه من خلال ذكر غناء الهزار الذي يغني على تشبيب صوت النسيم وتصفيق النهر وإرقاص الشجر، يقول:

[البسيط]

غنّى الهَزارُ عَلَى تَشْبيبِ نَسْمَتِها ... وَصَفَّقَ النَّهْرُ حَتَّى أرْقَصَ [3]

ورسم ابن خَطيب داريا للروض صورةً احتفاليةً عندما جعل الطرب عنوانه والهزارات متغنيةً على البان، يقول

[البسيط]

كَأنّما رَفَعَتْ فِي دَوْحِها طَرَباً ... لَمَّا تَغَنَّتْ عَلَى البانِ الهَزاراتُ [4]

وذكر ابن إياس الهزار والشحرور من خلال شعر المدح، يقول:

[البسيط]

فاللّهُ يُبْقِيهِ فِي عِزٍّ وَفِي شَرَفٍ ... أُعِيذُهُ مِنْ شُرورِ النَّاسِ بِالطُّورِ

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 145 .

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 201/8.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.

(4) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 109.

ما غَرَّدَ الطَّيْرُ فِي رَوْضٍ وَناشَدَهُ عَلَى الغُصونِ هَزارٌ حَولَ

9- الغربان

نظر العرب منذ قديم الزمان إلى الغراب نظرةً ملؤها التشاؤم والبغض، وأسباب التشاؤم كثيرةٌ والنفس الإنسانية مفطورةٌ عليه، ولعل لون الغراب الأسود وصوته كان السبب ، وعبر ابن حجة عن ذلك عندما نسب إلى صوت الغراب فرقة أحبابه، يقول:

[الرجز]

مِنْ زَعْقَةِ الغُرابِ بَعْدَ المُلْتَقى فارَقْتُ مِصْراً وَبِها أَحْبابي

وَفِي طَريقِ الرَّمْلِ صِرْتُ حائِراً مُرَوّعاً مِنْ زَعْقَةِ الغُرابِ(2)

ويقول معبراً عن مصيبته التي زادها الغراب، يقول:

[مخلع البسيط]

وَكانَ فِي البَيْنِ ما كَفانِي فَكَيْفَ بِالبَيْنِ وَالغُرابِ(3)

ووصف بدر الدين الزيتُوني المعاهد التي درست مبرزاً أصوات الغربان والبوم، يقول:

[الطويل]

وَقَدْ دَرَسَتْ تِلْكَ المَعاهِدُ كُلُّها وَناحَتْ بِها الغِرْبانُ وَالبُومُ فِي

فالشعراء اتخذوا دائماً من صوت الغراب رمزاً للمصائب والبعد والخراب، وقلما وصفوه لأجل الوصف وإنما تناولوه في شعرهم للتعبير عن الناحية السلبية في الحياة.

ويصف ابن زقاعة نزوله في أرضٍ قفراء لا يعيش فيها إلا الغراب الأبقع، وهو الغراب الذي فيه بياض وسواد وهو نذير شؤمٍ عند العرب، يقول: [مجزوء الرجز]

أَصْبَحْتُ مِنْ فِراقِهِمْ نَزيلَ رَبْعٍ بَلْقَعِ

مُخْلَوْلَقٍ لَيْسَ بِهِ سِوَى الغُرابِ الأَبْقَعِ(5)

---

(1)ابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور**، ق 2، 279/4.

(2) الحموي، ابن حجة، **ثمرات الأوراق**، 394. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(3) **نفسه**، 351، البيت غير موجودة في الديوان.

(4) ابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور**، ق2، 58/5.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 43.

أما عِز الدين الموصِلي فيرى في صوت الغراب تعبيراً عن فقد إلفه وهو ينذره بـالبين، يقول:

[البسيط]

وَيــا غُرابــاً بِبُعْـدِ الـدَّار يُخْبِرُنــا فقـدْتَ إلْفـكَ كَـمْ بـالبَيْنِ تَنْعِينــا[1]

وعبر الغَزولي عن نكبة أهل دمشق عام 803 هـ لما تعرضت للغزو مـن تيمورلنـك الذي قتل أهلها وسامهم سوء العذاب من خلال إبراز صوت الغربان، يقول:

[الكامل]

سَقطَتْ غُصُونُ البانِ مِنْ قاماتِها لمّــا سَـمِعْنَ نَواعِـقَ الغِرْبــانِ[2]

واتخذ ابن خَطِيب داريا موقفاً مغايراً من الشعراء الذين رأوا في الغـراب نـذير شـؤمٍ ومفرقاً للأحباب، يقول:

[الكامل]

عَجَباً لِمَنْ زَعَمُوا النَّقْصَ عُقولُهُمْ أنّ الغُــرابَ مُفَــرِّقُ الأحْبــابِ[3]

ثانياً: الطيور غير الأليفة

1- الصقور

لم أظفر بأشعارٍ مباشرةٍ في وصف جوارح الطير كالصقر والنسر، وإنما وجدت لغـزاً لإسماعيل بن إبراهيم البِلْبيسِي في صقر، يسأل فيه عن اسمٍ إذا صحف كان اسم شهرٍ "صـفر"، وإذا عكس دل على عمل له علاقة بالطرب وهو الرقص، يقول:

[مجزوء الرجز]

مــــا اسْــــمٌ إذا صَـــحَّفْتَهُ يَكــــونُ شَــــهْراً مُعْرَبــــاً

وَإنْ عَكَــــسْتَ شَــــكْلَهُ يَــــصِيرُ فِعْــــلاً مُطْرِبــــاً[4]

واتخذ الشعراء من الصقر أحياناً موضوعاً للمدح كقول ابن خَطِيب داريا مادحاً:

---

(1) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 911.

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 619/2.

(3) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 86.

(4) المقريزي، تقي الدين، **درر العقود**، 412/1.

[الكامل]

فَكَأنَّمــــا وَلَـــدَتْكَ أمُّـــكَ حاكِمـــاً   كَالــصَّقْرِ لا تَـــتَعَلَّمُ التَّـــصْيِيدَا[1]

وكقول ابن حجر العسقَلانِي في ممدوحه الذي يتضاءل النـاس أمامـه كالبغـاث أمـام الصقر، يقول:

[البسيط]

عَهْـدِي بِـأكْبَرِهِمْ قَـدْراً بِحَـضْرَتِهِ   مِثْــلَ البُغَــاثِ لَــدَى صَــقْرٍ مِــنَ

[2]

2- العُقبان

واستعار ابن زقاعة للخيل صورة العقاب للدلالة على سرعته، يقول:

[الكامل]

وَتَخالُهُ فَوْقَ المُضَمَّرِ فِي الـوَغَى   لَيْثـاً تَـشَبَّثَ فَـوْقَ مَـتْنِ عُقَـابِ [3]

3-النَّسُورْ

واتخذ الشعراء هذه الطيور لضرب الأمثال كقول ابن حِجة الحموي:

[الكامل]

رَعَـتِ النّـسُورُ بِقُـوّةٍ جِيَـفَ الفَـلا   وَرَعَـــى الـــذُّبابُ الـــشَّهْدَ وَهْـــوَ

[4]

وقوله أيضاً مدللاً على قوة النسر من خلال المدحً:

[الطويل]

وَطارَتْ بِهِمْ غِربـانُهُمْ مِنْكَ خِيفَـةً   وَهَـلْ لِغُـرابٍ قُـدْرَةٌ بِلِقَـا النّـسْرِ[5]

خامسا: المخلوقات البحرية

1- الحيتان

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 69.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 214.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 146.

(4) الحموي، ابن حجة، **ثمرات الأوراق**، 136، البيت غير موجود في ديوانه .

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 76.

وصف الشاعر أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنَفي البحر والطل يسقط عليه، فتخيل الحيتان هيجت في داخله حرباً و المطر غباراً، يقول:

[السريع]

انْظُرْ إلَى الطّلِّ وَقدْ ألْبَسَ ال بَحْرَ شِعاراً سابغاً مَعْ دِثارْ

كَأنَّما حِيتانُهُ هَيَّجَتْ حَرْباً وَهَذا الطّلُّ مِنْهُ غُبارْ[1]

2- الأسماك

قال ابن حِجةَ الحموي فيمن أهدى له السمك يمدحه:

[مجزوء الرجز]

يا أيُّها النَّجْمُ الّذِي بِسَعْدِهِ دارَ الفَلَكْ

لَوْ لَمْ تَكُنْ بَحْراً لَما جاءَ لَنا مِنْكَ السّمَكْ[2]

وذكر ابن سودون النيل واصفاً أسماكه بالنجوم، يقول:

[الطويل]

وَأطْرافُكَ الأسْماكُ فِيها كَأنّها نُجومٌ بآفاقٍ طُلوعٌ أوافِلُ[3]

3- التَّماسِيح

قال أحمد بن محمد ويعرف بابن الوالِي في صيادٍ وقع فريسةً للتمساح:

[الطويل]

يَقولونَ لِي فِي البَحْرِ تِمْساحُ أصادَ لِصَيّادٍ وَقَدْ كادَهُ كَيْدَا

فَقُلْتُ لَهُمْ هَذا نِهايَةُ عُمْرِهِ وَلَوْ راحَ بَيْروتَ لَكانَ لَهُ صَيْدَا[4]

وهكذا يكون هذا الفصل قد تم بما وجدته من أشعارٍ في وصف الحيوان، فالأشعار التي وجدتها كانت قليلة، ولعل القارئ يلاحظ أن الكثير من صور وصف الحيوان قد غابت نهائياً دون أدنى ذكر لها، كما أن الشعراء وصفوا معظم الحيوانات دون التعمق والتطرق إلى أدنى

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام**، 786/2.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 222/2. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(3) البشبغاوي، **ابن سودون**، ديوانه، 189.

(4) السخاوي، **الضوء اللامع**، 216/2.

التفاصيل، ويمكن القول إن الشعراء ركزوا على موضوع الطيور أكثـر مـن غيرهـا، لأنهـا ارتبطت بالرياض التي عايشوها وأكثروا من وصفها .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية:

اللغة الشعرية

الأسلوب

المحسنات البديعية

بنية القصيدة

الصورة الشعرية

الموسيقا

أولا: اللغة الشعرية

اتسمت ألفاظ شعراء العصر المملوكي الثاني بالوضوح واليسر والسهولة والرقة في أغلبها، باستثناء الأشعار التي حاول الشعراء فيها تقليد القدماء في لغتهم، فجاءت بعض ألفاظها صعبةً غريبةً للقارئ مثل مقدمات المديح النبوي والحديث عن الرحلة ووصف الناقة وذكر الأطلال، وجاء البعض الآخر متخففًا من الصعوبة والغرابة، والقارئ فيها لا يحتاج للرجوع إلى معاجم اللغة لتفسير المفردات، فالشاعر أحمد بن محمد بن يوسف المعروف بالشهاب المنوفي يصف الأطلال في مقدمة مديحٍ نبوي بأسلوبٍ سهلٍ سلسٍ، يقول:

[الطويل]

عَفَا رَسْمُ رَبْعِ العامِرِيّةِ بَلْ أقْوَى ... وَلَسْتُ عَلَى تَرْكِ أزْيارِي أقْوَى

مَحَتْهُ هُمُولُ المُرْسَلاتِ بِوَبْلِها ... وَجاءَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَراكُمِها الأنْوَا

فَطالَ وُقُوفِي فِيهِ وَالدّمْعُ سائِلٌ ... أُسائِلُهُ لَمْ أسْتَطِعْ عَنْهُ لِي عَدْوَا

فَأضْرَمَ نِيرانَ الأسَى فِي ... وَصِرْتُ بِنارِ البُعْدِ مِنْ بَعْدِها (1)

فالقارئ لهذه الأبيات يلحظ السهولة في الألفاظ، واستخدام الشعراء لألفاظ القدماء التي جاءت سلسةً ومنسبكةً مع المعنى في قول الشاعر "عفا" و "أقوى" و"محا" و" طال".

ولفَخْر الدين ابن مكانِس مقدمةٌ طلليةٌ امتازت بالرشاقة والسلاسة والسهولة والوضوح في مفرداتها، وغياب الغريب والغامض فيها، ويرجع ذلك ربما إلى ابتعاد الشعراء عن بيئة الصحراء وحياتها وقسوتها، ومحاولتهم تقليد أساليب السابقين بألفاظٍ من وحي حياتهم الحضارية، يقول:

[المتقارب]

أجَابَ المُتَيّمُ داعِي الطّلَلْ ... وَقَالَ لَهُ: مُتْ فَنادَى أجَلْ

دَعَانِي فَهَيّجَ ناراً خَبَتْ ... وَجَدَّدَ جُرْحاً بَرا وَانْدَمَلْ

سَقَى اللّهُ أطْلالَ ذاكَ الحِمَى ... بِسَيْفِ الهُوَيْدِبِ مِنْ كُلّ طَلْ

وَحَيّا رُباها بِوَبْلِ الحَيا ... إذا أعْوزَ الشّامِخاتِ البَلَلْ (2)

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 255/1، الشطر الثاني من البيت الأول مكسور.

(2) ابن مكانس، فخرالدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

واستخدم الشعراء في بعض الأحيان ألفاظ القدماء ومعانيهم في مقدماتهم الطللية وفي مقدمات الرحلة النبوية خاصةً، فالشاعر شمس الدين النواجي يبدأ قصيدته بذكر الأماكن الحجازية، ثم ينتقل إلى وصف النياق التي تقطع الفلاة ولكنها تجد السير على الرغم من التعب إذا ما غناها الحادي شوقا إلى البيت العتيق، ومن الألفاظ القديمة التي وردت في القصيدة : "المحصب" و "العقيق" و"لعلع" و"قلائص" "والمأزمين" و"القتب" و"الفلاة" و"القعقاع" و"المهامة" و"الهوادج"، وعلى الرغم من استخدام هذه الألفاظ إلا أن لغة القصيدة جاءت سهلةً واضحةً ومفهومة، يقول:

[الكامل]

لَـوْلا المُحَـصّبُ وَالعَقِيـقُ وَلَعْلَـعُ	مـا غَنَّـتِ العِيسَ الحُـداةُ وَلَعْلَعُوا
وَلمـا سَـرَتْ لِلمَـأْزَمَيْنِ قلائِـصٌ	تَطْـوِي بِأَيْـدِيها الفَـلاةَ وَتَقْطَـعُ
ظَلَعَتْ وَجَدّ بِهـا الرّحِيـلَ فَحَثّها	قَتَـبٌ تَكـادُ تُعَـدّ فِيـهِ الأضْـلُعُ
وَوَنَـتْ مِـنَ السّيْرِ الشّدِيدِ وَكُلّمـا	غَنّـى لَهـا الحـادِي بِطَيْبَـةَ تُسْرِعُ
سِيقَتْ بِقَعْقـاعِ المَهامِـهِ فـانْبَرَتْ	وَالـرّوحُ مِنْهـا فِي السّياقِ تُقَعْقِعُ
سُـقْياً لَهُـنّ سَـفائِنَ البَـرِّ الأُلَـى	بِـالرِّيحِ تَجْـرِي وَالهَـوادِجُ تُقلِـعُ
وَسَـوابِحٌ غَرِقَـتْ بِلُجّـةِ قاعَـةٍ	فَغَـدَتْ بِأَيْـدِيها تَـشُقّ وَتَـذْرَعُ[1]

وجاء استخدام الشعراء أحياناً للألفاظ الصعبة من باب المجاراة لألفاظ القدماء، حتى تناسب جو الصحراء الذي يصفونه، فالشاعر النواجي يختار الألفاظ القديمة في وصف الناقة والتي تدل على " الشدة والصلابة والقوة والجرأة"[2]، لإضفاء الصفات الجيدة على ناقته، فهذه الناقة قوية البنية صابرةٌ على هذه البيئة القاسية، فهو يستخدم مفردات "وجنَاء" و"علْكُومٍ" و"شَمردلَةٍ" و"عرنْدسٍ" وغيرها من الألفاظ التي تمنح الناقة الصورة الحسنة والإيجابية، كما تتصف ألفاظه بالجزالة والفصاحة والقوة، يقول:

[البسيط]

وَادٍ تَبَرّكَـتْ الغُـرّ العِتـاقُ بِـهِ	قِدْماً وَلا غَرْوَ فَهْيَ الأَنْيُقُ النُّجُبُ
مِـنْ كُـلّ وَجْنـاءَ عُلْكُومٍ شَـمَرْدَلَةٍ	عَرَنْـدَسٍ عَنْتَـرِيسٍ مـا بِهـا جَنَـبُ

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 60-61.

(2) القيسي، نوري حمودي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، 365.

عَيسَاءَ غَلْباءَ عِلْطُوسٍ عِجِنّسَةٍ عِدّيسٍ عَلْطَبيسٍ عَدْوُها خَبَبُ
تَجُوبُ بَحْرَ فَيافٍ وَالحُمولُ بها أمْواجُهُ وَهْيَ مِثْلُ الماءِ تَنْسَكِبُ[1]

وإذا ما تحدث النواجي عن قطع النياق للصحراء بحث عن الألفاظ التي تدل على صعوبة الرحلة وقساوة الصحراء وبعدها وطولها مثل: " لجةٍ " و" القاع " و"سبسبٍ" و"البعدِ" يقول:

[الطويل]

نِياقٌ عِتاقٌ ما تَمِلّ مِنَ السُّرَى كِرامٌ لِما حَمّلْتَهُنَّ حَوامِلُ
سَوابحُ فِي لُجّ مِنَ القاعِ سَبْسَبٍ بَعِيدِ قرارٍ ما يُرى فِيهِ ساحِلُ[2]

وإذا أراد الشعراء وصف الليل، بحثوا عن الألفاظ التي تبين شدة سواده وظلمته، مثل " الزنْجِي" و"الحِنْدِسِ" و"الأدهمِ" و"البهيمِ" و"الشعر" و"الليلَةِ الليلاءِ" و "اكْفَهرواِدلَهم" و"الليل الكافِر" و"عسعس الليلُ" و"الدجى"[3]، يقول ابن حِجةَ الحموي واصفاً سواد الليل وبعد صبحه:

[مجزوء الكامل]

عَاشَ الدُّجَى وَعَلَيّ عَسْعَسْ وَالصُّبْحُ ماتَ وَما تَنَفّسْ
وَاللّيْلُ أدْهَمُ طَرْفِهِ فِي سَلْبِ نَوْمِي قَدْ تَفَرّسْ[4]

أما ابن زقاعة فقد عبر عن سواد الليل بوصفه بأنه زنجي وهي لفظةٌ طالما استخدمها القدماء:

[الكامل]

فَاللَّيْلُ كَالزِّنْجِيِّ عُرْياناً أتَى وَالصُّبْحُ يُشْبِهُ راهِباً فِي بَيْعَةِ[5]

ويشبه الشهاب المنْصوري الليل بالشعر الطويل الأسود:

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 69.
(2) **نفسه**، 108.
(3) ينظر: التيفاشي، **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، 19.
(4) ينظر: الريداوي، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 136، لم أعثر على الأبيات في ديوانه.
(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

[البسيط]

كَأنّمـا اللَّيْـلُ شَـعْرٌ طـالَ فاحِمُـهُ ... تَبَلَّجَتْ عَنْ دُجاهُ جَبْهَـةُ السّحَر[1]

ويستعير بدر الدين ابن الصاحب لليل لون الحصان الأدهم:

[مخلع البسيط]

يــا لَيْــلُ إنَّ الحَبيــبَ وَافــى ... وَخِفْــتُ إسْــراعَ دُهْــمِ خَيْلِــكْ

فطُــلْ وَغَــشِّ الــصَّباحَ إنِّــي ... دَخَلْــتُ يــا لَيْــلُ تَحْــتَ ذَيْلِــكْ[2]

ويقول النواجي:

[الكامل]

وَتَطــاوَلَ اللَّيْــلُ البَهــيمُ فَخِلْتُــهُ ... لِسَوادِ حَظِّـي بِـالنُّجُومِ مُـسَمَّراً[3]

ويقول ابن زقاعة:

[المنسرح]

يَـسْجُدُ فِـي حِنْـدِسِ الظَّـلامِ لِمَـنْ ... صَــوَّرَ إنْــسَانَهُ مِــنَ العَلَــق [4]

وهكذا فالشعراء استخدموا الألفاظ التي تصور موصوفاتهم وتخدم معانيهم، ولم تكن هذه المفردات جديدةً وإنما استمدوها من المعجم الشعري القديم، وهذا يدل على أنهم قد استفادوا مـن مفردات السابقين وتراثهم.

واختار الشعراء لخيولهم أيضا الألفاظ الدالة على اللون وعلى الـصفات الجيـدة مثـل "الأدهم" و"الأشقر" و"المضمر" وغيرها من الألفاظ التي أرادوا من خلالها إبرازها فـي صـورةٍ جميلةٍ وجيدة، يقول محمد الأزهري:

[الطويل]

نَهـارِي وَلَيْلِـي أَقْطَـعُ البِيدَ مُعْسِفاً ... وَأرْكَـبُ فِيهـا أَشْـقَراً بَعْدَ أَدْهَـمِ[5]

---

(1) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 229/2.

(2) النواجي، شمس الدين، **مراتع الغزلان**، 90.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 48.

(5) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 305/2.

فهو يستعين على قطع هذه الصحراء الموحشة بالخيول الشقراء والدهماء حتى توصله إلى مبتغاه، واستخدم ابن خَطِيب زرع لفظة "النور" و"الفجر" لوصف غرة فرسه وإظهار جمالها ووضوحها، يقول:

[السريع]

وَأشْقرٌ فِي وَجْهِهِ غُرَّةٌ   كَأنَّها فِي نُورِها فَجْرُ
بَلْ زَهْرَةُ الأُفْق لأنّي أرَى   مِنْ فَوْقِها قَدْ طَلَعَ الفَجْرُ(1)

ولبيان سرعة الخيل استخدموا ألفاظ " المضمر" و"العقاب" و "النجم" كقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَتَخالُهُ فَوْقَ المُضَمّرِ فِي الوَغى   لَيْثاً تَشَبَّثَ فَوْقَ مَتْنِ عُقابِ(2)

فصفة الضمور في رأي الشاعر أدعى للسرعة، كما أن تشبيهه بالعقاب يزيد هذه الصفة في ذهن المتلقي.

أما ابن حِجة فدلّ على صفة السرعة في فرسه من خلال استعارة صورة الشهاب وإسقاطها على الفرس قائلا:

[الطويل]

لَهُ فَرَسٌ كَالنّجْمِ فِي إثْرِ مارِدٍ   لأنّ هِلالَ الأُفْق صارَ لَهُ نَعْلا(3)

أما في وصفهم للطيور فقد اختلفت ألفاظهم تبعا لاختلاف نفسية الشاعر ومشاعره، فإذا ما كان الشاعر حزيناً أسقط الألفاظ الدالة على الحزن على الطيور، وإذا ما كان فرحاً مستبشراً استخدم المفردات الدالة على السرور والفرح، فالشاعر علي بن محمد بن إبراهيم الجعفري النابلسي يغلب ألفاظ الحزن والمعاناة في وصف أصوات الحمائم التي يتخيلها "نوحاً " و"ندباً" و"شجواً" و"شوقاً"و" تنهيداً" وهذا يعزز جانب الحزن في نفس الشاعر، يقول:

[الطويل]

عَجِبْتُ لأصْواتِ الحَمائِمِ إذْ غَدَتْ   غِناءً لِمَسْرورٍ وَنَوْحاً لِمَحْزونِ

---

(1) الحنبلي، شهاب الدين، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 140/9.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 146.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 75.

وَنَــدْباً لِمَفْقــودٍ وَشَــجْواً لِعاشِــقٍ   وَشَـوْقاً لِمُشْتاقٍ وَتَنْهِيدَ مَفْتُونِ[1]

واستخدموا في المقابل الألفاظ التي تعبر عن أحاسيسهم الفرحة المسرورة مثل "الغناء" و "التغريد" و"التسبيح" و"الترتيل" و" الشدو"، يقول ابن زقاعة:

[الخفيف]

وَتَغَنّــتْ حَمامَـــةُ الأيْــكِ وَجْــداً   فَبَكَــتْ رِقَّـــةً عُيُــونُ الــسَّحابِ

غَــرَّدَ الطَّيْـــرُ وَالبَلابِـــلُ فِيهـــا   فِــي ظِـلالِ الكُــرومُ وَالأعْنــابِ[2]

ويستعير المنْصوري لصوت الحمام القمري صفة ترتيل القرآن، يقول:

[الرجز]

كَأنَّمَـــا القُمْـــرِيُّ فِيـــهِ قـــارِئٌ   صُـــــبْحاً وَأوْراقُ الغُـــــصُونِ

[3]

ويمزج الشاعر نفسه بين صوت القيان وصوت الحمائم، يقول:

[الخفيف]

وَشَـــدَتْ وُرْقُهـــا فكانَـــتْ قِيانـــاً   آتِيــاتٍ مِــنْ لَحْنِهــا بِالــصَّوابِ[4]

ويجمع صدر الدين الآدمي للقُمري لفظ التسبيح والغناء، يقول:

[الرمل]

سَبّحَ القُمْرِيُّ فِي الـرَّوْضِ وَغَرّدْ   فحَسِبْنا أنَّ فِـي الرَّوْضَـةِ مَعْبَـدْ[5]

واستخدم الشعراء الألفاظ الحضارية التي استمدوها من الواقع الحضاري الذي يعيـشونه في مدنهم وبلداتهم، وجاءت ألفاظهم عذبةً رقيقةً بعيدةً عن الإغراب كقول ابن خَطِيب داريا مـن قصيدة في وصف الطبيعة:

[السريع]

هاتِ اسْقِنِي الصَّهْباءَ يـا مُؤْنِسِي   قَـدْ فـاحَ زَهْـرُ الـوَرْدِ وَالنَّـرْجِسِ

---

(1) المكي، محمد بن عبدا ، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، 755/2.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 113.

(3) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة**، 169/1.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

(5) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 201/8.

وَالوَقْـتُ قَـدْ راقَ وَرَقَّ الهَـوَى		وَجـادَ بالوَصْـلِ الزَّمـانُ المُسِي

وَالـرَّوْضُ قَـدْ وَافـى بأَزْهـارِهِ		تَتِيـهِ فِـي زاهٍ مِـنَ المَلْـبَسِ

كَأَنَّمـا الأشْـجارُ غِيـدٌ وَقَـدْ		لَبِـسْنَ أَثْوابـاً مِـنَ الأَطْلَـسِ

كَأَنَّمـا شُـحْرورُها راهِـبٌ		يَـرِدِّدُ الإِنْجِيـلَ فِـي بُـرْنُسِ

كَأَنَّمـا صُـفْرَتُها عاشِـقٌ		صَـبٌّ بـأَثْوابِ الـضَّنَى مُكْتَـسِي

كَـأَنَّ غُـصْنَ البـانِ قَـدٌّ الـذي		أَهْـواهُ فِـي أَثْوابِـهِ الـسُّنْدُسِ

كَـأَنَّ بَـدْرَ الـتَّمِّ تَحْـتَ الـدُّجَى		جَبِينُـهُ البـاهِرُ فِـي القنـدسِ[1]

وجاءت ألفاظ الشعراء رقيقةً في أغلب أشعار الطبيعة التي قالوها، ويمكن القول إن مذهب السهولة قد ساد الحياة الأدبية الشعرية ،ويمكن ملاحظة ذلك من خلال قراءة أشعارهم، من أمثلة ذلك قول ابن زقاعة:

[البسيط]

يا سَادَةً هَجَروا فِي شَهْرِ تِشْرينِ		إِنْ بعْثُموني رِجالُ الحُبِّ تَشْرِينِي

لَمْ أَنْسَ مَجْمَعَنا بِالسَّفْحِ إِذْ لَمَعَتْ		نـارُ الأَحِبَّـةِ مِـنْ أَطْـلالِ حَبْـرونِ

وَنَسْمَةً مِنْ رُبَى ذاكَ المَقامِ سَرَتْ		مَلْفوفَـةً سَحَراً فِـي ثَـوْبِ يَـسْمينِ

وَدَوْحَـةً أَلِفَتْهـا مُزْنُهـا فَبَكَـى		خَوْفَ الفِراقِ عَلَيْها شَهْرُ كانونِ[2]

ويقول الشهاب المنْصوري واصفاً الطبيعة بألفاظٍ سهلةٍ تفيض بالرقة والسلاسة وتمتزج بمفردات الحضارة، ولا يعبر عن ذلك إلا قراءة قصيدة الشاعر:

[الخفيف]

ضَحِكَ الرَّوْضُ مِنْ بُكاءِ السَّحابِ		وَتَوارَتْ شَمْسُ الضّحَى بالحِجابِ

وَتَثَنَّـتْ هِيـفُ الغُـصونِ سُـكارَى		مُـذْ أَدارَ الغَمـامُ كَـأْسَ الـشَّرابِ

وَشَـدَتْ وُرْقُهـا فَكانَـتْ قِيانـاً		آتِيـاتٍ مِـنْ لَحْنِهـا بالـصَّوابِ

وَجَرَى المـاءُ فِـي الغَديرِ فَحَاكَى		صـارِماً مُرْهَفـاً بغَيْـرِ قِـرابِ

قَوَّمَـتْ نَحْـوَهُ الغُـصُونُ رِماحـاً		فَكَـساهُ النَّـسيمُ دِرْعَ حُبـابِ

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 102.

وَثُغُــورُ الأقــاحِ ذاتُ ابْتِــسامِ وَعُيــونُ الغَمــامِ ذاتُ انْــسِكابِ

وَنَــسِيمٌ أضْــحَى عَلِــيلاً رَقِيقــاً لَــمْ يَــذُقْ طَعْــمَ فُرْقَــةِ الأحْبــابِ

لَيْــتَ شِــعْرِي مــا لِلنَّــسِيمِ عَلِــيلاً أتُــرَى بالنَّــسِيمِ فِــي الحُــبِّ مــا بــي

أمْ سَــرَى طارِقــاً دِيــارَ حَبِيبــي فَــانْثَنى خــافِقَ الحَشا ذا اضْطِرابِ[1]

وعرف الشعراء في النار صفة اللمعان والتوهج، فاستخدموا ألفاظ "النـار" و"الـشرار" و"المصباح" والشعلة" و"السيف" في وصف البرق، فهم يستمدون تشبيهاتهم من الواقـع المـشاهد ومما يتناسب مع موصوفاتهم، فهذه الألفاظ تعبر عن البرق بسناه ولمعانه، يقول ابن زقاعة:

[الوافر]

وَبَــرْقٌ لاحَ مِــنْ حَبْــرونَ وَهْنــاً كَمِثْــلِ النَّــارِ تَــسْتَعِرُ اسْــتِعارَا

كَــأَنَّ زِنــادَهُ مِقْــداحُ نــارٍ فَفِــي وَجْــهِ الــدُّجَى يَرْمِــي شَــرارَا

وَسَــلَّ عَلَــى مَــشارِقِهِ سُــيُوفاً وَأضْــرَمَ فِــي المَغــارِبِ مِنْــهُ نــاراً[2]

ويقول أحمد بن محمد شهاب الدين المنُوفي:

[الكامل]

بَــرْقُ المُحَــصَّبِ فِــي الدُّجْنَــةِ لاحــا فَحَــسِبْتُهُ لَمَّــا سَــرَى مِــصْباحاً[3]

ويقول ابن زقاعة:

[السريع]

حَلَّــةُ حَبْــرُونَ الّتِــي بَرْقُهــا كَــمْ قَــدْ رَمَــى فِــي مُهْجَتِــي شُــعْلَةً[4]

واستخدم الشعراء الألفاظ الدالة على الفرح في وصفهم للطبيعة مثل "الغناء"و" التـشبيب" و"التصفيق"، و عكسوا مشاعرهم من خلالها ، يقول ابن الزين لُبيكُم:

[الطويل]

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385-386.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 101 -102.

(3) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 257/1.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 123.

وَغَنَّتْ قِيانُ الطَّيْرِ وَالرِّيحُ شَبَّبَتْ   وَقَدْ صَفَّقتْ مِنْ فَرْحَةٍ راحَةُ النَّهْر[1]

واستعار الشعراء الألفاظ الحربية في وصفهم للطبيعة، وشبهوا مظاهرها بأدوات الحرب ومصطلحاتها، يقول الشهاب المنْصوري:

[الخفيف]

وَجَرى الماءُ فِي الغَديرِ فحاكَى   صارماً مُرْهَفاً بغَيْرِ قِرابِ
قوَّمَتْ نَحْوَهُ الغُصُونَ رِماحاً   فكَساهُ النَّسيمُ دِرْعَ حُبابِ[2]

ويقول شِهاب الدين الباعوني:

[الكامل]

وَلَقدْ سَألْتُ الوَرْدَ عَنْ تَأخِيرهِ   وَقُدومِ أنْواعِ الزُّهورِ أمامَهُ
فأجَابَنِي إنَّ المَلِيكَ إذا أتَى   سَاقَ العَساكِرَ كُلُّها قُدَّامَهُ[3]

ويقول علي بن أيبك:

[المنسرح]

كَأنّمَا اليَاسَمِينُ حِينَ بَدَا   أصْفَرُهُ فِي جَوانِبِ الكَثَبِ
عَسَاكِرُ الرُّومِ نازَلَتْ بَلَداً   وَكُلُّ صُلْبانِها مِنَ الذَّهَبِ [4]

ويقول الشهاب المنْصوري في وصف النيل:

[البسيط]

كَأنَّهُ وَالصَّبَا صُبْحاً تُجَعِّدُهُ   "مِنْ نَسْجِ داودَ فِي الهَيْجَا سَرابيلُ"[5]
كَأنَّ أمْواجَهُ وَالرِّيحُ تَنْشُرُها   صَوارِمٌ بظُباهَا المَحْلُ مَقْتُولُ [6]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 456.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 386.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 6/2.

(4) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 192/2.

(5) الشطر الثاني مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر **ديوانه**، 21.

(6) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 29-30.

فالشعراء استعاروا مفرداتهم من البيئة الحربية، لما عايشوه وشـاهدوه مـن المعـارك والحروب والفتن التي كثرت في عصرهم، أو من باب تفضيل نوعٍ من أنـواع الطبيعـة علـى أخرى وإبرازه، أو محاولةً لرسم موصوفاتٍ جميلةٍ مميزةٍ كما في مقطوعة ابـن أيبـك، ومـن الأمثلة الجميلة أيضا قول ابن زقاعة في وصف النخيل:

[الكامل]

وَكَأَنَّمــا يَــوْمَ الطِّــرادِ تَجَهَّــزَتْ لِلحَــرْبِ بَــيْنَ عَــسَاكِرٍ مُــصْطَفَّةِ
فَجَرِيــدُها مِثْــلُ الــسُّيوفِ تلاعَبَــتْ طَوْراً بــهِ وَالــرُّمْحُ مِثْــلُ القامَــةِ (1)

وكثرت ألفاظ المعادن النفيسة والأحجار الكريمة في أشعار الطبيعة، مثل "السبج"و "الـذهب" و" الزمرد" و"اللجين" و"اللازورد"، فالشعراء عرفوا هذه المعادن الثمينة فشبهوا طبيعتهم بها حتـى يرفعوا من قيمتها ويبرزوا جمالها، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

وَمِــنْ شَــقِيقٍ كَيــاقوتٍ بِــهِ سَــبَجٌ أَوْ خالُــهُ خــالُ مَــنْ أَهْوَى بوَجْنَتِــهِ (2)

ويقول السيوطي:

[البسيط]

وَالنَّــرْجِسُ الغَــضُّ لَــمْ يَغْــضُضْ فَزَهْرُهُ ما (3) بَيْنَ مُنْقَضٍ وَمَزْرُورِ
كَأَنَّـــهُ ذَهَــبٌ مِــنْ فَــوْقِ أَعْمِــدَةٍ مِــنَ الزُّمُــرُّدِ فِــي أَوْراقِ كــافورِ (4)

ويقول ابن حجة:

[البسيط]

وَالياسَــمِينُ كَــأَقْراطِ اللُّجَــيْنِ بَــدَا فَعَطَّلَ الــرِّيحُ مِنْ نَــشْرٍ لَــهُ عِطْرُ (5)

ويقول ابن زقاعة:

[البسيط]

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 192.
(2) **نفسه**، 144.
(3) الصواب حذف " ما " حتى يستقيم الوزن.
(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.
(5) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360، البيت غير موجود في الديوان.

كَـذا البَنَفْـسَجُ فَـوْقَ المـاءِ زُرْقَتُـهُ　　　كَــلازَوَرْدٍ عَلَــى صَــحْنٍ مِــنَ (1)

ولم يغفل الشعراء الألفاظ الدالة على الألوان في لوحاتهم، فهذه الألفاظ تزيـد الـصورة وضوحاً وحيويةً، وتضفي عليها الجمال والروعة وتخرجها في أجمل حلة، يقول ابن زقاعة في وصف الورد الأحمر والأبيض والأصفر:

[الكامل]

وَالـوَرْدُ نـادى يـا زُهورُ أنـا الّذِي　　　لِـي شَـوْكَةٌ أفَمـا تَهـابُوا شَـوْكَتِي

لا تُنْكِرونِــي إنّنِــي سُــلْطانُكُم　　　لا لَـنْ أغِيـبَ فَنـابتِي مِـنْ دَمْعَتِـي

فِــي حُلَّــةٍ حَمْــرا سَــآتِيكُمْ غَـداً　　　مِــنْ شُــقَّةٍ مَــصْبوغَةٍ جُورِيَّــةِ

مِـنْ بَعْـدِهِ فِـي حُلَّـةٍ بَيْـضا لَهَـا　　　عُـرْفٌ يَـضُوعُ كَنِـسْمَةِ الكـافُورَةِ

مِـنْ بَعْدِهِ فِـي حُلَّـةٍ صَفْرَا تَـسُرُّ　　　النَّــاظِرِينَ كَمــا أنــا وَرَسِـيَّةِ (2)

ويقول الشهاب الحِجازي في وصف الأزهار:

[الكامل]

يــا لَيْلَــةً غَـرّاء قَـدْ جَمَعَـتْ لَنـا　　　شَـمْلاً عَلَـيَّ بِهـا الزَّمـانُ تَـصَدَّقا

فِـي رَوْضَـةٍ فِيهـا النَّـسِيمُ مُـشَبِّبٌ　　　وَالـوُرْقُ تَـشْدُو وَالغَمـامُ لَنـا سَقا

عِنْـدَ الـصَّباحِ رَأيْـتُ نَمَّامـاً بَـدَا　　　مَـعَ حُمْـرَةٍ فِـي الـرَّوْضِ قُلْتُ هِـيَ

وَمُراقِبـاً مِـنْ نَـرْجِسٍ قَـدْ رَاعَنِـي　　　وَمِنَ البَنَفْـسَجِ لِـي عَدُوّاً أزْرَقـاً (3)

واستخدموا الألفاظ التي تعبر عن حالتهم النفسية السيئة مثل "الهم" و "الحزن" و"اللهيـب" و"النار"، يقول شمس الدين النواجي:

[البسيط]

أكابِـدُ اللَّيْـلَ فِـي هَـمٍّ وَفِـي حَـزَنٍ　　　وَفِـي لَهِيـبٍ وَفِـي نـارٍ وَفِـي فِكَـرِ

لا يَنْقَـضِي الـبَعْضُ إلاّ عـادَ أوّلُـهُ　　　كَأنَّمـا هُـوَ مَخْلُـوقٌ بِـلا سَـحَرِ (4)

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 104.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 197 -198.

(3) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 80.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 248.

واستخدم الشعراء كثيراً من الألفاظ والتعبيرات الفارسية والتركية والرومية التي تسللت إلى لغتهم العربية ،بسبب انفتاح العلاقات مع الأمم الأجنبية واختلاطهم بهم في مجالات الحيـاة المختلفة مثل ألفاظ "النارنج" و"الميزاب" و"الـشربوش" و"الفـوانس" و"الأذريـون" و"الزبرجـد" و"الديباج" والنسرين" وغيرها من الألفاظ التي أصبحت جزءا من لغتهم ومن حياتهم اليومية [1]، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

هَبَّ النّسِيمُ عَلَى نارَنْجِها فبَكَى ... مِنْ عَسْجَدٍ أكَراً بَيْنَ الجَواكِينِ [2]

ويقول أيضاً:

[البسيط]

كَذا البَنَفْسَجُ فوْقَ الماءِ زُرْقتُهُ ... كَلازَوَرْدٍ عَلَى صَحْنٍ مِنَ الصِّينِي [3]

ويقول:

[الخفيف]

غَرّدَ الطَّيْرُ وَالبَلابِلُ فِيها ... فِي ظِلالِ الكُرومِ وَالأعْنابِ

أرْدَفَتْها مَحاجِرٌ مِنْ عُيونِي ... بدُموعِ سَيّالَةِ المِيزابِ [4]

ويقول:

[البسيط]

فَوانِسٌ مِنْ عَقِيقٍ تَحْتَها فُرِشَتْ ... بُسْطٌ مُطَرَّزَةٌ مِنْ زَهْرِ نِسْرِينِ [5]

ويقول:

[البسيط]

وَالجُلنّارُ كَأعْرافِ الدُّيوكِ وَقدْ ... تَحْكِي عَصارَتُهُ دَمْعَ المُحِبِّينَ [6]

---

(1) ينظر، سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر المملوكي**، 159/3.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 104.

(3) **نفسه**، 104.

(4) **نفسه**، 114.

(5) **نفسه**، 104.

(6) **نفسه**، 103.

ويقول في وصف المشمش:

[الوافر]

سَـــماءُ زَبَرْجَـــدٍ نَثْـــرَتْ عَلَيْنـــا كَواكِـبَ مِـنْ عَجـينِ الزَّعْفـرانِ [1]

ويقول في وصف النجوم:

[الكامل]

نَثْـــرَ الكَواكِـــبَ كُلَّهـــا كَـــدَراهِمٍ نُثْرِتْ عَلَى دِيباجِ أحْسَنَ شُقَّةٍ[2]

ويقول ابن حِجةَ الحموي:

[مجزوء الكامل]

وَحَمَـــــاحِمُ الرّيْحَـــــانِ قَـــدْ وَافَـــى بِـــشَرْبُوشٍ مُقَنْـــدَسْ[3]

ويقول أيضا:

[مجزوء الرجز]

كَـــــأَنَّ آذَرْيُونَهـــــا وَنَـــــوْرَهُ قَـــــدْ أبْهَجـــا

وَمِـــــيضُ بَـــــرْقٍ لامِـــــعٍ فِـــي جُـــنْحِ لَيْـــلٍ قَـــدْ دَجـــا[4]

ويقول علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن العبي الحلِبي:

[الكامل]

أُنْظُرْ إلَى الـرَّوْضِ البَدِيعِ وَحُـسْنِهِ وَالزَّهْـــرُ بَـــيْنَ مُـــنَظَّمٍ وَمُنَـــضَّدِ

وَالجُلّنـــارُ عَلَـــى الغُـصُونِ كَأَنَّـــهُ قِطَعٌ مِنَ المَرْجانِ فَوْقَ زَبَرْجَدِ[5]

وكان للألفاظ الدينية أثر كبير وواضح على لغة الشعراء، وعكست ثقافتهم ومعلومـاتهم الدينية التي مزجوها بأشعارهم وجاؤوا بصورٍرائعةٍ، وأشعارٍ عذبةٍ لا تخلو من الجمـال، فقـد

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 200.

(2) **نفسه**، 179،.

(3) محمود، سميحة، **الحجة في سرقات ابن حجة**، 522، البيت غير موجود في الديوان.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 89-90، الأبيات غير موجودة في الديوان.

(5) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 161/8.

تواصلوا مع الموروث الديني وضمنوا أشعارهم بعض الآيات والأحاديث المشهورة بين النـاس، يقول أبوالفضل ابن أبي الوفاء:

[الرمل]

وَالرُّبَـــا مُخْــــضَلَّةٌ يانِعَـــةٌ مُشْتَهاةٌ، "وَجَنَى الجَنّاتِ دانْ"[1]

وَتَـــرَى أعْيُنَهـــا نَـــضّاخَةً وَتَرَى "فِيهِنَّ خَيْراتٍ حِسانْ"[2]

فالشاعر اقتبس آياتٍ قرآنية وضمنها في شعره، ويقول صدر الدين الآدمي:

[الطويل]

فَكَـمْ لَيْلَـةٍ بِتْنـا يُهَـدِّدُ فَجْرُهـا بِثُعْبـان شَـعْرٍ أزْرَقِ اللَّـوْنِ مَـاهِرِ

فَلَـمْ يَتَـنَفَّسْ صُـبْحُها أبَـداً وَإنْ أفـاقَ تَغَـشَّتْهُ بِتِلْـكَ الـضَّفائِرِ[3]

فالشاعر يشير إلى الآية القرآنية (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[4]، ويقول ابن زقاعة:

[الكامل]

ثُـمَّ انْظُـرُوا الأزْرَارَ مِـنْ فَرْجِيَّتِـي فِيهـا مَنـافِعُ مِثْـلُ أَلْـفِ رَجِيَّـةِ

هَـاتُوا عُهُـودَ اللَّـهِ لِـي وَتَحَقَّقُـوا إنّ الـسّما يَـوْمَ النُّـشُورِ كَـوَرْدَةِ[5]

فالشاعر يستعين بالتعبير القرآني (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)[6]، ويقول أبو بكر الدماميني متأثراً بالقرآن في وصف حر بلدةٍ اسمها قوص:

[الكامل]

فَـارْحَمْ وَدَارِكْنـا فَقُـوصٌ حَرُّهَـا يَحْكِي لَظَى "وَقِنا عَذابَ النَّـارِ"[7]

فهو متأثر بقول ا (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[8]، ويقول علي بن محمد العوفي المناوي:

---

(1) من قوله تعالى: " وجنى الجنتين دان "، **سورة الرحمن**، آية 54.

(2) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 192، والشطر الثاني من قوله تعالى: (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ)، **سورة الرحمن**، آية 70.

(3) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 449-450.

(4) سورة **التكوير**، آية 18.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 198.

(6) سورة **الرحمن**، آية 37.

(7) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 108، وقوص: بلدة قبطية في صعيد مصر، ينظر: الحموي، ابن ياقوت، **معجم البلدان**، 413/4.

(8) سورة **آل عمران**، آية 16.

[البسيط]

أتَــى لِمَكّــةَ سَـيْلٌ قــدْ أحَــاطَ بهــا   فَأغْرَقَ النّـاسَ لَـيْلاً وَهْوَ يَغْشَاهُمُ

فَعِنْـدَ هَـذا لِـسَانُ الحَـالِ أخْبَرَنــا   هَـذا جَـزَاؤُهُمُ "مِمَّـا خَطايـاهُمُ"[1]

في إشارة إلى قوله تعالى:(مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)[2]، ومن الألفاظ الدينية التـي استعان بها الشعراء على رسم صورهم قول ابن حِجة الحموي:

[البسيط]

وَالطَّيْـرُ تَقْـرَأُ تَجْوِيـداً وَإنْ وَجَـبَ   سُـــجُودُ كَـــانَ لِغُــصْنِ البـــانِ[3]

ويقول الشاعرعلي وفا السكنْدري الشاذِلي:

[الخفيف]

لَـوْ رَأتْـهُ شَـمْسُ الـضُّحَى إذْ تَجَلّـى   مِثْلَ بَدْرِ الـدُّجَى هَوَتْ للسُّجُودِ[4]

ويقول أبو الفَضلْ ابن أَبِي الوفَاء:

[الطويل]

حَمَائِمُهـــا قُرّاؤُهـــا وَغُــصُونُها   كَـــــراسٌ وَأوْراقُ الغُــــصُونِ[5]

ويقول ابن خَطِيب داريا:

[السريع]

كَأنَّمـــا شُـــحْرُورُها رَاهِـــبٌ   يُـــرَدِّدُ الإنْجِيــلَ فِــي بُــرْنُسِ[6]

ويقول ابن صدر الدين الآدمِي:

[الرمل]

سَبَّحَ القُمْـرِيُّ فِـي الـرَّوْضِ وَغَـرّدْ   فَحَـسِبْنا أنّ فِـي الرَّوْضَـةِ مَعْبَـدْ[7]

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 11/6.

(2) سورة **نوح**، آية 25.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 113.

(4) الشاذلي، علي وفا السكندري، **ديوانه**، 99.

(5) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(6) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

(7) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 201/8.

فالشعراء استعانوا بالألفاظ الدينية وجاؤوا من خلال مزج هذا الوصف باللغـة الدينيـة بصورٍ رائعةٍ وجميلةٍ، ومن الصور الجميلة قول ابن زقاعة:

[الكامل]

فَكَأنّمـــا الأطْيـــارُ فِـــي دَوْحاتِهـــا خُطَباً أُقِيمَـتْ فِـي مَنـابِرِ جُمْعَـةِ[1]

ومن التوجيه بالحديث الشريف قول أبي بكْر الدمامِيني:

[مخلع البسيط]

قُلْـــتُ لَـــهُ: وَالـــدُّجَى مُـــوَلٍّ وَنَحْـــنُ فِـــي الأُنْـــسِ بِـــالتَّلاقِي

قَـدْ عَطَـسَ الـصُّبْحُ يـا حَبِيبِـي فَـــلا تُـــشَمِّتْهُ بِـــالفِراق[2]

في إشارة إلى قول الرسول - صلى ا عليه وسـلم- "إذا عطـس أحـدكم فحمـد ا فشمتوه"[3].

وأكثر الشعراء من استخدام لفظي "الجبر" و "الكسر" في حديثهم عن نهر النيل ووفائـه، وساقوا المطابقة بينهما، كما استغلوا مفردات "الوفاء" و "الزيادة" في وصفهم للنهـر[4]، يقـول النواجِي في الوفاء:

[البسيط]

الحَمْدُلِلَّـــهِ وَافَـــى نِيلُنـــا وَوَفَـــى وَبَـلَّ غُلَّـةَ قَلْـبٍ كـانَ قَـدْ نَـشَفَا[5]

ويقول الشهاب المنْصوري:

[الخفيف]

أيّهـــا النّيـــلُ إنَّمـــا أنْـــتَ غَـــوْثٌ لأُنـــاسٍ يَـــرَوْنَ كَـــسْرَكَ جَبْـــرَا

فاسْـعَ فِـي أرْضِ مِـصْرَ وَاجْـرِ زَادَكَ اللَّـــهُ مِنْـــهُ خَيْـــراً وَأَجْـــرَا[6]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

(2) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 117.

(3) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، **رياض الصالحين**، 365 .

(4) ينظر: سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 369/7.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 119.

(6) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 291.

وقد أحسن الشاعر توظيف التورية في قوله" وأجرا"، ويقول أحد الشعراء في وفاء النيل عام 789هـ:

[الطويل]

أَرَى النِّيلَ قَدْ وَفَّا وَزَادَ وَلَمْ يَزَلْ   يَجُودُ عَلَى أَهْلِ القُرَى بِالمَكَارِمِ[1]

أما ألفاظ النحو فقد احتلت حيزاً في شعر ذلك العصر، فاستعان الشعراء بمفردات النحو التي جاءت منسبكةً أحياناً وثقيلةً بعيدةً عن الانسجام والانسباك في أحيانٍ أخرى[2]، فالشاعر السيوطي يصف روضةً ويمزج لغة وصفه لها باستدعاء ألفاظ النحو التي جاءت منسبكةً في قصيدته لا يحس القارئ فيها بأي تنافرٍ أو تثاقلٍ، يقول:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ نَصَبَتْ أَغْصَانَهَا وَغَدَا   ذَيْلُ الصَّبَا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمَجْرُورِ

قَدْ جُمِعَتْ جَمْعَ تَصْحِيحٍ جَوانِبُها   وَالمَاءُ يُجْمَعُ فِيهَا جَمْعَ تَكْسِيرِ

وَالرِّيحُ قَدْ أَطْلَقَتْ فِيها العَنَانَ بِهِ   وَالغُصْنُ مَا بَيْنَ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرِ

وَالرِّيحُ تَجْرِي رُخَاءً فَوْقَ بَحْرَتِها   وَمَاؤُهَا مُطْلَقٌ فِي زِيٍّ مَأْسُورِ

وَالمَاءُ مَا بَيْنَ مَصْرُوفٍ وَمُمْتَنِعٍ   وَالظِّلُّ مَا بَيْنَ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورِ[3]

ولعل اهتمام الشاعر بموضوع النحو في بعض مصنفاته هو الذي أملى عليه توظيف أسلوب النحو في شعره لتأثره به، ومن الصور الجميلة قول ابن حِجة الحموي:

[البسيط]

وَالمَدّ فِي أَلِفَاتِ الرَّوْضِ بَانَ لَنَا   فَحَرّكَتْ مِنْ عُقُودِ الدَّهْرِ [illegible][4]

ويجمع ابن مِليك الحموي بين ذكر ألفاظ النحو وذكر مصطلحات المحدِثين :

[الكامل]

وَالرَّوْضُ بِالرَّيْحَانِ خَرَّجَ أَسْطُراً   أَضْحَتْ غُصُونُ البَانِ مِنْ [illegible][5]

---

(1) ابن إياس الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**،ق2، 146/3.

(2) ينظر: الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 424-425.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.

(4) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 113.

(5) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)**، 419، نقلاً عن **ديوانه** 51.

ويقول الشهاب المنْصوري:

[الرجز]

كَأَنَّمــــا كُــــلُّ حَمَــــامٍ هَمْــــزَةٌ يَحْمِلُهَــا مِــنْ كُـلِّ غُـصْنٍ أَلِـفُ[1]

ويقول ابن حِجة ملغزاً في قصب السكر:

[الطويل]

وَهَمْزَاتُها هَمْزَاتُ وَصْلٍ وَقَطْعُها إِذا مَا أُمِيلَتْ جَائِزٌ لَكَ يَا مَقْرِي[2]

ومن المقاطيع التي جاء النحو فيها ثقيلاً لم يمتزج امتزاجاً عضويا، قـول ابـن حِجـة الحموي مهنئاً السلطان مؤيد شيخ بن عبد ا المحمودي وقد كسر سد النيل بعد ارتفاع منسوبه:

[الطويل]

أَيَــا مَلِكــاً باللَّـــهِ صَــارَ مُؤَيَّــداً وَمُنْتَـصِباً فِـي مُلْكِـهِ نَـصْبَ تَمْيِيـز

كَـــــسَرْتَ بِمَـــــسْرَى سَـــــدٍّ وَحَقِّكَ بَعْدَ الكَسْرِ أَيَّامُ نَـوْرُوز[3]

فواضح تكلف الشاعر ونفور مفردات النحو التي أقحمت بالبيت الشعري ولم يجر لهـا اختزالٌ أو تشريح فبرزت واهية التأثير غريبة[4].

ودخلت اللغة العامية وتعبيراتها إلى لغة الشعر كقول الشاعر النواجي في الصيف:

[السريع]

قَـدْ أَقْبَـلَ الـصَّيْفُ وَوَلّـى الـشّتَا فَقُلْـتُ وَالجِـسْمُ بِـهَ فِـي التِهَـابْ

فَعَلْـتَ بِـي يَـا صَـيْفُ مَـا لَـمْ يَكُـنْ "يُلْـبَسُ وَاللَّـهِ عَلَيْـهِ الثِّيَـابْ"[5]

"فتعبير يلبس عليه الثياب تعبير عامي شائع تردده النسوة بمعنى لا يطاق ولايحتمل"[6]. واستخدم الشعراء الضرورات الشعرية في شعرهم، فقد أجازت العرب للشعراء الزيادة والنقص

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة**، 169/1.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 112.

(3) **نفسه**، 87.

(4) ينظر: الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 425.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 339.

(6) سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 474/8

في الشعر دون غيرهم لأن الشعر موضع ألفت فيه الضرائر[1]، ومن ذلك قصر الممدود كقـول ابن حِجة الحموي:

[الكامل]

وَلِمُهْجَتِـي حُبّـاً بِفاكِهَـةِ الـشّتَا ... فَالنَّـارُ مِنْـهُ إذا طَلَبْـتِ تَفَكّهِـي[2]

فقد قصر الممدود في لفظة "الشتا" حتى يستقيم الوزن الشعري، ومثله قول النواجي:

[الكامل]

جَمُدَتْ عُيُونُ الأَرْضِ فِي فَصْلِ ... جَزَعـاً وَنَفْـسُ الـصَّيْفِ مِنْـهُ

ومن الضرورات التي وصفها النواجي بالقبح حذف الهمزة المكسورة من كلمة القـارئ في قول ابن حِجة[4]:

[البسيط]

هَـذَا وَفِـي أَلِفـاتِ الـرَّوْضِ قَـدْ ... لَنـا عَلَـى نَغْمَـةِ القَـارِي إِمـالاتُ[5]

ومن هذه الضرورات صرف كلمة "قناديل" وحذف ياء "عناقيد" للضرورة في قول ابـن زقاعة:

[الكامل]

وَمُعَرَّشَـاتُ الكَـرْمِ تَحْـسَبُ أَنَّهَـا ... مِثْـلُ الخِيـامِ الـسُّنْدُسِ المَنْـصُوبَةِ

وَقُطُوفُهَـا تَحْكِـي قنـادِيلاً إِذَا ... أَرْخَـتْ عَنَاقِـدَهَا ثُـمَّ تَـدَلَّتِ[6]

وصرف كلمة "حماة" في قول ابن حِجة الحموي:

[السريع]

مَـرْجُ حَمَـاةٍ بِنَـواعِيرِهِ ... زَادَ عَلَى المِقْيَاسِ فِي رَوْضَتِهْ[7]

---

(1) ينظر: الإشبيلي، ابن عصفور، **ضرائر الشعر**، 7.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 49.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 339.

(4) ينظر: محمود، سميحة، **الحجة في سرقات ابن حجة**، 577.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 113.

(6) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 194.

(7) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 90.

وقوله أيضاً وقد صرف مصر:

[الكامل]

لَكِـنْ سَـمِعْتُ بِـأَنَّ مِـصْراً جَنَّـةٌ   أَضْحَى لَها النِّيلُ المُعَظَّمُ كَوْثَراً(1)

ومن ذلك إيراد الألف بعد السين الثانية في " سوسان" إشباعاً للمد من أجل الـوزن فـي قول ابن زقاعة:

[البسيط]

كَأَنَّمـا أُلْبِـسَتْ مِـنْ نَـرْجِسٍ حُلَـلاً   وَمِنْ خُزامٍ وَسَوْسَانٍ وَمَرْسِينِ(2)

أو إيراد كلمة الياسمين بدون ألف، كقوله أيضاً:

[البسيط]

وَنَسْمَةٌ مِنْ رُبَى ذاكَ المَقامِ سَرَتْ   مَلْفُوفَةٌ سَحَراً فِي ثَوْبِ يَسْمِينِ(3)

ومنها تحويل جمع التكسير أنياب إلى جمع مؤنث سالم "نابات" يقول:

[الكامل]

وَالمَـوْزُ كَالنَّابـاتِ مِـنْ أَفْيالِهـا   مَـصْبُوغَةً بِـالزَّعْفَرانِ وَصُـفْرَةِ(4)

وأورد الشاعر لفظ" قطعا" من غير تاءٍ لضرورة الشعر فـي وصـف كوكـب يـدعى الغراب:

[الخفيف]

وَغُرابُهَـا يَحْكِـي غُرابـاً زاحِفـاً   رِجْلاهُ قَدْ قُطِعا نِسَاراً بِرَجْفَةِ(5)

ومنها تحويل التاء المربوطة إلى ألف لأغراض المد في " سارة" عند وصفه لعين مـاءٍ في مدينة الخليل، يقول:

---

(1) النواجي، شمس الدين، **الحجة في سرقات ابن حجة**، 333، البيت غير موجود في ديوانه.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 103.

(3) **نفسه**، 102.

(4) **نفسه**، 193.

(5) **نفسه**، 184، الشطر الثاني مكسور.

[الوافر]

وَلَـمْ أنْـسَ الطّلُـولَ وَدَيْـرَ بَحّـا   وَأعْلامـاً بَـدَتْ مِـنْ عَـيْنِ سَـارَا

وَحَـسْكا ثُـمَّ رَامَتَهَـا وَيَطّـا   وَكَانَـاراً وَكُـرْزَا وَالمَغَـارَا[1]

ويميل فخر الدين ابن مكانِس إلى التلاعب بالألفاظ واستخدام اللغة العامية في قوله:

[الطويل]

إذا جَيْشُهُ مِثْلُ الجَرادِ تَبَادَرُوا   فمـا قُضُبُ الأعْداءِ إلاّ جَرائِـدُ[2]

فالشاعر يقصد بالجرائد سعف النخل[3]، والشعراء "كانوا يـستعيرون الألفـاظ العاميـة تظرفا للإفادة من الطاقة التعبيرية للفظ"[4].

واتصف شعر بعض الشعراء بالضعف والركاكة وجاء ضعيفاً مشوهاً، من ذلك قول ابن سودون:

[الطويل]

بها المَوْزُ عِنْدَ البَيْعِ يُوزَنُ قِشْرُهُ   وَيَأْكُلُـهُ البَطْـرَانُ ثـمّ إذا عَـرَا[5]

فهذا الكلام المرصوف لا يساوي من الشعر شيئاً، وليس له قيمـةٌ جماليـةٌ أو فنيـةٌ، ويقول الشاعر أيضاً:

[البسيط]

أُنْثَـاهُ زَوْجُهـا الـذّكْرُورُ بَيّـضَهَا   إذْ سَـوّدَتْهُ وَزَوّاهَـا بِتَنْيِيـلِ[6]

ومن الألفاظ التي اتسمت بالسهولة والعامية قول فخر الدين ابن مكانِس:

[البسيط]

خَمَائِـلُ الـرّوْضِ مَنْـشاهَا   ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْواءِ

فَاسْـتَمْهَدَتْ دَوْحَهـا المُخْـضَلَّ   نَجْمَ الرُّبا وَرَقتْ عَرْشاً عَلَى

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 100، الشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

(2) ابن مكانس، فخر الدين، "غير مرقم الصفحات .

(3) جاد الرب، إبراهيم الدسوقي، **ابن مكانس والشعر في عصر المماليك**، 177.

(4) محمد، محمود سالم، **أدب الصناع وأرباب الحرف**، 380.

(5) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 183.

(6) **نفسه**، 193، والشطر الأول مكسور.

قريـرَةُ العَـيْنِ بـالأنْواءِ بـارِدَةُ ال قلْـبِ الّـذِي لَـمْ تَنَلْـهُ غَيْـرَ سَـرّاءِ
مَالَــتْ عَلَــى النّهْــرِ إذْ جَــاشَ كَأنّهــا أذُنٌ مَالَــتْ لإصْــغاءِ[1]

"فالألفاظ منشاها ومرضعها، واستمهدت وافترشت، ورقت، والأنواء، وقريـرة العـين، وباردة القلب... إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الأبيات، هي ألفاظ وتعابير متداولـةٌ بـين عامة الناس، وليست غريبةً على الأمي في ذلك العصر، ومع ذلك فقد استطاع الـشاعر بتلـك الألفاظ أن يبين مواضع الجمال في تلك السرحة، والشجرة التي يصفها"[2].

ولعل ابن سودون يمثل مذهب السهولة والعامية والفكاهة الذي ساد ذلك العـصر، فهـو يصور مزاج المصريين الفكه، وفكاهته تقوم على ضروبٍ من المفارقة المنطقية تجعل الـشاعر يشعر بعدم التوازن على شاكلة قوله في وصف الربيع[3]:

[البسيط]

إلَـى الرَّبيـعِ أرَى الأهْواءَ تَلْوِينِي لَمَّـا بَـدَا زَهْرُهُ فِـي حُسْنِ تَكْوِينِ
وَعَطَّـرَ الأرْضَ نَـشْرُ الفُـولِ حِينَ نُــسَيْمَةً سَــحَراً مِنْــهُ تُحَيّينِــي
كَــأنَّ زَهْرَتَــهُ أمّ الخُلُــولِ إذَا فَلّقْتَهَــا فَــوْقَ نَعْنَــاعٍ بِــصَحْنُونِ
وَكَـادَ يُـشْبِهُ تـاجُ القَمْـحِ بامِيَـةً لَـوْلا شُـعُورٌ كَـأعْرَافِ البَـراذِينِ[4]

ومن يراه يتحدث عن الربيع في البداية يظن أنه سيواصل الحديث عنه، وإذا به يـذهب للحديث عن النشر الفائح من نبات الفول وإلى زهره الذي يشبه صدفة ام الخلول التي يطعمهـا المصريون واضعين على الخلول النعناع والبهارات، أما القمح فتشبه سنابله البامية لولا ما يتدلى من سنابله من شعورٍ كأعراف البغال[5].

ووصل الأمر به إلى الهزل والسخرية في انتهاجه لهذا المذهب العامي:

[المتدارك]

عَجَــبٌ عَجَــبٌ هَــذا عَجَــبُ بَقَــرا تَمْــشِي وَلَهــا ذَنَــبُ[6]

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، " غير مرقم الصفحات ".
(2) النجادي، موسى، **وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول**، 267.
(3) ينظر: ضيف، شوقي، **عصر الدول والإمارات، مصر**، 396.
(4) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 149.
(5) ينظر: ضيف، شوقي، **عصر الدول والإمارات – مصر** -397.
(6) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس ومضحك العبوس**، 152.

وظهرت بعض الألفاظ التي تبتعد عن حدود اللياقة والأدب مثل قول الشهابِ المنْصوري الذي لم يصرح باللفظ مباشرة إنما اقترب منه في قوله في السماء والنيل:

[السريع]

قالَــتْ لَنــا وَالبَحْــرُ مِــنْ حَوْلِهــا وَالمَــوْجُ فِــي أرْجائِــهِ يَلْعَــبُ

مَــــا أطْيَــــبَ النِّيــــلَ لِــــزُوّارِهِ قُلْــــتُ لُهــــا تَــصْحِيفُهُ أطْيَــبُ[1]

ثانيا: الأسلوب

الأسلوب "هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه"[2]، "أو هو إطـار الفكرة، والقالب الفني الذي يصب فيه الأديب أفكاره"[3].

واستخدم شعراء العصر المملوكي الثاني أساليب كثيرة لصياغة تصويراتهم وتـشبيهاتهم وإيصال أفكارهم إلى السامعين والمتلقين لهذا الشعر، ومن أهم الأساليب التي اسـتخدموها هـم ومن قبلهم من الشعراء الأسلوب القصصي، فقد مال الشعراء إلى القص والـسرد فـي بعـض الأحيان، فالشعر القصصي يصف نواحي المجتمع، وقد قصر شعراء العصر المملوكي الثاني في ميدانه، وفي مجال القص والتفصيل والتحليل والتعليل[4]، ومن الأمثلة على الأسلوب القصـصي قول ابن زقاعة في وصف الفرس:

[السريع]

وَحِجْــرَةٍ فِــي النَّــوْمِ أبْــصَرْتُها حَمْــرَا كَلَــوْنِ الــوَرْدِ أوْ مِثْلَــهْ

رَأيْتُهــا تَرْعَــى عَلَــى سِــدْرَةٍ أوْراقُهــــا بِالــــدَّمْعِ مُخْــــضَلَّهْ

تَمْشِي عَلَـى الأغْصَانِ لا تَخْشَى تَزَلُّــــقَ الحــــافِرِ أوْ نَعْلَــــهْ

وَكَــــانَ قَــــدْ نَــــادَمَنِي خَــــادِمٌ لِحْيَتُــــــهُ بِالــــــدَّمْعِ مُبْتَلَّــــــهْ

فَقُلْــتُ يــا شَــيْخُ لِمَــنْ هَــذِهِ قَــــالَ لإِبْــــراهِيمَ ذِي الخِلَّــــةِ

مَــشَى وَنَاداهــا فَجَــاءَتْ لَــهُ تَــــدْرُجُ كَــــالطَّيْرِ عَلَــــى قِلَّــــةِ

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 286.

(2) الشايب، أحمد، **الأسلوب**، 44.

(3) حسين، فؤاد حسن، **شعر الجهاد الشامي في مواجهة الصليبيين**، 230.

(4) ينظر: سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 198/8.

وَقَـالَ لِـي خُـذْ هِبَـةً نِـصْفُها ... مِـنَ الخَلِيـلِ الوَاضِـعِ المِلّـة

وَاقْبَـلْ هِباتِنـا بِـلا كُلْفَـةٍ ... فَأَنْـتَ مِـنْ قَـوْمٍ يَـرَوْا فَـضْلَة

قُلْـتُ قَبِلْـتُ النّـصْفَ يـا سَـيِّدِي ... فَقـالَ لِـي: مَيْمُونَـةٌ سَـهْلَة

وَقـامَ مِـنْ سَـاعَتِهِ شَـدّها ... وَشَـدّ سَـرْجاً فَوْقَـهُ طَبْلَـة

فَارْكَبْ عَلَى اسْمِ اللَّـهِ فِي سُرْعَةٍ ... وَسِـرْ إِلـى الأَقْـصَى وَمَـا مِلَّـة[1]

وللشاعر سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم الأبشطي الشافعي قصيدةٌ في وصف وقوع الفيل في القنطرة، اتبع فيها أيضا أسلوب السرد والقص، بدأ فيها بحكمٍ مستوحاةٍ من تجاربه في الحياة، وكثيراً ما اتبع أسلوب النصح والإرشاد في توجيه الناس، يقول الشاعر واصفاً وقوع الفيل في القنطرة وذله من بعد عزه وإتيان الناس راكبين على الحمر والخيول لمشاهدة هذا الحدث:

[البسيط]

يَـا مَنْ لَـهُ فِـي دَوامِ العَيْشِ تَأْمِيلُ ... لا تَغْتَـرِرْ إِنّـهُ فِـي العُمْـرِ تَطْوِيـلُ

فَهَـذِهِ الـدّارُ لا يَبْقَـى بِهـا أَحَـدٌ ... لَكِنْ زَمَانُ مَجِيءِ المَوْتِ مَجْهُولُ

وَلا وُحُـوشٌ وَلا طَيْـرٌ وَلا سُـبُعٌ ... وَلا جِمـالٌ لَهَـا فِـي الأَرْضِ تَحْمِيـلُ

النّسْرُ تَفْنَى مَعَ العُمْرِ الطّوِيلِ كَذا ... يَفْنَـى بِهـا مَـعْ عَظِيمِ القُوّةِ الفِيـلُ

أَمَـا تَـرَاهُ أَتـاهُ المَـوْتُ أَخْرَجَـهُ ... يَـسْمُو بِـهِ العَـرْضُ بَـيْنَ النّـاسِ مَشْيُـهُ

حَتّـى أَتَـى لِنَفـاذِ العُمْـرِ قَنْطَـرَةً ... مَشَى عَلَيْها وَمَنْ يَعْلُوهُ مَشْغُولُ

فَلَـمْ تُطِـقْ ثِقْلَـهُ هاتِيْـكَ فَانْخَرَقَـتْ ... بِـهِ وَجَـاءَ بِـذاكَ القَـالُ وَالقِيـلُ

وَذُلّ مِنْ بَعْدِ عِزٍّ كـانَ فِيـهِ وَمَنْ ... يُعَـزُّ فَهْـوَ بِـذُلّ المَـوْتِ مَـذْلُولُ

مِـنْ كُـلّ فَـجٍّ أَتَـوْهُ يَنْظُـرونَ لَـهُ ... تَعَجُّبـاً وَلِكُـلٍّ فِيـهِ مَعْقُـولُ

أَتَـوْا مُـشاةً وَرُكْبانـاً عَلَـى حُمُـرٍ ... مِنْهـاَ سَـمِينٌ وَمِنْهـا الـبَعْضُ ...[2]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 124-125.

(2) السخاوي، شمس الدين، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 398/1-399.

ووصف الشعراء الرحلة سواء كانت في البر أو في البحر بأسلوب القص المثير، فـابن حجر العسقَلانِي يذكر سفره في السفينة وتشوقه لأهل مصر وغربته ومؤانسته للكواكب وطـول الدجى وفراق الحبيب في أسلوبٍ جميلٍ، يقول:

[الطويل]

أأحْبابُنـا أُصْلِيْتُ فِي البَحْرِ بَعْدَكُمْ بنـارِ وَأَنْـتُمْ فِـي ريـاضٍ وَأنْهـارِ

رَمَتْنِـي النّـوى حَتّـى رَكِبْتُ مَطِيّـةً أَحادِيثُهــا فِيهــا غَرائِــبُ أَسْـمارِ

إذا الــسّهْلُ أَوْفَــى أَبْطَــأَتْ فِــي وَتُسْرِعُ فِي الأَمْواجِ سَيْراً بِأَوْعارِ

وَجَارِيَـــةٌ لَكِنّهـــا تَـــسْتَرِقُّ مَـــنْ تَـبَطَّنَ فِيهَـا مِـنْ عَبِيـدٍ وَأَحْـرارِ[1]

ومن الأمثلة على القصة وصف شمس الدين النواجي للرحلة في مدح النبي – صلى ا عليه وسلم- ووصف الناقة والصحراء التي قطعتها[2]، وهذا الأسلوب القصصي فـي وصـف الرحلة والناقة والصحراء كان تقليداً اتبعه شعراء المدائح النبوية وسار على هذا النهج شـعراء العصر المملوكي الثاني.

ولفخر الدين ابن مكانِس قصةٌ في وصف ثورٍ وحمارٍ، مر ذكرها فـي الحـديث عـن الحيوان، ويذكر أحد الباحثين أن الشاعر استقى موضوع هذه القصة من كتاب ألف ليلة وليلة مع تغييرٍ وزيادةٍ أضافت إلى مغزى القصة جديداً، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لا بد وأن يكـون قد قرأ هذه القصة قي الكتاب ونسج منظومته على منوالها[3]، والجدير بالذكر أن الـشاعر بـدأ قصيدته بالحكم الداعية إلى قلة الكلام وعدم التدخل في شؤون الآخرين وختمها أيضا بالحـديث عن أن الصمت هو أفضل من الكلام[4]، ويشار إلى أن كثيراً مـن الموضـوعات التـي كـان الشعراء يركزون عليها في أشعارهم غابت في هذا العصر أو جاءت ضئيلةً جداً مثـل غيـاب صورة المعركة في صيد الطرائد ووصف الظعن والقباب والرحلة والـصحراء وغيرهـا مـن الموضوعات التي وجدت بكثرةٍ في دواوين الشعراء السابقين.

ويلاحظ أن الشعراء انتهجوا السهولة والوضوح وابتعـدوا عـن الغرابـة والوعـورة والصعوبة في كثيرٍ من ألفاظهم، "فجميلٌ أن يعمد الشاعر إلى اللفظ المأنوس الجذاب، ويتجنـب النافر الوحشي، فالتصنع والتكلف سعياً وراء الإغراب والتعقيد أوالتحدي، أو بناء على الطلـب

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 179-180.

(2) ينظر: عبدالهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 60-61.

(3) ينظر: جاد الرب، إبراهيم الدسوقي، **ابن مكانس والشعر في عصر المماليك**، 268-269.

(4) ينظر: ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

وإظهار المقدرة، صنعة منفرة "[1]، ومن الأمثلة على أسلوب السهولة الذي انتهجه الشعراء قول الشاعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ قَدْ تَهادَتْها الصَّبا دُوَلاً   وَزَيَّنَتْهـــا بـــأَنْواعِ التَّراتِيـــبِ

طَلاسِـمُ العِـشْقِ مِـنْ أَغْـصَانِها   فَـلا قُلـوبَ إِلَيْهـا غَيْـرُ مَجْلُـوبِ

تَحَكَّمَتْ نَسَمَاتُ الرَّوْضِ فَابْتَدَعَتْ   تَسَلْسُلَ المـاءِ فِـي دَوْرِ الـدَّوالِيبِ

وَالطَّيْـرُ تَهْتِـفُ وَالأَغْصَانُ مائِلَـةٌ   بِكُلِّ زَوْجٍ بَهِيجِ الحُسْنِ مَخْضُوبِ

كَأَنَّمـا قُـضُبُ البانـاتِ إِذْ خَطَـرَتْ   عَرائِسٌ زَهِيَتْ بِالمِسْكِ وَالطِّيـبِ[2]

ونوع الشعراء في الأساليب لإيصال أفكارهم، ومن هـذه الأسـاليب اسـتخدام الجمـل المعترضة في التوضيح والدعاء، يقول شمس الدين النواجي:

[البسيط]

يَـا رَاحِـلاً وَنُجُـومُ الـسَّعْدِ تَخْدِمُـهُ   فِــي طَلْعَــةِ البَـدْرِ أَوْ فِــي حِلْيَــةِ

هَلاَّ رَعَيْتَ ــ رَعَاكَ اللَّـهُ ــ عَهْدَ   مُــضْنَى الفُــؤَادِ حَلِيــفَ الوَجْــدِ [3]

ويقول:

[الطويل]

عَجِبْـتُ لِزاهِـي نَـرْجِسٍ بِلَحاظِـهِ   وَآسٍ وَوَرْدٍ لِلعَـــذارِ وَلِلخَـــدِّ

عَلَـى غُـصْنِ بـانٍ -جَـلَّ مُنْـشِيهِ-   مِـنَ الحُـورِ لَكِـنْ فَـرَّ مِـنْ جَنَّـةِ [4]

ويقول أيضا مازجاً بين وصفه وغزله:

[البسيط]

لِلَّـهِ آسُ عَـذارٍ فَـوْقَ وَجْنَـةِ مَـنْ   تَكَـادُ وَجْنَتُـهُ تُـدْمَى مِـنَ النَّظَـرِ

قَضَيْتُ- وَأَسَفَى- نَحْبِي عَلَيْهِ وَمَا   قَــضَيْتُ مِــنْ وَرْدِ خَــدٍّ نـــاعِمٍ [5]

---

(1) يوسف، خالد إبراهيم، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، 258.

(2) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 153.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 225.

(2) **نفسه**، 311.

(5) **نفسه**، 309.

واستخدم الشعراء أسلوب الحوار، وهو ما يسمى بالمراجعة، ورأى ابن حِجة الحموي أن المراجعة ليس لها كبير أمرٍ، يقول "ولو فوض إلي حكم في البديع مـا نظمتهـا فـي أسـلاك أنواعه"[(1)]، واستخدم القدماء هذا الأسلوب في شعرهم ومن بعدهم شعراء هذا العصر، يقول ابن حجة في هذا الأسلوب:

[الكامل]

قالَــتْ ثُغُــورُ الأقحَــوانِ بَأنّهــا ... تَحْكِيــهِ نَــشْراً قُلْـتُ: لا تَتَفَـوَّهِي

وَالكَـأسُ قـالَ: أنـا أُحَـاكِي ثغْـرَهُ ... فعَلَيْــهِ أفْــواهُ القنــانِي قَهْقِهــي

تُفَّاحُــهُ الــشَّامِيُّ فِــي وَجْناتِــهِ ... كَمْ قالَ: يا عَيْنَ المُحِبِّ تَفَكَّهِي[(2)]

ويقول ابن زقاعة من قصيدة في الزهور:

[الكامل]

وَالـوَرْدُ نـادَى يـا زُهُورُ أنـا الّذِي ... لِـي شَـوْكَةٌ أفمـا تَهـابُوا شَـوْكَتِي

فَأجَابَــهُ النّــسْرِينُ لا تَعْجَـبْ وَقُـمْ ... وَانْظُرْ لِحُسْنِ مَلابسِي فِي زُرْقتِـي

وَالبَــانُ قــالَ وَقَـدْ بَـدا سِـنْجَابُهُ ... كُلُّ المُلُوكِ يَسْتَجِنُّوا مِنْ فَرْوَتِـي

وَالزَّعْفَــرانُ يَقُــولُ نَوْفَرُهــا لَــهُ ... أنْـتَ الأمِيـرُ وَأنْـتَ أذْكَـى رِيحَـةٍ[(3)]

ويقول النواجِي:

[الطويل]

وَقَــالوا: رَكِبْــتَ البَحْــرَ شَــرْقاً ... وَعَانَيْتَ فِي الأسْفارِ هَوْلَ قِيامَتِي

فَحَدِّثْ بما شَاهَدْتَهُ مِنْ عَجَائِبٍ ... وَأعْجَــبَ مَــا لا قَيْــتَ قُلْــتُ:

ويقول الشاعر ابن أَقْبرس:

[الوافر]

رَأيْــتُ النِّيــلَ قَــدْ وَافَــى بِــنَقْصٍ ... وَقَـدْ زَادَ الفَـسَادُ عَلَـى المَـصَالِحْ

---

(1) **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 218/1.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 49.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 197-199، الشطر الثاني من البيت الثالث مكسور.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 341.

فَقُلْـتُ لِمَعْـشَرٍ: مَـاذا؟ فَقَـالُوا: وَلِـيُّ الأمْـرِ وَلَّـى غَيْـرَ صَـالِحْ[1]

ويقول ابن حِجةَ الحموي:

[الطويل]

سَأَلْتُ الشَّقِيقَ الغَضَّ عَنْ نُقْطَةٍ عَلَى خَدِّهِ وَالرَّوْضُ مِنْهَا تَعَطَّرَا

فَقَالَ: سَوَادُ المِسْكِ هامَ بِوَجْنَتِي وَقَدْ أَكْثَرَ التَّقْبِيلَ فِيهَا فَأَثَّرَا[2]

وقال النواجِي مورياً:

[الوافر]

وَقَالُوا النِّيلَ ما أَوْفَى بِمَسْرَى وَلا النَّارُوزُ جادَ وَلا الصَّلِيبِي

وَشَهْرُ أَبِيبِ ما وَافَى بِرُحْمَى فَقُلْتُ اللَّهُ أَرْحَمُ مِنْ أَبِي بِي[3]

و الشعراء أكثروا من استخدام هذا الأسلوب في شعرهم والأمثلة كثيرةٌ على ذلك.

ومن الأساليب التي استخدموها أيضا التكرار وهو "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض"[4]، وأكثر الشعراء من استخدام حرف التشبيه "كأن" وتكراره في أشعار الوصف، واحتل المرتبة الأولى من بين المفردات المكررة، لأنه "نقطة البدء والارتكاز، ومنطلق الشاعر إلى تصوراتٍ حسيةٍ ومعنوية ومجردة، متداخلة تارة ومستقلة تارة "[5]، ومن الأمثلة على استخدام "كأن" قول الشهابِ المنْصوري في وصف النيل:

[البسيط]

كَأَنَّهُ وَالصَّبا صُبْحاً تُجَعِّدُهُ "مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَا

كَأَنَّ أَمْواجَهُ وَالرِّيحُ تَنْشُرُها صَوَارِمٌ بِظُبَاها المَحْلُ مَقْتُولُ"

كَأَنَّما السُّفْنُ غاداتٌ جَرَيْنَ بِهِ لَها المَرَاسِي شُنُوفٌ أَوْ مَراسِيلُ

---

(1) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 141/1.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 98. الأبيات غير موجودة في الديوان.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 331.

(4) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، 361/1.

(5) الأيوبي، ياسين، **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 205.

مِــنْ كُــلِّ جارِيَــةٍ كَــالخَوْدِ زَائِــرَةٍ ... إزارُهــا قَبْــلَ أنْ تَلْقَــاكَ مَحْلُــولُ

كَأنّمــا الــشَّطُّ وَالأمْــواجُ تَلْطِمُــهُ ... دَفٌّ لَهـا وَخَرِيـرُ المـاءِ مَوْصُـولِ

كَأنّمــا الرَّوْضَــةُ الغَنّــاءُ غانِيَــةٌ ... بحُسْنِها قَلْبُ هَذَا النّيل مَشْغولُ(1)

ويقول فخر الدين ابن مكانِس في وصف شجرة:

[البسيط]

كَأنّها مِنْ جِنـانِ الخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ ... حُسْناً وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْراءِ لَفّاءِ

كَـأنّ أغْصَانَها اللّدْنَ الرّشَـاقَ إذا ... هَمَـزْنَ أفْنانُهـا أعْطـافُ عَطْفـاءِ

كَأنّمــا النّهْـرُ مِـرْآةٌ وَقَـدْ عَلِقَـتْ ... عَلَيْــهِ تُـدْهِشُ فِــي حُـسْنٍ وَلألاءِ

كَأنّــهُ حِينَ يُهْـدَى زُرْقَـةً وَصَـفَا ... رَقْـــراقُ عَـــيْنٍ بوَجْـــهِ الأَرْضِ

ويعمد الشعراء أحياناً إلى تكرار أدوات الاستفهام والشرط والنداء والأسماء الموصـولة وغيرها من الحروف، يقول فخر الدين ابن مكانِس:

[البسيط]

كَـمْ صَـفَّقَ المَـوْجُ مِـنْ أزْهارِهـا ... فَنَقَّطَتْـــهُ ببَيْـــضَاءٍ وَصَـــفْراءِ

وَكَـمْ طَرِبْـتُ لِمَـا أبْدَتْـهُ مِـنْ مُلَـحٍ ... يَـصْبُو لَهـا كُـلُّ ذِي عَقْـلٍ وَآراءِ(3)

ويقول أبو بكر الدماميني:

[الطويل]

فَما الشَّمْسُ إلاّ وَجْنَةٌ مِنْهُ أشْرَقَتْ ... نَهـاراً، وَخَـدّاً فِيـهِ صَـبْري تَعَذّرَا

وَمـا البَـدْرُ إلاّ مِنْ سَنَا فِيـهِ حائِرٌ ... أرَادَ مُحَاكَـــاةً لَـــهُ فَتَـــأثّرَا

وَمَـا اللّيْـلُ إلاّ شَـعْرُهُ وَهْوَ مُـسْبَلٌ ... وَلَكِنَّــهُ قَـدْ صَـارَ بالوَجْـهِ مُقْمِـرَا

وَمـا المِـسْكُ إلاّ نَـشْرُ فِيــهِ الّـذِي ... أحادِيــثَ عَــنْ إسْــنادِها الطِّيــبُ

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 29-30، الشطر الثاني من البيت الأول مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر: **ديوانه**، 21.

(2) فخرالدين، ابن مكانس، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(3) **نفسه**، غير مرقم الصفحات.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 103.

ومنها تكرار "حيث"، يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[الرمل]

ذكّـــراهُ صَـــفْوَ أيّـــامٍ مَـــضَتْ حَيْـثُ صَـفَّتْ مَنْبَـعَ اللَّهْـوِ دِنَـانْ

حَيْثُ نَجْمُ الزَّهْرِ فِي أُفْقِ الرُّبـا وَالطّـــلا وَالكَـــأسُ فِيـــهِ نَيِّـــرانْ

حَيْـــثُ أفْـــلاكُ الهَـــوَى دائِـــرَةٌ وَلِـذِي الـشَّمْسِ بِذا البَدْرِ قِرانْ[1]

ومنها تكرار حرف النداء، يقول صدر الدين الآدمي:

[الطويل]

وَيَـا دَمْـعُ لا تَعْثُـرْ بِخَـدِّيَ جارِيـاً وَرِفْقاً فإنَّ الجَرْيَ فَوْقَ مَحَاجِرِي

وَيا صُبْحُ كَمْ تَهْوَى البِعادَ كَأنّمـا بِهَذا التَّجَنّي كَانَ أوْصَاكَ هَاجِرِي

وَيا نَجْمُ مَا هَذا السُّرَى أنْتَ راقِدٌ تُـرَى أمْ عَلَـى سَيْرِ الـدُّجَى غَيْـرُ

وَيَــا بَــدْرُ إنْ سَــامَرْتَنِي مُتَكَلِّفــاً فَكَمْ بِتُّ لا أرْضاكَ لِي بِمُسَامِرِ[2]

وقد يكرر الشعراء اللفظ أكثر من مرة في البيت نفسه مثل تكرار حرف الاستدراك "لكن " في البيت، يقول ابن حجر:

[الطويل]

وَأسْـرِي وَلَكِـنّ الظّـلامَ مَطِيَّتِـي وَأرْكَبُ لَكِنْ مِنْ ثُرَيّاهُ هَوْدَجَا[3]

ومنه تكرار " مالا " للشاعر مجد الدين ابن مكانس مجانساً:

[مخلع البسيط]

ياغُــصناً فِــي الرّيــاضِ مَــالا حَمّلْتَنِــي فِــي هَــوَاكَ مَــالا[4]

ومنه تكرار ألفاظ " البكاء" و " الشكوى " و" الجوى " في قول البشْتُكِي:

[الرمل]

رُبَّ وَرْقَـاءَ هَتُـوفٍ فِـي الـضُّحَى ذاتُ شَــجْوٍ صَــدَحَتْ فِــي فَــنَنِ

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 191.

(2) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 45.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 205.

(4) ابن مكانس، مجد الدين، **ديوانه**، 37.

ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صَالِحاً ... فَبَكَتْ حُزْناً وَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكائِي رُبَّمَا أَرَّقَها ... وَبُكاها رُبّما أَرَّقَنِي
ولَقَدْ تَشْكُو فمَا أَفْهَمُها ... وَلَقَدْ أَشْكُو فمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالجَوَى أَعْرِفُها ... وَهْيَ أَيْضاً بِالجَوَى تَعْرِفُنِي[1]

وقول النواجي:

[الوافر]

أَلاَ جُزْ بِالدِّيارِ وَحَيِّهِنَّهْ ... فقَدْ دَرَسَتْ مَعَالِمُ حَيِّهِنَّهْ[2]

وقول ابن حجر:

[الطويل]

سَلامٌ عَلَى مَنْ لا يَرُدّ جَوَابِي ... سَلامُ مَشُوقٍ بِالفِراقِ مُصَابِ
سَلامٌ كَأَنْفاسِ النّسِيمِ بِسَحْرَةٍ ... سَرَتْ فِي رِياضٍ مِنْهُمُ وَرِحابِ
سَلامٌ مُقِيمٌ مِنْ مُعَنًّى مُسَافِرٍ ... تَبَدَّلَ مِنْ غِزْلانِهِ بِذِئابِ[3]

ومنها تكرار الظرف "بين"، يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[الطويل]

وَبَيْنَ غِراساتِ الجِنانِ تَشَاجُرٌ ... وَبَيْنَ طُيُورِ الأَيْكِ فِيهِ تَصَاُنفُ
وَبَيْنَ غَوَادِيهِ بُكاً وَتَزاحُمٌ ... وَبَيْنَ غُصُونُ البانِ فِيهِ تَعاطُفُ[4]

وتكرار الظرف " إذ "، يقول صدر الدين الآدمي:

[الطويل]

إذا العَيْشُ مُخْضَرُّ الجَوانِبِ يانِعٍ ... وَحَيْثُ لَيالِي الوَصْلِ بِيضُ
إذا نَسْمَةُ الأَسْحارِ تُسْنِدُ مارُوتَ ... لَنا مِنْ أَحادِيثِ الرُّبا بِتَواتُرِ[5]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 935-936.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 128.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 165.

(4) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(5) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 45.

ومن التكرار استخدام القسم المكرر، يقول النواجي:

[البسيط]

وَاللَّـهِ وَاللَّـهِ مـا يَمَّمْـتُ أَرْضَـكُمُ إلاّ "تَـذَكَّرْتُ جِيرانـاً بِـذِي سَلَمِ"[1]

ومن الأمثلة على التكرار تكرار المعنى، من ذلك مقطوعتان للنواجي في وفـاء النيـل حيث كرر لفظة "ا ألطف من أبي بي " وأعادها في موضع آخر مع تغييرٍ بسيط، يقول:

[الوافر]

بمَسْرى النّيلِ ما أوْفى فَضَجّوا وَدَبّ القحْـطُ فِينـا مِـنْ أبيـبِ

ولَـمْ أضْـرَعْ لِمَخْلـوقٍ لأنّـي رَأيْتُ اللّـهَ ألْطَفَ مِنْ أبي بي[2]

ويقول:

[الوافر]

وقـالوا النيـل مـا أوفـى بمسرى ولا النـاروز جـاد ولا الـصليبي

وَشَـهْرُ أبيـب مـا وَافـى برُحْمَـى فقُلْتُ اللّـهُ أرْحَمُ مِنْ أبي بي [3]

وكثيراً ما كرر الشعراء معانيهم وألفاظهم في أكثر من قصيدة، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

وَالجُلّنـارُ كَـأعْرافِ الـدُّيُوكِ وَقـدْ تَحْكِـي عَصَارَتُهُ دَمْعَ المُحِبّينَ[4]

ويقول في قصيدةٍ أخرى:

[الكامل]

وَالجُلّنـارُ أتـاهُمُو بِفَـوانِسٍ حُمْـرٍ مُـشَرَّفَةٍ كَمِثْـلِ القَلْعَـةِ

أوْ مِثْـلِ أعْـرَافِ الـدُّيُوكِ إذا بَـدَتْ تَحْكِـي قَوادِيـساً مِـنَ المُرْجانَـةِ[5]

وقد يستعمل الشاعر أداةً للفصل بين حديث وآخرمثل اسم الإشارة هذا، يقول ابن زقاعة:

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 255، الشطر الثاني مضمن من قول البوصيري، ينظر: **ديوانه**، 239.

(2) **نفسه**، 331.

(3) **نفسه**، 331.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 103.

(5) **نفسه**، 198-199.

[الكامل]

قـالَ البَنَفْـسَجُ لِلزّهُـور مُفـاخِراً　　　مِـــنْ لازوَرْدٍ أزْرَقٍ ذِي خَلْعَتِـــي

وَالبَحْرُ غارَ مِنَ السَّمَا مِنْ لَوْنِها　　　فلأجْـلِ ذا لَبِسَتْ ثِيـابَ الزُّرْقَـةِ

هَـذا وَلِـي دُهْـنٌ رَقِيـقٌ رائِـقٌ　　　قَـدْ عَـدَّهُ الحُكَمَـا لِكُـلِّ مُلِمَّـةِ[1]

ومن الظواهر الفنية في شعر شعراء ذلك العصر ابتداء الشاعر واختتامه قصيدته بفكرة واحدة، مثل قول ابن زقاعة في مطلع قصيدةٍ يصف فيها مدينة الخليل.

[البسيط]

يَا سادَةً هَجَروا فِي شَهْرِ تَشْرِينِ　　　إنْ بعْتُمُـونِي رجـالُ الحُـبّ ...[2]

ويقول في خاتمتها:

[البسيط]

يا سَادَةً هَجَرُوا فِي شَهْرِ تَشْرِينِ　　　إنْ بعْتُمُـونِي رجـالُ الحُـبّ ...[3]

ويقول النواجي في مطلع قصيدة:

[الوافر]

ألا جُـــزْ بالــدّيارِ وَحَيِّهِنَّـــه　　　فقَــدْ دَرَسَــتْ مَعَــالِمُ حَيِّهِنَّـــه[4]

ويقول في خاتمتها:

[الوافر]

وَلِلعُــشّاقِ أنْـشِدْ فِــي حِجـازٍ　　　ألا جُــزْ بالــدّيارِ وَحَيِّهِنّـــه[5]

"وقد يكرر الشاعر أحياناً الشطر الأول في قصائد أخرى " يقول النواجي:

[البسيط]

صَلَّى عَلَيْهِ إلَـهُ العَرْشِ مـا هَمَلَتْ　　　سَحائِبُ الغَيْثِ وَانْهَلَّتْ عَزَالَيْـهِ[6]

ويقول في خاتمة قصيدة أخرى:

---

(1)ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه ، ديوانه**، 195.

(2) **نفسه**، 102.

(3) **نفسه**، 113.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 128.

(5) **نفسه**، 131.

(6) **نفسه**، 42.

[البسيط]

صَلّى عَلَيْهِ إِلَهُ العَرْشِ ما هَطَلَتْ سُحْبٌ وَغَرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى الشَّجَرِ[1]

ومن الأساليب التي انتشرت بكثرة في شعر الشعراء أسلوب الألغاز، "وهـو أن يـأتي المتكلم بعدة ألفاظٍ مشتركةٍ، من غير ذكر الموصوف، ويأتي بعباراتٍ يدل ظاهرها على غيـره، وباطنها عليه"[2]، وكان الشعراء يعمدون إلى غموض ألفـاظهم ومعـانيهم وعمقهـا وعقادتهـا ووعورتها حتى يصعبوا على المتلقي حل اللغز أو فهمه[3].

والألغاز نوعان لفظي ومعنوي، فاللفظي يشار فيه إلى الموصوف بذكر كلمات تتـضمن اسمه أو بعض أحرفه تضميناً خفياً، بالتصحيف أو القلب أو الحذف، أما المعنوي فيشار فيه إلى الموصوف بمجرد ذكربعض صفاته[4].

والحقيقة أن الشعراء أكثروا من نظم الألغاز في هذا العصر، وربما يرجـع ذلـك إلـى محاولة إبراز مقدرتهم على التمويه والتعمية والدقة في وصف الشيء الملغز، ومن الأمثلة على اللغز اللفظي قول النواجي:

[السريع]

مـا اسْـمُ شَـيْءٍ حَـسَنٌ شَـكْلُهُ تَلْقـاهُ عِنْـدَ النّـاسِ مَوْزُونَـا

تَـراهُ مَعْـدودًا وَإِنْ زِدْتَـهُ وَاواً وَنُونـاً صَـارَ مَوْزُونـاً[5]

ومن النوع الثاني، قول البرهان البهنْسِي لغزاً من ثلاثين بيتاً في العنب، حيث يتحـدث عن صفاته، يقول:

[الخفيف]

ذُو بَيـاضٍ وَحُمْـرَةٍ وَكَـذا لِـي فَرَحاً مَنْ رَاحِ سَرَتْ فِي المَفاصِلْ

وَتَـراهُ يَبْـدُو عُقُـودَ جُمَـانٍ مـا لَهـا غَيْـرُ ثَغْـرِ حِبِّـي مُماثِـلْ

وَتَـراهُ طَـوْراً سُـلافَةَ راحٍ وَلِـدُرّ الحُبـابِ فِيهَـا حَواصِـلْ

وَعَلَـى عُـودِهِ يُغَنِّـي عَلَيْنـا أَعْجَمِـيٌّ بِـهِ تَهِـيجُ البَلابِـلْ

(1)عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 46.

(2) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 342/2.

(3) ينظر: سليم، محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 433/8.

(4) ينظر: الشيخ، أحمد، **كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة**، 52.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**،374 .

لَـــكَ مِنْـــــهُ فَواكِـــــهٌ وَشَـــــرابٌ	كُــلُّ عَــصْرٍ إِلَيْــكَ تَلْقــاهُ واصِــلْ
وَحَلاواتُـــــهُ بِهـــــا كُـــــلُّ قَلْـــــبٍ	كَــسَرُوهُ وَالقَلْــبُ لِلكَــسْرِ حَامِــلْ
وَصَـلْـهُ فِــي مِــصْرَ قَلِيــلٌ وَلَكِــنْ	هُــوَ بِالــشَّامِ لا يَــزالُ مُواصِــلْ[1]

والقارئ لهذا اللغز لا يجد صعوبةً في حله لأن الشاعر قد ضمن بعض الألفـاظ التـي تسهل فهمه، مثل ذكر أنه يكون خمراً ويكثر في الشام.

المحسنات البديعية

من الأساليب التي أكثر الشعراء استخدامها في أشعارهم أسلوب المحسنات البديعية ،فقد أولع شعراء العصر المملوكي الثاني بها، واستخدمها العرب على البديهة منذ العصر الجاهلي[2] لعدة أسباب منها: أن القرن الثاني الهجري شهد نشاطاً كبيراً في تأليف علـوم البلاغـة التـي تمخض عنها ولادة فن البديع، كما أن هذا الفن لقي قبولاً كبيراً من الناس بعد اشتهار أول بديعيةٍ وسيرورتها على ألسنتهم[3]، وسأبدأ الحديث عن أهمها وأكثرها شيوعاً بين الـشعراء ألا وهـي التورية.

1 - التورية

رأى ابن حِجة الحموي أن التورية من "أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبةً "[4]، ومعناها أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقةً ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليـه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بـالمعنى القريب"[5]، والحقيقة أن شعراء هذا العصر أولعوا بالتورية حتى أصبحت هدفاً لكل شاعر وكثر التأليف حولها[6] وتعلقوا بهما ويدل على ذلك كثرة الأبيات الشعرية التي تضمنت هـذه الألـوان البديعية والفنية، وقد تهافت الشعراء وتباروا في نظمها لأنهم رأوا فـي ذلـك تفـوق الـشاعر وعبقريته ومن الأمثلة على التورية قول ابن حِجة الحموي:

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 138-139.

(2) ينظر شبيب، غازي، **فن المديح النبوي في العصر المملوكي**، 88.

(3) ينظر:الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 187، وأبو زيد، علي، **البديعيات في الأدب العربي**، 253-255.

(4) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 2/ 187.

(5) **نفسه**، 39/2.

(6) ينظر: باشا، عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام (عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك)**، 675.

[مخلع البسيط]

قالَ أرَاكُ الحِمَى تَعَوّضْ   بغُصْنِ قدٍّ إذا جَفَاكَا

فقُلْتُ مِنْ بَعْدِ قدّ حِبّي   وَاللّهِ ما أشْتَهِي أرَاكَا[1]

فالشاعر ورى بلفظة "أراكا" التي قصد بها المعنى القريب "شجر الأراك" والبعيد "الرؤية"، ومثله قوله:

[البسيط]

قالَتْ لَوَاحِظُهُ إنّا نَسُودُ عَلَى   بِيضِ الظُّبَا قُلْتُ أنْتُمْ أعْيُنٌ

فالتورية في "سودوا" التي تعني السيادة والزعامة وتعني كذلك اللون الأسود، ومن الأمثلة أيضا قول أبي بكر الدماميني مورياً في لفظ" الكميت" التي هي اسم من أسماء الخيل وقد قصد الشاعر بها الخمرة:

[مجزوء الرمل]

قُمْ بِنا نَرْكَبُ طَرْفَ ال   لّهْوِ سِبْقاً لِلمُدامْ

وَاثْنِ يا صاحِ عَنانِي   لِكُمَيْتٍ وَلِجَامْ[3]

ويقول أيضا مورياً بين "السواك بمعنى "عود الأراك" وبين "الغير":

[المجتث]

إسْكَنْدَرِيَّةٌ قالَتْ:   يا ناظِرِي دَعْ أذاكَا

لَقَدْ تَغَيَّرَ ثغْرِي   فاحْتَجْتُ فِيهِ سِواكَا[4]

ومن توريات الشاعر أيضاً قوله:

[الطويل]

لَئِنْ عَقدَتْ بِنْتُ الكُرومِ عُهودَها   عَلَى نَفْيِ حَمْلِ الهَمِّ وَالهَمُّ زائِدُ

فَنَحْنُ شُهودٌ فِي المَقامِ لِعِقْدِها   عَلَى أوْلِياءِ اللّهْوِ وَاللّوْزُ عاقِدُ[5]

---

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 104.

(2) **نفسه** 36.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 130.

(4) **نفسه**، 120.

(5) **نفسه**، 79.

فلفظة "عاقد"معناها تحول الزهر إلى ثمرٍ وهو المعنى البعيد ومعناها عقد الزواج وهـو المعنى القريب، ويقول فخر الدين ابن مكانِس في توريةٍ لطيفة:

[الوافر]

تُـــسَاوِمُنَا شَـــذَى أَزْهـــارِ رَوْضٍ تَحَيَّـــرَ نـــاظِرِي فِيـــهِ وَفِكْـــرِي

فَقُلْـــتُ نَبِيعُـــكِ الأَرْواحَ حَقًّـــا بِعَـــرْفٍ طَيِّـــبٍ مِنْـــهُ وَنَـــشْرِ[1]

فالشاعر يوري في لفظة "نشر" حيث قصد منها الرائحة الطيبة لا الـشراء مـن البيـع والشراء، ومن التوريات الجميلة قول ابن حِجة مورياً بلفظة الندى التي تعنـي قطـرات المـاء المتكاثفة والكرم:

[مجزوء الكامل]

جَـــادَ النَّـــسِيمُ عَلَـــى الرُّبَـــا بِنَـــدَى يَدَيْـــهِ وَقَـــالَ لِـــي

أَنـــا مَـــا أُقَـــصِّرُ عَـــنْ نَـــدًى "وَكَمَـــا عَلِمْـــتَ شَـــمائِلِي"[2]

ومن توريات الدماميني قوله في مدح أحمد بن محمد بن أبي بكر أبي العباس صـاحب تونس وإفريقيا:

[الطويل]

هُـوَ المُـشْتَرِي مِـنْ حَمْـدِنا كُـلَّ يُـضِيءُ بآفَـاقِ المَعَـالِي وَيُزْهِـرُ[3]

المشتري اسم فاعل من اشترى، وأيضا الكوكب في السماء أحـد كواكـب المجموعـة الشمسية، ومن توريات علي بن أَيبك قوله:

[الوافر]

أَقُـولُ وَقَـدْ ظَمِئْـتُ وَوَجْـهُ حِبِّـي إِلَـى عَـرْفٍ عَلَـى وَرْدِ الخُـدُودِ

أَرَى مَـــاءً وَبِـــي ظَمَـــأٌ شَـــدِيدٌ وَلَكِـنْ لا سَـبِيلَ إِلَـى الـوُرُودِ[4]

وهو يوري بلفظة "الورود" التي تعني الورود على الماء، فالشعراء كانوا يحتالون لإيجاد معنًى يوظفون فيه تورية لطيفة[5].

---

(1) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 104، الشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 88.

(4) الحموي، ابن حجة، **كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام**، 120.

(5) سليم، محمود رزق، **تقي الدين ابن حجة الحموي**، 73.

2- الجناس

اهتم شعراء هذا العصر بالجناس ووظفوه وتلاعبوا به في أشعارهم الأمر الذي أظهـر قدرتهم على التعامل مع أنواع البديع المختلفة.

أ- الجناس التام

الجناس التام هو اتفاق اللفظين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها وترتيبها[1]،وقد أكثر الشعراء من هذا النوع وجاء وافراً في أشعارهم دون تكلفٍ في كثيرٍ من الأحيان، ومن الأمثلـة الجميلة على هذا النوع من الجناس قول ابن زقاعة :

[البسيط]

يا سَادَةً هَجَرُوا فِي شَهْرِ تَشْرِينِ   إنْ بِعْتُمُـــونِي رِجـــالُ الحُـــبِّ [2]

فالشاعر يجانس بين تشرين الأولى بمعنى الشهر، وتشرين الثانية من الشراء، ومثله قول أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

[الرمل]

وَكَـــأَنَّ الطَّيْـــرَ لَمّـــا أنْ شَـــدَتْ   فِي رُبا الرَّوْضِ مَغانِ فِي مَغَانْ[3]

ومثله قول صدر الدين الآدمي:

[الطويل]

عَدِمْتُ غَدَاةَ البَيْنِ قَلْبِي وَ نَـاظِرِي   فَيَـــا مُقْلَتِـــي حَـــاكِي الـــسّحابَ [4]

ب- جناس الاشتقاق

وهو"أن يجمع اللفظين الاشتقاق"[5]، ومنه قول محمد الأزهري: [البسيط]

سُقْياً لِرَوْضٍ بِهِ الأغْصَانُ أجْمَعُها   قَـدْ كُلّلَـتْ بِـسَقِيطِ الطَّـلِّ تَكْلِـيلا[6]

وقول أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

---

(1) ينظر: الخطيب القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 288.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 102.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 191.

(4) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 45.

(5) الخطيب القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 293.

(6) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 147/3.

[السريع]

بِاللَّـهِ إنْ جُـزْتَ الحِمَـى يـا حَمَـامْ ... بَلِّــغْ سَــلامِي فَهْـوَ دارُ الـسَّلامْ[1]

ويقول أحمد بن محمد شهاب الدين المنُوفي:

[الكامل]

بَـرْقُ المُحَـصّبِ فِـي الدُّجْنَـةِ لاحَـا ... فحَــسِبْتُهُ لَمّــا سَــرَى مِــصْباحَا

وَرَأَيْتُـــــهُ مُتَأَلّقـــــاً فَأَرقـــــتُ إذْ ... أبْقَى المَسَا بِالضّوْءِ مِنْهُ صَباحَا[2]

ج - الجناس المقلوب

ويسمى الجناس المعكوس، وهو ما تساوت حروفه عددا وتخالفـت ترتيبـاً[3]، وأمثلتـه كثيرةٌ، يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[الطويل]

وَمِـنْ قائِـلٍ وَالمـاءُ فِـي الـرَّوْضِ ... مَدِيـدٌ وَظِـلُّ الكَـرْمِ فِـي الـرَّوْضِ

وتقول عائشة الباعونية:

[الطويل]

وَصَــيّرْتُ بَــدْرَ الــتَّمِّ مُــذْ غــابَ ... أنِيـسِي وَقُلْـتُ البَـدْر مِنْـهُ قَرِيـبُ

فَحَجّبَــهُ عَنّــي الغَمــامُ بِذَيْلِــهِ ... فَـوا أسَـفَى حَتّـى الغَمَـامُ رَقِيـبُ[5]

ويقول أبو بكر الدماميني:

[البسيط]

وَقَدُّهُ الغُصْنُ قَدْ جالَ الوِشاحُ بِـهِ ... فــالطَّيْرُ تَكْثُــرُ فِــي حافاتِــهِ لَغَطَــا

وَصَفْحَةُ الخَدِّ مُذْ خَطَّ العَذارُ بِها ... صَــحَّتْ فَراحَــتْ بِهــا أَرْواحُنــا

ومثله قول علي بن وفا السكنْدري:

---

(1) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 185.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 257/1.

(3) ابن معصوم، علي صدر الدين، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 195/1.

(4) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(5) النابلسي، عبد الغني، **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار**، 25.

(6) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 112.

[الكامل]

الشَّمْسُ مِنْ لَمَعانِ حُسْنِكَ تُشْرِقُ فعَلَـى الحَقِيقَـةِ إنَّ وَجْهَـكَ أشْـرَقُ
وَالغُصْنُ مِنْ تَـرَفٍ يَمِيـلُ رَشَـاقَةً لَكِـنْ مَعَاطِفُـكَ الرَّشِـيقَةُ أَرْشَـقُ[1]

د ـ الجناس اللاحق

"وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرفٌ بحرفٍ آخر من غير مخرجه ولا قريـبٍ منـه"[2]، يقول ابن خَطِيب داريا:

[السريع]

كَـأنَّ غُـصْنَ البـانَ قـدّ الّـذي أهْـواهُ فـي أثوابـهِ الـسُّنْدُسِ
كَـأنّ بَـدْرَ الـتَّمِّ تَحْـتَ الـدُّجَى جَبينُـهُ الزّاهِـرُ فِـي القُنْـدُسِ[3]

ومثله قول ابن حِجة:

[الكامل]

فِـي لَيْـلِ أقْـراحٍ كَـأنّ هِلالَـهُ لِلـشّرْبِ مـا بَـيْنَ النّـدامَى زَوْرَقُ
حَتّـى اسْـتَطالَ الفَجْـرُ يَطْعَـنُ فِـي فَهْـوَ الـسّنَانُ أوِ العَـدُوّ الأَزْرَقُ[4]

هـ ـ الجناس المذيل

وهو"ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في آخره فصار له كالذيل"[5]، يقول عِز الدين الموصِلي:

[البسيط]

يُـذَيّلُ الـدّمْعَ جـارٌ جـارحٌ بـأذى كَلاحِـقٍ مـاحِقِ الآثـارِ فِـي الأكَـمِ[6]

ومثله قول الشهاب المنْصوري:

[الوافر]

(1) الشاذلي، علي وفا السكندري، **ديوانه**، 233.
(2) ابن معصوم، علي صدر الدين، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 140/1.
(3) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.
(4) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 76/1، الأبيات غير موجودة في الديوان،
(5) **نفسه** 70/1.
(6) **نفسه** 73/1.

وَقــالُوا حِــينَ قُلْــتُ لَمــاهُ شَــهْدٌ وَظَنّــوا أنّ قَلْبــي عَنْــهُ يَــسْلُو
أشَـــهْدٌ كـــائِنٌ مِـــنْ غَيْـــرِ نَحْـــلٍ فَنَـــادى عارِضـــاهُ نَحْـــنُ نَحْلُـــو[1]

وقول فخر الدين ابن مكانِس:

[مخلع البسيط]
قَــدْ هَزّنِـــي البَـــرْدُ بَـــيْنَ قَـــوْمٍ عَجـــــائِزٌ قَـــــتْلُهُنّ جَـــــائِزْ[2]

و - الجناس المحرف

وهو"الذي تتشابه حروفه وتختلف حركاته[3]، يقول فخر الدين ابن مكانِس:

[الوافر]
أرِقْـتُ فَلَـوْ تَرَوْنِـي فِـي الفِـراشِ عَلَـى النِّيـرانِ أقْلَـقُ كَـالفَراشِ[4]

ن - الجناس المركب

هو الذي يكون مركباً من كلمةٍ وبعض كلمة[5]، يقول النواجِي:

[الوافر]
بِمَسْرَى النّيلِ مـا أوْفَـى فَـضَجُّوا وَدَبَّ القَحْــطُ فِينَـــا مِـــنْ أبِيـــبِ
وَلَـــمْ أضْـــرَعْ لِمَخْلُـــوقٍ لأنِّـــي رَأيْتُ اللَّـهَ ألْطَفَ مِنْ أبِـي بِـي[6]

ويقول فخر الدين ابن مكانِس:

[الرجز]
وَالنَّبْـتُ فِـي رِياضِـها رَبَـا بِهـا إذْ سَـمِعَ المُطْـرِبَ مِـنْ رَبابِهـا[7]

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **جني الجناس**، 262.
(2) ابن مكانس، فخرالدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.
(3) الخطيب القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 290.
(4) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.
(5) ينظر: الخطيب القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 298.
(6) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 331.
(7) ابن مكانس، فخر الدين، **،** غير مرقم الصفحات.

3- الطباق

هو"الجمع بين الشيء وضده"[1]، مثل الطول والقصر، والـضحك والبكـاء، والأسـود والأبيض، والمطالع لشعر الشعراء يجد أنهم أولعوا بهذا النوع واستعملوه بكثرة في أشـعارهم، وأمثلته كثيرةٌ، ويقول الشهاب الحِجازي مطابقا بين الضحك والبكاء:

[الخفيف]

ضَحِكَ الرَّوْضُ مِنْ بُكـاءِ السَّحابِ ... وَتَـــوارَتْ شَــمْسُ الــضُّحَى [2]

ويقول ابن زقاعة:

[الكامل]

أحْيـا بهـا مَيْـتَ النّبـاتِ وَأزْهَـرَتْ ... بحَدائِقٍ هِيَ فِي الرِّياضِ ببَهْجَـةِ[3]

ويقول الشهاب الحِجازي:

[البسيط]

وَرَوْضَـةٌ رَقَـصَتْ أغْـصانُها طَرَبـاً ... مِنْ شَدْوِ وُرْقٍ عَنِ الألْحَانِ تُغْنِينَـا

شَـقِيقُها شَـقَّ غَيْظـاً قَلْـبَ حاسِدِنـا ... وَحُسْنُ مَنْثُورِها المَنْظُومِ يُلْهِينَـا[4]

فهو يطابق بين "المنثور" و"المنظوم"

4- المقابلة

ويختلف عن الطباق في أنه يكون في معنيين أو أكثر[5]، يقول عِز الدين الموصِلي:

[البسيط]

لَيْلُ الشّبابِ وَحُسْنُ الوَصْلِ قابَلَـهُ ... صُـبْحُ المَـشِيبِ وَقُـبْحُ الهَجْـرِ [6]

---

(1) العسكري، أبو الهلال، **كتاب الصناعتين**، 339.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 191.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 367.

(5) ينظر: الحموي، ابن حجة، **خزانة الأدب**، 129/1.

(6) **نفسه** 132/1.

5- الاكتفاء

وهو"أن يأتي الشاعر ببيتٍ من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف، ويتقاضى ذكره ليفهم بـه المعنى، فلا يذكره لدلالة ما في لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن مما يتقاضى تمام المعنى"[(1)] وأمثلته كثيرةٌ، منها قول فخر الدين ابن مكانِس:

[الوافر]

لَنــا فــرَسٌ نُلاقِــي مِنْــهُ رِفْقــاً ... كَرِفْـــقِ الوَالِـــدَيْنِ إذا ثمِلْنـــا

تَرانـــا حِـــينَ نَرْكَبُـــهُ سُـــكارَى ... نَمِيـــلُ عَلَـــى جَوانِبِـــهِ كَأَنّـــا[(2)]

ويقول النواجِي:

[الكامل]

جَمَــلاً هَجِينــاً قَــدْ بَعَثْــتَ وَناقَــةً ... لأَحُــجَّ فِـي سَـنَتِي وَلَـمْ أَتَحَجَّـجِ

فَغَـدَوْتُ مُكْتَفِيـاً وَقُلْـتُ لأَضْـلُعِي ... بالنّاقـةِ انْبَسِطِي لِمَكَّـةَ وَالهجـي[(3)]

يريد في البيت الثاني " الهجين"، ويقول:

[الطويل]

خَلِيلَــيّ هَـذا رَبْــعُ عَـزَّةَ فاسْـعَيا ... إلَيْـهِ وَإنْ سَالَتْ بِـهِ أَدْمُعِي طوفـا

فَجَفْنِـي جَفَـا طِيـبَ المَنـامِ وَجَفْنُهـا ... جَفَانِي فَيا لِلَّهِ مِنْ شَرَكِ الأَجْفا[(4)]

يريد "طوفان" و "الأجفان"، ويقول أبو بكر الدمامِيني:

[السريع]

شَـــقائِقُ النُّعْمـــانِ أَلْهـــو بهـــا ... إنْ غـابَ مَـنْ أهْـوى وَعَـزّ اللّقـا

فَالخَـدُّ فِـي القُـرْبِ نَعِيمِـي وَإنْ ... غـــابَ فَـــإنِّي أكْتَفِـــي بالـــشّقا[(5)]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء**، 97.

(2) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات. و الشاعر يشير إلى قول علي بن الجهم: نميل على جوانبه كأننا نميل إذا نميل على أبينا، ديوانه، 148.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 302.

(4) **نفسه**، 303.

(5) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 116.

يقصد "الشقائق"، ويقول الشاعر نفسه:

[الوافر]

يَقُــولُ مُــصاحِبِي وَالــرَّوْضُ زاهٍ وَقَـدْ بَـسَطَ الرَّبِيـعُ بِـساطَ زَهْـرِ

تَعَــالَ نُبــاكِرُ الــرَّوْضَ المُفَــدَّى وَقُـمْ نَـسْعَى إلَـى وَرْدٍ وَنَـسْرِي[1]

وهو يقصد "النسرين"، ويقول النواجي:

[السريع]

بَعْدَ صِباحِ الوَجْهِ عَيْشِي مَضَى فَيــا رَعَــى اللَّــهُ زَمَــان الــصِّبا

وَبِــــتُّ أرْعَـــى الــــنَّجْمَ لَكِنَّنِـــي أهْفُــو إذا هَــبَّ نَــسِيمُ الــصَّبا[2]

فالقافيتان يمكن قراءتهما الصبا، الصبا.

6- التوجيه

"وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين"[3]، "والتوجيه يكون في أسماء الأعلام وقواعد العلوم أو غيره من شعب الفنون"[4]، ومن أمثلته قول ابن زقاعة على لسان زهر البنفسج موجهاً بشخصيةٍ إسلاميةٍ:

[الكامل]

هَــذا وَلِــي دُهْــنٌ رَقِيــقٌ رائِــقٌ قَــدْ عَــدَّهُ الحُكَمَــا لِكُــلِّ مُلِمَّــةِ

وَالــشّافِعِيُّ يَقُــولُ فِــي تَدْوِينِــهِ مِنْ أفْضَلِ الأدْهانِ أعْنِي دُهْنَتِي[5]

"وعمد شعراء هذا العصر إلى التوجيه بأسماء الأماكن الحجازية، والمصطلحات الفقهية المتصلة بفريضة الحج"[6]، ومن أمثلة التوجيه عند النواجي بالمصطلحات النحوية قوله:

[الكامل]

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً** ، 107 .

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 302.

(3) الخطيب القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، 284، وينظر الأندلسي، ابن جابر، **الحلة السيرا في مدح خير الورى**،142.

(4) ينظر: ابن حجة، **خزانة الأدب**، 303/1.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 195.

(6) النواجي، شمس الدين، **المطالع الشمسية في المدائح النبوية**، 44.

وَحُـروفُ مَـدٍّ فِـي مَخَـارِجِ لِينِهَـا ... قَطْـعُ الفَـلا وَلِكُـلّ حَـرْفٍ مَقْطَـعُ

لا أرْتَـضِي بَـدَلاً بِهـا فَلَكَـمْ لَهَـا ... عَطْفٌ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَمَوْضِعُ[1]

ومن التوجيه بالمصطلحات العروضية قول أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

[الطويل]

وَمِـنْ قائِـلٍ وَالمَـاءُ فِـي الـرّوْضِ ... مَدِيـدٌ وَظِـلُّ الكَـرْمِ فِـي الـرَّوْضِ

ومن التوجيه بالمصطلحات النحوية قول السيوطي:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ نَصَبَتْ أغْصانَها وَغَدا ... ذَيْلُ الصّبا بَيْنَ مَرْفوعٍ وَمَجْرُورِ

قَدْ جُمِعَتْ جَمْعَ تَصْحِيحٍ جَوانِبُها ... وَالمـاءُ يُجْمَـعُ فِيهـا جَمْـعَ تَكْسِيرِ

وَالرِّيحُ قَدْ أطْلَقَتْ فِيها العَنَانَ بِهِ ... وَالغُصْنُ مـا بَـيْنَ تَقْـدِيمٍ وَتَـأْخِيرِ

وَالرِّيحُ تَجْرِي رُخاءً فَوْقَ بَحْرَتِها ... وَماؤُهـا مُطْلَـقٌ فِـي زِيّ مَأسُـورِ

وَالماءُ ما بَيْنَ مَصْروفٍ وَمُمْتَنِعٍ ... وَالظّلُّ ما بَيْنَ مَمْدُودٍ وَمَقْصورِ[3]

فألفاظ "الرفع" و "الجر" و "التكسير" و"التقديم" و "التأخير" و"الممدود" و"المقصور" كلها مصطلحاتٌ من علم النحو، ويلاحظ أن الشاعر أحسن توظيف هذه الألفاظ فجاءت سلسةً ومنسبكةً دون أي ثقل، ومن التوجيه بذكر أسماء أنهار الشام قول شَعبان الآثاري:

[البسيط]

شَوْقِي يَزِيدُ وَقَلْبُ الصَّبِّ ما بَرَدَا ... وَبَـانَ يَأْسِـي مِـنَ المَعْشُوقِ حِينَ

وَمَـدْمَعِي قَنَـواتٌ وَالعَـذولُ حَكَـى ... ثَـوْرَا يَلُـومُ الفَتَـى فِـي عِـشْقِهِ

ومن التوجيه بالحديث الشريف قول أبي بكر الدماميني:

(1) عبد الهادي، حسن، دراسة شعر شمس الدين النواجي، 61.

(2) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 55.

[مخلع البسيط]

قَدْ عَطَسَ الصُّبْحُ يا حَبيبي   فَلا تُشَمِّتْهُ بِالفِراقِ[1]

وهذا توجيه من الحديث الشريف "إذا عطس أحدكم فحمد ا فشمتوه"[2]، ومن التوجيه بأسماء النجوم قول أبي بكر الدماميني:

[الكامل]

ماءُ الحَيَا الوَكّافُ أرْسَلَ دَمْعَهُ   وَالبَرْقُ مِنْ خَلَلِ السّحابِ قَدِ

هَذا وَفِي أُسُدِ البُروجِ تَحَجَّبَتْ   شَمْسُ السّماءِ وَقَدْ أَبَتْ أنْ تُلْحَظا

وَكَأَنّما الأَسَدُ اسْتَطابَ زَئِيرَهُ   بالرّعْدِ مِنْ حَنَقٍ وَزَادَ تَغَيّظا

وَكَأَنّهُ افْتَرَسَ الغَزالَةَ بَغْتَةً   فَانْظُرْ لِسَانَ الرّقِّ كَيْفَ تَلَمَّظا[3]

ومن التوجيه بمصطلحات الحديث قول ابن زقاعة:

[الطويل]

وَدَوْحَةُ وَرْدٍ أَرْضُها مِنْ بَنَفْسَجٍ   يُنادِمُنِي مَنْثُورُها باصْفِرارِهِ

رَوَى لِي حَدِيثَ الحُبِّ عَنْ نَسْمَةٍ   عَنِ البانِ عَنْ رَنْدِ الغُوَيْرِ

7- التواصل بالتراث

تواصل الشعراء مع التراث الأمر الذي عكس ثقافتهم وسعة اطلاعهم على العلوم الأخرى، وأكثر تواصلهم كان باستدعاء نصوص القرآن الكريم ،فقد كان القرآن بإعجازه وبلاغته أبعد أثراً في نفوسهم، يقول أبو بكر الدماميني:

[الكامل]

فَارْحَمْ وَدَارِكْنَا (فقُوصٌ) حَرُّها   يَحْكِي لَظًى "وَقِنا عَذابَ النَّارِ"[5]

والشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى: (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[6]، ومن التواصل الواضح بالقرآن لفظاً ومعنًى قول علاء الدين المارديني:

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 117.

(2) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، **رياض الصالحين**، 365.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 114.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 139.

(5) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 108 .

(6) **سورة آل عمران** آية16.

[الخفيف]

لَـيْسَ فِـي الحُـسْنِ لِلـشَّآمِ نَظِيـرٌ ... "لا يَغُرَّنَّـــكْ بِـــالبِلادِ الغُـــرورُ"[1]

كُـلُّ مـا تَـشْتَهِيهِ نَفْـسُكَ فِيهَـا[2] ... وَبِهــا البِـشْرُ وَالهَنَــا وَالـسُّرُورُ

قُلْــتُ لِلرَّكْــبِ مُــذْ أَنَخْنَــا عَلَيْهــا ... وَتَـــرَاءَتْ وِلْـــدانُهَا وَالحُـــورُ[3]

ومن أمثلة الاقتباس من الحديث قول أبي بكر الدماميني أيضا:

[مخلع البسيط]

قُلْـــتُ لَـــهُ وَالـــدُّجى مُـــوَلٍّ ... وَنَحْـنُ فِـي الأُنْـسِ بِـالتَّلاقِي

قَـدْ عَطَـسَ الـصُّبْحُ يـا حَبِيبِـي ... "فَـــلا تُـــشَمِّتْهُ بِـــالفِراقِ"[4]

ومن مظاهر التأثر بالتراث تضمين الشعراء للمثل القائل "كلام الليل يمحوه النهـار"[5]، يقول الدماميني:

[الوافر]

تَحَــدَّثَ لَيْــلُ عَارِضِــهِ بِــأَنِّي ... سَأَسْــلُوهُ وَيَنْــصَرِمُ المَــزَارُ

فَقَـــالَ جَبِينُـــهُ لَمَّـــا تَبَـــدَّى ... (حَـدِيثُ اللَّيْـلِ يَمْحُـوهُ النَّهَـارُ)[6]

وقد ضمن النواجي هذا المثل:

[الوافر]

بَــدَا لَيْــلُ العِــذارِ فَلُمْــتُ قَلْبِــي ... وَقُلْــتُ سَــلَوْتُ إِذْ طَلَــعَ العِــذَارُ

فَأَشْــرَقَ صُــبْحُ غُرّتِــهِ يُنَــادِي ... "كَـلامُ اللَّيْـلِ يَمْحُـوهُ النَّهـارُ"[7]

---

(1) استفاد الشاعر من قوله تعالى" ولا يغرنكم بالله الغرور"، سورة لقمان آية 33.

(2) من قوله تعالى (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ)، **سورة الزخرف**، آية 71.

(3) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 212، والشطر الثاني من البيت الثالث من قوله تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)، وقوله (وَحُورٌ عِينٌ)، والآيتان من **سورة الواقعة**، 17، 22.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 117، والشاعر يشير إلى حديث نبوي مر ذكره ص 186.

(5) ينظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال**، 157/2، وهو أيضا تضمين لقول أبي نواس:

فقلت الوعد سيدتي فقالت ... كلام الليل يمحوه النهار، ينظر: أبو نواس، الحسن بن هانئ، **ديوانه**، 75.

(6) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 105.

(7) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 308.

8- التضمين

"وهو أن يودع الشاعر في شعره بعض ما يستحمله من شعر غيره بيتاً تاماً، أو نصفه أو ربعه بعد أن يمهد له بروابط متلائمةٍ منسجمةٍ مع ما قبله"[(1)]، فمن الأمثلة على ذلك قول فخـر الدين ابن مكانِس:

[الطويل]

وَكَـمْ قُلْـتُ إِذْ أَرْخَـى ذَوائِـبَ أَنْفِـهِ	"عَلَـيّ بـأَنْواعِ الهُمُـومِ لِيَبْتَلِـي"
ألا أَيُّهـا اللَّيْـلُ الطَّويـلُ ألا انْجَـلِ	"بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ"
كَـأَنِّي بِمَوْلانـا عَلَـى وَصْفِ أَنْفِـهِ	"تَـوَلَّى بِأَعْجَـازٍ وَنَـاءَ بِكَلْكَـلِ"[(2)]

ويقول أبو بكر الدماميني:

[الطويل]

رَشِـيقٌ يَغَـارُ الغُـصْنُ مِـنْ لِـينِ	إِذا مَـا انْثَنَـى وَانْظُـرْ لَـهُ فَهْـوَ [(3)]

أخذه الدماميني من قول صفي الدين الحِلي:

[الطويل]

مَلِيحٌ يَغارُ الغُصْنُ عِنْدَ اهْتِزازِهِ	وَيُخْجِلُ بَدْرَ الـتَّمِّ عِنْدَ شُرُوقِهِ[(4)]

ثالثا: بنية القصيدة

مال الشعراء في العصر المملوكي عامة إلى نظم المقطوعة الخفيفة[(5)]، ويدل على ذلـك عدد المقطوعات التي تفوق عدد القصائد، فالقصائد التي وصلت كانت قليلةً إما لأن شعرهم لـم يصل كاملاً، أو لأن أصحاب كتب الأدب لم يكونوا يسجلون القصائد كاملةً إلا نادراً[(6)]، ويـرى محمود رزق سليم أن الشعراء أعجبوا بالمقطوعات ونظمها لحبهم للبديع وأصـباغه والتوريـة والتشبيه، وبدافع حب التصوير والوصف، فمتى ما ابتدرت إلى أذهانهم فكرةٌ عجلوا إلى نظمهـا

---

(1) الحموي، ابن حجة، **خزانة الأد ب**، 311/2.

(2) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات، والشطر الثاني من البيت الأول مضمن من معلقة امرئ القيس، ينظر، **ديوانه**، 48، والبيت الثاني كله مضمن من ديوانه، 49 ، والشطر الثالث من البيت الثالث مضمن من ديوانه أيضا، 48 .

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 84.

(4) الحلي، صفي الدين، **ديوانه**، 394.

(5) ينظر: عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 257، و السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراًوناقداً**، 202، والنجادي، موسى، **وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول**، 225.

(6) ينظر: محمد، محمود سالم، **أدب الصناع وأرباب الحرف**، 321.

في البيت أو البيتين، مدفوعين بحب الابتكار والإبداع والرغبة في المنافسة والتفوق، وتدل مقطوعاتهم على حضور البديهة وحسن الإيجاز(1)، فالمقطوعة تستجيب للحظة الانفعال وللفكرة العابرة التي تمر في ذهن الشاعر، أما القصيدة فتحتاج إلى إعمال الفكر وإلى التخطيط والتصور المسبق(2)، كما أن نظم المقطوعات أسهل على الشعراء الذين لم يكونوا يحترفون الشعر بشكلٍ جيدٍ، وخاصةً إذا عرفنا أن ليس كل من نظم الشعر هو شاعر، فمن الممكن أن تكون الفكرة التي أراد الشاعر نظمها قصيرةً لا تحتمل أن تنظم في قصيدة، وأضرب مثلاً للشاعر علي بن أيبك الذي رأى غصناً اصفرت أوراقه فحملته الريح وألقته في النهر فنظم مقطوعةً في بيتين تعبر عن هذا الموقف الذي عرض له، ولو نظم ما شاهده في قصيدةٍ لامتلأت بالتصنع والتعقيد ولجاءت الكلمات محشوةً وغابت الصورة الجميلة ،يقول:

[المنسرح]

مَا أَكْرَمَ الغُصْنَ فِي الخَرِيفِ وَقَدْ ... أَثَّرَتِ الرِّيحُ فِيهِ تَأْثِيرَا

لَمَّا أَتَى النَّهْرُ سَائِلاً مَلأَتْ ... أَوْرَاقُهُ كَفَّهُ دَنَانِيرَا(3)

ويلاحظ أن الشعراء اعتمدوا السهولة في لغتهم و التكثيف في أسلوبهم لإيصال المعنى الجميل، ومن الأمثلة على ذلك مقطوعة للشاعر علاء الدين البيري الحلبي لما رأى غروب البدر وانعكاس أشعته البيضاء الجميلة على البحر، فوصف فيها هذا المنظر وأخرج مقطوعةً لا تقل جمالاً عن شعر الشعراء السابقين اعتمد فيها السهولة والتكثيف وابتعد عن الإغراب، يقول:

[الطويل]

أَرَى البَدْرَ لَمَّا أَنْ دَنَا لِغُرُوبِهِ ... وَأَلْبسَ مِنْهُ أَزْرَقُ الماءِ أَبْيَضَا

تَوَهَّمَ أَنَّ البَحْرَ رَامَ الْتِقامَهُ ... فَسَلَّ لَهُ سَيْفاً عَلَيْهِ مُفَضَّضَا(4)

ولم تكن مقطوعاتهم بالمستوى الفني الجيد دائماً، فهناك العديد منها جاء بارد المعنى لا جمال فيه، كقول شهاب الدين بن العطار:

---

(1) ينظر: **عصر سلاطين المماليك**، 8/491-492.

(2) ينظر: محمد، محمود سالم، **أدب الصناع وأرباب الحرف**، 334.

(3) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 5/195.

(4) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، 12/133.

[مجزوء الكامل]

عَلِمَ النّسيمُ بحَالِ مَنْ لَهُمُ القُلُوبُ مَعَاهِدُ
وَأَتَى يُسَائِلُ عَنْهُمُ إنَّ النَّسِيمَ لَبَارِدُ(1)

أما القصائد فقد اهتم بها الشعراء كثيراً، ويجدر الإشارة إلى أن شعر وصف الطبيعة جاء قليلاً في هذا العصر، إذا ما قورن مع العصور السابقة أوالعصر المملوكي الأول الذي سبقه، أو مع شعر الغزل والمدح الذي نظم في العصر نفسه، فالشعراء نظموا أكثر أشعارهم في الغزل والمدح، وكثيراً ما جاء شعر وصف الطبيعة مبثوثاً في ثنايا هذه القصائد، ولا يعني ذلك عدم وجود قصائد خاصة، وإنما يقصد منه أن هذه القصائد جاءت قليلةً إذا ما أحصيت مع موضوعات الشعر الأخرى، وخاصةً شعر وصف الطبيعة المتحركة الذي جاء قليلاً وضئيلاً بالنسبة للعصر الأول، وفي ذلك يقول ياسين الأيوبي، "ولم نقع على أوصافٍ شعريةٍ لعددٍ كبيرٍ من الحيوانات التي كثر الحديث عنها في العصور السابقة، كالحية والعقرب والنمل والأسد والنمر والظباء. ..."(2)، وربما يمكن الاستدلال أيضا على هذا من خلال الدراسات التي أجريت على بعض شعراء هذا العصر كشمس الدين النواجي الذي خلف ديوان شعرٍ ضخماً لكن شعره في الطبيعة جاء قليلاً، يقول الباحث " أما شعر النواجِي في الطبيعة فلا يحتل جانباً كبيراً من شعره، وقد وجدنا له مقطوعتين مستقلتين في وصف الورد والروضة، أما ما عدا ذلك من الوصف فقد أتى في قصائد الغزل ومقطوعاته، في استدعاءاته الخمرية في الأغلب"(3)، أما الباحثة سارة السراحنة فتقول في شعر الدماميني "أما شعر الدمامِيني في الطبيعة فلا يحتل جانباً كبيراً في شعره، وقد وجدنا له مقطوعتين مستقلتين في وصف الروضيات والشقائق، وما عدا ذلك من الوصف فقد أتى في قصائد الغزل والمدح"(4)، ويرى باحثٌ آخر أن أوصاف الشعراء في هذا العصر جاءت سطحيةً بعيدةً عن التعمق والاستصقاء للجزئيات والبحث عن عناصرها لذلك جاءت تتسم بالسرعة وعدم التركيز لأن الشعراء لم يكونوا يتخذون من الوصف موضوعاً قائماً بذاته(5)، وربما يرجع ذلك إلى أن الشعراء لجؤوا إلى الوصف من أجل صناعة البديع والتشبيه، وقد كانوا يلجؤون إلى هذا الفن لاستخدام التورية والجناس والمطابقة وغيرها(6)، وعلى الرغم من هذه الآراء إلا أن شعر الوصف في هذا العصر – على الرغم من قلته – لم

(1) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 181/1.

(2) **آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي**، 196.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 209.

(4) **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 172.

(5) ينظر: الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً و ناقداً**، 133- 134.

(6) ينظر: سليم، محمود رزق، **تقي الدين بن حجة الحموي**، 73.

يخل من الأسلوب الجيد والفكرة الحسنة والصورة الجميلة، ولقد جاءت الكثيـر مـن الأشـعار المصحوبة بألوان البديع بعيدةً عن التعقيد والصنعة البديعية ،وأحسن الشعراء في صياغة البـديع وسبكها سبكاً حسناً في البيت الشعري.

واهتم الشعراء بقصائدهم في هذا العصر، ولما كان المطلع هو أول مـا يتعـرض لـه القارئ في قصيدته، كان الأجدر على الشاعر أن يحسن المطلع حتى يلقى القبول عند الآخـرين ،يقول حازم القرطاجني: "ويجب على الشاعر أن تكون مطالع قصائده جزلةً حـسنة المـسموع والمفهوم لكي يقبل المتلقي عليها"[(1)]، ودعا النقاد العرب الشعراء إلى الاهتمام بمطلـع القـصيدة لأن له قوة الأثر في السمع ويدفع السامع وينبهه إلى الإصغاء إذا كان جيداً، وإن لم يكن كـذلك كانت النتيجة عكسيةً وانصرف القارئ عنه[(2)]، و يكون المطلع حسناً بأن تكون الكلمات حـسنة الدلالة على المعنى ومتمكنة، وأن تكون العبارة جزلة والمعنى شريفا[(3)]، وإلـى جانـب حـسن المطلع اشترط ابن حجة الحموي أن يكون المطلع أيضا " دالاً على ما بنيت عليـه- القـصيدة- مشعراً بغرض الناظم، من غير تصريحٍ بل بإشارةٍ لطيفةٍ تعذب حلاوتها في الذوق الـسليم"[(4)]. والتزم شعراء العصر المملوكي بشروط النقاد في كثيرٍ من الأحيان، فجاءت مطـالعهم حـسنة الاسلوب مأنوسة الألفاظ ومن الأمثلة قصيدة شِهاب الدين المنْصوري، يقول في مطلعها:

[البسيط]

الحَمْـدُ لِلَّــهِ أوْفَــى وَعْـدَهُ النِّيــلُ	إنَّ الوَفَـاءَ مِـنَ المَحْبُـوبِ مَـأْمُولُ
جَـرَى جَـوَاداً فَمِـنْ دَارَاتِــهِ غُـرَرٌ	لَـهُ وَمِـنْ زَبَـدِ الأمْـواج تَحْجِيـلُ[(5)]

فالشاعر بدأ قصيدته بحمد ا والحديث عن الوفاء الذي عم أهل مصر بوفـاء النيـل، وجاءت ألفاظ القصيدة سهلةً بعيدةً عن التكلف والغموض واتصف المطلـع والقـصيدة بعـدها بالجزالة، كما أن مطلع القصيدة يشعر المتلقي بموضوعها وهو النيـل، كمـا التـزم الـشاعر التصريع في مطلع القصيدة، وللتصريع طلاوةٌ وموقع من النفس لاسـتدلالها بـه علـى قافيـة القصيدة قبل الانتهاء إليها"[(6)]، ثم يسترسل الشاعر بعد هذا المطلـع بوصـف النيـل وصـفحته

(1) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، 305- 306.
(2) ينظر: بدوي، أحمد أحمد، **أسس النقد الأدبي**، 297.
(3) ينظر: قلقيلة، عبده عبد العزيز، **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، 396.
(4) **خزانة الأدب**، 30/1.
(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 29.
(6) قلقيلة، عبده عبد العزيز، **النقد الأدبي في العصر المملوكي**، 396.

وأمواجه والسفن التي تشبه الغادات والشط والروضة المحيطة بها في أسلوبٍ سلسٍ لا يخلو من روعة، يقول:

[البسيط]

يُـنَظّمُ الحَبَـبَ الطّـافِي وَيَنْثُـرُهُ "كَأنَّـهُ مَنْهَـلٌ بـالرّاح مَعْلُـولُ"[1]

كَأنّـهُ وَالـصّبا صُـبْحاً تُجَعّـدُهُ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجا سَراوِيلُ

كَـأنّ أمْواجَـهُ وَالـرّيحُ تَنْـشُرُها صَـوارِمٌ بِظُباهـا المَحْـلُ مَقْتُـولُ

كَأنّمـا الـسّفْنُ غـاداتٌ جَـرَيْنَ بِـهِ لَها المَراسِي شُنُوفٌ أوْ مَراسِيلُ

كَأنّمَـا الـشّطّ وَالأمْـواجُ تَلْطِمُـهُ دَفّ لَهـا وَخَريرُالمـاءِ مَوْصُـولُ

كَأنّمـا الرّوْضَـةُ الغَنّـاءُ غانِيَـةٌ بِحُسْنِها قَلْبُ هَذا النِّيلِ مَشْغُولُ[2]

فالقارئ لهذه العبارات يلحظ جمالها والصور الفنية الرائعة التي نظمها الشاعر والتي تحدث من خلالها عن النيل والمظاهر المتعلقة به، فالشاعر جعل القصيدة خالصةً لموضوعه "وصف النيل" ووصف الطبيعة الجميلة التي تحيط به، كما أن الشاعر دخل لموضوعه مباشرةً دون مقدماتٍ، فبدأ بالحديث عن النيل وبقي متحدثاً عنه إلى أن اختتم القصيدة بإعلان حبه لهذا النيل، يقول:

[البسيط]

يـا مَنْ لَـهُ رَغْبَـةٌ عَنْ نِيلِ مِصْرَ قَلْبِـي عَلَـى حُـبِّ هَـذا النِّيـلِ مَجْبُولُ[3]

فالشاعر بدأ قصيدته بإعجابه بالنيل المتصف بالوفاء واختتمها بالحديث عن حبه لهذا النيل الذي يبث الحياة في مصر.

ومن القصائد الفريدة الجميلة في هذا العصر أيضا قصيدة فخر الدين ابن مكانس في وصف شجرةٍ على شاطئ النيل، وقد جاء المطلع دالاً على الموضوع وهو وصف هذه السرحة، كما جاءت المقدمة تتسم بالوضوح والجزالة وسهولة الكلمات وجمال الصورة الفنية، يقول:

[البسيط]

يـا سَـرْحَةَ الـشَّاطِيءِ المُنْـسَابِ عَلَـى اليَواقِيـتِ فِـي أشْـكالِ مِرْآةِ[4]

([1]) الشطر الثاني من البيت الأول مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر **ديوانه**، 19.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 29- 30.

(3) **نفسه** 30.

(4) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

وقد دخل الشاعر إلى موضوعه مباشرةً دون مقدماتٍ، وأعلم السامع به، وينساب الشاعر بعد هذا المطلع في قصيدته قائلا:

[البسيط]

حَلَّتْ عَلَيْكَ عَزالَيْها السَّحَابُ إذا ... نَوْءُ الثّرَيّا اسْتَهَلّتْ ذاتُ أنْواءِ

فَإنْ تَبَسَّمَ فِيكَ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ ... سَقَاكَ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكّاءِ[1]

ويسترسل الشاعر بعد هذه الأبيات واصفاً الطبيعة الجميلة المحيطة بالشجرة والنيل والسفينة التي ركبها وأصحابه، والقصيدة جاءت خالصةً في موضوع الوصف.

ومن القصائد الجميلة الخاصة بوصف الطبيعة أيضا قصيدةٌ للشاعر ابن زقاعة في وصف الزهور، فقد جعل الزهور تتحدث فيما بينها وتتفاخر منتزعا الصفة الإنسانية وهي التنافس بين الناس ومسقطاً لها على الزهور، وقد جاءت ألفاظ القصيدة مأنوسةً حضاريةً بعيدةً عن الحوشي والغريب وتتسم بالرقة والسهولة، يقول في مطلعها:

[الكامل]

وَاسْمَعْ تَشَابيهَ الزُّهورِ وَوَصْفِها ... مِنْ رَائِقِ المَعْنَى وَمَعْنَى الرِّقَّةِ

إنَّ الزُّهُورَ تَفَاخَرَتْ مَا بَيْنَها ... كُلٌّ يَرُومُ المُلْكَ بَعْدَ اللإمْرَةِ[2]

ينتقل بعدها لوصف الأزهار وأنواعها، ويقول في بعضها:

[الكامل]

وَالنَّرْجِسُ الغَضُّ المُضَاعَفُ قالَ ... فِي زَهْرِكُمْ مِثْلِي وَيَحْمِلُ رَايَتِي

سَاقِي زَبَرْجَدُ ثُمَّ رَأسِي نِصْفُهُ ... ذَهَبٌ وَبَاقِيهِ سَبِيكُ فِضَّةِ[3]

ويختم الشاعر قصيدته بقوله:

[الكامل]

وَقَدِ انْقَضَتْ أزْهَارُهَا وَثِمارُهَا ... وَلَكَمْ كَذَا دُوَلُ المُلُوكِ تَقَضَّتِ[4]

---

(1)ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 195.

(3) **نفسه** 196، الشطر الثاني من البيت الثاني مكسور.

(4) **نفسه** 200.

والقصيدة تتكون من اثنين وخمسين بيتا جاءت كلها في موضوع وصف الأزهار، كما أن له قصيدةً أخرى تتكون من أربعين بيتاً في وصف الأشجار والأثمار ولم يخرج الشاعر فيها عن موضوعه الذي نظم القصيدة من أجله، وله قصيدتان في وصف الأفلاك والنجوم بلغت الأولى مئةً وأربعة عشر بيتاً، والثانية بلغت مئة بيت[1] خصهما الشاعر بالحديث عن الفلك والنجوم والكواكب وأسمائها وعلمائها وأتى بالكثير من النظريات الفلكية التي لا يعرفها ولا يلم بها إلا العارف في علومها.

والشاعر ابن زقاعة هو الشاعر الوحيد الذي أكثر من وصف الطبيعة في ديوانه من بين شعراء ذلك العصر وله خمس قصائد في وصف مدينته مدينة الخليل تحدث فيها عن طبيعتها وأشجارها وأثمارها وأزهارها ومياهها ونسيمها وطيورها وغير ذلك من موضوعات الطبيعة.

وجاء كثير من شعر الطبيعة مبثوثاً في قصائد المدح والغزل، واتخذت مقدمات القصيدة أشكالاً متنوعةً في هذا العصر، فكثيراً ما افتتح الشعراء قصائد الوصف بمقدمات غزليةٍ أو طلليةٍ أو حتى خمريةٍ، كانوا يعرجون بعدها على ذكر مظاهر الطبيعة ووصفها، وفي كثيرٍ من الأحيان جاءت هذه الأشعار الطبيعية في القصيدة قليلةً بالنسبة إلى عدد أبياتها، فمن القصائد الوصفية التي قدم الشاعر لها بمقدمةٍ خمريةٍ قصيدةٌ لابن خطيب داريا بدأ فيها بدعوة نديمه إلى أن يسقيه الخمر وسط مظاهر الطبيعة الجميلة، كما أن أسلوب القصيدة يوحي بفرحة الشاعر وسعادته في هذا الجو الذي يبعث السرور والأنس، كما أن ألفاظه مزجت بالحياة الحضارية ومعانيها وابتعدت عن التكلف والصنعة، يقول:

[السريع]

هاتِ اسْقِنِي الصَّهْبَاءَ يا مُؤْنِسِي	**قَدْ فاحَ نَشْرُ الوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ**
فَالوَقْتُ قَدْ راقَ وَرَقَّ الهَوَى	**وَجَادَ بِالوَصْلِ الزَّمانُ المُسِي**
وَالرَّوْضُ قَدْ وَافا بِأَزْهارِهِ	**تَتِيهُ فِي زاهٍ مِنَ المَلْبَسِ**
كَأَنَّ غُصْنَ البانِ قَدُّ الَّذِي	**أَهْواهُ فِي أَثْوَابِهِ السُّنْدُسِ**
كَأَنَّ بَدْرَ التَّمِّ تَحْتَ الدُّجَى	**جَبِينُهُ البَاهِرُ فِي القُنْدُسِ[2]**

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن الخمر، قائلا:

---

(1) ينظر **ديوانه**، 171 و 179.

(2) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

[السريع]

فَعَاطِنِيهَــــا غَيْـــــرَ مَمْزُوجَـــــةٍ عَـذْرَاءَ تُجْلَــى مِـنْ صَـدَا الأَنْفُـسِ

وَإِنْ يَكُـــنْ لا بُـــدَّ مِـــنْ مَزْجِهــا فَمِـنْ رُضَــابِ الـشَّادِنِ الأَلْعَـسِ[1]

أما المقدمة الطللية فقد أخذ الشعراء يتخففون من تقديمها في قصائدهم ويتخلصون منهـا لصالح المقدمة الغزلية[2]، فالقدماء كانوا يبدؤون مقدماتهم بوصف الأطلال والاسـتطراد إلـى وصف الصحراء والرحلة والحديث عن الصيد وتضمين القصيدة شيئا من الحكم التـي توسـع مدارك السامع وتبصره بأطرافٍ من سنن الحياة، أما الشعراء اللاحقون فقد أخذوا يبتعدون عـن هذا النهج رويدا رويدا[3]، وخير من يمثل هذا القول شعراء هذا العصر الذين ابتعدوا عن هـذا النهج إلى حدٍ كبير فلم يأتوا بالمقدمات الطللية إلا قليلاً جداً من باب المجاراة والمحاكاة، أو في مقدمات المديح النبوي والرحلات الحجازية، لأن المقدمات الطللية تناسب الموضوع حيث يقـدم الشاعر لرحلته بذكر الأطلال والرحلة والصحراء والناقة، فمن المثال الأول قصيدة الشاعر فخر الدين ابن مكانِس ذاكراً الأطلال في مقدمتها وداعياً لها بالسقيا على نهج القدماء، لكنه ابتعد عن الإغراب والتعقيد في الألفاظ، يقول:

[المتقارب]

أَجَــابَ المُتَــيَّمُ داعِـــي الطَّلَـــلْ وَقَــالَ لَـــهُ: مُــتْ فَنَــادَى أَجَــلْ

دَعَـــانِي فَهَـــيَّجَ نَـــاراً خَبَـــتْ وَجَـــدَّدَ جُرْحَـــاً بَـــرَا وَانْـــدَمَلْ

سَــقَى اللَّـــهُ أَطْــلالَ ذَاكَ الحِمَــى بِـسَيْفِ الهُوَيْـدِبِ مِـنْ كُـلِّ طَـلْ

وَحَيَّـــا رُبَاهَـــا بِوَبْـــلِ الحَيَـــا إِذَا أَعْــوَزَ الــشَّامِخَاتِ البَلَــلْ[4]

ومما يدلل على أن الشاعر قال قصيدته تقليداً للآخرين أننا نجده يقول في بيتٍ آخر:

[البسيط]

أَمَّــا أَنَــا لَـسْتُ نَوَّاحــاً عَلَــى طَلَـلٍ وَلاَ خَلِــيطٍ وَلا نَـــدَّابَ أَحْيَـــاءٍ[5]

---

(1)ابن خطيب داريا، **ديوانه** ، 168.

(2) ينظر: أبو الهيجاء، فؤاد، **شعر الجهاد الشامي في مواجهة الصليبيين**، 272.

(3) ينظر: ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، 163.

(4) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(5) **نفسه.**

وهذا ما يدفع إلى الإعتقاد بأن الشعراء جاروا السابقين من أجل اثبات أنهـم لا يقلـون عنهم جودةً وفنيةً في شعرهم، وإلا فما الذي يدفع الشاعر إلى إنكار نوحه على الأطـلال، فـلا غرابة في ذلك، فشعراء هذا العصر لم يعيشوا الصحراء ومظاهرها وهي البيئة الطبيعية التـي كانت ترفد الشعراء القدماء في معانيهم وأخيلتهم، فقد عاشوا في المدن ولم يعيشوا بيئة الصحراء القاسية وإبلها وأطلالها.

أما النواجي فقد بدأ قصيدته في المدح النبوي مقلداً أسلوب القـدماء فـي ذكـر أسـماء الأماكن الحجازية ووصف الناقة وسيرها وذكر الصحراء وقسوتها، ويمكـن أن تـصنف هـذه القصيدة من باب التجربة الواقعية والحقيقية للشاعر وليس من باب القصيدة المقلدة، لأن الشاعر سافر لأداء الحج فعبر الصحراء بناقته ماراً بالأماكن الحجازية ومجرباً الـصحراء وقـسوتها، يقول الشاعر في مطلع قصيدته التي تعد من الشواهد الجيدة على براعة الاستهلال:

[الكامل]

لَـوْلا المُحَـصّبُ وَالعَقِيـقُ وَلَعْلَـعُ ... مـا غَنَّـتِ العيسَ الحُداةُ وَلَعْلَعُوا

ولَمّـا سَـرَتْ لِلمَـأْزَمَيْنِ قلائِـصُ ... تَطْـوِى بِأَيْـدِيهَا الفَـلاةَ وَتَقْطَـعُ

ظَلَعَتْ وَجَدَّ بهـا الرَّحِيـلُ فَحَثَّهَـا ... قتَـبٌ تَكَـادُ تُعَـدُّ فِيـهِ الأَضْـلُعُ

وَوَنَـتْ مِـنَ الـسَّيْرِ الـشَّدِيدِ وَكُلّمَـا ... غَنَّـى لَهـا الحـادِي بطَيْبَـةَ تُـسْرِعُ

كَمْ حُمّلَـتْ مـا لا تُطِيـقُ وَصَدْرُها ... فِي الحُبِّ مِنْ تِلْكَ الأبَاطِحِ أوْسَعُ

سِيقَتْ بِقَعْقـاعِ المَهَامِـهِ فـانْبَرَتْ ... وَالـرُّوحُ مِنْهَـا فِـي الـسِّياقِ تُقَعْقِعُ

وَلَكَـمْ لَهـا فِـي الرَّمْـلِ دارَةَ مَنْـسِمٍ ... تَعْنُـو لِطَلْعَتِهـا البُـدُورُ الطُّلَّـعُ

سُـقْياً لَهُـنَّ سَـفائِنُ البَـرِّ الأُلَـى ... بِـالرِّيحِ تَجْـرِي وَالهَـوادِجُ تُقْلِـعُ

وَسَـوابحٌ غَرِقَـتْ بِلُجَّـةِ قاعَـةٍ ... فَغَـدَتْ بِأَيْـدِيها تَـشُقُّ وَتَـذْرَعُ(1)

وأحيانا قدموا الأطلال في أسلوبٍ ومزيجٍ حضاري بعيدٍ كل البعد عن النمط القديم وفـي أسلوبٍ لغوي مشوق، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

يا سَادَةً هَجَرُوا فِي شَهْرِ تَشْرِينِ ... إنْ بِعْتُمُونِي رِجالُ الحُبِّ تَشْرِينِ

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 60 – 61.

لَمْ أنْسَ مَجْمَعَنـا بالـسَّفْحِ إذْ لَمَعَتْ نَـارُ الأحِبَّـةِ مِـنْ أطْـلالِ حَبْـرُونِ
وَنَسْمَةٌ مِنْ رُبَى ذَاكَ المَقَامِ سَرَتْ مَلْفُوفَةٌ سَحَراً فِي ثَوْبِ يَسْمِينِ(1)

وأحياناً بدأت قصائد المدح بمقدمات في وصف الطبيعة، ، وهذا قليلٌ جداً ومـن ذلـك قصيدةٌ لابن حِجة الحموي في مدح الكمال البارزي حيث بدأ القصيدة بعشرة أبياتٍ في وصـف الليل ثم انتقل بعدها إلى المدح، يقول:

[مجزوء الكامل المرفل]

عَـاشَ الـدُّجَى وَعَلَـيَّ عَـسْعَسْ وَالـصُّبْحُ مَـاتَ وَمَـا تَـنَفَّسْ
وَاللَّيْـلُ أدْهَـمُ طَرْفِـهِ فِـي سَـلْبِ نَـوْمِي قَـدْ تَفَـرَّسْ
طَارَحْتُـهُ برَقِيـق أشْ عَـارِي وَقُلْـتُ عَـسَاهُ يَـرْأسْ
شَـقَّ الأسِـنَّةَ مِـنْ كَـوا كِبِـهِ وَعَـايَرَنِي وَخَمَّـسْ
وَسَـألْتُ عَـنْ خَبَـرِ الـضُّحَى بَـرْقَ الحِمَـى لَمَّـا تَجَـسَّسْ(2)

وقدم الشعراء أحياناً لقصائد المدح النبوي بمقدماتٍ جميلةٍ في وصف الطبيعة ومن ذلك قصيدة للشهاب المنْصوري في المديح النبوي حيث قدم لها بالحديث عن الليل والصبح والـورد والشمس والعندليب والريح، وقد انتقل الشاعر إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من خـلال حسن التخلص، وهو "أن يخلص الشاعر من معنًى لمعنًى آخر تخلصاً عذباً يـستعذب الـسامع ويميل إليه الطبع"(3)، وقد أحسن الشاعر في حسن التخلص وأظهر مقدرة على ذلك، يقول:

[البسيط]

أمِسْكَةَ اللَّيْلِ مَسّتْ حُمْرَةَ الشَّفَقِ فَأرَّجَـتْ بِـشَذَاهَا حُلَّـةَ الـشُّفُقِ
وَشَمَّرَ الصُّبْحُ ذَيْلَ اللَّيْلِ وَانْطَلَقتْ ذُكَـاءُ سَـافِرَةً عَـنْ بُرْقُـعِ الغَـسَقِ
وَأقْبَلَـتْ فِـي رِدَاءِ الـوَرْسِ رَافِلَـةً فَألْبسَتْ مِنْ حَلاهَا عَاطِلَ الطّرُقِ
وَهَبَّ صُبْحاً عَلَيْهِ الرِّيحُ مُلْتَمِساً شِفَاءَهُ مِنْ رُقَى الوَرْقَاءِ بالـدَّرَقِ
وَالرِّيحُ تَحْدُو رِكاباً مِنْ سَحَائِبِها مَخْـصُوصَةً مِـنْ ضُـرُوبِ الـسَّيْرِ

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 102.

(2) ينظر الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 136، لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه أو من مصادرالأدب الأخرى.

(3) الأندلسي، ابن جابر، **الحلة السيرا في مدح خير الورى**، 63 ,

كَأَنَّهـــا نُجُـــبٌ وَالـــشَّوْقُ قائِـــدُها ... إلـــى ضَـــرِيحِ عَظِـــيمِ الفَـــضْلِ [1]

والقصيدة مكونة من اثنين وعشرين بيتاً وقد استغرق الوصف قريباً من عشرة أبياتٍ أي ما يقارب النصف، وأحياناً جاء الوصف مبثوثاً في قصائد الغزل ولم يقصد له قصداً وإنما جـاء ذكره من خلال الحديث عن المحبوبة، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة للدماميني في الغزل، حيث بدأ الشاعر قصيدته بالغزل وانتقل بعدها إلى الوصف، وجاء عدد أبياتها اثنـين وثلاثـين بيتـاً استغرق الوصف منها عشرة أبيات أي أقل من ثلث القصيدة، يقول الشاعر في مطلعه الغزلي:

[الطويل]

فَـدَيْناهُ غُـصْناً مُـذْ تَثَنّـى تَفَـرّدَا ... بجَمْـعِ جَمَـالٍ رَدَّ عَقْلِـي مُبَـدَّدَا

هُوَ الـشَّمْسُ لَكِنْ لا زَوَالَ لِحُسْنِهِ ... أوِ البَـدْرُ لَكِـنْ مـا تَكَلَّـفَ إذْ بَـدَا[2]

ثم انتقل بعد استرساله في غزله الرقيق إلى الوصف، يقول:

[الطويل]

وَلَيْلَـــةٌ بِتْنـــا وَالعَفـــافُ نَـــدِيمُنا ... نُـدِيرُ كُؤُوسـاً مِـنْ عِتـابٍ تَـرَدّدَا

وَأَسْـجَعُ وَجْـداً إذ أُعَـايِنُ قَـدَّهُ ... فَأَبْـصَرْتُ فِـي الغُـصْنِ الحَمَـامَ

بِرَوْضَـةِ أُنْسٍ قَدْ تَطَابَقَ وَصْفُها ... وَأُعْرَبَ عَـنْ لَحْـنٍ نَبـا الطَّيْـرِ إذْ

وَكَـمْ مَـا بِعَيْنِـي ثُـمَّ أَعْيُنُ نَـرْجِسٍ ... وَكَمْ رَاقَ عَيْنِي ياسَمِينٌ بها بَدَا[3]

ثم يصف الورد والشحرور ويختم القصيدة بخمسة أبيات في وصـف النهـر، ومثلهـا قصيدة لأبي الفضل ابن أبي الوفاء من عشرين بيتا في الغزل استغرق الوصف منها ستة أبيـات أي ما يقارب الربع[4].

وأحياناً بدأ الشعراء قصائدهم بتوجيه حكمٍ من الواقع ومن تجارب الشاعر ومما تعلمـه من الحياة، مثل قصيدة للصدر سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم الأبـشيطي الـشافعي الـذي وصف سقوط الفيل في قنطرةٍ وإتيان الناس لمشاهدة هذا الحدث الفريد، حيث جاءت قصيدته في

(1) النبهاني، تقي الدين، **المجموعة النبهانية**، 2/457-458.

(2) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 76.

(3) **نفسه**، 77.

(4) ينظر: حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 152-153.

أربعة عشر بيتاً جعل البيت الأول والثاني في النصيحة، يقول:

[البسيط]

يا مَنْ لَـهُ فِـي دَوَامِ العَيْشِ تَأْمِيلُ لا تَغْتَـرِرْ إِنَّمَـا فِـي العُمْـرِ تَطْوِيـلُ

فَهَـذِهِ الـدَّارُ لا يَبْقَـى بِهَـا أَحَـدٌ لَكِـنْ زَمَـانُ مَجِـيءِ المَـوْتِ مَجْهُولُ[1]

انتقل بعدها إلى وصف سقوط الفيل مع عظمه وثقله وهو يستغل هـذا الوصـف ليقـدم نصيحته للناس في أثناء الوصف قائلا:

[البسيط]

وَذُلَّ مِنْ بَعْدِ عِزٍّ كَانَ فِيهِ وَمَنْ يُعَـزُّ فَهْـوَ بِـذُلِّ المَـوْتِ مَـذْلُولُ[2]

ثم يكمل حديثه عن الناس الذين هرعوا لمشاهدة هذا الحدث ويختم قصيدته بتذكير الناس بالموت ودعوتهم إلى التوبة والإخلاص :

[البسيط]

"كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ يَوْماً عَلَى آلَـةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ"[3]

فَتُبْ إِلى اللَّهِ بِالإخْلاصِ مِنْ عَجَلٍ وَمَنْ يَتُوبُ مَعَ الإخْلاصِ مَقْبُولُ[4]

فالشاعر استغل هذا الحديث ليعظ الناس ويوجههم إلى مـا فيـه خيـرهم وصـلاحهم ولتذكيرهم بنهايتهم المحتومة.

أما شعر الرثاء فقد التزم الشعراء فيه بالوحدة الموضوعية، فلم يقدموا مراثيهم بالمقدمات الغزلية والطللية وولجوا إلى موضوعهم بشكلٍ مباشرٍ، لأن الغزل لا يناسب الرثاء ولا يتفق مع حالة الحزن النفسية التي يعيشها الشاعر[5]، غير أنهم مزجوا أحيانا مقدمات قصائدهم الرثائيـة بالطبيعة، لإظهار حجم الفاجعة عندما يدعون للعيون بسكب الدموع الغزار كـالمطر أو تـشبيه المرثي بالبحر والشمس لرفع قيمته وإشعار السامع بمدى المصيبة والخسارة، يقول ابـن حجـر العسقَلانِي في رثاء سِراج الدين البلْقِيني:

---

(1) السخاوي، شمس الدين محمد، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 398/1.

(2) **نفسه**،/398.

([3]) البيت مضمن من لامية كعب بن زهير، ينظر **ديوانه**، 20.

(4) **نفسه** 399/1.

(5) ينظر: عبد الرحيم، رائد مصطفى حسن، **فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي**، 306.

[البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِي لِفَقْدِ البَحْرِ بِالمَطَرِ ... وَاذْرِي الدُّمُوعَ وَلا تُبْقِي وَلا تَذَرِي[1]

ولم يكن هذا الوصف مقترناً بالمقدمة، بل الناظر في ثنايا القصيدة يجد بعض الأبيات الوصفية، يقول الشاعر بعدها:

[البسيط]

أَقْضِي نَهَارِيَ فِي هَمٍّ وَفِي حَزَنٍ ... وَطُولَ لَيْلِيَ فِي فِكْرٍ وَفِي سَهَرِ[2]

ويخم القصيدة بالدعاء له ما ظهر الهلال وغنى الحمام، يقول:

[البسيط]

وَدُمْ لَنَا أَنْتَ مَا عَنَّ الهِلالُ وَمَا ... غَنَّى المُطَوَّقُ فِي زاهٍ مِنَ الزَّهْرِ[3]

وجاء شعر الشعراء في الموضوعات الأخرى كالمدح والغزل وغيرها ممتزجاً بوصف الطبيعة، فالشعراء حاولوا في المدح استحضار مظاهر الطبيعة التي تتسم بالعلو والرفعة للرفع من قيمة ممدوحيهم وجعلهم يتفوقون عليها، يقول النواجي في ممدوحه:

[الكامل]

نَفْسٌ عَلَى هَامِ الكَوَاكِبِ تَشْرُفُ ... وَحُلاً أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ وَأَلْطَفُ

كَمْ رَامَ بَدْرُ التَّمِّ يَحْكِي وَجْهَكَ ال ... وَضَّاحَ حُسْناً فَاعْتَرَاهُ تَكَلُّفُ[4]

كما مزجوا الطبيعة بغزلهم، يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[البسيط]

يَا جِيدَ ظَبْيٍ بِحَيِّ القَلْبِ مَأْنُوسِ ... وَعِطْفَ غُصْنٍ بِرَوْضِ الحُسْنِ مَغْرُوسِ

يا ظَبْيُ يا غُصْنُ مِلْ لِي وَالتَفِتْ فَلَقَدْ ... حُزْتَ المُعِينَيْنِ مِنْ لِينٍ وَتَأْنِيسِ[5]

وهكذا فقد شاعت المقطوعات في هذا العصر وتفوقت على القصائد، كما أن الشعراء تواصلوا مع القدماء فاهتموا بمطالع قصائدهم ومقدماتها وصرعوا في البيت الأول، كما أنهم

(1) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 210.

(2) **نفسه** 211.

(3) **نفسه**، 227.

(4) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 163.

(5) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 166.

دخلوا في موضوعاتهم أحياناً بشكلٍ مباشرٍ أو قدموا لقصائدهم بالمقطوعات الغزليـة والطلليـة، وربما جاءت بعض أبيات الطبيعة منثورةً في ثنايا قصائد الغزل والمدح، وتخففوا مـن التقليـد الطللي وغابت هذه المقدمات إلى حد كبيرٍ في قصائدهم.

رابعا: الصورة الشعرية

الخيال هو أسلوب الشاعر في التعبير والوسيلة الصالحة لنقل أفكـاره وصـياغتها فـي أسلوب أشد قوةً وأروع جمالاً[1]، والصورة الشعرية" علاقةٌ صريحةٌ أو ضمنيةٌ بـين تعبيـرين بحيث تضفي على أحد التعابير لوناً من العاطفة ويكثف معناها التخيلي ويتم توجيهه، ويعاد خلقه إلى حدٍ ما من خلال ارتباطه أو تطابقه مع التعبير أو التعبيرات الأخرى"[2]، "والخيال والصورة صنوان، يشكلان معاً إبداع الشاعر أو الأديب، فهما كالجسد والروح، فلا جسد بدون روح، ولا وجود للروح في واقعنا بدون الجسد"[3]، واستعان الشعراء بالصورة الشعرية لنقـل أفكـارهم وأحاسيسهم واعتمدوا في صنعها على التشخيص والتجسيم والوصف .

"والصورة الشعرية قد تكون سمعيةً أو بصريةً أو شميةً أو ذوقيةً أو لمسيةً: وهي صور تقليديةٌ في غالب الأحيان، ومنها ما قد يكون مستمداً من العصر الذي يعيش فيه الشعراء متأثرين بالمظاهر الحضارية"[4]، وسأتحدث عن كل صورة من هذه الصور:

1- الصورة السمعية

الصورة السمعية موجودةٌ في شعر الشعراء، وجاء أكثرها في وصف الطبيعة المتحركة وخاصةً الطيور التي وصف الشعراء أصواتها الجميلة، فأبرزوا عنصر الصوت الـذي يـدرك بالسمع وجعلوه جزءاً من بناء الصورة، ومن الأمثلة على ذلك قول فخر الدين ابن مكانس فـي وصف شجرةٍ على شاطئ النيل، يقول:

[البسيط]

كَـمْ صَـفَّقَ المَـوْجُ مِـنْ أَزْهَارِهَـا ... فَنَقَّطَتْـــهُ بِبَيْـــضَاءٍ وَصَـــفْرَاءِ

مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الخَرِيرُ ... كَأَنَّهَـــا أُذُنٌ مَالَـــتْ لِإِصْـــغَاءِ[5]

---

(1) ينظر: الشايب، أحمد، **الأسلوب**، 68.

(2) عبدا ، محمد حسن، **الصورة والبناء الشعري**، 37.

(3) أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في شعر مصر والشام**، 257.

(4) عبد المهدي، عبد الجليل حسن، **الحياة الأدبية في الشام**، 395.

(5) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

فالصورة ساحرة الوصف، أبرزفيها الشاعر أكثر من مشهدٍ، فهو يشبه الموج المـتلاطم بتصفيق الإنسان، كما يشبه ميل الشجرة على النيل بالأذن التي مدت لسماع صوت خريره العذب الذي يبعث السعادة في النفس الإنسانية، والمطالع لأشعار شعراء هذا العصر يجد أنهم استعملوا التشبيه بجميع أنواعه، ولا غرابة في ذلك، فهو من أقدم الفنون التي عرفها العرب واستعملوها، ومن أقرب الأساليب إلى الفهم والأذهان، والشاعر هنا يحلي صورته بالتشخيص الذي يبث روح الحياة في المظاهر الطبيعية الجامدة، وهو حريص على بث مظـاهر الفرحـة والتفاءـل عنـد الطبيعة.

كما استعار الشعراء المعاني الدينية في إبراز صفة الصوت لتكون الـصورة محاطـةً بهالةٍ من التقديس فتغدو أجمل وأكمل، وقد وفق الشهاب المنْصوري في تشبيه تغريـد الحمـام القُمري بصوت قارئ القرآن لإعطاء الصورة جمالاً لا يفوقه جمال، وهـو يـستخدم التـشبيه المجمل الذي يحذف وجه الشبه فيه، يقول:

[الرجز]

كَأَنَّمَــا القُمْــرِيُّ فِيــهِ قَــارِئٌ ... صُــبْحاً وَأَوْرَاقُ الغُــصُونِ مُصْحَفُ(1)

وجاءت في أشعارهم تشبيهاتٌ كثيرةٌ مستوحاةٌ من واقعهم المعاشي، فـصوت القُمـري يشبه التسبيح، كما أن صوته يشبه صوت المغني معبداً، يقول صدر الدين الآدمي:

[الرمل]

سَبَّحَ القُمْـرِيُّ فِـي الـدَّوْحِ وَغَـرَّدْ ... فحَـسِبْنَا أنَّ فِـي الرَّوْضَـةِ مَعْبَدْ(2)

وللشهاب أحمد بن يوسف السيرجي مقابلةٌ لطيفةٌ في إبراز العنصر الصوتي الـذي قـام عليه أساس المدح عنده، فالممدوح أغدق عليه فضله، فغدت الورق تصدح فرحةٌ وهذا الـصوت هو علامة البشر والسرور، أما الشاعر فهو يصدح بقريضه وشعره الذي دونه علـى الـورق، ووظف الشاعر فن الجناس فجاء لطيفاً لا استكراه فيه ولا تكلف، يقول:

[البسيط]

قَلَّدْتَنَا مِثْـلَ أَوْرَاقِ الحَمَـامِ مِـنَ ال ... إنْعَامِ فَضْلاً فَصِرْنَـا وَهْيَ فِي نَسَقِ

فَــالوُرْقُ تَــصْدَحُ بِالأَسْــحَارِ فِــي وَرَقٍ ... وَنَحْنُ نَمْدَحُ بِالأَشْعَارِ فِي وَرَقِ(3)

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة**، 169/1.

(2) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 92.

(3) **نفسه**، 92.

واستمدوا في كثيرٍ من الأحيان صورهم ومعانيهم من معاني القدماء، ومن الأمثلة على ذلك صورة عِز الدين الموصِلي التي أبرز فيها الأصوات وهجا فيها قوماً لا يحبون الطرب ولا الآلات الموسيقية، فهم يألفون صوت الحمار الذي ينبههم من نومهم، والشاعر اتخذ من الأصوات في صورته موضوعاً لذم هؤلاء الناس، وهو يضمن بيته الثاني من شعر الفرزدق، يقول:

[الكامل]

نَادَمْتُ قَوْماً لا خَلاقَ لَهُمْ وَلاَ مَيْلٌ إِلَى طَرَبٍ وَأسْمَارِ
"يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهِيقِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الأَوْتَارِ"[1]

وحرصوا في كثيرٍ من الأحيان على التفصيل، وألحوا على المعنى الواحد استقصاء واستيعاباً حتى يلموا بجميع جوانبه، ومن الأمثلة على ذلك صورة علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن العِفِيفْ لأصوات الحمام، فقد رأى الشاعر في أصوات الحمائم صوراً متنوعةً وموضوعاتٍ شتى، فهي للمسرور غناء وللمحزون نوح وللمفقود ندب وللعاشق شجو و للمشتاق شوقٌ وللمفتون تنهيد ، فهذا الصوت كما برز في الصورة يناسب جميع الناس ويمكن تفسيره حسب الحالة والوضع النفسي لسامعه، يقول الشاعر:

[الطويل]

عَجِبْتُ لأصْوَاتِ الحَمَائِمِ إذْ غَدَتْ غِنَاءً لِمَسْرُورٍ وَنَوْحاً لِمَحْزُونِ
وَنَدْباً لِمَفْقُودٍ وَشَجْواً لِعَاشِقٍ وَشَوْقاً لِمُشْتَاقٍ وَتَنْهِيدَ مَفْتُونِ[2]

ومن الصور أيضاً صورةٌ للبدر البشْتُكي أبرز فيها حمامةً صوتها يدل على حزنها وهو يسقط عليها الصفات الإنسانية، وربما شابهت حال الشاعر ما وصفها به فهي تبكي إلفها وتبكي وتشكو فتؤرق الشاعر الذي لا يعرف ما بالها وما شأنها، يقول:

[الرمل]

رُبَّ وَرْقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذاتُ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صَالِحاً فَبَكَتْ حُزْناً وَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرَّقَهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرَّقَنِي

---

(1) ابن معصوم، علي صدر الدين، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، 81/6، البيت الثاني مضمن من شعر الفرزدق، ينظر **ديوانه**، 360.

(2) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 280/5.

وَلَقَــدْ تَــشْكُو فَمَـــا أَفْهَمُهَـــا   وَلَقَــدْ أَشْــكُو فَمَـــا تَفْهَمُنِـــي[1]

وأكثر ارتباط الصورة السمعية كان في وصف الطيور وخاصةً الحمائم، فـابن حجـر العسقلاني يبث العواطف الإنسانية في مظاهر الطبيعة، فالأوراق تُعجب بغناء الحمـائم فتغنـي مثلها، والسحاب يهديها أمطاره التي تشبه الدرر، ويعبر الشاعر عن حبه وإعجابـه بأصـوات الحمائم التي تجلو النفوس، والتي تشبهه صوت الآلات الموسيقية وخاصة الربابة، يقول:

[السريع]

غَنَّــى غِنَـــاءَ الــوُرْقِ أَوْرَاقُهـــا   فَنُقِّطَــتْ عُجْبــاً بِــدُرِّ الــسَّحَابْ

فَرَاقَـــتْ الأَبْــــصَارَ أَغْــــصَانُهَا   وَأَطْرَبَ الأَسْمَاعَ وَقْـعُ الرَّبَـابْ[2]

أماعائشة الباعونية فجعلت أصوات الطيور تفوق أصوات الآلات الموسـيقية التـي لا تشبهها لأن أصوات الطيور أجمل منها، يقول:

[الخفيف]

وَتُنَاغِيــــكَ بَيْنَهَــــا صَــــادِحَاتٌ   خَرِسَـتْ عِنْـدَ نُطْقِهـا الأَوْتَـارُ[3]

واتسمت بعض صورهم بالعفوية، فأبو بكر الدماميني يرسم صورتين للشحرور والحمام، فصوت الشحرور غناء، أما صوت الحمام فصوت خطيبٍ يخطب على الأشجار، والشاعر فـي كلا الصورتين يقارن بين أصواتها ويشبهها بصوت معبدٍ المغني، يقول:

[الطويل]

وَغَنَّى بِها الشَّحْرُورُ لَكِنْ حَمَامُهَا   خَطِيــبٌ فَفِــي الحَــالَيْنِ عَايَنْــتُ مَعْبَدَا[4]

ورسم الشهاب المنْصوري للحمائم صورة القيان المغنيات، وفي ذلك تعبيـرعن الحـب والإعجاب لأصواتها، وهذه من الصور التقليدية التي ألح عليها الشعراء كثيراً، يقول:

[الخفيف]

وَشَــدَتْ وُرْقُهـــا فَكَانَـــتْ قِيَانـــاً   آتِيَــاتٍ مِــنْ لَحْنِهــا بِالــصَّوَابِ[5]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 935.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 186.

(3) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة**، 292/1.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 77.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

ومن أمثلة التشبيه البليغ الذي يقتصر على طرفي التشبيه صورة ابن حجة الحموي في غناء الطيور التي تشبه قراءة القرآن، فهو يصف الصوت بالحسن والجمال والقداسة، يقول:

[البسيط]

وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ تَجْوِيداً وَإِنْ وَجَبَ ... سُجُودُ كَانَ لِغُصْنِ البَانِ [1]

ونوع الشعراء في صورهم وتباروا فيها، فعز الدين الموصلي يشبه صوت الحمائم وألحانها بالسجع، يقول:

[البسيط]

مَنَابِرُ الدَّوْحِ فِيهَا الوُرْقُ قَدْ ... فَمَالَتِ القُضْبُ لِلأَغْصَانِ [2]

أما ابن سودون فرأى في صوت الحمائم ندباً وحزناً على فقد إلف، يقول:

[الطويل]

وَكَمْ شَاقَنِي فِي الدَّوْحِ نَوْحُ حَمَائِمٍ ... عَلَى فَقْدِ إِلْفٍ غَرَّدَتْ بِحَنِينِ [3]

ومن أمثلة التشبيه المجمل الذي يحذف وجه الشبه فيه قول فخر الدين ابن مكانس مشبهاً صوت البلبل بقرع ناقوس الدير الذي يسبح فيه الراهب ويدعو في الليل، يقول:

[البسيط]

وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصْنٍ ... فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيحِ دَكْنَاءِ

كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ ... مُسَبِّحٌ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ [4]

ومن الصور الطريفة الحضارية تشبيه صوت الريح بين الغصون بنداء المحب لحبيبه، أو صوت الوسوسة، فالشاعر هنا يجعل الصوت رقيقاً لطيفاً لذيذاً إلى أذن السامع، وهو يرسم للمعنى الواحد أكثر من تشبيه، يقول أحمد بن محمد ابن مظفر:

[الطويل]

كَأَنَّ دَوِيَّ الرِّيحِ بَيْنَ غُصُونِهِ ... نِدَاءُ مُحِبٍّ أَوْ حَدِيثُ مُوَسْوِسِ [5]

---

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 113.

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 139/1.

(3) البشبغاوي، ابن سودون، **نزهة النفوس**، 73.

(4) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(5) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 226/1.

وكانت معاني الشعراء في كثيرٍ من الأحيان تتسم بالعفوية والبساطة، وكانت في أغلبها مستمدةً من الواقع المشاهد والمحسوس، فابن مِليك الحموي يجعل صوت الريح كصوت الشبابة، يقول:

[البسيط]

وَالرِّيحُ شَبَّبَ بِالعِيدانِ مِنْ طَرَبٍ ... وَالطَّيْرُ يُطْرِبُ مَا لا يُطْرِبُ[1]

وصوت الرعد يشبه صوت الطبول في قوته وقصفه، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَالرَّعْدُ شِبْهُ طُبُولِ حَرْبٍ صُوِّرَتْ ... وَالبَرْقُ يَلْمَعُ شِبْهَ سَيْفٍ مُصْلَتِ[2]

أما صوت المطر فيشبه الأنامل التي تضرب على الدف، يقول محمد بن إياس الحنَفِي:

[الطويل]

وَلِلْوَدْقِ نُقْرانٌ كَوَقْعِ أَنَامِلٍ ... عَلَى دَفِّ أَوْرَاقِ الرِّيَاضِ[3]

2- الصورة البصرية

يعد البصر من أهم الحواس في إدراك الطبيعة وجمالها، وفي تحديد ملامح الدقة واستقصاء تفاصيل المظهر المشاهد ورسم جزئياته، وقد أطلق الشعراء العنان لأبصارهم التي نقلت إلى ذاكرتهم هذه المشاهد الجميلة، ومن ثم أطلقوا العنان لشاعريتهم في تصويرها ورسمها مازجين هذا العمل بأحاسيسهم وعواطفهم مستعينين بالألوان المختلفة حتى تخرج الصورة كاملة الملامح، وقد جاء الشعراء بصورٍ جميلةٍ أبرزوا خلالها أهمية العضو البصري في رسم الصورة الشعرية، من ذلك مقطوعة لبدر الدين ابن الصاحب في وصف ليل الحبيب الذي يتصف بالقصر، فالشاعر يستعر لليل صورة الحصان الأدهم الأسود الذي يهم بالإسراع والإنقضاء، يقول:

[مخلع البسيط]

يَا لَيْلُ إنَّ الحَبِيبَ وَافَى ... وَخِفْتُ إسْرَاعَ دُهْمِ خَيْلِكْ

فَطُلْ وَغَشِّ الصَّبَاحَ إنِّي ... دَخَلْتُ يَا لَيْلُ تَحْتَ ذَيْلِكْ[4]

---

(1) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 418، نقلاً عن **ديوان** الشاعر، 30.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(3) ابن إياس الحنفي، محمد ، **نزهة الأمم**، 273.

(4) النواجي، شمس الدين، **مراتع الغزلان**، 90.

فالشاعر يقابل بين لون الليل الأسود ولون الأدهم، كما يبرز عنصر الحركة وعدم الثبات، فالليل يمضي ويأتي النهار بعده، والخيل تجري وتغادر، فهو يبني صورته بين الوصفين على اللون والحركة، والشعراء استعاروا صورهم في وصف الطبيعة من مظاهرها، والمثال إبراز للصورة التي لا تدرك إلا بحواس البصر، وهي من الصور التقليدية المستخدمة.

ومن الصور الجميلة في وصف السماء صورةٌ للشهابِ المنْصوري رسمها لها وقد انقشعت غيومها فصفت، وأشرق نورها، والشاعر يبرز ثلاثة مظاهر لجمال الصورة وهي صفاء السماء ونورها ولونها الأزرق، وهذه الصورة يمكن للمرء أن يدركها ببصره، يقول:

[الكامل]

أُنْظُرْ إلَى حُسْنِ السَّمَاءِ إذا صَحَتْ ... وَالنُّورُ يُشْرِقُ وَالغُيُومُ قدِ انْمَحَتْ

فَبِصَحْوِهَا وَبِضَوْئِها وَبِلَوْنِهَا ... تَشْفِي قُلوباً بِالهُمُومِ تَدَحْدَحَتْ(1)

فالشاعر يحاول نقل مشهدٍ أعجبه للسامع، وقد مزج الشاعر عواطفه بهذا المشهد فجاءت الصورة مطبوعةً بأحاسيسه، فلم يكتف بالنقل للمشهد المادي، بل بث إلى جانبه تجربةً معنويةً عاشها معه.

ويستعير النواجِي لأشعة الشمس الذهبية صورة الملاء المذَهب لعلاقة تشابه اللون، وهو يشبه الأرض الخضراء بالبساط الموضوع على الطبيعة، يقول:

[الكامل]

وَالشَّمْسُ قدْ نَشَرَتْ مُلاءً مُذْهَباً ... وَالأرْضُ قدْ فَرَشَتْ بِسَاطاً [illegible](2)

فالشعراء يستدعون الألوان ويبرزونها حتى تظهر تفاصيلها ودقائقها ولتكون الصورة أبهج في رأي المتلقي، كما أن الاستعارة كانت من أدوات الشعراء في رسم الصورة، ويلاحظ أن التشبيه البليغ كان من أكثر التشبيهات المستعملة في أساليبهم.

ورسم ابن زقاعة للشمس والقمر صوراً جميلةً، فالشمس تشبه مرآةً من الذهب، أما القمر فهو يحاكي في لونه ونوره لون الفضة البيضاء الخالصة، والشاعر يستعير ألوانه من ألوان المعادن الثمينة حتى يرفع من قيمة موصوفه وجماله، يقول:

[الرجز]

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 283.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

فالـشَّمْسُ مِـرْآةٌ بَـدَتْ مِـنْ عَـسْجَدٍ وَالبَـدْرُ يَحْكِـي قُرْصَـةَ مِـنْ فِضَّـةِ(1)

ووصف الشعراء طول ليلهم، وراقبوا النجوم التي بدت مسمرةً فـي سـقفٍ أسـودٍ، معتمدين على المعجم القديم، يقول النواجِي:

[الكامل]

وَتَطَـاوَلَ اللَّيْـلُ البَهِـيمُ فَخِلْتُـهُ لِـسَوَادِ حَظِّـي بِـالنُّجُومِ مُـسَمَّرَا(2)

ومن الصور البصرية الجميلة صورة للشهابِ المنْصوري استعار معانيها مـن ميـدان الفروسية والقتال، فهو يشبه الصباح بالجيش المنتصر الذي يحمل رايةً بيضاء، و يصف غيـاب الظلام في حضور الصباح الذي يولي مهزوماً من المعركة، فالشعراء يختارون التـشابيه التـي يحبها الذوق، وترتاح لها النفس، كالظهور والانتصار، وللألوان حضور واضح في الـصورة، فالأبيض ينتصر على اللون الأسود، كما أن النفس البشرية ترتاح إلى اللون الأبـيض وتحبـه، يقول:

[الكامل]

بَـرَزَ الـصَّبَاحُ بِرَايَـةٍ بَيْـضَاءَ زَحْفَـاً فَـوَلَّى عَـسْكَرُ الظَّلْمَـاءِ(3)

وأعجب الشعراء باللون الأبيض فأبرزوه كثيراً في لوحاتهم، يقول ابن زقاعة في وصف النجوم:

[الكامل]

إنَّ الثَّوَابِـتَ فِـي الـسَّمَا شَـبَّهْتُها بِـأزاهِرٍ مُبْيَـضَّةٍ فِـي حَـضْرَتِي(4)

فالشاعر يقابل بين مشهدين متقاربين، الأول مشهد النجوم اللامعة وقد تناثرت في السماء تملأ أرجاءها، والثانية مشهد الأزهار البيضاء التي تملأ الروض، فالصورة قامت على التـشبيه الذي هو أساس التصوير والوصف، كما يلاحظ أن الشعراء كثيراً ما استمدوا تشبيهاتهم للطبيعة السماوية من الطبيعة الأرضية وبالعكس.

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 219.

(3) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 169/1.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 179.

وله في النجوم صورةٌ أخرى، فهو يشبه النجوم المتناثرة البيضاء في السماء بالـدراهم المنثورة في ديباجٍ متقن الصنع، والشاعر أخذ صورته الشعرية من المظاهر الحضارية[1]، وهو يولد للمعنى الواحد أكثر من صورة، يقول:

[الكامل]

سُبْحَانَ مَـنْ جَعَـلَ النُّجُـومَ هَدِيَّـةً ... لِلـــسَّائِرِينَ وَعُمْـــدَةً لِلقِبْلَـــةِ
نَثْـــرَ الكَوَاكِـــبَ كُلَّهَـــا كَـــدَرَاهِمٍ ... نُثِرَتْ عَلَى دِيبَاجِ أحْسَنِ شُقَّةِ[2]

ويلاحظ أن أكثر صور الشعراء كانت صوراً حسيةً قابلوها بصورٍ حسيةٍ، ومن صور الشهابِ المنْصوري الجميلة وصفه للشهاب الساقط خلف الشياطين، وهذا الشهاب يشبه المحارب الذي يحمل رمحاً ذهبي اللون، فالشاعر يستدعي الألوان ويبرزها، كما أنه يتكئ على الموروث الديني في رسم صورته، والصورة في هذا الموقف لا تتجمل إلا بلونها، لأن الليل يظهر الألوان بشكل أفضل، يقول:

[مجزوء الرجز]

وَكَوْكَـــــبٍ مِـــــنْ أُفْقِـــــهِ ... فِـــي إثْـــرِ عِفْرِيـــتٍ وَثَـــبْ
كَأنَّـــــــهُ مُحَـــــــارِبٌ ... يَجُـــرُّ رُمْحَـــاً مِـــنْ ذَهَـــبْ[3]

وفي صورةٍ قريبةٍ تبدو الشهب رماحاً مشتعلةً، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَكَأنَّمَـا شَـبَّهَتْ الرُّجُـومُ رِمَاحَهَـا ... وَلِكُـلِّ رُمْـحٍ حَرْبَـةٌ مِـنْ شُـعْلَةِ[4]

ومن الصور التي وصف بها الشعراء الفجر قول ابن عطِية في تشبيه الفجـر والنجـوم بالنهر وأشجار الورد البيضاء، يقول:

[الكامل]

وَكَأنَّمَا الفَجْرُ المُطِلُّ عَلَى الدُّجَى ... وَنُجُومُـــهُ المُتَـــأخِّرَاتُ تَقَوَّضَـــا
نَهْرٌ تَعَرَّضَ فِـي الـسَّمَاءِ وَحَوْلَـهُ ... أشْـجَارُ وَرْدٍ قَـدْ تَفَـتَّحَ أبْيَـضَا[5]

---

(1) ينظر: عبد المهدي، حسن عبد الجليل، **الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري**، 407.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** 179.

(3) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 35.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187، الشطر الأول مكسور.

(5) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 65/2.

والصور التي وصف بها الشعراء مظاهر الطبيعة التي ترتبط بالنور أقوى في البـروز والظهور أمام الرائي والناظر، لما لفعل الضوء من تأثيرٍعلى الظلام والقضاء عليه، وفي رأيـي أن هذه الصور هي الأفضل في التعبير عن الصورة البصرية.

ومن أمثلة التشبيه المرسل الذي تتوفر فيه العناصر الأربعة للتشبيه صورة ابن زقاعـة في تشبيه حمرة الشفق بلون الدماء أو الراية الحمراء، ولون الدم من أقوى الألوان في التعبيـر عن اللون الأحمر الذي يبرز وبقوةٍ في وصف الشاعر، يقول:

[الكامل]

وَبِحُمْـرَةِ الـشَّفَقِ الـذي شَـبَّهْتُهُ ... مِثْـلُ الـدِّما أَوْ رَايَــةٍ مُحْمَــرَّةٍ[1]

وتخيل إبراهيم بن عمر البِقاعِي نور البدر الأبيض وقد انعكس على صفحة النيل بالنهر الفضي اللون، يقول:

[الطويل]

وَلَمَّـا رَأَيْـتُ البَـدْرَ أَلْقَـى شُـعَاعَهُ ... عَلَـى نِيـلِ مِـصْرَ وَالـسَّفِينُ بِنَــا

تَخَيَّلْتُــهُ نَهْــراً يَــسِيرُ بِــسَيْرِنَا ... مِّـنَ الفِـضَّةِ البَيْـضَاءِ فِـي لُجَّـةِ[2]

ومثلها قول علاء الدين البِيري واصفاً نور البدر الأبيض بالسيف المسلول، يقول:

[الطويل]

أَرَى البَـدْرَ لَمَّـا أَنْ دَنَـا لِغُرُوبِــهِ ... وَأَلْـبِسَ مِنْـهُ أَزْرَقُ المـاءِ أَبْيَـضَا

تَــوَهَّمَ أَنَّ البَحْــرَ رامَ الْتِقامَـــهُ ... فَسَلَّ لَـهُ سَيْفاً عَلَيْـهِ مُفَضَّـضَا[3]

والسحاب في بيت ابن زقاعة يشبه في سيره سير الكتائب المقاتلة، وهذه الكتائب تظهـر في لباسها وعتادها الأبيض والأسود، ثم يشبه السحاب بصورة الخيمة في عظمتها وهي تجـوب آفاق السماء، فالتشبيه في البيت تشبيه حسي، والشاعر يرسم للسحابة أكثر من صـورة ويبـرز ألوانها، فمنها الأبيض ومنها الأسود الماطر، يقول:

[الكامل]

أَمَّــا الــسَّحَابُ فَإِنَّهَــا كَــسَنَاجِقٍ ... بِـيضٍ وَسُـودٍ أَوْ مِثْـالِ الخَيْمَـةِ[4]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 84/2.

(3) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، 133/12.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

أما البرق فضوءه سيفٌ سلّ على الظلماء، وفي ذلك علاقةٌ وارتباطٌ، فالسيف يعكس الضوء، كما أن شكل البرق، يكون طوليا وهذا ما أوحى للشاعر تشبيهه، وأكثر الشعراء من تشبيه لمعان البرق بالسيف لأن لمعانه وتلألؤه لاقى استحساناً في نفوسهم، يقول ابن زقّاعة:

[السريع]

شَبَّهْتُ لَمْعاً لاحَ مِنْ وَمْضِهِ سَيْفاً عَلَى الظَّلْماءِ قَدْ سَلَّهُ[1]

فالشاعر يعتمد على الملاحظة الدقيقة لظواهر الطبيعة التي تمده بمساحة واسعة من الخيال الخصب[2].

وكانت الاستعارة حاضرةً بقوةٍ في أشعار الشعراء، فالشاعر يستعير كلمة " يانعاً " للدلالة على وضوح النجم المتلألئ وصفائه في السماء، ونسيم الربيع يخفق بالأغصان، كما أن السماء تنقشع وتصفو، وقرص الشمس المستدير الأصفر كالدينار الموضوع في الميزان، والشاعر يقابل الصور الحسية ببعضها، يقول ابن قُرقُماس:

[الكامل]

يا حَبَّذا زَمَنُ الرَّبيعِ وَرَوْضُهُ وَنَسِيمُهُ الخَفّاقُ بالأغْصَانِ
زَمَنٌ يُرِيكَ النَّجْمَ فِيهِ يانِعاً وَالشَّمْسَ كَالدِّينارِ فِي المِيزَانِ[3]

واستعار أحمد بن علي سيف الدين قرطاي للورد صورة الخد لعلاقة التشابه في اللون:

[الطويل]

رَعَى اللَّهُ أيَّامَ الرَّبيعِ وَرَوْضَهُ بِهَا الوَرْدُ يَزْهُو مِثْلُ خَدِّ حَبِيبِي[4]

ولعلي بن أَيبك تشبيه لطيفٌ للخريف، أخذه من الواقع المشاهد، وهو هنا يقابل صورةً حسيةً بصورةٍ معنويةٍ، فسقوط الأوراق من الغصن على النهر ما هو إلا من كرمه وعطائه، يقول:

[المنسرح]

مَا أكْرَمَ الغُصْنَ فِي الخَرِيفِ وَقَدْ أثَّرَتِ الرِّيحُ فِيهِ تَأْثِيرَا

---

(1)ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 124.

(2) ينظر: أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في شعر مصر والشام**، 260.

(3) السيوطي، جلال الدين، **نظم العقيان**، 159.

(4) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، 37/14.

لَمَّـا أتَـى النَّهْـرُ سَـائِلاً مَـلأتْ   أوْرَاقُــهُ كَفَّــهُ دَنَــانِيرَا[1]

ومن أمثلة التشبيه المرسل وصف عِز الدين الموصِلي لروضةٍ بدت بين الزروع والثمار مطرزةً بالأزهار، كما أن السرو الذي أحاط بها يشبه السوار، يقول:

[البسيط]

وَرَوْضَـةٌ نَقَّـشَتْها لِلحَيَـا إبَـرٌ   فأصْـبَحَتْ بَـيْنَ تَطْرِيـزٍ وتَزْهِيـرِ

مِثْلُ السِّوارِ لَهَا سَرْوٌ أحَاطَ بِها   مِنْ سَلْسِلٍ هِيَ مِنْهُ ذاتُ تَسْوِيرِ[2]

أما الماء في الروضة فيشبه الصارم المشهور، وهذا معنى قديم، يقول الشاعر نفسه:

[البسيط]

وَنَهْرُهَـا زَائِـرٌ بِالخِـصْبِ يُؤْذِنُنَـا   كَصَارِمٍ فِي سَبيلِ اللَّـهِ مَشْهُورِ[3]

واتخذوا أحياناً تشبيهاتهم من صور الحياة المترفة، ومـن مظـاهر الزخرفـة والزينـة المحيطة بهم، ومن ذلك صورة في وصف الروض لصدر الدين الآدمي:

[السريع]

وَالـرَّوْضُ قَـدْ وَافَـى بِأَزْهَـارِهِ   يَتِيــهُ فِــي زَاهٍ مِــنَ المَلْــبَسِ

كَأنَّمَــا الأغْــصَانُ غِيــدٌ وَقَــدْ   لَبِــسْنَ ألْوَانــاً مِــنَ الأطْلَــسِ[4]

والصورة جميلةٌ لا يدرك جمالها إلا البصر، وخاصةٌ عندما يشبهه الشاعر فـي جمالـه وتلونه بالملبس المزين، أو عندما يشبه الأغصان بالفتيات اللاتي لبسن أثواباً ملونةً من الأطلس.

أما البان في طوله واستوائه فيشبه قد المحبوب، يقول ابن خطيب داريا:

[السريع]

كَـأنَّ غُـصْنَ البَـانِ قَـدُّ الَّـذِي   أهْـوَاهُ فِـي أثْوَابِـهِ الـسُّنْدُسِ[5]

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 195/5.

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 141/1.

(3) **نفسه** 141/1.

(4) الحجازي، الشهاب، **روض الآداب**، 56.

(5) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

ويشبه السرو قدود النساء في استقامتها وتحركها ولينها، وهذا من أمثلة التشبيه المرسل، حيث ذكر الشاعر العناصر الأربعة للتشبيه، والشاعر يفصل في صورته لتكون اوقع في الأذهان وأعلق، يقول ابن زقاعة:

[البسيط]

وَالسَّرْوُ يَحْكِي قُدُودَ الغِيدِ مائِسَةً فِي الإِسْتِقَامَةِ وَالتَّحْرِيكِ وَاللِّينِ[1]

أما أشجار النخيل فتشبه المعرشات، وكل نخلةٍ تحاكي العرائس في جمالها، أما ثمارهـا فتشبه اليواقيت الحمراء والصفراء، وكثيراً ما استعار الشعراء الأحجار الكريمـة الثمينـة فـي أوصاف الطبيعة، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَكَأَنَّمـــا النَّخِيـــلُ عَـــرَائِسٌ كُـــلٌّ كَـــشِبْهِ عَرُوسَـــةٍ مَجْلِيَّـــةِ

نَـــشَرَتْ قلائِـــدَهَا عَلَـــى عُـــشَّاقِهَا مِنْ أَحْمَرِ اليَاقُوتِ أَوْ مِنْ صُفْرَةِ[2]

أما شجرة المشمش فتبدو سماء من زبرجد، وثمارها كواكب مصنوعة من الزعفـران، يقول ابن زقاعة:

[الوافر]

سَـــمَاءُ زَبَرْجَـــدٍ نَثَـــرَتْ عَلَيْنَـــا كَوَاكِـبُ مِـنْ عَجِـينِ الزَّعْفَـرانِ[3]

وأكثر الأوصاف الموجودة كانت تركز على الشكل الخارجي، فالرمان يشبه النهود فـي شكله الدائري، والتوت كالحلي التي تزين الأذان، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَكَـــذَلِكَ الرُّمَّـــانُ يُـــشْبِهُ نَهْـــدَها وَالتُّـوتُ فِـي آذانِهـا كَالحِلْيَـةِ[4]

والخوخ والتفاح في اللون الأحمر خدود مليحةٌ، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَالخَــوْخُ وَالتُّفَّــاحُ خَــدُّ مَلِيحَــةٍ كَمُلَـتْ بِـهِ يـا صَـاحِبِي تَـشْبِيةِ[5]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 104.

(2) **نفسه** 192، الشطر الأول من البيت الأول مكسور.

(3) **نفسه** 200، جاء هذا البيت في الديوان منفرداً وكتب فوقه " قال الشاعر في وصف المشمش".

(4) **نفسه** ، 193.

(5)ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه** ، 193.

أما العنب فتبدو عناقيدها المتدلية كعقد من اللآل، وهذا من التشبيه المرسل، حيث ذكـر الشاعر عناصر التشبيه، المشبه " العناقيد "، والمشبه به " العقد "، والفعل " حكى "، الذي يقـوم مقام الأداة، ووجه الشبه " الترتيب والنظم"، يقول ابن حِجة الحموي:

[الوافر]

عَناقِيــدٌ عَلَــى قُــضُبٍ تَــدَلَّتْ حَكَـى مَنْظُومُهـا عِقْـدَ اللآلِـى[1]

والأجاص تشبه حباته كرات الفضة المضمخة بالعنبر، يقول أبو البقاء البدري جامعاً بين الصورة البصرية والصورة الشمية في وصفه:

[مجزوء الرجز]

يَـــا حُــسْنَ آجَــاصٍ أتَــى يَحْكِـــي لِعَـــيْنِ البَـــصَرِ

أكُـــراً بَـــدَتْ مِـــنْ فِـــضَّةٍ قَـــدْ ضُـــمِّخَتْ بِعَنْبَـــرِ[2]

فالشاعر يصف لون الأجاص وشكله الدائري ورائحته العطرة، ووجـد الـشعراء فـي الألوان الصورة المعبرة، فالتوت يشبه في لونه الأسود لون أنامل الزنجية، وهذه الصورة تقليدية ألح الشعراء عليها كثيراً، يقول ابن زقاعة:

[الكامل]

وَالتُّـوتُ الأسْـوَدُ إنَّنِـي شَـبَّهْتُهُ فِــي لَوْنِــهِ بِأنامِــلِ الزِّنْجِيَّــةِ[3]

وشجرة الموز تشبه الغيد في أثوابٍ خضرٍ إذا ما هب عليها النسيم، وفي الصورة إبراز لعنصر الحركة، يقول ابن حِجة:

[البسيط]

كَأَنَّمَــا المَـوْزُ إذْ هَـبَّ النَّـسِيمُ بِـهِ غِيدٌ تَمَايَلْنَ فِي خُضْرٍ مِنَ الأزْرِ[4]

أما النارنج فيصوره ابن خطيب داريا وسط المطر بالجمر الذي يوقد في شـهر كـانون للتدفئة، فهو يصور لون البرتقال الأحمر بلون النار المتقدة في الجمر، كمـا أن لفـظ المطـر وكانون يشير إلى وقت نضوج هذه الثمرة والذي يكون في فصل الشتاء، يقول:

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 137، البيت غير موجود في الديوان.

(2) **نفسه**، 126.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 193، الشطر الأول فيه كسر.

(4) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 360، البيت غير موجود في الديوان.

[البسيط]

كَـأنَّ نـارَ نْجَهَـا المُحْمَـرَّ مِـنْ مَطَـرٍ   فِــي شَــهْرِ كَــانُونَ جَمْــرٌ وَسْـطَ

ويرى ابن إياس حبات النارنج زمرداً وعقيقاً صنعه المطر، يقول:

[البسيط]

أُنْظُـرْ إلَـى قُضُبِ النَّـارَنْجِ حامِلَـةً   زُمُـرُّداً وَعَقِيقـاً صَـاغَهُ المَطَـرُ(2)

أما إبراهيم الأنطاكي فيصور الليمون بالبيض الملطخ بالزعفران، يقول:

[السريع]

لَيْمُونُنَــا هَــذا الّــذِي قَــدْ بَــدَا   يَأْخُــذُ مِــنْ إشْــراقِهِ بِالعَيَــانْ

كَأنَّـــهُ بَـــيْضُ دَجَـــاجٍ وَقَـــدْ   لَطَّخَـــهُ العابِـــثُ بِـــالزَّعْفَرانْ(3)

واستعار أبو البقاء البدري صورةً دينيةً في وصف القنبيط الذي تبدو زهرته كـرؤوس اليهود، وأوراقه الخضراء كالعمائم، وهو هنا يكني عن كرهه للقنبيط، والكناية أبلغ في التعبيـر من التفصيل لذلك استعان بها الشعراء كثيراً، يقول:

[مجزوء الرمل]

بُغْــــضِيَ فِــــي قُنَبِــــيطٍ   قَــدْ حَكَــى وَالفِكْــرُ صَــارِمْ

الــــرُّؤُوسَ مِــــنْ يَهُــــودٍ   قُطِّعَــــتْ تَحْــــتَ العَمَــــائِمْ(4)

ويشبه الورد والندى يزينه خداً أحمر اللون نزلت عليه الدموع، يقول البدر البشْتُكِي:

[السريع]

كَأنَّمَــا الــوَرْدُ وَقَطْــرُ النَّــدَى   مُحْمَــرٌّ خَــدٍّ رُشَّ بِــالأدْمُعِ(5)

وهو يشبه الياقوت الذي نقط بالذهب، وفي هذا رفع من قيمة الموصوف، يقول أبـو بكر الدماميني:

[الطويل]

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 34.

(2) ابن إياس، الحنفي، محمد، **بدائع الزهور**، ق2، 16/2.

(3) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 331/2.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 169.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 34.

وَلاحَ بهـا الـوَرْدُ النَّـضِيرُ كَأَنَّـهُ دَفُـوفٌ مِـنَ اليـاقوتِ نُقِّطْـنَ

ومن أمثلة التشبيه المركب الذي يجمع فيه الشاعر أكثر من تشبيهٍ صورة ابن خَلوفْ في وصف الشقيق الذي يشبه الشفق في السماء، وهذه السماء مصنوعةٌ من الزبرجد ،كما أن نقاطه السوداء تشبه الكحل في عيون الفتى الأرمد، يقول:

[الكامل]

خِلْتُ الشَّقِيقَ وَقَدْ يُرَى فِي زَرْعِهِ شَـفَقاً تَقَطَّـعَ فِـي سَـماءِ زَبَرْجَـدِ

وَكَـأنَّ أَسْـوَدَهُ إذا لاحَظْتَـهُ آثـارُ كُحْـلٍ فِـي لَـواحِظِ أرْمَـدِ[2]

ولون الشقيق يشبه لون الأصابع المخضبة بالحناء، والشاعر لا يكتفي برسم الصورة، وإنما يسعى لتلوينها حتى تبرز ملامحها في أجمل منظرٍ، يقول ابن زقاعة: [الخفيف]

وَكَـذاكَ الـشَّقِيقُ شَـقَّ جُيُوبـاً مِثْـلَ لَـوْنِ البَنَـانِ بَعْدَ الخِضابِ[3]

ويجعل السيوطي النرجس مادةً مركبةً من الجواهر والمعادن الثمينة، وهذا نقلٌ للمشاعر النفسية للشاعر الذي يحب النرجس، فسيقان النرجس من الزمرد، وأزهاره من الذهب، يقول:

[البسيط]

وَالنَّـرْجِسُ الغَـضُّ لَـمْ يَغْـضُضْ فَزَهْـرُهُ بَـيْنَ مُـنْقَضٍ وَمَـزْرُورِ

كَأَنَّـهُ ذَهَـبٌ مِـنْ فَـوْقِ أعْمِـدَةٍ مِـنَ الزُّمُـرُّدِ فِـي أوْراقِ كـافورِ[4]

وجمعوا أحياناً للمعنى الواحد أكثر من صورةٍ، فالنيلوفر يشبه في الماء بقايا الخمر في كأسٍ زجاجي، كما أنه يشبه أذناب الطواويس، يقول ابن خَلوفْ:

[الطويل]

وَنَيْلُـوفَرٌ شَـبَّهْتُهُ فِـي غَـدِيرِهِ بَقايَـا سُـلافٍ فِـي كُـؤُوسِ زُجَـاجِ

تَمَثَّـلَ أَذْنـابَ الطَّـواوِيسِ إذْ غَـدَا يُمَـوِّهُ باليَـاقُوتِ صَـفْحَةَ عـاجِ[5]

---

(1) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 77.

(2) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 120/2.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 114.

(4) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.

(5) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 103.

والنيلوفر عاشقٌ غرق نفسه في الماء لما هدده الحبيب بالهجر، والشاعر يسقط الصفات الإنسانية عليه من خلال التشخيص الذي يزيد المعنى جمالاً، يقول علي بن أَيبك:

[الكامل]

يـا حُـسْنَهُ فِـي بِرْكَـةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ ... مَحْـشُوَّةً مِـسْكاً يُـشَابُ بِنِـدِّهِ

وَكَأَنَّـهُ إِذْ غَـابَ عِنْـدَ مَـسَائِهِ ... فِـي المـاءِ وَاحْتَجَبَتْ نَـضَارَةُ قَدِّهِ

صَـبٌّ تَهَـدَّدَهُ الحَبِيـبُ بِهَجْـرِهِ ... ظُلْمـاً فَغَـرَّقَ نَفْـسَهُ مِـنَ وَجْـدِهِ(1)

والياسمين الأصفر يشبه العساكر التي تحمل صلبان الذهب، يقول الشاعر نفسه:

[المنسرح]

كَأَنَّمـا اليَاسَـمِينُ حِـينَ بَـدَا ... أَصْـفَرُهُ فِـي جَوانِـبِ الكَثْـبِ

عَـسَاكِرُ الـرُّومِ نَازَلَـتْ بَلَـداً ... وَكُـلُّ صُـلْبانِها مِـنَ الـذَّهَبِ(2)

والأقاحي تشبه الثغور وهي تبدو مقبلةً وجنة النهر، يقول الشّهاب المنْصوري:

[البسيط]

وَلَلأقـاحِ ثُغُـورٌ بِالـصَّبَا انْتَـشَرَتْ ... كَأَنَّهَـا قُبَـلٌ فِـي وَجْنَـةِ النَّهْـرِ(3)

أما نهر النيل فيشبه السيف، يقول عِز الدين الموصِلي:

[البسيط]

وَنَهْرُهـا زائِـدٌ بِالخِـصْبِ يُـدْنِينا ... كَصَارِمٍ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ مَشْهُورِ(4)

والبحر تشبه أمواجه جيشاً تتابعت به الخيل، يقول إبراهيم بن عمر البِقاعِي:

[الطويل]

أُشَبِّهُ مَـوْجَ البَحْـرِ جَيْشاً تَتَابَعَتْ ... بِـهِ الخَيْلُ إِذْ ثَـوْبُ الرِّيـاحِ حَدِيدُ(5)

---

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 107.

(2) ابن طولون الصالحي، محمد، **الكواكب الإسلامية**، 2/ 192.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 387.

(4) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 143/1.

(5) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 81/2.

والغرة في وجه الفرس تبدو مضيئةً في بياضها وجمالها وتميزها وتشبه الفجر، يقـول ابن زرع "شمس الدين محمد بن علي":

[السريع]

وَأَشْــقرٌ فِــي وَجْهِــهِ غُــرَّةٌ كَأَنَّهــا فِــي نُورِهَــا فَجْــرُ[1]

ويصف ابن حِجة فرساً ويشبهه في سرعته بالنجم، وهذه من الأوصاف الغريبة التي بالغ بها الشعراء لرفع قيمة ممدوحيهم، يقول:

[الطويل]

لَـهُ فَـرَسٌ كَـالنَّجْمِ فِـي إِثْـرِ مَـارِدٍ لأَنَّ هِـلالَ الأُفْـقِ صَـارَ لَـهُ نَعْـلا[2]

ويقول أبو بكر الدماميني واصفاً خيل ممدوحه بالسفن:

[الطويل]

مَلِيـكٌ تُحَـاكِي خَيْلُـهُ سُـفْناً لَهـا قُلُوعٌ مِنَ الرَّايَاتِ وَالنَّقْعُ أَبْحُرُ[3]

وشبه ابن حِجة النقع في المعركة بالكحل الذي يكحل عين الغزالة، يقول:

[الطويل]

وَكَـمْ رَمَـدَتْ عَـيْنُ الغَزَالَـةِ فِـي فَصَيَّرَ مِنْ نَقْعِ الجِيادِ لَهُمْ كُحْلاً[4]

والناقة تشبه الماء المنساب في الصحراء، أما حمولها فأمواج هذا الماء، يقول النواجي:

[البسيط]

تَجُوبُ بَحْرَ فَيافٍ وَالحُمُولُ بِهَا أَمْوَاجُهُ وَهْيَ مِثْلُ المَاءِ تَنْسَكِبُ[5]

وهي تشبه الطيورفي سيرها غير أنه ليس لها حواصل، يقول:

[الطويل]

وَتَعْلُو بِنَـا فِـي الجَـوِّ حَتَّـى كَأَنَّهَـا طُيُـورٌ وَلَكِـنْ مَـا لَهُـنَّ حَواصِـلُ[6]

---

(1) الحنبلي، شهاب الدين، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 140/9.

(2) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 75.

(3) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 86.

(4) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 74.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 69.

(6) **نفسه** 108.

ووصف علي بن محمد المعروف بابن الشحنة قطاً بدا كالليث في المظهر وكعنترة في لونه الأسود وفي العزم، يقول:

[الطويل]

وَقِطٌّ كَلَيْثٍ كامِلِ الحُسْنِ صَائِدٍ وَفِي عَزْمِهِ وَاللَّوْنِ يُشْبُهُ عَنْتَرَا[1]

3- الصورة الشمية

لم يغفل الشعراء الصور الشمية التي تدرك بحاسة الشم ولكنها جاءت أقل من الصورة البصرية والسمعية، وجاء أكثرها في وصف الرياض والأزهار، فقد صور الشعراء روائحها الطيبة التي تنتشر في الأرجاء معطرةً لها، كما أنهم وصفوا أثرها على نفوسهم ومشاعرهم فرسموا لها صوراً جميلةً لتكون الصورة كاملة، يقول ابن زقاعة في وصف روض فاحت منه روائح الياسمين والآس التي شبهها برائحة المندل وهو نوع من النبات العطري:

[البسيط]

وَجُلُنَّارٍ أَرَى أَكْوَازَهُ سُبِغَتْ مِنْ وَرْدِ وَجْنَتِهِ الحَمْرَا وَحُمْرَتِهِ

وَيَاسَمِينٍ وَآسٍ فَاحَ نَشْرُهُمَا كَالمَنْدَلِ الرَّطْبِ أَوْ مِعْطَارِ [2]

أما صدر الدين الأدمي فيشبه الرائحة السارية في الروض وسط تسامر الأحبة برائحة الند وهو عود البخور، يقول:

[الرمل]

وَالنَّدَى فَاضَ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا فَسَرَتْ بَيْنَ النَّدَامَى نَفْحَةُ النَّدْ[3]

ورائحة الورود والنرجس تغري ابن خَطِيب داريا وتدعوه لدعوة أصحابه لشرب الخمر وسط هذا الجو الربيعي الجميل، يقول:

[السريع]

هَاتِ اسْقِنِي الصَّهْبَاءَ يا مُؤْنِسِي قَدْ فَاحَ نَشْرُ الوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ[4]

---

(1) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 20/6 .

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 145.

(3) ابن تغري بردي، جمال الدين، **المنهل الصافي**، 8 / 201.

(4) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

ورائحة الياسمين تشبه العطر، يقول ابن حجة الحموي:

[البسيط]

وَاليَاسَـمِينُ كَـأَقْرَاطِ اللُّجَـيْنِ بَـدَا فَعَطَّلَ الـرِّيحُ مِنْ نَـشْرٍ لَـهُ عِطْرُ[1]

ويصور الشاعر نفسه النسيم سارقاً لنشر الريح الذي عطر الكون، يقول:

[البسيط]

يَقُولُ رَيْحَانُ رَوْضِي لِلنَّسِيمِ وَقَدْ تَعَطَّـرَ الكَـوْنُ مِنْـهُ حِـينَ وَافَـانِي

سَرَقْتَ نَشْرِي وَهَادَيْتَ الأَنَـامَ بِـهِ وَلَيْسَ تَحْمِلُ مِنِّـي عُودَ رَيْحَانِ[2]

والأمثلة عديدةٌ على الصورة الشمية، ولكنها أقل من الأمثلة علـى الـصورة البـصرية والسمعية.

4- الصورةالذوقية

أما الصورة الذوقية، فلها حضور في أشعار الشعراء، وإن جاءت أيضاً قليلةً، وقد يمزج الشعراء أحياناً صورهم الشمية والبصرية والذوقية كوصف إبراهيم بن محمد بن علي بن مـدلج للخمر الذي شابهت الورد في لونها وطعمها ورائحتها، يقول:

[الكامل]

هَـذَا أَوَانُ الـوَرْدُ فَاشْـرَبْ قَهْـوَةً قَـدْ شَـاكَلَتْهُ فَلَوْنُهَـا مِـنْ لَوْنِـهِ

وَمَـذَاقُهَا مِـنْ طَعْمِـهِ وَأَرِيجُهَـا مِـنْ نَـشْرِهِ، وَكَأَنَّهَـا مِـنْ كَوْنِـهِ

إِنْ جَـفَّ كَـأْسٌ كَـانَ وَرْداً جَامِـداً أَوْ ذَابَ وَرْدٌ فَالمُـدَامُ بِعَيْنِـهِ[3]

ويصف علي بن أيبك المشمش، فيراه ألذ وأشهى من كل اللذائذ والطرب، يقول:

[البسيط]

وَمِـشْمِشٌ جَـاءَنِي مِـنْ أَعْجَـبِ أَشْـهَى إِلَـيَّ مِـنَ اللَّـذَّاتِ وَالطَّـرَبِ

كَأَنَّـهُ فِـي هُبُـوبِ الـرِّيحِ تَنْـثُرُهُ بَنَادِقٌ خُرِطَتْ مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ[4]

---

(1) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، هذا البيت غير موجود في ديوانه.

(2) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 94-95. البيتان غير موجودين في الديوان.

(3) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(4) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 115.

ووصف إبراهيم الأنْطَاكِي المتوفى 926هـ اللیمون وشـبه لونـه الأصـفر وطعمـه الحامض بلون المحب وطعم هجرانه، وهو یمزج بین الصورة البصریة والذوقیة، كما أنه یمزج بین الصورة الحسیة والمعنویة، من خلال هذا المعنى الذي استوحاه من موضوع الغزل، یقول:

[السریع]

أهْـــدَى إلَـــيَّ الظَّبْـــيُ لَيْمُونَـــةً　　لا زِلْـــتُ ذا شُـــكْرٍ لإحْـــسَانِهِ

صُـــفْرَتُهُ تَحْكِـــي اصْـــفِرارِي بِـــهِ　　وَطَعْمُهَـــا مِـــنْ طَعْـــمِ هِجْرَانِـــهِ[1]

5- الصورة اللمسیة

أما الصورة اللمسیة فهي أقل الصور، یقول الشاعر الشهاب المنْصوري في وصف نهر النیل وتصویر أثر ریح الصبا على صفحة الماء والریاح على الأمواج، ویبدو الماء وكأنه درع من دروع داود في الحرب، أما الأمواج التي تنشرها الریاح فكأنها سیوفٌ تقتل المحل وتـذهب أثره، والشاعر یبث في صورته الحركة فتبدو جمیلةً، یقول:

[البسیط]

كَأَنَّـــهُ وَالـــصَّبَا صُـــبْحاً تُجَعِّـــدُهُ　　مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَا سَرَاوِيلُ

كَـــأَنَّ أَمْوَاجَـــهُ وَالـــرِّيحَ تَنْـــشُرُهَا　　صَـوَارِمٌ بظُبَاهَـا المَحْـلُ مَقْتُـولُ[2]

ومن الأمثلة على الصورة اللمسیة أیضا وصف ابن حجر العسقَلانِي لأمواج النیل التـي استعار لها صورةً رثائیةً عندما صور ضرب الأمواج على الشاطئ بلاطم الفاقد لمحبوبه، یقول:

[مجزوء الكامل]

وَالنِّيـــــــلُ يَلْطِـــــــمُ وَجْهَـــــــهُ　　حَـــسَداً بِكَـــفِّ المَـــوْجِ لَطْمَـــاً[3]

وأیضا من صور فخر الدین ابن مكانِس الجمیلة تشبیه تحریك النسیم لوجه النیل بفرنـد السیف المصقول، یقول:

[البسیط]

كَأَنَّـــهُ عِنْـــدَ تَفْرِيـــكِ النَّـــسِيمِ لَـــهُ　　فِرَنْـدُ سَـيْفٍ نَـضَتْهُ كَـفُّ جَـلاءِ[4]

---

(1) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامیة**، 330/2.

(2) السیوطي، جلال الدین، **كوكب الروضة**، 29-30.

(3) العسقلاني، ابن حجر، **دیوانه**، 112.

(4) ابن مكانس، فخر الدین، **دیوانه**، غیر مرقم الصفحات.

ومن الصور اللمسية التي أبدعها خيال ابن حجة الحموي قوله:

[الطويل]

وَتُرْخِي عَلَيْنا لِلغُصُونِ ذَوائِباً يُسَرِّحُها كَفُّ النَّسِيمِ بِلا مِشْطِ[1]

وكان للتشخيص حضور واضح في صور الشعراء، فالشعراء شخصوا ظواهر الطبيعة وأسندوا صفات العاقل لها فبدت وكأنها إنسان تصدر عنه الصفات البشرية.

وأمثلة التشخيص كثيرةٌ استطاع الشعراء فيها اخراج صورهم من وحي عقولهم وعواطفهم فجاءت جميلةً، ومن أمثلتها وصف ابن زقاعة للنيل وجعله كالزنجي لتناسب الألوان ولأنه تواصل في معناه مع القدماء الذين صوروا الليل كثيرا بهذا المعنى، يقول:

[الكامل]

فاللَّيْلُ كَالزِّنْجِيِّ عُرْيَاناً أتَى وَالصُّبْحُ يُشْبِهُ رَاهِباً فِي بَيْعَةِ[2]

فالشاعر شخص الليل وجعله إنساناً عارياً، أما الصبح فيشبه الراهب، والشاعر جاء بهذه الصورة الدينية لعلاقة لون الصبح الأبيض مع لون الراهب المعنوي في بياضه عن طريق فكره وعمله ودعوته للناس إلى الأعمال الخيرة.

ويشخص ابن زقاعة النجم دليلاً له في سفره عبر الصحراء، يقول:

[مخلع البسيط]

وَسِرْتُ وَالنَّجْمُ لِي دَلِيلٌ وَمِنْ سَوَادِ الدُّجَى رِدَائِي[3]

واستعار الشعراء معانيهم في تشخيصهم لمظاهر الطبيعة من المعجم الحربي، مستخدمين مصطلحات الانتصار والهزيمة لاعلاء صورةٍ والحط من شأن أخرى، فابن حجر العسقلاني يشبه الليل بالجيش الذي يفر أمام عسكر النهار منهزماً، لأنه لا اجتماع لهما كما أنه لا اجتماع لمهزومٍ ومنتصرٍ في أرض المعركة، يقول:

[مجزوء الكامل]

وَالصُّبْحُ أقْبَلَ فِي عَسَاكِرِهِ فَوَلَّى اللَّيْلُ هَزْمَا[4]

---

(1) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 61.

(2) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 187.

(3) **نفسه**، 50.

(4) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 116.

ومن الصور الجميلة أيضا صورة الشهابِ المنْصوري في إسقاط المشاعر الإنسانية على الأزهار والنجوم، فاستعار للأزهار وللنجوم صفة الضحك والبكاء، يقول:

[الكامل]

ضَحِكَتْ عَلَى نُجْمِ السَّمَا نُجْمُ   فَبَكَتْ أسًى بِمَدامِعِ الأنْواءِ(1)

ورسموا للنجوم صورة الجواري التي تخدم المحبوبة عندما تجلت وتبرجت أمامهن، يقول النواجِي:

[الكامل]

أضْحَتْ لِخِدْمَتِها النُّجُومُ جَوَارِياً   لَمَّا تَجَلَّتْ وَهْيَ ذاتُ تَبَرُّجِ(2)

ويرسم الشّهاب المنْصوري للشهاب الساقط في السماء صورةً جميلةً، فقد جعله محارباً وجعل ذيله المنير خلفه رمحاً من الذهب يحمله هذا المحارب، فاللون والحركة من العناصر الأساسية للصورة، يقول:

[مجزوء الرجز]

وَكَوْكَبٌ مِنْ أُفْقِهِ   فِي إثْرِ عِفْرِيتٍ وَثَبْ

كَأنَّهُ مُحارِبٌ   يَجُرُّ رُمْحاً مِنَ ذهَبْ(3)

ويعجب أحمد بن محمد ابن مظَفَّر بمنظر الغروب، فيشخص الشمس في صورة غادةٍ تودع الكون وهي تلبس ثوباً جميلاً، ومن الملاحظ أن تشبيهات الشعراء ابتعدت عن التعقيد واستمدت معانيها من الحياة المشاهدة، يقول:

[الطويل]

كَأنَّ جُنُوحَ الشَّمْسِ لِلغَرْبِ غَادَةٌ   تُوَدِّعُنَا فِي ثَوْبِ خَزٍّ مُوَرَّسِ(4)

أما علاء الدين البِيري الحلَبي فيصف ضوء البدر بالسيف الذي سله على البحر لما أراد افتراسه، يقول:

[الطويل]

---

(1) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 169/1.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 102.

(3) دندراوي، قرشي عباس، **شعر الشهاب المنصوري**، 35.

(4) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 231/1.

أرَى البَـدْرُ لَمَّـا أنْ دَنـا لِغُرُوبِـهِ   وَأَلْـبسَ مِنْـهُ أزْرَق المَـاءِ أبْيَـضَا

تَـوَهَّمَ أنَّ البَحْـرَ رَامَ الْتِقامَـهُ   فَسَلَّ لَـهُ سَيْفاً عَلَيْـهِ مُفَضَّضَا[1]

واستخدموا في التشخيص والتجسيم صفات الإنسان التي تلازمه في حياته، فالبدر لازمه السهر وأصبح يعاني التيه والشكوى، يقول النّواجي:

[الكامل]

وَالبَـدْرُ لازَمَـهُ الـسّهادُ فَلَـمْ يَـزَلْ   فِـي اللَّيْـلِ يَـشْكِي تائِهـاً مُتَحَيِّـراً[2]

والسحب تتصف بالتكبر وتظهر مختالةً في حلةٍ دكناء اللون في تشبيه المنْصوري:

[الكامل]

وَالسُّحْبُ تَخْطُرُ فِي ذُيُولِ نَسِيمِها   مُخْتالَـةً فِـي حُلَّـةٍ دَكْنـاءَ[3]

ومن تشخيصاتهم الجميلة المأخوذة من عالم الطفولة والأمومة صورة ابن حِجة الذي جعل السحاب مرضعاً والنبت جنيناً، يقول:

[البسيط]

وَلا يَـزَالُ جَنِـينُ النَّبْـتِ تُرْضِعُهُ   حَوامِـلُ المُـزْنِ فِـي أحْـشَا [4]

ويستعير أحمد بن محمد ابن مظَفّر للسحاب صورة ساقي الخمر، أما الرياض فندامى اجتمعت للشرب، يقول:

[الطويل]

كَأَنَّ السَّحَابَ الجَوْنَ سَاقٍ مُطاوِعٌ   يَطُـوفُ عَلَـى شَـرْبِ الرِّيَـاضِ [5]

واتخذ ابن حجر العسقَلانِي من النسيم صورة الرسول لإيصال السلام إلى داره البعيدة، يقول:

[الطويل]

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة**، 133/12.

(2) النواجي، شمس الدين، **تأهيل الغريب**، 426، البيت غير موجود في ديوانه.

(3) النبهاني، يوسف، **المجموعة النبهانية**، 170/1.

(4) الحموي، ابن حجة، **ثمرات الأوراق**، 388، البيت غير موجود في الديوان.

(5) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 273/1.

فَيَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ باللَّهِ بَلِّغِي سَلامِي عَلَى رُوحِي المُقِيمَةِ فِي مِصْرِ[1]

واستعار الشعراء صورهم في الطبيعة من ديوان الغزل، وجمعوا للصورة أكثر من تشبيهٍ، يقول أحمد بن محمد بن علي بن خَلِيفَة:

[الطويل]

كَأَنَّ دَوِيَّ الرِّيحِ بَيْنَ غُصُونِهِ نِداءُ مُحِبٍّ أَوْ حَدِيثُ مُوَسْوِسِ[2]

وجمعوا بين التشخيص والاستعارة في وصف الربيع، يقول الشاعر محمد القُسطَنْطِيني:

[الكامل]

ضَحِكَ الرَّبِيعُ وَجَاءَ سَعْدٌ مُقْبِلُ وَلَكَ الهَنَا ذَهَبَ الزَّمَانُ المُمْحِلُ[3]

ومن صورهم في الرياض قول الشهابِ الحِجازي:

[الخفيف]

ضَحِكَ الرَّوْضُ مِنْ بُكاءِ السَّحَابِ وَتَوارَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِالحِجَابِ[4]

وقول عِز الدين الموصِلي الذي شبه الروض في صورة إنسانٍ مختالٍ، يقول:

[الطويل]

وَرَوْضٍ بِنُجْمِ الزَّهْرِ أَصْبَحَ مُزْهِراً فَتَحْسِدُهُ مِنْ حُسْنِهِ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ[5]

ويجعل الشّهاب المنْصوري الروضة راقصةً بأغصانها، يقول:

[البسيط]

وَرَوْضَةٍ رَقَصَتْ أَغْصَانُهَا طَرَباً مِنْ شَدْوِ وُرْقٍ عَنِ الأَلْحَانِ تُغْنِينَا[6]

أما ابن زقاعة فيستعير صورته الجميلة من مصطلحات الحديث وعلومه عندما صور المنثور راوياً للحب عن النسيم وعن البان والرند والغار، يقول:

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، **ديوانه**، 182.

(2) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 226/1.

(3) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 8/10.

(4) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 141/1.

(5) **نفسه**، 143/1.

(6) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 367.

[الطويل]

وَدَوْحَــةُ وَرْدٍ أَرْضُــها مِـنْ بَنَفْسَجٍ ... يُنَـــادِمُنِي مَنْثُورُهَـــا باصْـــفِرارِهِ

رَوَى لِي حَدِيثَ الحُبِّ عَنْ نَسْمَةٍ ... عَــنِ البـــانِ عَـــنْ رَنْـــدِ الغُــوَيْمِ[1]

ويشبه ابن خَطِيب داريضا غصن البان بقد المحبوبة:

[السريع]

كَــأَنَّ غُــصْنَ البـــانِ قَــدُّ الــذِي ... أَهْــوَاهُ فِــي أثوابِــهِ السُّنْدُسِ[2]

ومن الصور الجميلة أيضا قول ابن زقاعة في تشبيه صفوف النخيل بعساكر الحـرب، يقول:

[الكامل]

وَكَأَنَّمَـــا يَـــوْمَ الطِّـــرادِ تَجَهَّـــزَتْ ... لِلحَــرْبِ بَــيْنَ عَـسَاكِرٍ مُـصْطَفَّةِ

فَجَرِيـدُهَا مِثْـلُ الـسُّيُوفِ تَلاعَبَـتْ ... طَـوْراً بِـهِ وَالـرُّمْحُ مِثْـلُ القَلْعَـةِ[3]

ومن تشخيصهم في وصف المشمس قول سراج الدين القَيومي:

[الخفيف]

أَنْكَــرَ العَاشِــقُونَ صُــفْرَةَ لَــوْنِي ... بَعْــدَمَا كُنْـــتُ كَـــالزُّمُرُّدِ أَخْـــضَرْ

مَــا دَرَوْا أَنَّنِــي عَـشِقْتُ فَجِـسْمِي ... أَصْفَرٌ وَقَلْبِي مِنْ بعادٍ قَدْ تَكَسَّرْ[4]

فالشاعر استعار صفرة المحب وأسقطها على لون المشمس الأصفر، ومـن صـورهم الجميلة في اللوز قول ابن زقاعة مشبها اللوز برجلٍ يلبس جبةً خضراء، يقول:

[الكامل]

وَاللَّوْزُ الأَخْضَرُ جَـاءَ لابِسَ جُبَّـةٍ ... خَـــضْراءَ مِـــنْ غَبْـــرَةٍ، كَمِثْـــلِ[5]

أما الورد فهو ملك أقبل في جيوش الأزهار التي خضعت له، يقول النواجي:

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 139.

(2) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 168.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 192.

(4) ابن طولون ،الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 298/2، الشطرالثاني من البيت الثاني مكسور كما ورد من المصدر.

(5) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 194.

[الوافر]

مَلِيكُ الـوَرْدِ أقْبَـلَ فِـي جُيُـوشٍ مِــنَ الأزْهــارِ فِــي حُلَــلٍ بَهِيَّــة

فَوَافَتْـــــهُ الأزَاهِــــرُ طائِعـــاتٍ لأنَّ الــــوَرْدَ شَــــوْكَتُهُ قَوِيَّـــة[1]

والياسمين الأصفر بين الكثب يحاكي عساكر الروم التي تحمل صلبان الذهب، والشاعر هنا يجمع إلى جانب التشخيص الصورة البصرية، يقول علي بن أيبك:

[المنسرح]

كَأنَّمـــا الياسَــمِينُ حِــينَ بَــدَا أصْــفَرُهُ فِـــي جَوَانِــبِ الكَثْــبِ

عَــسَاكِرُ الـــرُّومِ نازَلَـــتْ بَلَـــداً وَكُــلُّ صُــلْبانِهَا مِــنَ الــذَّهَبِ[2]

ويبرز ابن مليكٍ الحموي الطبيعة في صورةٍ سعيدةٍ جامعاً عناصر الحركة وموشحاً بها صورته، حيث رأى النهر مصفقاً والأغصان راقصةً، يقول:

[البسيط]

وَالنَّهْرُ صَفَّقَ وَالأغْصَانُ رَاقِصَةٌ وَلِلهَنَـا كُـلُّ وَقْـتٍ فِيـهِ تَجْدِيـدُ[3]

أما ابن خطيب داريا فيجعل النيل عاشقاً لكل ما حوله، يقول:

[البسيط]

كَأنَّمَـا النِّيـلُ يَهْـوَى مَـا أحَـاطَ بِـهِ مِنَ الرُّبَـا فَهْوَ لِلأشْـواقِ يَلْتَطِمُ[4]

وفي صورةً ثالثة للنيل، يبرزه النواجي ملكاً يكشف ما أصاب أمر الرعية مـن ضـر، يقول:

[البسيط]

كَأنَّـــهُ مَلِــكٌ وَافــى لِيَنْظُــرَ فِــي أمْرِ الرَّعِيَّةِ إنْ ضُرّاً رَأى كَشَفَا[5]

ورسم النواجي أيضاً للبحر صورة العدو الأزرق الذي يخفي عداوته، يقول:

---

(1) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 319.

(2) ابن طولون الصالحي، محمد ، **المواكب الإسلامية**، 192/2.

(3) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 418، نقلاً عن **ديوانه**، 30.

(4) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 186.

(5) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 119.

[الكامل]

لا تَرْكَبِ البَحْرَ الأُجَاجَ وَعَدِّ عَنْ ... أهْوَالِـــهِ فَبِـــدُونِ ذَلِـــكَ تُـــرْزَقُ

وَاحْــذَرْ تَمِيــلُ إلــى هَــوَاهُ فَرُبَّمَــا ... أبْدَى الصَّفَا وَهُوَ العَدُوُّ الأزْرَقُ(1)

ورسم الشهاب المنْصوري للجواد الذي وقع بالسلطان صورةً طريفـةً اسـتوحاها مـن خياله، فجعل الجواد معجباً بعز السلطان فقبل الأرض بين يديه، يقول:

[الطويل]

وَقَـدْ زَعَمُـوا أنَّ الجَـوَادَ كَبَـا بِـهِ ... وَحَاشَـاهُ مِـنْ عَيْـبٍ يُضَافُ إلَيْـهِ

وَلَكِـنْ رَأى سُـلْطَانَ عِـزٍّ وَهَيْبَـةٍ ... فَقَبَّـلَ وَجْـهَ الأرْضِ بَـيْنَ يَدَيْـهِ(2)

ومن الأمثلة الجميلة قصيدة لفخر الدين ابن مكانِس في الحمار والثور، فـالثور يـشكو للخلاص من معاناته والحمار ينصحه، يقول:

[الرجز]

وَافَــى الحِمَــارُ نَحْــوَهُ مُــسْتَفْهِماً ... وَقَــالَ: مَــا بالُــكَ تَــشْكُو الألَمَــا ؟

قَــالَ سَـئِمْتُ العَـيْشَ فِـي العَـذابِ ... وَالـدَّوْرَ بَعْدَ الحَـرْثِ فِـي الـدُّولابِ

فَقَــالَ: هَــذا مِــنْ سُــقُوطِ هِمَّتِــكْ ... وَجَهْلِـكَ الجَـمِّ وَسُــوءِ فِكْرَتِــكْ(3)

فالشاعر يشخص الطبيعة بصورة الإنسان، وهو هنا يبرز لنا دهاء الإنسان ومكره على لسان الحيوان وقد مرت القصيدة في الفصل السابق.

وأجرى الشعراء أحياناً الحكمة على لسان الحيوان ، يقول المقْريزي على لسان الأرنب:

[الخفيف]

قَالَــتْ الأرْنَــبُ الــسَّبوقُ كَلامــاً ... فِيـــهِ ذِكْـــرَى لِـــتَفْهَمَ الألْبَـــابُ

أنَــا أجْــرَى مِــنَ الكِــلابِ لَكِــنْ ... خَيْرُ يَوْمِي أنْ لا تَرَانِـي الكِلابُ(4)

والناموس مغن يذكر ابن خطيب داريا مزمار داود:

---

(1)عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** ، 340.

(2) ابن إياس الحنفي، محمد ، **بدائع الزهور**، ق2، 227/3.

(3) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(4) السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع**، 24/2، الشطر الأول من البيت الثاني مكسور.

[البسيط]

وَلِـي مُغَنٍّ مِـنَ النَّـامُوسِ يُـذْكِرُنِـي   إنْ فـاتَنِـي قَرْصُـهُ مِزْمـارَ داوُدَا[1]

ومن تشخيصات الشعراء في الطيور قول الشّهابِ المنْصوري مشبهاً الحمام بالقيان:

[الخفيف]

وَشَـــدَتْ وُرْقُهـــا فَكانَـــتْ قِيانـــاً   آتِيـــاتٍ مِـــنْ لَحْنِهَـــا بالـصَّوَابِ[2]

ويجعل أبو الفَضل ابن أبي الوفاءِ القُمري عاشقاً، الـصبا رسـوله وأوراق الغـصون رسائله، يقول:

[الطويل]

كَـأنَّ بِـهِ القُمْرِيُّ صَبٌّ، لَـهُ الصَّبَا   رَسُـــــولٌ، وَأَوْرَاقُ الغُـــــصُونِ[3]

ويجعل البدر ابن الصاحِب صوت البلبل يؤثر في الخاشع والناسك لجماله، ثم يخاطـب البانات قائلاً إن جمال صوته من شذاها، يقول:

[السريع]

لِبُلْبُـــلُ البـــانِ غِنـــاً رائِـــقٌ   يَمِيـــلُ بالخَاشِـــعِ وَالنَّاسِـــكِ

قالَـــتْ لَـــهُ البَانَـــاتُ أطْرَبْتَنَـــا   فَقـــالَ ذَا مِـــنْ طِيـــبِ أنْفاسِـــكِ[4]

واصطنع الشعراء في هذا العصر الخيال الشعبي الذي يرضي العواطف والمشاعر التي تميل إلى المبالغة[5]، فالشاعر يبالغ لإخراج صورته أحياناً في أجمل منظر، أو للارتقاء بها إلى أفضل الأوصاف التي لا تضاهيها، يقول النواجِي واصفاً رقة ونعومة محبوبته:

[مخلع البسيط]

لَـــوْ هَفَـــوَاتُ النَّـــسِيمِ مَـــرَّتْ   عَلَيْـــهِ مِـــنْ لُطْفِـــهِ تَجَعَّـــدْ[6]

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 59.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

(3) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 182.

(4) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 248.

(5) ينظر: عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 267-268.

(6) **نفسه**، 147.

فالشاعر يبالغ في وصف نعومة محبوبته التي لولامسها النسيم لتجعدت ولأثر فيها، ومنه قول ابن خطيب داريا واصفاً لطف النسيم من رسائله الرقيقة، يقول:

[البسيط]

وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا لَوْلا اكْتِسَابُكَ مِنْ رَسَائِلِي لَمْ تَبِنْ فِيكَ اللَّطَافَاتُ[1]

ومن المبالغات عند النواجي قوله مادحاً ممدوحه الذي يعلو نعل جواده على الثريا، يقول:

[الكامل]

مَلِكٌ ثُرَيَّا الأُفْقِ نَعْلُ جَوَادِهِ وَبِيُمْنِ غُرّتِهِ الصَّبَاحُ تَيَمَّنَا[2]

خامسا: الموسيقا الشعرية

الوزن والموسيقا هما أحد أخص ميزات الشعر وأعظم أركانه وأولاها به خصوصيةً[3]، لذلك "كان القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلا بما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي"[4]، ومن المعروف أن الخليل بن أحمد هو الذي اخترع علم العروض وجمع فيه أصناف النغم [5]، والموسيقا التي تنبعث من القصيدة تؤثر على عواطف الإنسان وأحاسيسه، وتجمع بين الموقف اللفظي للقصيدة والموقف النفسي الداخلي التي تبعثه في نفس المتلقي"[6]، ونظم شعراء العصر المملوكي أشعارهم على بحور الشعر التقليدية المعروفة، ولا غرابة، فهم جزء من حلقة الشعر العربي الممتدة من الجاهلية حتى العصر الذي عاشوا فيه، فقد ساروا على نهج الشعراء في النظم على البحور المختلفة وأثبتوا قدرتهم في الصياغة والتعبير ومجاراة الآخرين، كما أن أوزانهم جاءت على جميع البحور المتداولة، "لأن الشعر راجع إلى باب الوصف"[7]، والوصف يدخل في جميع الموضوعات، في المدح والغزل والرثاء، وحتى لو لم يكن موضوعها وصفاً للطبيعة، فأشعار وقصائد الغزل والمدح والرثاء، قد تتضمن أبياتاً مبثوثةً في الوصف، وقد يكون الموضوع نفسه ممتزجاً بالوصف كتشبيه المرأة بالبدر في الجمال، أو وصف الممدوح بالبحر في الكرم.

---

(1) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 108.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 202.

(3) ينظر ابن رشيق القيرواني، علي الحسن، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، 218/1، وينظر: الشايب، أحمد، **الأسلوب**، 65.

(4) أنيس، إبراهيم، **موسيقا الشعر**، 14.

(5) ينظر ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، 218/1، وينظر عتيق، عبدالعزيز، **علم العروض والقافية**، 8.

(6) أبو صعيليك، أحمد، **الطبيعة في شعر مصر والشام**، 270.

(7) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، 1096/2.

ولو أخذنا ديوان الشاعر المملوكي إبراهيم بن زقّاعة على اعتبار أن الشاعر من أكثـر الشعراء الذين وصفوا الطبيعة في ذلك العصر، ونظرنا في البحور التي تضمنها ديوانـه لجـاء ترتيبها على النحو التالي:

البحر	عدد القصائد والمقطوعات
الوافر	16
الطويل	14
الكامل	6
الخفيف	6
السريع	5
مجزوء الوافر	3
البسيط	2
المتقارب	2
مجزوء الخفيف	2
مجزوء الرجز	2
المنسرح	1
مخلع البسيط	1
مجزوء الكامل	1

يلاحظ على ديوان ابن زقاعة أن ستة بحور استعملت أكثر من غيرهـا وهـي علـى الترتيب: "الوافر" "الطويل" "الكامل" و"الخفيف" السريع" و"مجزوء الوافر"، وجاء عدد القـصائد المنظومة على هذه البحور خمسين قصيدةً ومقطوعةً من أصل واحدٍ وستين مقطوعةً وقـصيدةً في الديوان أي ما نسبته 81.9%، وجاءت باقي البحور بنسبة 18.1%، وهـذه البحـور كلهـا طويلةٌ باستثناء مجزوء الوافر، ويلاحظ أن البحر الوافر جاء في المرتبة الأولى وتـأخر عنـه الطويل[1]، حيث تفوق عليه بقصيدتين على خلاف ما عهد عند السابقين من احتلال بحر الطويل مركز الصدارة ،يقول إبراهيم أنيس "ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نـسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم هذا الوزن"[2].

(1) سمي البحر الطويل بهذا الاسم لأنه أطول بحور الشعر، فعدد حروفه 48 حرفاً، ينظر التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، **الوافي في العروض والقوافي**، 37.

(2) **موسيقا الشعر**،59.

والسؤال هل تراجع هذا البحر عن مكانته المعهودة عند السابقين، والمتفحص لشعر الشعراء وبحورهم التي نظموا الشعر عليها يجد أنه ما زال يحتل مكانةً متقدمةً بالنسبة لباقي البحور، ويلاحظ أيضا أن بحر الكامل والبسيط تراجع كل منهما لصالح الوافر في الحديث عن الكامل، ولصالح الخفيف والسريع ومجزوء الوافر في الحديث عن البسيط، مع أن النقاد رتبوا بحور "الطويل" و"الكامل" و"البسيط" كأكثر البحور شيوعاً في الأدب العربي.

أما البحور التي تليها في ديوان الشاعر فهي "المتقارب" و"مجزوء الخفيف" و"مجزوء الرجز" و"المنسرح" و"مخلع البسيط " و"مجزوء الكامل" فقد تراوحت نسبتها حوالي 18.1% أي أقل من خمس الديوان، وتقدمت بحور "مجزوءالخفيف" و"مجزوء الرجز" و"المتقارب"، في هذه المجموعة واستعملت مرتين في الديوان، فيما استعملت بحور "المنسرح" و"مخلع البسيط" و"مجزوء الكامل" مرةً واحدةً.

ويلاحظ غياب عددٍ من البحور من ديوان الشاعر مثل "الرمل" و"المديد" من البحور الطويلة، و"الهزج" و"المجتث" و"مجزوء البسيط" و"مجزوء الرمل" من البحور القصيرة.

ولا أعتقد أن بحر الطويل قد غاب نجمه وتأثر في هذا العصر على الرغم من تفضيل ابن زقاعة للبحر الوافر، وربما يرجع ذلك إلى أن الوافر من الأوزان التي "تستريح له الآذان وتطمئن النفوس"[1]، ولو أخذنا مثالين لشاعرين آخرين وهما شمس الدين النّواجي والدماميني لوجدنا أن البحور التي كانت تحتل مركز الصدارة في شعر السابقين ما زالت تحافظ على نسبتها المتقدمة في ديوانيهما، فشمس الدين النواجي أكثر من النظم على البحور الطويلة، واحتل البحر الطويل في ديوانه المرتبة الأولى، وتلاه على الترتيب "البسيط" و"الوافر" و"الكامل" و"السريع" و"الخفيف" و"المجتث" بنسبة 73.5% من مجموع الديوان، واحتلت باقي البحور نسبة 26.5%، وهذا يدل على أن الشعراء قلدوا السابقين حتى في بحورهم، وحافظوا على البحور الأولى التي تصدرت أشعار السابقين[2].

أما شعر الدماميني فقد حافظ أيضا على صدارة الأوزان الطويلة والشائعة في شعر الشعراء، وجاءت أوزانه المستعملة حسب التالي: حيث احتل الطويل المرتبة الأولى في ديوانه بنسبة 30.9% من استعمالاته، ثم الكامل بنسبة 18.4%، ثم البسيط بنسبة 11%، ثم السريع بنسبة 10.3%، ثم الخفيف بنسبة 9.6%، ثم الوافر بنسبة 9.2 %[3].

---

(1) أنيس، إبراهيم، **موسيقا** الشعر، 76.

(2) ينظر: عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 277.

(3) ينظر: السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 210.

ويلاحظ غياب النظم على المضارع والمقتضب في أشعار ذلك العصر، وفي ذلك يقول أبو بكر الدماميني "وأنكر الأخفش أن يكون المضارع والمقتضب من شعر العرب، وزعم أنه لم يسمع شيئاً من ذلك........"[1]، ويقول إبراهيم أنيس " وقد استعرضت جميـع مـا روي مـن الأغاني لعلي أظفر بأمثلة لهذين الوزنين فلم أجد لهما ذكـراً، إلاّ فـي مقطـوعتين قـصيرتين. ......"[2].

ومن هنا يمكن القول إن الشعراء لم يخصوا بحراً دون غيره في النظم في موضـوعات الطبيعة، وإنما استعملوا البحور المتداولة قبلهم في الشعر العربي.

واستخدم الشعراء مجزوءات البحور لأنها أسهل في إبراز الموسيقا الشعرية، ولما لهـا من أثرٍ في إبراز النغم والإيقاع، من الأمثلة على ذلك قول ابن زقّاعة في مجزوء الوافر:

[مجزوء الوافر]

بـــذاتِ الـــشِّيح مِـــنْ رَفْـــحِ	تَلاقيْنـــــا فَـــــوَافِرَ حِـــــي
وَقَـــدْ رَقَـــدَتْ حَوَاشِـــي اللَّيْـــ	لِ وَالعُـــصْفُورُ لَـــمْ يَـــصِحِ
وَلَمَّـــــا لاحَ مَبْـــــسَمُهُ	وَعَـــيْنُ الـــصُّبْحِ لَـــمْ تَلُـــحِ
شَـــهِدْتُ الـــدُّرَّ مُنْتَظِمـــاً	بِـــذاكَ الثَّغْـــرِ كَالـــسُّبَحِ[3]

ومن الأمثلة على مجزوء الرمل قول الدماميني:

[مجزوء الكامل]

قُـــمْ بِنَـــا نَرْكَـــبُ طَـــرْفَ ال	لَّهْـــــوِ سِـــــبْقاً لِلمُـــــدامْ
وَاثْـــنِ يَـــا صَـــاحِ عنَـــانِي	لِكُمَيْـــــتٍ وَلِجَـــــامْ[4]

ومن الأمثلة على مجزوء الرجز قوله أيضاً:

[مجزوء الرجز]

فِـــي لَيْلَـــةِ البَـــدْرِ أَتَـــى	حِبّـــي فَقَـــرَّتْ مُقْلَتِـــي
وَقَـــالَ لِـــي يابَـــدْرُ نَـــمْ	فَقُلْـــتُ: هَـــذِي لَيْلَتِـــي[1]

(1) الدماميني، أبو بكر، **العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة**، 76.

(2) **موسيقا الشعر**، 54.

(3) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 131.

(4) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 130.

ومن الأمثلة على مخلع البسيط قول النواجي:

[مخلع البسيط]

بِاللَّـــهِ يـــا صَـــاحِ قُـــمْ وَبـــاكِرْ بُـــسْتَانَ لَهْـــوٍ حَـــوَى نُعُوتـــاَ

تَـــشْبَعُ نَخْـــلاً بِـــهِ وَكَرْمـــاً مُزَبَّبـــاً يانِعـــاً وَتُوتـــاَ[2]

وقوله:

[مخلع البسيط]

هَـلْ لَـكَ فِـي رَوْضَـةٍ شَـذَاهَا يَهِـيمُ فِيـهِ الأنَـامُ عِـشْقَا

تَنْظُـرُ بَانـاً بِهـا وَوَرْداً نَعِـيشُ فِـي ظِلِّـهِ وَنَبْقَـى[3]

ونظم الشعراء بالإضافة إلى المجزوءات من البحور، البحور التي قل استعمالها عند السابقين والقدماء، لسهولة دورانها على ألسنة الناس، يقول النواجي من بيتين على بحر المجتث:

[المجتث]

لَمَّـا أَتَـى الـضَّبْعُ يَـسْعَى إِلَـى الـسِّمَاطِ مُبَـادِرْ

بَاعَدْتُـهُ عَنْـهُ جَهْـدِي وَقُلْـتُ يَـا ضَـبْعُ كاسِـرْ[4]

ويقول:

[المجتث]

جَـاءَ الـشِّتَاءُ وَجِـسْمِي فِـي الـضَّعْفِ مِثْـلَ خَـروفِ

وَكَـانَ لِـي ثَـوْبُ صُـوفٍ فَطَيَّـرَ البَـرْدُ صُـوفِي[5]

ومن الأمثلة على بحر المنسرح قول النواجي أيضا:

[المنسرح]

قَالُوا وَهَى النِّيلُ عَنْ قُوَاهُ فَمَا اسْطَاعَ يُوْفِي لِعِظَمِ مَا نَابَهْ

عَسَاهُ فِي بَابَةٍ يَصُبُّ لَنَا فَقُلْتُ ذا النِّيلُ مَا لَه بابَهْ[6]

---

(1)السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً** ، 139.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 320.

(3) **نفسه** 320.

(4) **نفسه** 350.

(5)السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً** 340.

(6) **نفسه**، 331.

ويلاحظ أن الشعراء كرروا بعض القوافي في قصائدهم ومقطوعاتهم، حتى تعطي معنًى جديداً، يقول النواجي:

[الوافر]

بمَسْرَى النِّيلِ ما أوْفَى فَضَجُّوا ... وَدَبَّ القحْطُ فِينَا مِنْ أبِيبِ

وَلَمْ أضْرَعْ لِمَخْلُوقٍ لأنِّي ... رَأيْتُ اللَّهَ ألْطفَ مِنْ أبِي بِي[1]

ويقول أيضاً في الموز:

[السريع]

مَا اسْمُ شَيْءٍ حَسَنٌ شَكْلُهُ ... تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُوناً

تَرَاهُ مَعْدُوداً وَإنْ زِدْتَهُ ... وَاواً وَنُوناً صَارَ مَوْزُوناً[2]

ويقول البدر البشْتُكِي:

[مجزوء الكامل]

الشَّمْسُ فَوْقَ النِّيلِ قَدْ ... ألْقَتْ شُعَاعاً كَالذَّهَبْ

فَحَكَى مِسَنًّا أخْضَراً ... وَعَلَيْهِ حَكٌّ مِنْ ذَهَبْ[3]

ويلا حظ استعمال شعراء هذا العصر لبعض القوافي النادرة الاستعمال في الشعر[4]، من ذلك قصيدةٌ للشهابِ المنْصوري على روي الذال، وعلى الرغم من قلة استعمال هذا الحرف عند الشعراء إلا أن القصيدة جاءت موسيقيةً منسابةً في ألفاظها لما تضمنته من كلماتٍ رقيقة اللفـظ والمغزى، يقول:

[السريع]

نَمَّ صَبَا رَوْضَتِنا بالشَّذَا ... وَنَهْرُهَا بَاحَ بِسِرِّ القَذَى

وَالغُصْنُ ألْقَى فِيهِ أثْمَارَهُ ... فَمَالَ سُكْراً قبْلَ أنْ يُنْبَذَا

فِي رَوْضَةٍ زادَ وُلُوعُ الصَّبَا ... بهَا فَإنْ هَبَّ عَلَيْهَا هَذَى

---

(1) **نفسه**، 331.

(2) **نفسه** 374.

(3) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 288.

(4) ينظر: أنيس، إبراهيم، **موسيقا الشعر**، 248.

إنْ صَــــدَحَتْ وُرْقٌ بأَوْراقِهــــا ... تُغْــرِي اللّــذاذاتِ بِطَــرْدِ الأذَى

نَــسِيمُهَا رَطْــبٌ لِــداءٍ شَــفَا ... وَعُرْفُهَـــا مِـــسْكٌ لِــرُوحِ إذَا

قَــدْ وَعَــدَ المَحْبُــوبُ فِيهــا بِــأَنْ ... يَـــزُورَ إنْ صَـــحَّ فَيــا حَبَّــذَا

غُـــصْنٌ إذا مَيَّـــلَ أَعْطافَــــهُ ... فَيَـــا حَيَـــاءَ الغُـــصْنِ مِنْـــهُ إذَا

عَوَّذْتُـــهُ باللَّـــهِ مِـــنْ حاسِــدٍ ... وَلَيْتَـــهُ يَرْثِـــى لِمَـــنْ عَـــوَّذَا

قَــدْ سَــلَبَتْ أَلْحَاظُــهُ مُهْجَتِـــي ... وَلَــمْ أَجِــدْ لِــي مِنْــهُ مُــسْتَنْقِذَا[1]

ومنها استعمال الظاء روياً كقول الشهاب الحِجازي:

[الخفيف]

قَـدْ حَكَـى البـانُ وَالـشَّقَائِقُ وَالنَّــرْ ... جِـسُ مِنْهَــا قَــدّاً وَخَــدًّا وَلَحْظَـا

فَلِحَـاظِي مِـنْ حُـسْنِها فِـي نَعِـيمٍ ... وَفُـؤادِي فِــي نــارِ خَــدٍّ تَلَظَّــى[2]

أو روي الضاد كقول ابن حِجة الحموي:

[الطويل]

بَدَا سَوْسَنُ الرَّوْضِ المُدَبَّجِ أَزْرَقـا ... وَأَصْفَرُ يَعْلُو طُولُـهُ فَوْقَ مُبْيَضِّ

كَــأَنَّ الرُبــا أَرْخَــتْ ذُيُــولَ غَلائِــلٍ ... مُــصَبَّغَةٍ وَالــبَعْضُ أَقْــصَرُ مِــنْ [3]

ولو استعرضنا ديوان ابن زقاعة على اعتبار أنه من أكثر الشعراء نظمـاً فـي شـعر الطبيعة، وألقينا نظرة على حروف الروي المستعملة في قصائده لوجدناها على النحو التالي:

التـــاء:	13	الـــدال:	9	الهــاء:	6	البــاء:	5
الـــلام:	5	المـــيم:	4	الحــاء:	3	القــاف:	3
الـــسين:	2	الـــواو:	2	النــون:	2	العــين:	2
والجـــيم:	1	الغـــين:	1	الــراء:	1	الــزاي:	1
الفـــاء:	1	الهمـــزة:	1				

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 31.

(2) الأزهري، محمد، **مستوفى الدواوين**، 89/2.

(3) ابن طولون الصالحي، محمد، **المواكب الإسلامية**، 304/2، الأبيات غير موجودة في الديوان.

فحروف الثاء والخاء والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والكاف والياء لااستعمال لها في ديوانه.

وإذا أحصينا حروف الروي في ديوان شمس الدين النواجِي على اعتبار أنه من أكبر دواوين الشعر وحوى موضوعاتٍ ليست قليلةً في الطبيعة لكان على النحو التالي:

الراء:	101	**اللام:**	92	**النون:**	72	**الميم:**	51
الباء:	51	**الدال:**	46	**القاف:**	24	**التاء:**	23
الفاء:	23	**العين:**	16	**الجيم:**	19	**الحاء:**	17
الياء:	17	**السين:**	12	**الهاء:**	10	**الكاف:**	9
الضاد:	8	**الهمزة:**	8	**الطاء:**	5	**الثاء:**	3
الواو:	3	**الشين:**	3	**الزاي:**	2	**الذال:**	1
والغين:	1	**الخاء:**	1				

والظاد والصاد لا يوجد لهما استعمال في ديوانه.

ويلاحظ أن الشاعرين اشتركا في إهمال أصوات الظاء والصاد، بينما استعمل النّواجي قوافي الثاء والشين والضاد والطاء والثاء والشين والغين والكاف والياء التي غاب استعمالها عند ابن زقّاعة.

ويلاحظ أن الشعراء استعملوا القوافي الموسيقية الرنانة مثل الراء والهاء واللام والنون والميم والدال والباء كما ظهر عند النواجِي الذي نوع في قوافيه، أما ابن زقّاعة فقد أكثر من استعمال قوافي "التاء" و"الدال" و"الهاء" و"الباء" و"اللام" و" الميم" أكثر من غيرها، ويمكن القول أن الشعراء استعملوا القوافي السهلة ذات الإيقاع الموسيقي الرنان، وهذا واضح من خلال استعراض أشعار الشعراء لهذا العصر.

كما يلاحظ أن الشعراء أكثروا من استعمال البحور الممتزجة التي زادت على البحور الصافية، فالشعراء كانوا يميلون إلى التخفف من رتابة الإيقاع في البيت الشعري[1].

(1) ينظر، عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 282،281، وينظر السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 221-222.

واستخدم الشعراء التصريع في تنويع الإيقاع الموسيقي للقصيدة، ولا يخفى ما للتصريع من إيقاعٍ موسيقي عذبٍ لا سيما إن صبغ بألوان البديع مثل الجناس التام، كما في قول ابن زقاعة:

[البسيط]

يَا سَادَةً هجروا فِي شَهْرِ تَشْرِينِ إِنْ بعْتُمُونِي رجالُ الحُبِّ[1]

ولا يخفى ما للجناس من أثرٍ موسيقيٍ في مطلع البيت، وأجمل منه قول النواجِي في مطلع قصيدة:

[الكامل]

لَوْلاَ المُحَصَّبُ وَالعَقِيقُ وَلَعْلَعُ مَا غَنَّتِ العِيسَ الحُدَاةُ وَلَعْلَعُوا[2]

ويقول البدر البشْتُكِي:

[الوافر]

رَعَى اللَّهُ اللَّيَالِي الذَّاهِباتِ وَدَهْراً قَدْ تَقَضَّى ذاهِباتِ[3]

وصرع الشعراء أحياناً دون استدعاء ألوان البديع كالجناس، ولكن ذلك لم يقلل من موسيقا أبياتهم الشعرية وخاصة إذا استعملوا القوافي الرنانة، يقول أبو الفضل بن أبي الوفاء:

[السريع]

بِاللَّهِ إِنْ جُزْتَ الحِمَى يا حَمَامْ بَلِّغْ سَلامِي فَهْوَ دارُ السَّلامْ[4]

وقول الشهابِ الحِجازي:

[الكامل]

أُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ السَّمَاءِ إِذا صَحَتْ وَالنُّورُ يُشْرِقُ وَالغُيُومُ قَدِ[5]

---

(1) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 102.

(2) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 60.

(3) السيوطي، **كوكب الروضة**، 176.

(4) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 185.

(5) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 283.

ولم يكتف الشعراء بتصريع المطلع، بل صرعوا في الأبيات التي تليها، الأمر الذي أثرى الإيقاع الشعري في البيت، يقول الشهاب المنْصوري:

[الكامل]

وَمَلِيحَــةٌ تَــسْقِيكَ مِــنْ أَجْفانِهــا   أَضْعافَ ما تَسْقِيكَ مِنْ رَاحَاتِهَا

فِي رَوْضَةٍ حاكَتْ مَحَاسِنَ وَجْهِهَا   وَحَكَتْ مَحَاسِنَ وَجْهِها زَهَرَاتُهَا

رَقَّتْ لِرِقَّـةِ خَصْرِهَا رِيحُ الصَّبَا   وَتَحَرَّكَـتْ شَـوْقاً إِلَـى حَرَكَاتِهَـا

وَالنَّهْـرُ فِـي قَلَـقٍ إِلَـى أَرْدَافِهَـا   وَالغُصْنُ فِي مَيْلٍ إِلَى خَطَراتِها(1)

واهتم الشعراء بموسيقاهم الداخلية، ليبرزوا الإيقاع حتى تكون الأشـعار أكثـر نغمـاً وموسيقيةً في الأسماع ،ومال الشعراء في قوافيهم إلى استعمال الحروف المجهورة، ولا عجـب فهي أقوى في التعبير وأكثر إسماعاً ورنيناً من الحروف المهموسة، ومن أكثر الحـروف التـي استعملوها حروف الراء والباء والميم والنون والدال واللام، ومن الأمثلة على روي الراء، قول عِز الدين الموصِلي:

[البسيط]

وَرَوْضَـةٌ نَقَّـشَتْها لِلحَيَـا إِبَـرٌ   فَأَصْبَحَتْ بَيْنَ تَطْرِيـزٍ وَتَزْهِيـرِ

مِثْلُ السِّوارِ لَهَا سَرْوٌ أَحَاطَ بِها   مِنْ سَلْسَلٍ هِيَ مِنْهُ ذاتُ تَسْوِيرِ

أَوْ كَالخَلاخِيلِ لِلأَدْوَاحِ دارَ عَلَى   سَوْقٍ لَهَا مُطْلَقاً فِي زِيِّ مَأْسُورِ

تَحْـتَ الرِّيَـاضِ غِيَـاضٌ دُبِّجَـتْ   أَلْوانُهَـا ذاتُ تَـشْهِيرٍ وَتَـشْذِيرِ(2)

ومن أمثلة قافية الباء، قول الشهابِ الحِجازي:

[الخفيف]

ضَحِكَ الرَّوْضُ مِنْ بُكاءِ السَّحابِ   وَتَوَارَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِالحِجابِ

وَتَثَنَّـتْ هِيفُ الغُصُونِ سُكَارَى   مُـذْ أَدَارَ الغَمَـامُ كَـأْسَ الشَّرَابِ

وَشَـدَتْ وُرْقُهَـا فَكَانَـتْ قِيانـاً   آتِيـاتٍ مِـنْ لَحْنِهَـا بِالـصَّوَابِ

وَجَرَى المَاءُ فِي الغَدِيرِ فَحَاكَى   صَـارِماً مُرْهَفـاً بِغَيْـرِ قِـرابِ

---

(1) **نفسه**، 386.

(2) الغزولي، بهاء الدين، **مطالع البدور**، 141/1.

قوَّمَـتْ نَحْـوَهُ الغُـصُونَ رِمَاحـاً ... فكَـسَاهُ النَّـسِيمُ دِرْعَ حُبَـابِ[1]

ومن الأمثلة على روي النون، قول أبي الفضل ابن أبي الوفاء:

[الرمل]

وَكَـأَنَّ الطَّيْـرَ لَمَّـا أنْ شَـدَتْ ... فِي رُبَا الرَّوْضِ مَغَانٍ فِي مَغَانْ

وَكَـأَنَّ الـرَّوْضَ جَنَّـاتٌ وَقَـدْ ... زُخْرِفَتْ وَالوَرْدُ فِيهَا كَالدِّهَانْ[2]

ونظم الشعراء أيضا أشعاراً كثيرةً على روي الهاء ، وحرف الهاء من الحروف المهموسة، يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[الكامل]

رَوْضٌ عُيُونُ الأُنْسِ فِيهِ تَفَتَّحَتْ ... فَتَنَزَّهَـتْ بِغُـصُونِهَا أجْفَانُهَـا

مَاءُ الغَدِيرِ بَيَاضُهَا وَالقَلْبُ فِيهِ ... سَـوَادُهَا وَمُعَـذِّبِي إنْـسَانُهَا[3]

واختار الشعراء في هذا العصر القوافي السهلة الخفيفة ذات الإيقاعات الرشيقة حتى تعطي القصائد دفعاتٍ موسيقيةً رنانةً تكون أكثر تأثيراً وإطراباً لأذن السامع، ولا عجب، فمن شروط القافية الجيدة أن تكون عذبةً وسلسة المخرج وموسيقيةً[4]، مثل قصيدة ابن الزين لبيكم على روي القاف، يقول:

[البسيط]

وَالوَرْدُ قَدْ فَكَّكَ الأَزْرَارَ مِنْ شَغَفٍ ... وَشَمَّرَ النَّرْجِسُ الوَسْنَانُ عَنْ

وَانْشَقَّ قَلْبُ شَقِيقِ الرَّوْضِ مِنْ ... وَنَاظِرُ الرَّوْضِ قَدْ أغْفَى بِأَحْدَاقِ

وَازْرَقَّ فِي الرَّوْضِ مِنْ غَيْظٍ ... وَالزَّهْرُ يَزْوَرُّ مِنْ مُحْمَرِّ آمَاقِ

وَالآسُ قَدْ مَاسَ وَالمَنْثُورُ مُنْتَثِرٌ ... وَالجُلَّنَارُ شَكَا نَاراً بِإحْرَاقِ

وَالوُرْقُ لِلرَّوْضِ تُمْلِي مِنْ ... وَالغَيْثُ يَكْتُبُ أَشْوَاقاً بِأَوْرَاقِ[5]

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 385.

(2) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 191-192.

(3) **نفسه** 192، الشطر الثاني من البيت الثاني مكسور.

(4) ينظر: بدوي، أحمد أحمد، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، 346.

(5) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 104.

كما اختاروا القافية المطلقة في أحيانٍ كثيرة ونظموا عليها أشعارهم، من ذلـك قـصيدة للشهابِ المنْصوري في وصف النيل، يقول:

[البسيط]

وَافـى يُـشَارُ إِلَيْـهِ بِالأَصَـابِعِ بَـلْ   بِفَـيْضِ فَـضْلِ أَيَـادٍ عَهْـدُهَا سَـلَفَا
أَرْخَـى عَلَـى النَّـاسِ سِـتْرَ العَـدْلِ   فِـي رَوْضَـةٍ مِـنْ شَـذَاهَا أَصْبَحَتْ
تَحْكِي السَّمَاءَ وَتَحْكِيهِ حُلًى وَعُلاً   وَأَنْجُمـاً وَبُرُوجـاً كَمْ حَوَتْ شَرَفَا
كِلاهُمَـا جَـرَتْ الأَفْـلاكُ فِيـهِ وَقَـدْ   حَقَّـتْ بِحَافَتِـهِ الأَفْـلاكُ فَائْتَلَفَـا(1)

ومما يتصل بموسيقى الشعر تكرار الحروف داخل الأبيات الشعرية، فقد كرر الـشعراء الحروف في مقطوعاتهم وقصائدهم معطين بذلك نوعاً من الجرس الموسيقي العذب الذي يزيـد الإيقاع جمالاً ومن الأمثلة قول الشّهابِ الحِجازِي:

[الكامل]

أُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ السَّمَاءِ إِذا صَحَتْ   وَالنُّورُ يُشْرِقُ وَالغُيُومُ قَدِ انْمَحَتْ
فَبِـصَحْوِهَا وَبِـضَوْئِهَا وَبِلَوْنِهَـا   تَـشْفِي قُلُوبـاً بِـالهُمُومِ تَدَحْـدَحَتْ
وَكَأَنَّهـا مِثْـلُ الكَوَاكِبِ فِـي الـدُّجى   فِيهَـاعُيُونٌ قَـدْ سَـهَتْ وَتَفَتَّحَـتْ(2)

فتوالي حروف "التاء" و"الهاء" و"الواو " و" الحاء " يعطي نوعاً من الجـرس الموسـيقي للأبيات ومنها قول الشاعر نفسه:

[الرجز]

قَـالُوا دِمَـشْقُ قَـدْ زَهَـتْ لِزَهْرِهَـا   فَـامْضِ وَشَـاهِدْ جَوْزَهَـا وَلَوْزَهَـا
فَقُلْـتُ: لا أُبْـدِلُ بَلْـدَتِي بِهَـا   وَلَـسْتُ أَرْضَـى زَهْرَهَـا وَلَوْزَهَـا(3)

فيلاحظ أن الجناس التام مع توالي حروف "الزاي" و"الهاء" قد زاد من الإيقاع الموسيقي في الأبيات.

ومنها توالي حروف "الراء" في نسقٍ فني جميلٍ في قول إبراهيم بن عمر البِقاعِي:

---

(1) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 262.

(2) **نفسه** 283.

(3) المقري، أحمد بن محمد، **نفح الطيب**، 161/3-162.

[الطويل]

وَلَمَّـا رَأَيْـتُ البَـدْرَ أَلْقـى شُـعَاعَهُ   عَلَـى نِيـلِ مِـصْرَ وَالـسَّفِينُ بِنَـا

تَخَيَّلْتُـــهُ نَهْـــراً يَـــسِيرُ بِـــسَيْرِنَا   مِّـنَ الفِـضَّةِ البَيْـضاءِ فِـي لُجَّـةٍ [1]

واعتمد الشعراء أيضا على حركات الإيقاع المتماثلة داخل البيت في حركة المـد فـي الألف أو الواو أو الياء، كقول السيوطِي:

[البسيط]

فِي رَوْضَةٍ نَصبَتْ أَغْصَانَهَا وَغَدَا   ذَيْلُ الصَّبَا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمَجَرُورِ

قَدْ جُمِعَتْ جَمْعُ تَصْحِيحٍ جَوَانِبُهَا   وَالمَـاءُ يُجْمَـعُ فِيهَـا جَمْـعُ تَكْسِيرِ

وَالرِّيحُ قَدْ أَطْلَقَتْ فِيهَا العَنَانَ بِهِ   وَالغُـصْنُ مَـا بَـيْنَ تَقْـدِيمٍ وَتَـأْخِيرِ

وَالرِّيحُ تَجْرِي رُخَاءً فَوْقَ بَحْرَتِها   وَمَاؤُهَـا مُطْلَـقٌ فِـي زِيِّ مَأْسُـورِ

وَالمَاءُ مَا بَيْنَ مَصْرُوفٍ وَمُمْتَنِعٍ   وَالظِّلُّ مَا بَيْنَ مَمْدُودٍ وَمَقْصُورِ [2]

واستخدم الشعراء ألوان البديع أيضا في إحداث الموسيقى الداخلية ، يقول فخر الدين ابن مكانِس:

[الرجز]

وَالنَّبْـتُ فِـي رِياضِـهَا رَبَـا بِهَـا   إِذْ سَـمِعَ المُطْـرِبَ مِـنْ رَبَابِهـا [3]

وارتبطت القافية عند الشعراء في كثيرٍ من الأحيان بالصنعة البديعية التي سـادت ذلـك العصر، وعلى الرغم من أسلوب الصنعة إلا أن هذه الأشعار جاءت رائعةً وسلسةً على الـرغم من إقحام البديع فيها ومن الأمثلة على ذلك قول علي وفا السكَنْدري الشاذِلي:

[الكامل]

الشَّمْسُ مِنْ لَمَعَانِ حُسْنِكَ تُشْرِقُ   فَعَلَـى الحَقِيقَـةِ إِنَّ وَجْهَـكَ أَشْـرَقُ

وَالغُصْنُ مِـنْ تَـرَفٍ يَمِيـلُ صَـبَابَةً   لَكِـنْ مَعَاطِفَـكَ الرَّشِـيقَةَ أَرْشَـقُ [4]

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 84/2.

(2) السيوطي، جلال الدين، **كوكب الروضة**، 344.

(3) ابن مكانس، فخر الدين، **ديوانه**، غير مرقم الصفحات.

(4) الشاذلي، علي وفا السكندري، **ديوانه**، 233.

ومن الأمثلة قول شهاب الدين المنُوفِي:

[الكامل]

بَرْقُ المُحَصَّبِ فِي الدُّجْنَـةِ لاحَـا   فحَـسِبْتُهُ لَمَّـا سَـرَى مِـصْبَاحَا

وَرَأَيْتُـــهُ مُتَأَلِّقـــاً فَأَرقـــتُ إذْ   أبْقَى المَسَا بالضَّوْءِ مِنْهُ صَبَاحَا[1]

واستخدم الشعراء الاكتفاء لإثراء معانيهم ولتنغيم أبياتهم، يقول الدمامِيني:

[السريع]

شَـــقَائِقُ النُّعْمَـــانِ ألْهُـــو بِهَـــا   إنْ غَـابَ مَـنْ أهْـوَى وَعَـزَّ اللِّقَـا

فَالخَـدُّ فِـي القُـرْبِ نَعِيمِـي وَإنْ   غَابَ فَإنِّي أكْتَفِي بالشَّقَا.....ئِق[2]

ويقول أيضا:

[الوافر]

يَقُـولُ مُـصَاحِبِي وَالـرَّوْضُ زَاهٍ   وَقَـدْ بَـسَطَ الرَّبِيـعُ بِـسَاطَ زَهْـرِ

تَعَـالَ نُبَـاكِرُ الـرَّوْضَ المُفَـدَّى   وَقُـمْ نَـسْعَى إلَـى وَرْدٍ وَنَـسْرِي [3]

ولجأ الشعراء أيضا إلى التقطيع الصوتي الذي يعتمد على العبارة القـصيرة المتوازنـة لإحداث الموسيقا وهو ما يعرف بالترصيع، من الأمثلة على ذلك قول ابن زقّاعة:

[الكامل]

وَتَرَنَّمَـــتْ أطْيَارُهَـــا وَتَرَقَّـــصَتْ   أشْـــجَارُهَا فَكَأَنَّهَـــا فِـــي جَوْلَـــةِ

وَتَـــدَفَقَّتْ أنْهَارُهَـــا وَتَفَتَّحَـــتْ   أزْهَارُهَـــا وَأتَـــتْ بِكُـــلِّ بَدِيعَـــةِ[4]

ويقول إبراهيم بن محمد ابن مدلِج:

[الكامل]

هَـذَا أوَانُ الـوَرْدِ فَاشْـرَبْ قَهْـوَةً   قَـدْ شَـاكَلَتْهُ فَلَوْنُهَـا مِـنْ لَوْنِـهِ

وَمَـذَاقُهَا مِـنْ طَعْمِـهِ وَأرِيجُهَـا   مِـنْ نَـشْرِهِ، وَكَأنَّهَـا مِـنْ كَوْنِـهِ[1]

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 257/1.

(2) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً و ناقداً**، 116.

(3) **نفسه**، 107.

(4) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 192.

ومن جميل الشعر قول أحمد بن محمد ابن مظفّر:

[الطويل]

كَـأَنَّ دَوِيَّ الـرِّيحِ بَـيْنَ غُـصُونِهِ ... نِدَاءُ مُحِبٍّ أَوْ حَدِيثُ مُوَسْوِسِ[2]

ويقول ابن مليك الحموي:

[البسيط]

وَالنَّهْرُ صَفَّقَ وَالأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ ... وَلِلهَنَـا كُـلُّ وَقْـتٍ فِيـهِ تَجْدِيـدُ[3]

كما استخدموا حسن التقسيم والتوازن لإحداث الموسيقا،يقول أبو الفضل ابن أبي الوفاء:

[الطويل]

وَبَـيْنَ غِراسَـاتِ الجِنَـانِ تَـشَاجُرٌ ... وَبَـيْنَ طُيُـورِ الأَيْـكِ فِيـهِ تَـصَافُفُ

وَبَـــيْنَ غَوَادِيـــهِ بُكـــاً وَتَـــزَاحُمٌ ... وَبَيْنَ غُصُونِ البَانِ فِيـهِ تَعَاطُفُ[4]

ومنه أيضاً قول الشاعر السابق الذكر:

[الطويل]

رَعَـى اللَّـهُ أَيَّامـاً أَهَـاجَ بَلابِلِـي ... إِلَـيْهِنَّ رَوْضٌ قَـدْ تَنَاجَـتْ بَلابِلُـهْ

فَمَـا رَاقَنِـي فِـي المَـاءِ إلاّ صَـفَاؤُهُ ... وَلا شَـــاقَنِي فِـــي الغُـــصْنِ إلاّ [illegible][5]

وقول ابن زقاعة في وصف العنب:

[الكامل]

وَقُطُوفُهَـــا تَحْكِـــي قَنَـــادِيلاً إِذَا ... أَرْخَـــتْ عَنَاقِـــدَهَا ثُـــمَّ تَـــدَلَّتِ

مِـنْ أَحْمَـرٍ مِثْـلِ العَقِيـقِ حَـسِبْتُهُ ... أَوْ أَبْـيَضٍ مِثْـلِ اللآلِـي صُـفَّتِ[6]

واستخدم الشعراء الكلمات التي تشترك في جذرٍ واحدٍ لزيادة النغمات الموسيقية، يقـول ابن زقاعة:

---

(1) البقاعي، برهان الدين، **عنوان الزمان**، 97/2.

(2) **المصدر السابق**،226/1.

(3) باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي**، 418، نقلاً عن **ديوانه**، 30.

(4) حروب، إسماعيل، **شعر أبي الفضل ابن أبي الوفاء**، 173.

(5) **نفسه**، 182.

(6) ابن زقاعة، إبراهيم، **ديوانه**، 194.

[الكامل]

وَشَــقائِقُ النُّعْمــانِ شَــقَّ ثِيابَــهُ إذْ مَالَــهُ ريــحٌ وَمَـاتَ بحَـسْرَتِي(1)

ويقول ابن زقاعة أيضاً:

[الوافر]

وَبَــرْقٌ لاحَ مِــنْ حَبْــرُونَ وَهْنــاً كَمِثْــلِ النَّــارِ تَــسْتَعِرُ اسْـتِعارَا(2)

ويقول ابن الزين لُبيكُم:

[البسيط]

وَالآسُ قدْ مَاسَ وَالمَنْثُورُ مُنْتَثِرٌ وَالجُلُّنَــارُ شَـكَا نــاراً بــإِحْراق(3)

ويقول ابن خَطِيب داريا:

[البسيط]

مَــنْ كَــانَ بالــصُّبْحِ مَــسْرُوراً فلَــنْ أُسَـرَّ بـصُبْحٍ كلَّمَــا طلَعَـا(4)

ويقول أبو بكر الدماميني:

[الكامل]

لِلَّـــهِ مَنْثُـــورٌ بِرَوْضِــكَ نَــشْرُهُ يَطْـوِي عَبِيـرَ المِـسْكِ وَالكَـافُورِ
قطْرُ النَّدَى فِيـهِ الجَـوَاهِرُ نُظِّمَـتْ يَـا حَبَّـذا المَنْظُـومُ فِـي المَنْثُـورِ(5)

وما يتصل أيضا بموسيقا الشعر ظاهرة التكرار التي تزيد الـنغم الموسـيقي المتـواتر بتكرار الكلمات، ومن الأمثلة على ذلك تكرار ابن حِجة للفظة "السرج" أكثر من مرة في وصفه للأذريون، يقول:

[الكامل]

وَكَــأَنَّ آذَرْيُونَهَــا فِــي رَوْضَــةٍ سُرُجٌ تُضِيءُ عَلَى صَفَاءِ نَهَارِهَا

---

(1) **المصدر السابق**، 199.

(2) **نفسه** 101.

(3) النواجي، شمس الدين، **حلبة الكميت**، 104.

(4) ابن خطيب داريا، **ديوانه**، 159.

(5) السراحنة، سارة، **أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً**، 106.

وَالسُّرْجُ تُخْفِيهَا الشُّمُوسُ وَهَذِهِ سُرُجٌ تَزِيدُ الشَّمْسَ فِي أَنْوَارِهَا(1)

ومنها قول الشهابِ المنْصوري مكرراً لفظة "نجم":

[الكامل]

بَــرَزَ الــصَّبَاحُ بِرَايَــةٍ بَيْــضَاءَ زَحْفــاً فَــوَلَّى عَــسْكَرُ الظَّلْمَــاءِ

ضَـحِكَتْ عَلَـى نُجُـمِ الـسَّمَا نُجْـمُ فَبَكَـتْ أَسًـى بِمَـدامِعِ الأَنْــوَاءِ(2)

ومنها قول النّواجِي في وصف النيل والسماء:

[البسيط]

يَحْكِي السَّمَاءَ وَتَحْكِيهِ حُلاً وَعُلاً وَأَنْجُماً وَبُرُوجاً كَمْ حَوَتْ شَرَفاً

كِلاهُمَـا جَـرَتِ الأَفْـلاكُ فِيـهِ وَقَـدْ حَقَّـتْ بِحَافَّتِــهِ الأَمْـلاكُ فَائْتَلَفَــا

كَأَنَّمَــا هُــوَ مِــرْآةٌ لَهَــا جُلِيَــتْ بِالــصَّقْلِ أَوْ هِــيَ مِــرْآةٌ صَــفَتْ(3)

ويتصل بالحديث عن القافية ما يمكن قراءته على قافيتين، يقول النواجِي:

[البسيط]

سَــمَا فَــلاَ عَجَــبٌ لِلفَرْقَــدَيْنِ إذاَ تَوَارَثَا المَجْدَ عَنْ عَلْيَاهُ وَاقْتَسَمَا

وَكَمْ حَمَى الشَّرْعَ وَالدِّينَ الحَنِيفَ يَخَـفْ مُكَابَـدَةَ الأَهْوَالِ وَاقْتَحَمَـا(4)

فالقافيتان يمكن قراءتهما "وقت سما " و "وقت حمى"

ويقول أيضا:

[البسيط]

مَا انْهَلَّ فِي الجَدْبِ غَيْثٌ قَدْ طَفَا أَيَــانِعَ الزَّهْــرِ كَــفَّ الخَــصْبِ(5)

يمكن قراءة القافية "وقت طفا"، ويقول أيضاً:

(1) البدري، أبو البقاء، **نزهة الأنام**، 89-90، الأبيات غير موجودة في ديوانه.

(2) النبهاني،يوسف ، **المجموعة النبهانية**، 169/1.

(3) عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي**، 121.

(4) **نفسه** 279.

(5)عبد الهادي، حسن، **دراسة شعر شمس الدين النواجي** 124.

[الطويل]

بِرُوحِيَ غُصْنٌ كُلَّمَا رُمْتُ وَصْلَهُ يَجُودُ وَلَكِنْ بِالنَّوَى مِنْ ثِمَارِهِ

وَنَهْدٌ وَخَدٌّ ذَا بِرُمَّانِهِ سَبَى فُؤَادِي وَذَا أَلْقَاهُ فِي جُلَّنَارِهِ[1]

يمكن قراءة القافية "جل ناره".

واعتاد بعض الشعراء على تضمين قوافيهم أسماء ممدوحيهم، وهذا الأمر ألزمهم على جعل جميع القوافي في القصيدة على هذا الروي، ومن أمثلة ذلك قول ابن حِجة من قصيدةٍ جعل رويها على الراء المكسورة لأنه يريد مدح ابن مهاجِر[2]:

[الكامل]

وَاللَّهِ مَا هَبَّ النَّسِيمُ الحَاجِرِي إلاَّ تَعَثَّرَ مَدْمَعِي بِمَحَاجِرِي[3]

وأطرف من ذلك أنه لما أراد مدح النويري جعل القافية رائيةً ليوطئ لاسم الممدوح وتوخى أن تكون الكلمة على وزن فعيلي فاضطر تجاه هذا الالتزام أن يصغر جميع ألفاظه تأدباً[4]، يقول:

[الوافر]

طُرَيْفِي مِنْ لُيَيْلاتِ الهُجَيْرِ مُقَيْرِيحِ الجُفَيْنِ مِنَ السُّهَيْرِ[5]

ومنها: [الوافر]

لَثِمْتُ خُدَيْدَهُ فَجَرَى دُمَيْعِي فَمَا أَحْلَى الزُّهَيْرَ عَلَى النُّهَيْرِ[6]

وفي ختام الحديث عن موضوع الموسيقا يمكن القول إن موسيقا الشعراء هي حلقةٌ من الحلقات الممتدة على مر العصور، فقد سار الشعراء على نهج السابقين وخطوا خطوهم واستعملوا أساليبهم وطرقهم وبحورهم في أوصافهم وأشعارهم.

---

(1) **نفسه**، 311.

(2) ينظر: الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 175.

(3) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 52.

(4) ينظر: الربداوي، محمود، **ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً**، 175.

(5) الحموي، ابن حجة، **ديوانه**، 54، والعاملي، بهاء الدين، **الكشكول**، 279/2.

(6) **نفسه** 55.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها على النحو الآتي:

- وصف شعراء العصر المملوكي الثاني الطبيعة كغيرهم من الشعراء السابقين، وجمعوا في وصفها بين التقليد والتجديد، وجاءت صورهم ممتزجةً في كثير من الأحيان بموضوعي الغزل والمدح، كما جاءت مستقلةً على شكل قصائد ومقطوعاتٍ حرصوا فيها على الإجادة والتجديد والابتكار، مستمدين صورهم للطبيعة من موضوع الطبيعة نفسها، أو من الأدوات المتداولة في حياتهم اليومية، وكانت الصور الحربية حاضرةً بقوةٍ في أوصافهم، إلى جانب صور الأحجار الكريمة والمعادن التي كثر استدعاؤها وخاصة في موضوعات وصف الرياض والأشجار وثمارها والأزهار.

- اهتم شعراء هذا العصر بموضوع الطبيعة السماوية، فأكثروا من وصف الليل الذي عبروا من خلاله عن معاناتهم وهمومهم، مستفيدين من معاني امرئ القيس في الحديث عن طوله وثبات نجومه، كما سجلوا لحظات الأنس والسعادة التي عاشوها مع أحبتهم، أما تشبيهاتهم للنهار فقد استحضروا فيها صور المعارك ومعاني الانتصار والهزيمة، فظهر الصبح منتصراً على الليل الذي يولي مهزوما أمامه، كما تناولوا النجوم والشمس والقمرورسموا لها صوراً جميلةً لا تقل جودة عن السابقين، وحشدوا للقمرالتشبيهات حشداً متوالياً وأظهروه في هيئات وأشكالٍ حسيةٍ تحاكي شكله، سواء أكان بدراً أو هلالاً.

- ظهرت الصورة السمعية والبصرية في وصف البرق والرعد، واستعاروا للبرق صورة السيف كثيراً، وأخذوا تشبيهاتهم للرعد من الأصوات القوية كصوت الطبل والأسد.

- تحدث الشعراء في وصف الغيوم والمطر عن أثرها على الأرض وخاصةً الرياض، واستمدوا تشبيهاتهم للمطر من موضوع البكاء فشبهوا المطر بالدموع، كما صوروا الغيوم بالحائك الذي أبدع وأحسن تطريز الرياض والأزهار.

- اختلاف وصف الشعراء للرياح عن السابقين، فقل ذكر أنواع الرياح وأثرها على تعفية الآثار والأطلال، كما غاب ذكر أثرها السيئ وما تجلبه من قحطٍ وبرد، ومزجوا وصفهم لها بالحياة الحضارية التي عاشوها.

- جاءت أوصاف الشعراء في الربيع أقل مما ينبغي، مع أنهم عبروا عن حبهم له، كما أنهم استغلوا حضوره لاستدعاء الندماء واللهو مع الأحباب في ظل الطبيعة الساحرة، أما الشتاء فقد رأوا فيه مناسبةً للتعبيرعن فقرهم وحاجتهم لاستدعاء عطف الآخرين وعطائهم.

- أكثر شعراء هذا العصر من وصف الرياض وجمالها، واحتل موضوع وصفها المرتبة الأولى في شعر الطبيعة، وعبروا من خلالها عن حالتهم النفسية وسعادتهم وهم يرتعون في أحضانها، وجاءت صورهم متكاملةً في وصفها، حيث صوروا في أشعارهم كل مايمت للطبيعة بصلة كالأشجاروأغصانها والأزهار وأنواعها والأنهاروخريرها والنسيم والطيور وأصواتها، وكانت تشبيهاتهم تجمع بين الوصف الحسي والمعنوي ،وحرصوا على استدعاء الألوان وتلوين لوحاتهم حتى تكون أكثر جمالاً ووضوحاً.

- أحب الشعراء الأشجار التي تزين بيئتهم وتجود عليهم بخيراتها وثمارها، فرسموا لها لوحاتٍ جميلةً كانت مادتها الأخيلة والصور والألوان والتشخيص، كما تعرضوا إلى وصف ثمارها في الشكل واللون والطعم والرائحة.

- ولم تغب الأزهار بجمالها وروائحها العبقة التي تزين الأرجاء وتنعش النفوس وتعطر الأجواء، فجاءت كثيرةً في أوصافهم، ووصفوا أشكالها وألوانها وفضلوا بعضها على بعض وجعلوها تتنافس فيما بينها.

- ورأى الشعراء في نيل مصر سبب الحياة ورمزاً للبِشر والخير والخصب، فسجلوا ذلك في أشعارهم ووصفوا تراجعه ووفاءه والاحتفالات التي كانت تعم مصر، كما فضلوه على أنهار الدنيا، أما وصف أنهار الشام فقد جاء أقل من وصف النيل، لأنه ليس للأنهار فضلٌ كبير على الحياة هناك مثل النيل نظراً لخصوبة أرض الشام ووفرة أمطارها التي تغني عن الأنهار.

- وجاءت أوصاف الشعراء للحيوان قليلةً بالنسبة لشعر العصر المملوكي الأول والعصور التي سبقته، وتتسم بالسطحية وغير المباشرة وعدم التعمق، وكثيراً ما استدعى الشعراء الحيوانات في شعرهم بهدف الهجاء أوالمدح أوالغزل وليس للوصف ذاته، وغاب وصف كثيرٍ منها ومن موضوعاتها مثل الحيوان غير الأليف والمعركة في مطاردة الفريسة.

- أكثر الشعراء من وصف الطيور في الطبيعة المتحركة وخاصةً الحمائم التي اقترن تصويرها بذكر الحدائق والرياض، فأبرزوا أصواتها وصوروها بحسب نفسياتهم، فإذا كان

الشاعر سعيداً نظر إلى أصواتها على أنها تغريد وغناء مرتبطٌ بالسعادة، وإذا كـان حزينـاً رأى في أصواتها نوحاً وندباً وبكاء، أما الغراب عندهم فكان رمزاً للشؤم وجاب المصائب.

- وغاب ذكر الأطلال عندهم لأنهم لم يعيشوا التجربة كمن سبقهم، فذكروها بشكل عابرٍ إمـا مجاراةً للقدماء أو من باب التذكر والتشوق والحنين لبلادنهم التي فارقوها.

- استعمل شعراء هذا العصر اللغة السهلة والبسيطة والمباشرة في أوصافهم، وابتعـدوا عـن التعقيد والإغراب والحوشي، ومزجوا مفرداتهم ومعانيهم بـصورالحياة الحـضارية التـي عاشوها.

- وكانت الصنعة البديعية رفيقا لهم في أوصافهم وأشعارهم، وخاصة التورية والجناس بأنواعه والطباق والاكتفاء، وقد أحسنوا صياغتها وسبكها في بعض أشعارهم التي جـاءت جميلـةً ومنسابةً دون إشعار السامع بالتكاف، وجاءت أحياناً مستكرهةً ومحشوةً تشعر القارئ بالثقل والتنافر وعدم التجانس.

- سار الشعراء على نهج السابقين في بناء القصيدة، وقدموا أحياناً لأوصافهم بالغزل أو المدح، وحسنوا مطالع قصائدهم والتزموا في كثيرٍ من الأحيان بشروط النقاد، واحتلت المقطوعـات حيزاً يفوق القصائد، لأنها أقدر على التعبير عن المواقف السريعة والخاطفة والقصيرة.

- أبرز الشعراء في أوصافهم الشعرية الصور السمعية والبصرية والذوقية والسمعية والشمية، وكانت الاستعارة والتشخيص حاضرين، واستمدوا موضوعاتهم للطبيعة من واقعهم المشاهد والمحسوس، أو من معاني السابقين وأوصافهم، أو من الموروث الديني الضخم.

- نظم الشعراء أوصافهم على بحور الشعر التقليدية، وحافظت بحور الطويل والبسيط والكامل على تقدمها كما لدى السابقين.

وفي الختام هذه بعض التوصيات التي يمكن أن تخدم الأدب والعلم في هذا العصر:

- التركيز على الدراسة الأدبية لهذا العصر من خلال تحقيق المخطوطات التي لا زالت تنتظر النور لتخرج إلى المكتبة العربية.

- توفير دواوين الشعراء المشهورين في هذا العصر والتي لم أجدها في مكتباتنا مثـل ديـوان الشهاب المنصوري والشهاب الحجازي وديوان فخر الدين ابن مكانس وابنـه مجـد الـدين وديوان ابن مليك الحموي وديوان ابن حجة الحموي وديوان ابن خطيب داريا، كونهم يعدون

من كبار الشعراء في هذا العصر الذين حسن شعرهم وجاد، كما ينبغـي تحقيـق الـدواوين المخطوطة لهؤلاء الشعراء.

- ضرورة توفر دراسات أدبية متعمقة ومركزة لهذا العصر، لأني لمست من خـلال البحـث والمطالعة أن معظم الدراسات تركزت حول العصر المملوكي الأول مع إغفال هذا العصرأو التعرض له بشكل سطحي.

وهذه بعض الموضوعات التي يمكن تناولها ودراستها:

- الرثاء والغزل والهجاء في شعر العصر المملوكي الثاني.

والحمد لله رب العالمين.

ملحق بتراجم الشعراء

الباعوني (777 -870) هـ

إبرهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني، يعرف بالباعوني كأبيه، درس وخطب وأفتى، وأبى استلام القضاء

وجيز الكلام 774/2 الضوء اللامع 26/1

أسطا إبراهيم الحمامي (. .. - 926) هـ

إبراهيم الأنطاكي الحلبي كان شاعرا ذا ذكاء وذوق له موشحات وألحان.

الكواكب السائرة 111/1

بُرْهان الدّينِ البَهْنَسي (761- 846) هـ

إبراهيم بن علي البهنسي، تعلم الفقه وأولع في النظم وبرع فيه وكتب عنه الكثيرون.

الضوء اللامع 1 / 81 بدائع الزهور ق2 1/ 692

البقاعي (809 - 885) هـ

إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، مؤرخ وأديب أصله من البقاع، تعلم القراءات وله تـصانيف كثيرة، رحل إلى القدس وتوفي في دمشق.

عنوان الزمان 2 / 61 نظم العقيان 25 شذرات الذهب 7 / 342

ابن زُقَّاعَة (724 - 816) هـ

إبراهيم بن محمد بن بهادر أبو إسحاق القرشي، تعانى الخياطة وتفرد في معرفـة الأعـشاب والنجوم وعلم الحرف، وكان يسترزق بالعقاقير، وله نظم جيد.

الضوء اللامع 1 / 130 المقفى الكبير 1 / 294

إنباء الغمر 7 / 119 الأعلام 1 / 64

ابن العجمي (ولد قبل 820 - ...) هـ

أبو بكر زين الدين بن عثمان ابن العجمي، نزيل القاهرة، تولع بالأدب ونظم الشعر وباشر التوقيع بالقاهرة وطارح الشعراء، وتولى توقيع الدرج.

درر العقود 479/1 النجوم الزاهرة 135/12

ابن أبي شريف المقدسي (836 - 923) هـ

إبراهيم بن محمد بن أبي شريف المقدسي المصري الشافعي، ولد في القدس ورحل إلى القاهرة واشتغل بفنون العلم، ناب في القضاء ودرس وأفتى، وولي بعض المناصب في القاهرة.

الضوء اللامع 1 / 134 الكواكب السائرة 1 / 102- 105

ابن مُدْلِجْ (ولد بعد 780 -. ..) هـ

إبراهيم بن محمد بن علي بن أحمد بن مدلج، تردد إلى القاهرة والإسكندرية وأقبل على العلـم وعني بالشعر، وكان قادرا على حل ألغاز الشعراء في عصره.

الكُورَانِي (813 - 894) هـ

أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، دأب في فنون العلم حتى فاق في المعقولات والمنطـق ومهر في النحو والمعاني والبيان والفقه حتى ذاع صيته، رحل إلى القاهرة.

نظم العقيان 39 عنوان الزمان 60/1

ابن حِنّا (. .. - 788) هـ

أحمد بن شرف المشهور بابن حنا كان فقيهاً من فقهاء الشافعية، وكان عالماً أديباً وله شـعر جيد.

النجوم الزاهرة 307/11

أحمد السَّنْدَفائِي (733 - 820) هـ

أحمد بن عبد العال بن عبد المحسن بن يحي السندفائي، ولد بسندفا من أعمـال الغربيـة فـي مصر ويشتهر بوالده.

عنوان الزمان 1/ 86 - 87 الضوء اللامع 347/1

تقي الدين المقريزي (بعد 760 – 845) هـ

أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد مؤرخ الديار المصرية ،اشتغل في الفنون وولي حـسبة القاهرة، نظم ونثر وألف الكثير من الكتب.

شذرات الذهب 9/ 370 إنباء الغمر 170/9

سِيِدي أحمد بن بُكْتُمُر (786 - 841) هـ

أحمد بن علي بن قرطاي بن عبد ا ، نشأ في ترف ونعمة، كان يقتني الكتب النفيسة ويـشتغل في الفنون، تفقه على مذهب أبي حنيفة ونظم في التاريخ والأدب.

عنوان الزمان 111/1 الضوء اللامع 2/ 30 - 31

ابن حجر العَسْقلاني (773 – 852) هـ

أحمد بن علي بن محمد بن علي، قاضي القضاة شهاب الدين، كان أبوه مـن أعيـان التجـار، اشتغل بالأدب ونظم الشعر وتفقه على علماء عصره وانتهت إليه رئاسة الحديث، ألف الكثير من الكتب.

حسن المحاضرة 310/1 الضوء اللامع 36/2 شذرات الذهب 270/7-271

ابن مُبارَكْ شَاه (806 - 862) هـ

أحمد بن محمد بن حسين بن إبراهيم، ولد في القاهرة، له شعر فيه صناعة وصنف في شتى العلوم ودرس الطلبة وكان حسن الأخلاق فيه تواضع.

شذرات الذهب 7/ 300 الضوء اللامع 2/ 95

ابن صالح(820 – 863)هـ

أحمد بن محمد بن صالح بن الفخر عثمان أبو الثناء،شهاب الدين الأشليمي،برع في الفنون وأقبل على الأدب وله نظم ونثر جيد.

وجيز الكلام 824/2 نظم العقيان 58

ابن خَلُّوفْ (829 - 899) هـ

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن شهاب الدين الخلوف، شاعر تونسي أصله من فاس ومولده بقسطنطينة، سافر إلى مكة والقاهرة وسكن القدس وبرع في الأدب.

الضوء اللامع 2/ 122 الأعلام 1/ 231

ابن عَرَبْشاهْ (791 - 854) هـ

أحمد بن محمد بن عبد ا بن إبراهيم أبو محمد ويعرف بابن عرب شاه، مؤرخ رحالة له اشتغال بالأدب، أتقن اللسان الفارسي والخط المغولي.

الضوء اللامع 2/ 126 - 127 شذرات الذهب 9/ 409

الشّهاب الحِجازي(790- 875)هـ

أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي المعروف بالحجازي، من شيوخ الأدب في مصر، نظم الشعر ومدح الأكابر واشتهروعني بالموسيقى وتصدر للتدريس.

الضوء اللامع2/147-148 شذرات الذهب475/9 المنهل الصافي190/2

ابن العطّار الدُّنَيْسَرِي (746 - 794) هـ

أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين العطار، أديب من دنيسر قرب ماردين، له نظم كثيرمدح الأكابرواشتغل بالفقه وتهاجى مع بعض أدباء عصره.

شذرات الذهب 8/ 569 عنوان الزمان 1/ 226-227 المنهل الصافي 2/ 177

الشّهاب المنصوري (798 - 887) هـ

أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين المنصوري، شاعر مصري ولد في بلدة المنصورة، تعانى الأدب والنظم وخلف ديوان شعر كبير.

شذرات الذهب 7/ 346　　　　الضوء اللامع 2/ 150 - 151

ابن عبد السلام المَنوفي (847 - 927) هـ

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام أبو الخير، قاضي منوف تفقه بهـا وقـرأ الفـرائض والحساب، كان عفيفا نزيها.

شذرات الذهب 150/8　　　　الأعلام 232/1　　　　الضوء اللامع181/2 - 182

ابن الشِّحْنَة (844 - 882) هـ

أحمد بن محمد بن محمد أبو الوليد بن الشحنة، ولد ومات في حلب، ناب عن جده فـي كتابـة السر، وولي قضاء الحنفية ومات بالطاعون.

الضوء اللامع 2/ 194　　　　الأعلام 1 / 230　　　　كشف الظنون 1549

ابن والي(قبل 790- ...)هـ

أحمد بن محمد بن والي، ولد قبل 790هـ، وله نظم واشتغال بالأدب.

الضوء اللامع 216/2

الباعوني (752- 816)هـ

أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني أبو العباس ، ولد في الناصرة في فلـسطين، طلـب العلـم وسافر إلى دمشق وأفتى وخطب في الجامع الأموي، وله نظم جيد.

شذرات الذهب 175/9　　　　الضوء اللامع 231/2

السَّيْرَجِي (778 - 862) هـ

الشهاب أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن الحلي.

نظم العقيان 29

أسماء السُّعُودِي (747- 800)هـ

أسماء بنت محمد بن عبد الرحمن بن علي، من أفضل الناس دينا وعفة وعقلا ومعرفة، ابتليت بكثير من الأمراض وكانت صابرة.

إنباء الغمر 417/3

درر العقود 494/1

إسماعيل البَلْبيسِي(729- 802)هـ

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني، تفقه على فقه أبي حنيفة وبرع في الفرائض والحساب والأدب وباشر توقيع الحكم وناب في قضاء الحنفية.

الضوء اللامع 158/4 إنباء الغمر 287-286/2

بدر الدين ابن الصاحب (717 - 788) هـ

بدر الدين أحمد بن محمد بن علي بن محمد المصري المعروف بابن الصاحب، مهر في العلم والنظم والنثر وفاق أهل عصره وألف الكثير من الكتب.

إنباء الغمر 230/2 شذرات الذهب 7/516-517

ابن حِجّة الحَمَوي (777 - 837) هـ

أبو المحاسن تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد ا بن حجة الحموي، ولد في حماه، وتنقل في طلب العلم، عانى عمل الحرير وعقد الأزهار، ونظم الأزجال والأشعار ومدح أعيان دمشق.

درر العقود 1/ 251 حسن المحاضرة 1/ 467
شذرات الذهب 7/ 319 الضوء اللامع 11/ 53

أبو أحمد الشاعر(. .. - 803) هـ

الحسن بن محمد بن علي عز الدين العراقي المعروف بأبي أحمد الشاعر، نزيل حلب ومن أهل الأدب، له نظم جيد زكان يمدح أكابر حلب.

المنهل الصافي 5 / 137 - 138 الضوء اللامع 3/ 126

صاحب حصن كِيفا (. .. - 827) هـ

فخر الدين أبو المعالي سليمان بن الملك الكامل غازي بن محمد صاحب حصن كيف، تسلطن بالحصن بعد موت أبيه، كان مشهور السيرة محبباً للرعية وله نظم ونثر وديوان شعر لطيف.

الضوء اللامع 3/ 268 إنباء الغمر8/ 53 شذرات الذهب 9/ 258 - 259

الصدر الإِبشيطي (ولد قبل 730 - 811) هـ

سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم الأبشيطي الشافعي، ممن درس وأفتى وخطب ونظم وصنف الكتب وناب في الحكم في القاهرة.

وجيز الكلام 397/1- 398 الضوء اللامع 3/ 265 - 266 إنباء الغمر 6/ 118

شعبان الآثاري (765 - 828) هـ

شعبان بن محمد بن داوود الشيخ الأديب زين الدين المعروف بالآثاري، نشأ في القاهرة وتعانى النظم وعمل في الحسبة وعزل منها.

المنهل الصافي 6/ 248 وجيز الكلام487/2 الضوء اللامع 3/ 103

عائشة الباعونية (...- 922)هـ

عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني، تعرف بالشيخة الصالحة العالمة ذات علم ودين وأدب وخلق نالت من العلوم حظ وافر وكانت تدرس وتفتي.

شذرات الذهب 10 / 157 الكواكب السائرة 1 / 287 - 292

أبو الفضل ابن أبي الوفاء (781-814)هـ

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي الوفاء الشاذلي، أحب الأدب ونظم الشعر الفائق وكان ذكيا حسن الأخلاق لطيف العشرة.

إنباء الغمر 35/7-36 شذرات الذهب 158/9

جلال الدين السُّيوطي (849 - 911) هـ

أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، اشتغل في العلم وصنف الكثير من الكتب ووصف بأنه أعلم أهل زمانه وله نظم جيد.

الضوء اللامع65/4-70 شذرات الذهب74/10 الكواكب السائرة226/1- 231

فخر الدين ابن مُكانِس (745 - 794) هـ

فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، ولي نظر الدولة ووزارة دمشق، تنقل في الولايات وكان عارفا بصناعة الحساب واغتيل بالسم.

شذرات الذهب 8 / 570-571 المنهل الصافي 7 / 174

جلال الدين البَلْقيني (763 - 824) هـ

عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير أبو الفضل، حاز العلوم ودرس وأفتى وتولى توقيع الدست في ديوان الإنشاء.

الضوء اللامع 4 / 106- 107

ابن الخرَّاط (777 - 840) هـ

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المروزي نزيل القاهرة المعروف بابن الخـراط، مدح أكابر حلب وتولى كتابة السر في طرابلس وعمل في ديوان الإنشاء وتولى قضاء بلدة الباب شمال حلب.

الضوء اللامع 4/ 130 إنباء الغمر 8 / 438

ابن الحسين العراقي (725 - 806) هـ

عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المصري الشافعي يعرف بالعراقي، كـان عالمـا فـي الحديث يتردد إليه الطلبة للعلم والدرس والسماع.

الضوء اللامع 4 / 171

عبد القادر الدِّماصي (842 - 915) هـ

عبد القادر بن أبي بكر بن خضر المحيوي الديماصي، كان فاضلا ناظرا ناثرا فكه المحاضـرة عشير الناس وله شعر جيد.

بدائع الزهور 4/ 170 الضوء اللامع 4 / 274

عبد الله بن أحمد التونسي (. .. - 787) هـ

قدم القاهرة ونزل عند المؤرخ المقريزي وكان يدعي أنه شريف ثم سافر إلى صعيد مصرومات فيه، وله شعر حسن وأناشيد لطيفة.

درر العقود 2/ 354 إنباء الغمر 2/ 201

ابن مَلِيك الحموي (840 - 917) هـ

علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبد ا ، تعلم الأدب والنحو والعروض وشارك في اللغة والنحو والصرف برع في النظم وله معرفة بكلام العرب وتوفي في دمشق.

شذرات الذهب 10 / 115 ريحانة الألبا 1 / 113

ابن أيبك (728 - 801) هـ

علي بن أيبك بن عبد ا التقصباوي الدمشقي، تعانى الأدب وأشتهر بالنظم له مـدائح نبويـة وكان ملما بالتاريخ.

الضوء اللامع 5/ 194 - 195 إنباء الغمر 4 / 67 شذرات الذهب 9/ 20

البشبغاوي (810 - 868) هـ

علي أبو الحسن ابن سودون ، أخذ العلم عن علماء عصره وتفـنن فـي العلـوم وراج أمـره بالمجون، أم ببعض المساجد وتعانى الأدب.

الضوء اللامع 5 / 229 شذرات الذهب 9 / 255

عز الدين الموصلي (. .. - 789) هـ

علي بن حسن علي بن أبي بكر الموصلي الدمشقي، كان شاعرا ماهرا سكن دمشق وأقام مـدة بحلب

بدائع الزهور 1 /389 أنوار الربيع 1 / 92

علي الحنفي

علي الشيخ علاء الدين الدمشقي، نزيل جامع المهمندار، كان دينا خيرا، من مناقبه أنـه اطلـع على ليلة القدر، له شعر فيه لطافة.

الكواكب السائرة 1 / 280

الغَزُولِي (. .. - 815) هـ

علي بن عبد ا الغزولي البهائي الدمشقي(... – 815)هـ

تركي الأصل من المماليك، عاش وتوفي في دمشق وزار القاهرة مرارا، له كتاب مطالع البدور في منازل السرور.

الضوء اللامع 254/5

ابن البيري الحلبي (743 - 794) هـ

علي بن عبد ا بن يوسف، أديب من الكتاب نشأ في حلب، استكتبه السلاطين وولي كتابة السر جمع ماله من النظم والنثر وبرع في الأدب والإنشاء.

المنهل الصافي 8 / 97 النجوم الزاهرة 12/ 132 - 133

ابن العفيف (752 - 813) هـ

علي بن محمد بن إبراهيم الجعفري النابلسي أبو الحسن، فاضل من أهل نابلس تولى قضاءها، وكان حنبلي المذهب.

الضوء اللامع 5 / 279 السحب الوابلة 2 / 754

أبو الحسن الحنفي (. .. - 811) هـ

أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنفي المدني، تميز بالعربية والمعاني والبيان مع الذكاء المفرط والنظم والنثر توفي ولم يكمل الثلاثين من عمره.

وجيز الكلام 2 / 786 شذرات الذهب 7 / 312

ابن أَقْبَرَسْ (801 - 862) هـ

علي بن محمد بن أقبرس، طلب الفقه والنحو والمعاني والبيان، وتولى عدة وظائف منها نظـر البيوت والأوقاف ومشيخة خانقاه قوصون وتولى الحسبة في القاهرة وعزل عنهـا ونـاب فـي القضاء

الضوء اللامع 5/ 292 شذرات الذهب 9 / 442

ابن الآدمي (767 –816)هـ

صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد الحنفي الدمشقي المعروف بابن الآدمي، ولد بدمشق، قدم للقاهرة وتولى كتابة السر في دمشق، وولي نظر الجيش، وبرع في الأدب وله شعر فائق.

شذرات الذهب 9 / 192 النجوم الزاهرة 14/ 12

ابن العُبْيْ الحلبي الشاعر (690 - 790) هـ

علي بن محمد بن عبد الرحمن الحلبي أبو الحسن، أحد موقعي الدست في حلب وسـمي بـابن العبي لأنه كان يبيعها.

درر العقود 2/ 453 - 454 إنباء الغمر 2/ 303

الحَصْكَفِي (. .. - 925) هـ

علي بن محمد بن عبد الرحيم أبو الحسن، قطن دمشق وحج ماشيا ثم قطن حلب ودرس وأفتى فيها، له اليد الطولى في النحو والصرف وكان مشاركا في الأدب.

الكواكب السائرة 1 / 264 شذرات الذهب 10 / 189

ابن الحِمْصِي (767 - 816) هـ

علي بن محمد بن محمد صدر الدين أبو الحـسن المعروف بابن الحمصي، أشتهر باللهو وتولى كتابة سر دمشق ونظر الجيش وقضاء الحنفية ثم ولي حسبة القاهرة.

درر العقود 2 / 454 - 455 إنباء الغمر7 / 236

علي وفا (759 - 807) هـ

علي بن محمد بن محمد بن وفا أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، ولد ومات في القاهرة، اشتغل بالأدب والوعظ وعاش متصوفا وله عدة مؤلفات.

شذرات الذهب 9 / 106 إنباء الغمر 5 / 253

عُوَيْس العالِية (730 - 807) هـ

عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعد القاهري، شاعر ظريف اشتهر بمعرفة الـشطرنج وله ديوان شعر كان يلقب بعويس، ولد ومات في القاهرة.

الضوء اللامع 6 / 151 إنباء الغمر 5 / 26

الفيروز آبادي (729 - 817) هـ

مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب، ولد في كازرون في شيراز أخذ اللغة والأدب عن والده وانتقل إلى العراق ثم قدم إلى القاهرة، صنف كثير من الكتب وله شعر كثير.

الضوء اللامع 10 / 79 إنباء الغمر 7 / 159 شذرات الذهب 9 / 186

ابن الشَّهيد (728 - 793) هـ

فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم بن إسحاق المعروف بابن الشهيد، اشتغل بـالعلم وتعـانى الأدب وله شعر جيد وكان كاتب السر في دمشق.

المنهل الصافي 9 / 255 النجوم الزاهرة 12/ 98

الدرر الكامنة 3 / 296 شذرات الذهب 8 / 563

البدر البُشْتُكِي (748 - 830) هـ

محمد بن إبراهيم بن محمد البدر أبو البقاء الأنصاري، أديب شاعر نشأ بالقاهرة له ديوان شعر وصنف عددا من الكتب وتوفي في القاهرة.

حسن المحاضرة 1 / 467 المنهل الصافي 9 / 208

ابن خطيب دَاريّا (742 - 810) هـ

أبو المعالي محمد بن أحمد بن سليمان الدمشقي، عني بالأدب ومهر في اللغة وفنونهـا، قـال الشعر صبي وكان مفرط الذكاء، سكن بيسان في فلسطين ومات فيها.

المقفى الكبير 7 / 71 بغية الوعاة 1 / 25

المنهل الصافي 9 / 304 شذرات الذهب 7 / 89

كمال الدين الدجوي (772 - 849) هـ

محمد بن أحمد بن كمال الدين الدجوي، كان يتكسب بالجلوس في حوانيت الشهود، اشتغل فـي الفنون ونظم الشعر وأجاد.

الضوء اللامع 7 / 38 درر العقود 3/ 211 - 212

ناصر الدين العراقي

محمد بن أحمد بن محمد بن أيوب، سكن العراق ثم انتقل إلى القـاهرة وزار القـدس وتعـانى الأدب ثم سكن فارسكور عند أقرباء أمه .

الضوء اللامع 7 / 82

الأزهري (... - 887) هـ

محمد الأزهري، متأدب مصري له مؤلفات منها مستوفى الدواوين.

الأعلام 6 / 238

القادري (بعد 833 - 903) هـ

محمد بن أبي بكر بن عمران بن نجيب القاهري الدنجاوي أبو الفضل كان بارعا في الأدب تردد إلى دمياط وناب في القضاء وجاد نظمه، كان شاعرا ماهرا وبرع في فنون الأدب .

بدائع الزهور 3 / 386 حسن المحاضرة 1 / 469

أبو بكر الدماميني (763 - 827) هـ

محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي بدر الدين، ولد بالأسكندريا ودرس في الأزهـر علوم الشريعة وولي قضاء المالكية وتفنن في الأدب وقال الشعر الجيد .

الضوء اللامع 7 / 184 - 185 بغية الوعاة 1 / 66 شذرات الذهب 9 / 262

النّواجي (788 - 859) هـ

محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي شمس الدين، عالم بالأدب وناقد وشاعر من أهـل مصر ينسب إلى نواج، أمعن النظم في علوم الأدب وألف الكثير من الكتب .

الضوء اللامع 7 / 230 شذرات الذهب 7 / 296 - 297

ابن شاذي حِجا(862- ...)

محمد بن شاذي حجا ناصر الدين المحمدي، اشتغل في النحو وتكسب في العنبـر وبـرع فـي صناعته وتولع بالأدب وخالط الفضلاء.

الضوء اللامع 263/7

قطب الدين أبو الخير(781 – 852)

محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي، كان إماما أديبا وماهرا، له نظم .

الضوء اللامع 71/7 شذرات الذهب 402/9

ابن عطية (... – 954)

محمد بن علي بن عطية شمس الدين الحموي الشافعي، واعظ ومتصوف من حماة، كان يدرس العلوم الشرعية والعقلية فيها وله نظم.

شذرات الذهب 436/10-437 كشف الظنون 365

ابن العاقولي(733 - 797) هـ

أبو المكارم صدر الدين محمد بن محمد بن عبدا بن محمد البغدادي ،درس وبرع في الفقـه والأدب، درس في المدرسة المستنصرية في بغداد.

إنباء الغمر 275/3 – 276 شذرات الذهب 599/8

ابن عطية السَّكَنْدري (747- 811)هـ

محمد بن محمد بن علي بن صالح بن عثمان، كان رجلا صالحا متصوفا وله نظم جيد.

الكواكب السائرة 14/1

ابن خطيب زُرَعْ (774 - 811) هـ

شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن محمود الدمشقي، كان حنفيا وتحول شافعيا وناب في قضاء بلاده وباشر التوقيع عند الأمراء، تعلق بفن الأدب ونظم الشعر.

شذرات الذهب 9 / 140 الضوء اللامع 8 / 210 إنباء الغمر 6 / 130

القاياتي (785 - 850) هـ

محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي، ينسب إلى قايات قرب الفيوم في مصر، برع في الفقه والعربية ودرس في عدة مدارس وتولى قضاء الشافعية في مصر.

الضوء اللامع 8 / 212 شذرات الذهب 9 / 390 -391 نظم العقيان 154

ابن قُرْقُماسْ (802- 882) هـ

محمد بن قرقماس بن عبد ا الناصري، من أبناء المماليك ومن أعيان الحنفية، ولد في القاهرة، اشتغل بالفنون وله نظم جيد.

الضوء اللامع 8 / 292 وجيز الكلام 3 / 884 - 885 نظم العقيان 158

السَّلاوي (714 - 803) هـ

محمد بن محمد بن أحمد السلاوي، توفي بالإسكندرية وسافر إلى تونس وجلب لطلب العلم وتفقهى وجاهد واشتغل بالعلم وسلك طريق التقشف.

درر العقود 3 / 117 الضوء اللامع 29/9

ابن كميل المنصوري (775 - 848) هـ

محمد بن محمد بن أحمد بن عمر، ولد في المنصورة في مصر ويعرف بابن كميل ناب في القضاء وكان بديع الذكاء جيد الكتابة وله شعر جيد.

الضوء اللامع 7 / 28 شذرات الذهب 9 / 382 حسن المحاضرة 1 / 467

ابن الحمصي، أمين الدين الأنصاري (751 - 800) هـ

محمد بن محمد بن علي أبو عبد ا الحمصي طلب الفقه وبرع فيه وشارك فـي عـدة فنـون ومهر في الأدب، ألف في التاريخ وفوض إليه القضاء وخطب في جامع دمشق.

المنهل الصافي 11 / 76 - 77 الكواكب السائرة 2 / 97

ابن الشحنة (749 - 815) هـ

محمد بن محمد بن محمد بن غازي أبو الوليد الحنفي، له اشتغال بالأدب والتاريخ، ولي قضاء حلب وتولى قضاء قضاة الشافعية في دمشق والقاهرة.

إنباء الغمر 7/ 95 الضوء اللامع 10 / 3 شذرات الذهب 7 / 113

النقارسي القسطنطيني (848 - ..) هـ

محمد بن محمد بن محمد المغربي النقارسي القسطنطيني، ولد بنقارس وطلب العلم في تـونس ثم إرتحل إلى الديار المصرية وطلب الحديث ثم رجع إلى بلاده.

الضوء اللامع 10 / 7

الفهـــــــــــــــــارس

- فهــــرس الآيـــات
- فهــــرس الأعـــلام
- فهــــرس الأمـــاكن

- فهرس الآيات

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

المصادر والمراجع

✶ المصادرالمخطوطة

- الحجازي، شهاب الدين أحمد بن محمد،(ت 875)هـ

روض الآداب

مخطوط محفوظ بالجامعة الأردنية، ميكـروفيلم رقـم (4575)، نـسخة ثانيـة مصورة على ميكروفيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقـاهرة، رقـم (429) أدب، نسخة ثالثة أخرى مخطوطة فـي دار الكتـب بـرقم (83) أدب تيمور.

- الحموي، تقي الدين أبو بكر ابن حجة، (ت837)هـ

تأهيل الغريب

مخطوط في المكتبة الأزهرية برقم (521) أباظة (7117).

ديوان ابن حجة الحموي

مخطوط في دار الكتب القومية المصرية، برقم (247)، شعر تيمور.

- ابن مكانس، فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق، (ت 794)هـ

ديوان فخرالدين ابن مكانس

مخطوط مصور في دار الكتب المصرية برقم (5555)، عـن نـسخة بـرلين (مصورات خارج الدار)، نسخة ثانية مصورة على ميكروفيلم في معهد إحيـاء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (1647) أدب.

- ابن مكانس، مجد الدين فضل الدين بن عبد الرحمن،(ت 822)هـ

ديوان مجد الدين ابن مكانس

نسخة مصورة على ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية برقم (76، 1-8 مكا، رقم 682 – 683)، نسخة ثانية مصورة في دار الكتب المصرية برقم (5555)، مصورة عن نسخة برلين (مصورات خارج الدار).

- النواجي، شمس الدين محمد بن حسن (ت 859)هـ

مراتع الغزلان في وصف الحسان من الغلمان

مخطوط مصورعلى ميكروفيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقـاهرة برقم(756) أدب نسخة أخرى مصورة على ميكروفيلم فـي مكتبـة الجامعـة الأردنية برقم (61، 1ع 8) رقم (688) عن نسخة الإسكوريال برقم (339).

- ابن خطيب داريا، محمد بن أحمد بن سليمان (ت 810)هـ

ديوانه،

مخطوط في المكتبة العامة في الرباط برقم (225).

المصادر المطبوعة

- القرآن الكريم

- ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري

النهاية في غريب الحديث والأثر

اعتنى به رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، ط5، عمان/ الرياض.

- الأزدي المصري، علي بن ظافر(ت623هـ)

غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات

تحقيق: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1983.

- الإربلي، ابن الظهير(ت 688هـ)

ديوان ابن الظهير الإربلي

تحقيق ناظم رشيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988 .

- الأزهري، محمد بن عبدا ، (ت887هـ)

مستوفى الدواوين

تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر، مراجعة حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط)، القاهرة، 1426هـ/2005، (1-3)

- الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن ابن عصفور(ت 663هـ)

ضرائر الشعر

تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ/1999م،

- الأصفهاني، أبو الفرج(ت 356هـ)

كتاب الأغاني

مراجعة عبدا العلايلي وآخرون، دار الثقافة، ط3، بيروت،
1381 هـ/1962م = تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة،(د.ط)
، بيروت، 1959م.

- امرؤ القيس، ابن حجربن عمر الكندي، (ت80، ق.هـ)
ديوان امرئ القيس
دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1424هـ/ 2003م .

- أمين، بكري شيخ
مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني
دارالآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

- الأندلسي، ابن جابر(ت 780 هـ)
الحلة السيرا في مدح خير الورى
تحقيق: علـي أبـو زيـد، عـالم الكتـب، ط2، بيـروت، دمـشق، 1405هـ/1985م.

- أنيس، إبراهيم،
موسيقا الشعر
(د.دار)، ط5 ،1981هـ .

- ابن إياس الحنفي محمد بن أحمد(ت930 هـ)
بدائع الزهورفي وقائع الدهور
تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القـاهرة، 1403هـ/1983م.(1-8)

نزهة الأمم في العجائب والحكم
تحقيق: محمد زينهم محمد عـزب، مكتبـة مـدبولي، ط1، القـاهرة، 1995م.

- الأيوبي، ياسين،

آفاق الشعر العربي في العصر المماوكي

جروس برس، ط1، طرابلس – لبنان، 1995/1415.

- باشا، عمرموسى

الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك

دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكـر، دمـشق، ط1، 1409هـ ـ - 1989م.

تاريخ الأدب العربي، العصر المماوكي

دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكـر، دمـشق، ط1، 1409هـ ـ - 1989م،

ابن النقيب شاعر الطبيعة الدمشقي في العصر العثماني

المكتبة العباسية، ط1، 1389هـ – 1970م.

- البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد(ت 283هـ)

ديوان البحتري

دار صعب، (د.ط)، بيروت.

- البدري، أبو البقاء عبد ا بن محمد، (894هـ).

الدر المصون المسمى بسحر العيون

تحقيق: سيد صديق عبد الفتاح، مطبوعات الـشعب، (د.ط)، القـاهرة، 1419هـ/ 1998م، (1-2).

نزهة الأنام في محاسن الشام

دار الرائد العربي، ط1، بيروت، ، 1400هـ/1980م.

- بدوي، أحمد أحمد

أسس النقد الأدبي عند العرب

مكتبة نهضة مصر، ط2، القاهرة، 1960م.

- البشبغاوي، ابن سودون أبو الحسن علي، (ت868هـ)
ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس
تحقيق: منال محرم عبد المجيد، مراجعة حسين نـصار، مطبعـة دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط)،القاهرة، 1424هـ/2003م.

- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن حسن(ت885 هـ)
عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران
تحقبق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م، (1-4).

- بكار، يوسف حسين
بناء القصيدة في النقد العربي القديم
دار الأندلس، ط2، بيروت، 1982م.

- البوصيري شرف الدين أبي عبدا محمد بن سعيد(ت 696هـ)
ديوان البوصيري
تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1393هـ/1975م= شرح وتحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1416هـ/1995م.

- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب(ت 502 هـ)
الوافي في العروض والقوافي
تحقيق: عمر يحيى وفخر الـدين قبـاوة، دار الفكـر، ط2، دمـشق، 1395هـ/1975م.

- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي(ت 279هـ)
جامع الترمذي
بيت الأفكار الدولية، (د.ط)، السعودية/ الأردن، 2004م.

- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت 874هـ)

حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، ط1، 1990م،(1-2)

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي

تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1999م، طبعة ثانية، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1984م، (1ـ13).

النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، (1ـ16).

- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي(ت 231هـ)

ديوان أبو تمام

شرح وتعليق محيي الدين صبحي، دار صادر، ط1، بيروت، 1997م.

- توفيق، زكريا محمد

دراسات في أدب مصر الإسلامية

(د.دار)، (د.ط)، (د.ت) .

- التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف، (ت 610هـ)

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس

تهذيب محمد جلال الدين بن منظور، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1400هـ/1980م.

- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ)

الحيوان

تحقيق: عبد السلام هارون، منشورات محمد الداية، ط3، بيروت، 1388هـ/1969م.

- جاد الرب، إبراهيم الدسوقي
ابن مكانس والشعر في عصر المماليك
مركز النشر بجامعة القاهرة، (د.ط)، القاهرة، 1990م.

- الجندي، علي
الشذا المؤنس في الورد والنرجس
مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، مصر، (د.ت).

- ابن الجهم، ابو الحسن، علي(249هـ)
ديوان علي بن الجهم
تحقيق خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت.

- حاوي، إيليا
فن الوصف وتطوره في الشعر العربي
دار الكتاب اللبناني، بيروت، دارالكتاب المصري ط2، القاهرة، 1987م.

- حسن، رشدي علي
شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني
مؤسسة الرسالة، بيروت، دار عمار، عمان، ط1، 1409هـ/1988م.

- حسين، محمد كامل
في أدب مصر الفاطمية
دار الفكر العربي، ط1، 1970م.

- الحلي صفي الدين(ت 752هـ)
ديوان صفي الدين الحلي
تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، ط1، بيروت، 1983م.

- ابن الحمصي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، (ت934هـ)

حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران
تحقيق: عمر عبد السلام تـدمري، المكتبـة العـصرية، ط1، صـيدا، بيروت، 1419هـ/1999م.

- الحموي، تقي الدين أبو بكر علي ابن حجة، (ت837هـ)
ثمرات الأوراق
تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم، مكتبـة الخـانجي، ط1، مـصر، 1971م.

كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام
المطبعة الأنسية، (د.ط)، بيروت، 1312هـ.

خزانة الأدب وغاية الأرب
شرح: عصام شعيتو، داروبكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيـروت، ط2، 2004م، (1-2).

- الحموي، شهاب الدين أبو عبدا ياقوت بن عبد ا ، (ت626هـ)
معجم البلدان
دار صـادر، دار بيـروت للطباعـة والنـشر، بيـروت، (د.ط)، 1367هـ/1957 م، (1-5).

- الحنبلي، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد(ت1089هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب
تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثيرللطباعـة والنـشر، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1-8).

- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت1069هـ)
ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا
تحقيـق: أحمـد عنايـة، دار الكتـب العلميـة، ط1، بيـروت، 1426هـ/2005م.

- الدماميني، بدر الدين أبو بكر محمد بن عمر، (ت827هـ)

العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة

تحقيق الحساني حسن عبدا ، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ/1994م.

- دندراوي، قرشي عباس

شعر الشهاب المنصوري

دار المعارف، ط2، القاهرة، 1996.

- الربداوي، محمود

ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً

دار قتيبة، (د.ط)، 1402هـ/1982م.

- رشيد، ناظم

دراسات في الأدب العربي في ظل الدولة الأيوبية

دار المناهج، ط1، عمان، 1425هـ/2004م.

- ابن رشيق، علي بن الحسن القيرواني، (ت456)

العمدة في صناعة الشعر ونقده

تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1420هـ/2000م.

- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس، (ت 283هـ)

ديوان ابن الرومي

تحقيق حسين نصاروآخرون، (د.ط)، 1978م،(1-6).

- ابن زقاعة، إبراهيم بن محمد بن بهادر، (ت816هـ)

ديوان ابن زقاعة

شاعر خليل الرحمن، تحقيق ودراسة يونس عمرو، دار المستقبل للدراسات والنشر والإعلام، ط1، الخليل – فلسطين، 1422هـ/2001م.

- ابن زهير   كعب

ديوان كعب بن زهير

شرحه وضبط نصوصه عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم

للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ط)، بيروت.

- أبو زيد،   علي

البديعيات في الأدب العربي، نشأتها ، تطورها، أثرها

عالم الكتب، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م.

- السخاوي،   شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت- لبنان، (د.ت).

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام

تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1416هـ/1995م.

- سلام،   محمد زغلول

الأدب في العصر المملوكي

الدولة الأولى (548هـ – 784هـ)، دار المعارف، ط3، مصر، 1994م، (ج1-2)

ج3، **عصر الدولة الثانية المماليك الشراكسة** (784هـ -922هـ)، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة 1995م.

- سليم،   محمود رزق

عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي

مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1374هـ/1955م،(1-8).

تقي الدين ابن حجة الحموي

دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1962م.

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن عثمان، (ت911هـ)

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشـركاه، ط1، مصر، 1964م.

جني الجناس

تحقيق ودراسة محمد علي رزق الخفـاجي، المطبعـة الفنيـة، (د.ط)، القاهرة، 1986م.

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

تحقيق خليل منصور، دار الكتـب العلميـة، ط1، بيـروت، 1997م، (1-2).

كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة

تحقيق محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2002م.

نظم العقيان في أعيان الأعيان

حرره فيليب حتى، المكتبة العلمية، (د.ط)، بيروت، 1927م.

- الشاذلي، علي وفا السكندري(ت807هـ)

ديوان علي وفا السكندري الشاذلي

تحقيق: أنس عطية الفقي، دار الغد الجديد، ط1، المنـصورة، مـصر، 2002م.

- الشامي، يحيى عبد الأمير

النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي

دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1982م.

- الشايب، أحمد

الأسلوب

مكتبة النهضة المصرية، ط12، القاهرة، 2003م.

- شبيب، غازي

فن المديح النبوي في العصر المملوكي
المكتبة العصرية، أشرف عليه وراجعه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1418هـ/1998م.

- الشوكاني، محمد بن علي(ت1250هـ)
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
دار المعارف للطباعة والنشر ، ط1، بيروت– لبنان، 1348م.

- الشيخ، أحمد محمد
كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو المختلفة
الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط2،طرابلس، 1988م.

- الصيرفي، نور الدين علي بن داود الجوهري، (ت900هـ)
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان
تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1970م، (1-3).

- ضيف، شوقي
تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي
دار المعارف، ط15، القاهرة، 1966م.
عصر الدول والإمارات
الشام، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1990م،
عصر الدول والإمارات
مصر، دار المعارف، ط2، مصر، 1990م.

- الطغرائي الحسين بن علي بن محمد(ت 513هـ)
ديوان الطغرائي
تحقيق: علي جواد الطاهر، يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، (د.ط)، بغداد، 1396هـ .

- ابن طولون   شمس الدين محمد بن علي ابن طولون الصالحي (ت953هـ)

مفاكهةالخلان في حوادث الزمان

وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتـب العلميـة، ط1، بيـروت، 1998م.

المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية

تحقيق حكمت إسماعيل، منـشورات وزارة الثقافـة، (د.ط)، دمـشق، 1992م، (1-2).

- العالم،   إسماعيل أحمد شحادة

وصف الطبيعة في الشعر الأموي

مؤسسة الرسالة، بيروت، دار عمار،عمان، ط1، 1407هـ/1987م.

- العاملي،   بهاء الدين محمد بن حسين (ت1031هـ)

الكشكول

تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلميـة، ط1، بيـروت، 1418هـ/1998 م، (1-2).

- العباسي،   عبد الرحيم بن أحمد، (ت963هـ)

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عـالم الكتـب، (د.ط)،بيـروت، 1947،(1-2).

- عبد الرحيم،   رائد مصطفى حسين

فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي

دار الرازي، ط1، عمان، 1424هـ/2003م.

- عبد ا ،   محمد حسن

الصورة والبناء الشعري

دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

- عبد المهدي، عبد الجليل حسن،

الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري

مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1397هـ/1977م.

- عتيق، عبد العزيز

علم العروض والقافية

دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن حجر، (852)

إنباء الغمر بأبناء العمر

تحقيق، حسن حبشي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م.

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة

تحقيق، محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ط2، مصر، 1966، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1406هـ/ 1986م.

ديوان ابن حجر العسقلاني

تحقيق ودراسة فردوس نور علي حسين، دار الفكر العربي، (د.ط)، مصر، 1416هـ -1996م.

- العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله، (ت 395هـ)

كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر

تحقيق، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1971م.

- الغباري، عوض علي

شعر الطبيعة في الأدب المصري

القرن الرابع الهجري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، مصر، 1989م.

- الغزولي، علي بن عبد الله البهائي، (ت815هـ)

مطالع البدور في منازل السرور

مكتبة الثقافية الدينية، (د.ط)، القاهرة،1419هـ/2000م.

- الغزي، نجم الدين، محمد بن محمد أبو المكارم (ت 1061هـ)

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

تحقيق جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979م.

- فؤاد، نعمات أحمد

النيل في الأدب العربي

دار المعارف، (د.ط)، مصر، 1962م.

- الفرزدق أبو فراس همام بن غالب(ت 114هـ)

ديوان الفرزدق

تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر،(د.ط)، بيروت.

- فروخ، عمر

تاريخ الأدب العربي

من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني (400 - 923هـ) (1009– 1517م)، دار العلم للملايين، (د.ط)، بيروت، 1972م،(1-6).

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت817هـ)

القاموس المحيط

ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر،(د.ط)، 1420هـ/ 1999م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد ا بن مسلم، (ت276هـ)

الشعر والشعراء

تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط1، القاهرة، 1417هـ/1996م.

- القرطاجني حازم بن محمد بن حسن(ت 684)
منهاج البلغاء وسراج الأدباء
تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، (د.ط)، تونس، 1966م.

- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت739هـ)
الإيضاح في علوم البلاغة
تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ/2003م.

- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ)
صبح الأعشى في صناعة الإنشا
تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، (1-14).

- قلقيلة، عبده عبد العزيز
النقد الأدبي في العصر المملوكي
مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، 1972م.

- القناوي، عبد العظيم علي
الوصف في الشعر العربي
مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، مصر، 1949م.

- القيسي، نوري حمودي
الطبيعة في الشعر الجاهلي
دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1966م.

- كحالة عمر رضا
معجم قبائل العرب

مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 1418هـ/1997م.

- المرعشي شهاب الدين النجفي(ت1076هـ)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

منشورات مكتبة المثنى،(د.ط)، بغداد،(د.ت)

- محمد، جنيد بن محمود

حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، ديوان الربيع والأزهار والثمار

تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995م.

- محمد، محمود سالم

أدب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري

دار الفكر المعاصر، بيروت،دار الفكر دمشق، ط1، 1414هـ/1993م.

- ابن معصوم، علي صدر الدين المدني، (ت1120)

أنوار الربيع في أنواع البديع

تحقيق هادي شاكر شكر، مطبعة النعمان، ط1، النجف الأشرف، 1388هـ/1986م (1-7).

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ)

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة

تحقيق: محمود الخليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1423هـ/2002م، (1-4).

كتاب المواعظ والآثار بذكر الخطط والديارالمعروف بالخطط المقريزية

دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت) (1-2).

المقفى الكبير

تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت- لبنان، 1411هـ -1991م،(1-8).

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، (ت1041هـ)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تحقيق إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت،1997م،(1-8).

- المكي، محمد بن عبد ا بن حميد النجدي، (ت1295هـ)
السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة
تحقيق بكر بن عبد ا أبوزويد وعبد الرحمن بن سـليمان العثيمـين، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1416هـ/1996م،(1-3).

- منصور، حمدي
الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين
دار الجوهرة، ط1، عمان، 1424هـ/2003م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ)
لسان العرب،
دارصادر، ط1، بيروت، 1300هـ = دار صادر، ط3، بيروت،2004م

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت518هـ)
مجمع الأمثال
منشورات دار مكتبة الحياة،(د.ط)، بيروت، 1962م .

- ابن نباتة، جمال الدين محمد بن الحسن الجذامي (ت768هـ)
ديوان ابن نباتة
دار إحياء الثراث، (د.ط)، بيروت، 1905م.

- النابلسي، عبد الغني (ت1143هـ)
نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار
عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

- النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت1350هـ)

المجموعة النبهانية في المدائح النبوية
دار المعرفة، ط2، بيروت، 1974م.

- النواجي، شمس الدين محمد بن حسن بن علي (859)

تأهيل الغريب
تحقيــق أحمــد محمــد عطــا، مكتبــة الآداب، ط1، القــاهرة، 1425هـ/2005م.

حلبة الكميت
مطبعة إدارة الوطن، مصر، 1299هـ.

كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء
تحقيق حسن عبد الهادي، دار الينابيع للنشر والتوزيـع، ط1، عمـان، 2004م.

المطالع الشمسية في المدائح النبوية
تحقيق حسن عبد الهادي، دار الينابيع للنشر والتوزيع، (د.ط)، عمـان، 1999 م.

- أبو نواس الحسن بن هانئ(ت 199هـ)

ديوانه

شرح علي الفاعور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1994.

- نوفل سيد

شعر الطبيعة في الأدب العربي

دار المعارف، ط2، القاهرة، 1978.

- النووي أبو زكريا محيي الدين بن شرف(ت676هـ)

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين

شرح وتحقيق مصطفى محمد عمارة، دارإحياء الكتب،(د.ط)، القاهرة،

1375هـ/1955م.

- الهيب، أحمد فوزي

الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء

مكتبة المعلا، ط1، الكويت، 1407هـ/1987م.

- أبو الهيجاء، فؤاد حسن حسين

شعر الجهاد الشامي في مواجهة الصليبيين

دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1424هـ/2004م.

- الوأواء الدمشقي أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني(ت378هـ)

ديوان الوأواء الدمشقي

عني بنشره وتحقيقه سامي الدهان، دار صادر، ط2، بيروت، 1414هـ/ 1993م.

- يوسف، خالد إبراهيم

الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان

دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2003م.

الرسائل الجامعية

- حروب إسماعيل طه محمد

شعر أبي الفضل بن أبي الوفاء، جمع وتحقيق ودراسة، مع تحقيق كتاب تحقيق الصفا في تراجم بني وفا" للفاسي المكي

رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1429هـ/2008م.

- السراحنة سارة حسين

أبو بكر الدماميني شاعراً وناقداً، مع جمع شعره وتوثيقه ودراسته

رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 1428هـ/2007م.

- أبو صعيليك أحمد عطية محمود

الطبيعة في شعر مصر والشام من القرن الخامس إلى نهاية الدولة الأيوبية

رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 1997 .

- عبد الهادي، حسن محمد

دراسة شعر شمس الدسن النواجي مع تحقيق ديوانه

رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 1400هـ/1980م.

- القواسمي، بسام عبد العفو

روضة المجالسة وغيضة المجانسة

رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس، كلية التربية القاهرة، 1423هـ/2002م.

- محمود، سميحة حسين

الحجة في سرقات ابن حجة الحموي

لمؤلفه شمس الدين النواجي، دراسـة وتحقيـق، الجامعـة الأردنيـة، عمـان، 1409هـ/1988م.

- النجادي، موسى علي موسى

وصف الطبيعة في شعر العصر المملوكي الأول (648هـ - 784هـ)

رسالة ماجستير، جامعة الخليل، 1427هـ/2006م.

ABSTRACT

Nature occupied a distinguished part in the poetry of the second Mamluki age. It was and still a main source of beauty and inspiration for poets. They were fascinated and inspired by nature and its beauty. Therefore, they portrayed, described and recorded it in their poems. This reflects their love for nature and its importance in their societies.

The poets of the second Mamluki age (748-923)H, describer the various aspects of nature. They described the silent nature, such as the sky and the earth, as well as the moving nature, such as animals, birds and insects. The dominant aspect of nature that they have described was gardens. They were fascinated by gardens. They described the enjoyment they got by playing, singing and spending good time with their friends and beloved ones among the flowers listening to the wonderful songs of the birds.

Moreover, poets at that age described trees, particularly the fruitful ones. They described their fruits using impressive metaphors that showed a great ability in composing poetry. They also described the different types of flowers available in the gardens of that age.

The different forms of weather were also tackled by the poets of the second Mamluki age. They described the wind, the lightening and thunder and the clouds. They created different novel pictures to describe these aspects of weather. For example, they described the clouds as a tailor who designs and decorates the land with a beautiful colored dress.

Another interesting aspect of nature that Mamluki age poets described was rivers. The description of rivers was different from one country to another. In Egypt, for example, poets described the Nile as a source of life and a symbol of fertility and prosperity. However, poets in Syria had a little description of rivers because rivers in their country are not as important as that of the Nile in Egypt. The fertility of land, and thus the prosperity of the country in Syria depend mainly on rain and the quality of the soil.

Regarding the description of animals, it seems that it was not as good as that of other aspects of nature. The description of animals in that age was very little in quantity and artificial and poor in quality. The poets ignored many of the description themes used by their predecessors, like describing the wild animals chasing their preys.

It could be argue that the metaphors and pictures used by the poets of the second Mamluki age were inspired by their environments. They borrowed their metaphors from the nature itself; they described the stars as flowers and rivers as swords.

As far as the language is concerned, it was clear, straightforward and simple. The poets of this age, sometimes, have woven their language with the different aspects of their daily lives. This reflects a continuity of the language and style of their predecessors.